

السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامي

سُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ فِي سَيْرَةِ خَيْرِ الْعِبَادِ

لِلإمام محمد بن يوسف الصالح الشامي المنوفي سنة ٩٤٢هـ

بتحقيق
الدكتور مصطفى عبد الواحد

الجزء الثاني

١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م



جَمَاعُ أَبْوَابِ صِفَةِ جَسَدِهِ الشَّرِيفِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أفرد الحافظ أبو الخطاب ابن دحية كتابا سماه : « الآيات البيّنات فيما في أعضاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات » وسأذكر خلاصته في المعجزات مع زوائد كثيرة ، والمقصود
منه هنا بيان صفة جسده الشريف صلى الله عليه وسلم فقط وقد أذكر شيئا من الآيات
لزيادة الفائدة



الباب الأول

في حُسْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اعلم رحمَنِي اللهُ وإِيَّاكَ أَنَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْشَأَ النفوسَ مختلفةً ، فمنها الغاية في جَوْدَةِ الجَوْهَرِ ، ومنها المتوسط ، ومنها الكَلَدِ . وفي كل مرتبة درجات . فالأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ هم الغاية ، خلقت أبدانهم سليمة من العَيْبِ فَصَلَحَتْ لِحُلُولِ النفس الكاملة ، ثم يتفاوتون . فكان نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْلَحَ ^(١) الأنبياء مَزَاجاً وَأَكْمَلَهُمْ بَدَنًا وَأَصْفَاهُمْ رُوحًا ، وبمعرفة ما نذكره من صفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْلَاقِهِ يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

روى الشيخان عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنهما قال : لم أرَ شيئاً أحسنَ من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢)

البراء بفتحتين مخففاً .

وقال رجل من الصحابة رضى الله تعالى عنهم : رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا رجلٌ حسنُ الجسم ^(٣) .

وقالت أمُّ مَعْبُدٍ رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجملَ الناس [وَأَبْهَأَهُ] ^(٤) من بعيد وأخْلَاهُ وَأَحْسَنَهُ من قريب ^(٤) .

رواهما البيهقي .

(١) ط : أصح .

(٢) صحيح البخارى ٢/٢١٩ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩١ ونصه : « ما رأيت

شيئاً قط أحسن منه صلى الله عليه وسلم » .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ١/٩٧ (تحقيق السيد صقر) والرواية عن رجل من بلعدوية قال حدثني جدى .

(٤) من دلائل النبوة للبيهقى ١/٢٣٠

وقال جابر ابن سَمُرَةَ - بسين مهملة مفتوحة فميم مضمومة فراء - رضى الله تعالى عنه :
رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةِ إِضْحِيَّانٍ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ إِلَيْهِ
وإِلَى الْقَمَرِ ^(١) فَلَهُوَ ^(٢) أَحْسَنُ فِي عَيْنِي مِنَ الْقَمَرِ .

رواه الترمذى والنسائى ^(٣) .

وقال البراء رضى الله تعالى عنه : مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لَيْمَةٍ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءٍ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
رواه مسلم وأبو داود ^(٤) .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ
صِفَةً وَأَجْمَلَهَا .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال طارق بن عُبَيْدٍ رضى الله تعالى عنه : أَقْبَلْنَا وَمَعَنَا ظُعِينَةٌ حَتَّى نَزَلْنَا قَرِيبًا مِنْ
الْمَدِينَةِ ، فَاتَّانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتِ الظُّعِينَةُ : مَا رَأَيْتُ وَجْهًا أَشْبَهَ بِالْقَمَرِ
لَيْلَةَ الْبَدْرِ مِنْ وَجْهِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

رواه إبراهيم الحَرَبِيُّ فِي غَرِيبِهِ وَأَبُو الْحَسَنِ ابْنُ الضَّحَّاكِ فِي الشَّمَائِلِ وَابْنُ عَسَاكِر .
وقال أَبُو إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيُّ - وَهُوَ بَفَتْحِ الْهَاءِ وَسُكُونِ الْمِيمِ وَدَالٍ مَهْمَلَةٍ - لَامْرَأَةً حَجَّتْ
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : شَبَّهِي لِي : قَالَتْ : كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَلَمْ أَرَ قَبْلَهُ
وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ .

رواه يعقوب بن سفيان ^(٥) .

وقال أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عِمَارٍ بْنُ يَاسِرٍ لِلرَّبِيعِ بِنْتُ مُعَوِّذٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا :
صِفْنِي لِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : يَا بَنِي لَوْ رَأَيْتَهُ لَقَلْتُ الشَّمْسَ طَالَعَةً .

(١) غير ط : والقمر .

(٢) ص : فإذا هو . و ت م : فهو . وما أثبتته من ط .

(٣) شرح شمائل الترمذى للقارى ٥٦١

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٥٢ وسنن أبي داود كتاب اللباس باب رقم ١٧

(٥) شمائل الرسول لابن كثير ص ٨

رواه الدارمي ويعقوب^(١) .

قال الطيبي رحمه الله تعالى : قولها : « لقلت الشمس طالعة » أى لرأيت شمساً طالعة ، جردت من نفسه الشريفة شمساً^(٢) وهى هى ، نحو قولك لئن لقيته لتلقين أسداً ، وإذا نظرت إليه لم تر^(٣) إلا أسداً .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : ما رأيت شيئاً قط أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى . وفى لفظ : تخرج . من وجهه .

رواه الإمام أحمد والترمذى وابن حبان وبقي بن مخلد . وسنده على شرط صحيح مسلم^(٤) .

قال الطيبي : شبه جريان الشمس فى فلکها بجريان الحسن فى وجهه صلى الله عليه وسلم . ومنه قول الشاعر :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

وفيه أيضاً عكس التشبيه للمبالغة . ويجوز أن يقدر الخبر الاستقرار^(٥) ، فيكون من باب تناسى التشبيه ، فجعل وجهه صلى الله عليه وسلم مقراً ومكاناً لها . ويحتمل أن يكون فيه تنابى التشبيه جعل وجهه مقراً ومكاناً للتشبيه^(٦) .

ولله در القائل

لِمَ لَا يَضِيءُ بِكَ الْوُجُودُ وَلَيْلَهُ فِيهِ صَبَاحٌ مِنْ جَمَالِكَ مُسْفِرٌ
فَبِشْمُسِ حُسْنِكَ كُلُّ يَوْمٍ مُشْرِقٌ وَبِبَدْرِ وَجْهِكَ كُلُّ لَيْلٍ مُقْمَرٌ

(١) شمائل الرسول لابن كثير ص ٨ . قال : ورواه البيهقي من حديث يعقوب بن محمد الزهرى عن عبد الله بن موسى التيمي بسنده .

(٢) كذا فى ط وفى بقية النسخ : نفساً .

(٣) ص ت م : لم أر .

(٤) مسند أحمد ٢/٣٥٠ ، ٣٨٠ وشمائل الرسول لابن كثير ص ١٥ .

وشمائل الترمذى (شرح ابن جوس) ١/١٤٣ .

(٥) ط : ويجوز أن يكون محل الاستقرار :

(٦) كذا فى ط . وفى ص ، ت ، م : للشمس

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لم يَقم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شمس قط إلا غلب ضوؤه ضوء الشمس ، ولم يَقم مع سراج قط ، إلا غلب ضوؤه ضوء السراج .

رواه ابن الجوزى ^(١)

وقالت أم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وَسِيمًا قَسِيمًا .
رواه الحارث بن أبي أسامة .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كلَّ شَيْءٍ حَسَنٍ قد رَأَيْتُ ، فما رَأَيْتُ شَيْئًا قط أَحْسَنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه ابن عساكر ^(٢) .

وقال أبو قِرْصَافَة - بكسر القاف وسكون الراء بعدها مهملة وفاء - واسمه جَنْدَرَة - بفتح ^(٣) أوله ثم نون ساكنة ثم مهملة مفتوحة - ابن خَيْشَنَة بمعجمة ثم تحتانية ثم معجمة ثم نون - رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حَسَنَ الوجه ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفارغ الجسم .
رواه ابن عساكر ^(٤) .

نَبِيَّاتٌ

الأول : قال ابن المنير والزرکشى وغيرهما فى قوله صلى الله عليه وسلم فى يوسف : أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ يتبادر إلى أفهام بعض ^(٥) الناس أَنَّ الناس يشتركون فى الشطر الآخر . وليس كذلك ، بل المراد أَنه أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ الذى أُوتِيه نبينا صلى الله عليه وسلم ، فَإِنَّه بَلَغَ النِّهَايَةَ ويوسف بلغ شَطْرَهَا . ويحققه ما رواه الترمذى عن قَتَادَةَ والدارقطنى عن أنس رضى الله تعالى عنهما قال : ما بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الوجه حَسَنَ الصَّوْتِ ، وكان نبيكم أَحْسَنَهُمْ وجهًا وصوتًا ^(٦) »

(١) الوفا لابن الجوزى ٤٠٧/٢

(٢) تهذيب ابن عساكر ٣٢٠/١ بمعناه .

(٣) ص ت م : واسمه جنده بضم أوله . وما أثبت من ط .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٢٣/١ .

(٥) ط : إلى أفهام الناس .

(٦) شرح شمائل الترمذى للقارى ١٤٣/٢

وقال نفطويه رحمه الله تعالى في قوله تعالى : « يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ »
هذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول : يكاد نظره يدل على نبوته
وإن لم يَتَلْ قرآنا . كما قال ابن رَوَاحَةَ رضى الله تعالى عنه :

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبَيِّنَةٌ كانت بَدَاهَتُهُ ^(١) تُنْبِئُكَ بِالْخَبَرِ

وقال القرطبي رحمه الله تعالى قال بعضهم : لم يظهر لنا تمامُ حسنه صلى الله عليه وسلم
لأنه لو ظهر لنا تمامُ حسنه لما طاقت أعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم . ويرحم الله تعالى
الشرف البوصيري حيث قال :

فهو الذى تمَّ معناه وصورته ثم اصطفاه حبيباً بارئ النسم
مُنزَّه عن شريكٍ فى محاسنه فجوهر الحسن فيه غير مُنقسم

إلى أن قال رحمه الله تعالى :

أَعْيَا الْوَرَى فهمُ معناه فليس يُرى للقُرب والبعد فيه غير مُنفَحِمٍ
كالشمس تظهر للعينين من بُعد صغيرة وتُكِلُّ الطُّرْفَ من أَمَمٍ

وهذا مثل قوله رحمه الله تعالى :

إِنَّمَا مَثَلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّاسِ كما مَثَلُ النُّجُومِ الْمَسَاءِ

ويرحم الله تعالى الشرف ابن الفارض حيث قال :

وعلى تَفَنَّنٍ واصفيه بِحُسْنِهِ ^(٢) يَفْنَى الزَّمَانُ وفيه ما لم يُوصَفِ

وسيدى على بن وفا ^(٣) حيث قال رحمه الله تعالى :

كم فيه للأبصار حُسْنٌ مُذهِّشٌ كم فيه للأرواح راحٌ مُسَكِّرٌ
سبحان من أنشأه من سبحاته بشراً بأسرارِ الغيوب يُبَشِّرُ

(١) ط : بديته .

(٢) ص : بوصفه .

(٣) غير ط : ابن أبي وفا . ولعل بن محمد وفا ترجمة طويلة في طبقات الشمراني ٢٠/٢ وهو ابن محمد
وفاء من أكابر العارفين . وسمى وفا لوفاء النيل ببركته .

قاسوه جَهْلًا بالغزال تغزلا هيهات يُشبهه الغزال الأخورُ
هذا وحَقُّ ماله من مُشبهه وأرى المشبه بالغزالة يكفرُ
يأتى عظيم الذنب فى تشبيهه لولا لِرَبِّ جماله يَسْتَغْفِرُ
فخر المَلأحُ بحُسْنهم وجمالهم وبحسنه كلُّ المحاسن تفخرُ
فجماله مَجْلَى لكل جميلة وله مُنار كل وجهه نيرُ
جنات عَذْن فى جَنى وجناته ودليله أن المرافش كوثرُ
هيهات ألهو عن هواه بغيره والغير فى حشر الأجانب يُحشرُ
كَبَّ الغَرامُ علىَّ فى أسفاره كُتبا تُؤوِّل بالهوى وتُفسِّرُ
فَدَعَ الدَّعى وما ادَّعاه من الهوى فدَعِيه بالهَجْر فيه يُهَجِّرُ
وعليك بالعلم العليم فإنسه لخطيبه فى كل خطب مُبَرِّرُ

* * *

الثانى : فى تفسير غريب ما سبق .

إضحيان - بهمزة مكسورة فصاد معجمة ساكنة فحاء مهملة مكسورة فمشناة تحتية :
أى مقمرة مضيئة من أولها إلى آخرها .

اللِّمَّة : بالكسر شعر الرأس المجاوز شُخْمة الأذن فإذا بلغ المنكبين فهو الجُمَّة والجمع لِمَم .
الظَّعينة : قال فى النهاية : أصل الظَّعينة الراحلة التى تُرْحَل ويُظَعَن عليها أى يسار . وقيل
للمرأة ظعينة لأنها تَظَعَن مع الزوج حيثما ظَعَن ، أو لأنها تُحْمَل على الراحلة إذا ظَعنت .
وقيل : الظعينة المرأة فى الهودج ، ثم قيل للهودج بلا امرأة ، أو للمرأة بلا هودج : ظعينة .
الرُّبَّيع : بالتصغير والتشديد . مُعَوِّذ : بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الواو .

الوسيم : المشهور بالحسن كأن الحسن صار له علامة . وقال فى النهاية : رجل قَسِيم
الوجه أى جميل كله كأن كل موضع منه أخذ قسماً ^(١) من الجمال .

والوسيم : الحسن الوضئ الثابت ..

(١) ط : أخذ شيئاً .

الباب الثاني

في صفة لونه صلى الله عليه وسلم

قال أنس رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون ليس بالآدم ولا بالأبيض الأمهق .

متفق عليه ^(١) .

وفي رواية لمسلم : كان صلى الله عليه وسلم أبيض مشرباً بحُمْرة .

وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صيغ من فضة .

رواه الترمذی ^(٢) ورواه ابن عساكر من حديث أنس .

وقال علي رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مشرباً حُمْرة .

رواه الإمام أحمد ^(٣) والترمذی والبيهقي من طرق .

وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مشرباً حُمْرة .

رواه ابن عساكر .

وقال علي رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون ليس بالأبيض الأمهق ^(٤)

(١) صحيح البخاري ٢/٢١٩ (من حديث طويل) وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١١٣ .

(٢) شمائل الترمذی ٥٨١ بشرح القاري . وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣١٩/١ .

(٣) مسند أحمد ١١٦١ وشرح شمائل الترمذی ٣١/١ .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٢٠/١ .

رواه ابن عساكر من طرق .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض اللون مُشرباً حُمرة .

رواه ابن عساكر .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس لَوْنًا .

رواه ابن عساكر .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مُشرباً بحمرة .

رواه ابن سعد وابن عساكر .

وقال أبو أمامة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض^(١) تخلطه حمرة .

رواه ابن عساكر^(٢) .

وقال أبو الطفيل رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مَلِيح الوجه .

رواه الإمام أحمد ومسلم ويعقوب بن سفيان .

وفي رواية لأحمد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مَلِيحاً مُقَصِّداً .

وقال علي رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزْهَرَ اللون .

رواه البيهقي^(٣) .

(١) ص ت م : رجل أبيض . ولله تحريف . وما أثبتته من ط .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٣٢٢ ونصه : « تملوه حمرة » .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ١/١٥٣ .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس لونا .
رواه ابن الجوزى ^(١) .

وقالت أمّ مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر الوضاعة
رواه البيهقي .

وقال هند بن أبي هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنور
المتجرد .

رواه الترمذى ^(٢) والبيهقي .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم شملة سوداء
فلبسها ، وقال : كيف ترينها علىّ يا عائشة ؟ قلت ؛ ما أحسنها عليك يا رسول الله !
يُثوب سوادها بياضك وبياضك سوادها .

رواه ابن عساكر ^(٣) .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : روى الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان والبخاري وابن حبان والحاكم وصححه
الحافظ عن أنس رضى الله تعالى عنه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسْمَرَ اللون ^(٤) .

ورواه البيهقي من وجه آخر بلفظ : كان بياضه إلى سُمرَة ^(٥) وعند الإمام أحمد بسند
حسن : أبيض إلى سُمرَة ^(٥) .

(١) الوفا لابن الجوزى ٤٠٥/٢

(٢) شرح شمائل الترمذى للقارى ٤٨/١ .

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٢٤/١ .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٢٠/١ وقال : تفرد به خالد الطحان عن أنس .

(٥) ط : إلى السمرَة .

وروى ابن أبي شَيْبَةَ عن شيخه هُوَذَةَ والإمام أحمد عن شيخه محمد بن جعفر وأبو نُعَيْم عن رَوْح قالوا أَنبَأَنَا عَوْفُ بْنُ أَبِي جَمِيلَةَ عن يزيد^(١) الفارسي رحمه الله تعالى قال : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا فَقَالَ : صِفْهُ لِي . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ : وَفِيهِ : أَشْمَرٌ إِلَى الْبَيَاضِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَوْ رَأَيْتَهُ فِي الْبِقِظَةِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ تَنْعَتَهُ فَوْقَ هَذَا^(٢) .

وروى أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ عن شيخه هُوَذَةَ ، وَأَبُو نُعَيْمٍ مِنْ طَرِيقِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ عن شيخه رَوْح ، كِلَاهُمَا عَنْ عَوْفٍ عَنْ يَزِيدَ . وَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَلَفْظُهُ : أَحْمَرٌ إِلَى الْبَيَاضِ .

قال الحافظ : وَتَبَيَّنَ مِنْ مَجْمُوعِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالسُّمْرَةِ : الْحُمْرَةُ الَّتِي تَخَالُطُ الْبَيَاضَ ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِالْبَيَاضِ الْمُنْتَبِتِ : مَا تَخَالَطَهُ الْحُمْرَةُ . وَالْمُنْتَبِتُ مَا لَا تَخَالُطُهُ ، وَهُوَ الَّذِي تَكْرَهُ الْعَرَبُ لَوْنَهُ وَتَسْمِيهِ أَفْهَقَ .

وقال ابن أبي خَيْثَمَةَ : وَلَوْنُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي لَاشَكَ فِيهِ : الْأَبْيَضُ الْأَزْهَرُ ، الْمَشْرَبُ مِنْ حُمْرَةِ وَإِلَى^(٣) السُّمْرَةِ مَا ضَحَى مِنْهُ لِلشَّمْسِ وَالرِّيحِ ، وَأَمَّا مَا تَحْتَ الثِّيَابِ فَهُوَ الْأَبْيَضُ الْأَزْهَرُ .

وَتَعَقَّبَهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّ أَنْسَا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَمْرُهُ حَتَّى يَصِفَهُ بِغَيْرِ صِفَتِهِ اللَّازِمَةِ لَهُ لِقُرْبِهِ مِنْهُ ، وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُلَازِمًا لِلشَّمْسِ . نَعَمْ لَوْ وَصَفَهُ بِذَلِكَ بَعْضُ الْقَادِمِينَ مِنْ صَادِقِهِ فِي وَقْتِ غَيْرَتِهِ الشَّمْسِ لَأَمْكُنَ ، فَالْأَوَّلَى حَمْلُ السُّمْرَةِ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ عَلَى الْحُمْرَةِ الَّتِي تَخَالُطُ الْبَيَاضَ ، أَيْ كَمَا سَبَقَ فِي كَلَامِ الْحَافِظِ .

قلت . قَوْلُهُ إِنْ أَنْسَا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ . إِنْ خُيِّلَ يَقَالُ عَلَيْهِ : قَدْ وَصَفَهُ أَنْسٌ بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزْهَرُ اللَّوْنِ لَيْسَ بِالْأَدَمِ ، كَمَا تَقَدَّمَ أَوَّلَ الْبَابِ ، وَهُوَ حَدِيثٌ أَصَحُّ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ . وَتَابِعَهُ غَيْرُهُ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ .

(١) ص ت م : عند يزيد . وما أثبتته من ط .

(٢) مجمع الزوائد ٢٧٢/٨ . قال : ورجاله ثقات .

(٣) ص ت م : إلى السُّمْرَةِ . وما أثبتته من ط .

وقال الحافظ أبو الفضل العراقي : في قوله : « أسمر اللون » : هذه اللفظة تفرّد بها حميد عن أنس ، ورواها غيره عنه بلفظ « أزهر اللون » . ثم نظرنا من روى صفة لونه صلى الله عليه وسلم غير أنس ، فكلّهم وصفوه صلى الله عليه وسلم بالبياض دون السُمر ، وهم خمسة عشر صحابياً .

قلت : سمى أبو الحسن ابن الضحاك في كتاب الشمائل منهم : أبا بكر وعمر وعلياً وأبا جُحيمة وابن عمر وابن عباس وهند بن أبي هالة والحسن بن علي وأبا الطفيل ومُخرّش^(١) الكعبي وابن مسعود والبراء بن عازب وسعد بن أبي وقاص وعائشة وأبا هريرة وذكر أحاديثهم وأسانيدهم^(٢) العشرة . ثم قال : وما رواه أنس مما يوافق الجمهور أولى وأصح وهو الذي ينبغي أن يُرجع إليه ويعول عليه .

وأما رواية أبي يزيد الفارسي : أنه صلى الله عليه وسلم أسمر إلى البياض : فخطأ في الرواية ، والصواب الرواية الثانية .

الثاني : وقع في زيادات المسند لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل ، عن علي رضي الله تعالى عنه : أبيض شديد الوضوح . وفي حديث أبي هريرة عند اليزار ويعقوب بن سفيان بسند قوى : كان صلى الله عليه وسلم شديد البياض . وهذا مخالف لقول أنس أول الباب : وليس بالأمهق . ولرواية مسلم عنه : أبيض مُشرباً بحُمْرة : وهما أصح منهما . ويمكن الجمع بحمل ما ذكر على ما تحت الثياب مما لا يَلْقَى الشمس .

الثالث : وقع عند أبي زيد المرّوزيّ أحد رواة الصحيح عن أنس : أمهق ليس بالأبيض

(١) هو مخرّش بن سويد بن عبد الله بن مرة الخزاعي . ومخرّش بالخاء والحاء . قال الزمخشري : الصواب بالخاء .

وانظر شرح المواهب للزرقاني ٢٢٠/٤ .

(٢) ط : بأسانيدهم .

واعترض الداودى الشارح هذه الرواية . وقال القاضى إنها وهم . وقال : لعل الصحيح رواية من روى أنه ليس بالأبيض ولا بالآدم .

قال الحافظ : وهذا ليس بجيد لأن المراد أنه ليس بالأبيض الشديد البياض ولا الآدم^(١) الشديد الأدمة وإنما يخالط بياض الحمرة . والعرب قد تطلق على من كان كذلك أسمر . ولهذا جاء فى حديث أنس أى السابق : كان صلى الله عليه وسلم أسمر .

قال الحافظ : وتبين من مجموع الروايات أن رواية المروزي : أمهق ليس بالأبيض مقلوبة : على أنه يمكن توجيهها بأن المراد بالأمهق الأخضر اللون الذى ليس بياضه فى الغاية ولا سمرته ولا حمرة . فقد نقل عن رُوْبَة أن المهق^(٢) خضرة الماء فهذا التوجيه على تقدير ثبوت الرواية وقد جاء فى عدة طرق أنه صلى الله عليه وسلم كان أبيض .

* * *

الرابع : نقل القاضى عن أحمد بن أبى سليمان صاحب سخنُون رحمهما الله تعالى أن من قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أسود . يُقتل . انتهى .

قال بعضهم : وهذا يقتضى أن مجرد الكذب عليه فى صفة من صفاته كفر يوجب القتل . وليس كذلك ، بل لابد من ضميمته ما تشعر بنقص كما فى مسألتنا هذه فإن السواد مفضول .

* * *

الخامس : فى بيان غريب ما سبق : الأزهر : الأبيض المستنير المشرق وهو أحسن الألوان أى ليس بالشديد البياض .

الآدم : الشديد السمرة .

(١) ط : أو الآدم .

(٢) ص ت م : أن الأمهق . وما أثبتته من ط .

الأْمَهَق : الشديد البياض الذى لا يخالطه شئ من الحمرة وليس بنير كلون الجص
أو نحوه .

الإِشْرَاب : خَلَط لون بلون كأن أحد اللونين سقى الآخر لونه ، يقال : بياض مُشْرَب
حُمْرة بالتخفيف . فإذا شُدَّ كان للتكثير والمبالغة .

المُقَصَّد : من الرجال الذى ليس بجسيم ولا طويل .

ظاهر الوَضَاءَة : أى الحسن والجمال .

أَنْوَر المتجَرَّد : بجيم وراء مشددة مفتوحتين : ما كشف عنه الثوب من البدن ، يعنى
أنه صلى الله عليه وسلم كان مشرق الجسد نير اللون فوضع الأنور موضع النير .

الباب الثالث

في صفة رأسه وشعره صلى الله عليه وسلم

قال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخماً الرأس .
رواه البخارى^(١) . ورواه أبو الحسن ابن الضحاك عن جبير بن مطعم . ورواه أبو
الحسن ابن الضحاك وابن عساكر . من طرق عن علي رضى الله تعالى عنه . ورواه من طريق
عنه بلفظ : عظيم الرأس .

وروى الترمذى عن هند بن أبي هالة والبيهقى عن علي رضى الله تعالى عنهما قالا :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الهامة رجل الشعر إن افرقت عقيقته فرق وإلا
فلا يجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وفّره^(٢) .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بجعدٍ قَطَط
ولا سَبَط ، كان رجلاً .

رواه الشيخان^(٣) والترمذى والنسائى .

وقال جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير
شعر الرأس رجلاً .

رواه ابن أبي خيثمة .

وقالت أم معبد رضى الله تعالى عنها في صفة صلى الله عليه وسلم : ولا تُزْرِيهِ صُعْلَةٌ .

(١) لم أجده في صحيح البخارى . وهو في مسند أحمد ٨٩/١ ، ٩٦ ، ١٠١ ورواه الترمذى في شمائله عن البخارى
شرح الشبائل ١٩/١

(٢) شرح شمائل الترمذى للقارى ٤٢/١ .

(٣) صحيح البخارى ٢١٩/٢ وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٤ .

رواه الحارث ابن أبي أسامة^(١) .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه لشيء وكان أهل الكتاب يسدلون شعورهم وكان المشركون يفرقون رؤوسهم . فسدل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فرق بعده .
رواه الستة^(٢) .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم شعراً بين شعرين ، لا رجل سبط ولا جعد قَطَط ، وكان بين أذنيه وعاتقه .
وفي رواية : كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أنصاف أذنيه .
متفق^(٣) عليه .

وقال علي [بن حُجْر]^(٤) رضى الله تعالى عنه : لم يكن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجعد القَطَط ولا السَّبَط كان جعداً رجلاً .
رواه مسلم والبيهقي^(٥)

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : « أنا فرقت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه صدعت فرقه عن يافوخه وأرسلت ناصيته بين عينيه .
رواه^(٦) ابن إسحاق وأبو داود ، وابن ماجه ولفظه : « كنت أفرق خلف يافوخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسدل ناصيته » .

(١) مجمع الزوائد ٥٧/٦ ، ٢٧٩/٨ قال الهيثمي : رواه الطبراني وفيه عبد العزيز بن يحيى المديني ونسبه البخاري وغيره إلى الكذب . وقال الحاكم : صدوق . فالحجب منه . وفيه مجاهيل .
(٢) صحيح البخاري ٢٢٠/٢ (ط الأميرية) .
(٣) صحيح البخاري كتاب اللباس ٤ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٦ .
(٤) من دلائل النبوة للبيهقي ١٦٧/١
(٥) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب سنة النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل النبوة للبيهقي ١٦٧/١ .
(٦) سند أبي داود (١٢٦/٢ ط الهوريني) كتاب الترجل باب رقم ١٠ ومسند أحمد ٩٠/٦ ، ٢٧٥ .
وسنن ابن ماجه حديث رقم ٣٦٣٣ (ط عبد الباقي) .

وقال البراء رضى الله تعالى عنه : كان شَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منكبيه .
رواه الشيخان ^(١) .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان شَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق
الوَفْرَة ودون الجُمَّة .
رواه أبو داود والترمذى ^(٢) .

وقالت أم هانئ رضى الله تعالى عنها : قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم وله أربعُ
غَدائِر : يعنى ضفائر .
رواه الترمذى وأبو داود بسند جيد ^(٣) .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا امتشط بالمشط
كَأَنَّهُ حُبْك الرَّمَال .
رواه أبو نعيم .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان شَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أذنيه
وعاتقه .
رواه مسلم ^(٤) .

وروى عبد المجيد بن جعفر عن أبيه أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك
فطلبها حتى وجدها وقال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه فابتدر الناس
جوانبَ شَعْرِهِ فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة فلم أشهد قتالاً وهى معى إلا
رُزِقَت النَّصْر .

(١) صحيح البخارى ٣٣/٤ (ط الأثرية) وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٢ ونصه : « شعره يضرب
منكبيه » .

(٢) سنن أبي داود كتاب الرجل باب رقم ١٠ وصحيح الترمذى ٣٢٦/١ كتاب اللباس . قال الترمذى : هذا
حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وهو في شمائل الترمذى أيضا . شرح الشمائل ١ ٩٢ .

(٣) شرح شمائل الترمذى ١/٩٤ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٤ .

رواه سعيد بن منصور

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رمى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ^(١) نَحَرَ نُسْكَه ثم ناول الحائق شَقَّهُ الْأَيْمَنَ فحلقه فَأَعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ ثم ناوله شَقَّهُ الْأَيْسَرَ فقال : اقسمه بَيْنَ النَّاسِ .

رواه الشيخان^(٢) .

وفى رواية لمسلم : « فلقد رأيتُه والحلاق يحلقه فطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شَعْرَةٌ إِلَّا فى يد رجل .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا وَفْرَةٍ .

رواه ابن عساكر^(٣) .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حَسَنَ الشَّعْرِ .

رواه ابن عساكر^(٤) .

وقال سعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد سواد الرأس واللحية .

رواه ابن عساكر^(٥) . ورواه أبو الحسن ابن الضحاك وغيره عن رجل من الصحابة من بنى كنانة .

وروى إسرائيل عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهَب : أرسلنى أهلى إلى أُمِّ سَكَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بقدَح من ماء - وقبض إسرائيل ثلاث أصابع - فجاءت بِجُلْجُلٍ من فضة^(٦) فيها شَعْرٌ من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا أَصَابَ أَحَدًا

(١) ط : لما رمى الجمرة . وهى موافقة لرواية مسلم والترمذى .

(٢) صحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ٣٢٦ . وصحيح الترمذى ١٧٢/١ كتاب الحج .

(٣) تهذيب ابن عساكر ٣١٧/١ .

(٤) تهذيب ابن عساكر ٣١٦/١ .

(٥) ليس فى تهذيب ابن عساكر المطبوع : وفيه عن أبي قرصافة : كان شديد سواد الشعر .

(٦) كذا وبأنى فى تفسير الغريب : من قصة . بالقاف والصاد .

من الناس عيون أو شيء بعث إليها بخضه^(١) ، فاطلعت في الجُلجل^(٢) فرأيت شعرات
حُمْر^(٣)

رواه البخارى^(٤) واللفظ للحميدى في جمعه

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : حاصل الأحاديث السابقة : أن شعره صلى الله عليه وسلم كان جُمَّةً وَفْرَةً لِّمَّةً ، فوق
الجُمَّة ودون الوفرة عَكْسُهُ . فالوَفْرَةُ - بفتح الواو وإسكان الفاء : ما بلغ شحمة الأذن . واللِّمَّة -
بكسر اللام : ما نزل عن شحمة الأذن ، والجُمَّة - بضم الجيم وتشديد الميم - قال الجوهري
رحمه الله تعالى : هي مُجْتَمَع شعر الرأس وهي أكثر من الوَفْرَة ما نزل عن ذلك إلى المنكبين .
هذا قول جمهور أهل اللغة وهو الذى ذكره أصحاب الشُّحْم والنَّهْيَة والمَشَارِق
وغيرهم . واختلف فيه كلام الجوهري . فذكره على الصواب في مادة « لَمَم » فقال :
واللِّمَّة - بالكسر : الشعر ، المتجاوز شحمة الأذن ، فإذا بلغت المنكبين فهي الجُمَّة . وخالف
ذلك في مادة « وَفَر » فقال : والوفرة إلى شحمة الأذن ثم الجُمَّة ثم اللِّمَّة . وهي التى أَلَمَّتْ
بِالْمَنْكَبَيْنِ^(٥) . انتهى .

قال الحافظ أبو الفضل العراقى رحمه الله تعالى : وما قاله في باب الميم هو الصواب
وهو الموافق لقول غيره من أهل اللغة . ولا جَمْع بين رواية : (فوق الجمة ، ودون الوفرة)
وهي عند الترمذى ، والعكس رواية أبى داود وابن ماجه ، وهي الموافقة لقول أهل اللغة ،
إلا على المحمل الذى تؤول عليه رواية الترمذى ، وذلك أنه قد يراد بقوله : « دون »
بالنسبة إلى محل وصول الشعر . فرواية الترمذى محمولة على هذا التأويل : أن شعره
كان فوق الجُمَّة أى أرفع فى المحل . فعلى هذا يكون شعره لَمَّةً ، وهو ما بين الوَفْرَة ،

(١) كذا والذى فى صحيح البخارى ٣٣/٤ (كتاب اللباس) : بعث إليها بخضبة .

(٢) البخارى : فاطلعت فى الججل . بفتح فسكون .

(٣) ص ت م : شعرا أحمر . وما أثبتته من ط موافقا لرواية البخارى .

(٤) صحيح البخارى ٣٣/٤ (ط الأميرية) كتاب اللباس .

(٥) ص ت م : لمت المنكبين .

والجُمة ، وتكون رواية أبي داود وابن ماجه معناها : « كان شعره فوق الوفرة » أى أكثر من الوفرة ودون الجُمة أى فى الكثرة .

وعلى هذا فلا تعارض بين الروایتين . فروى كل راوٍ ما فهمه من الفوق والدون ،

وقال القاضى : والجمع بين هذه الروایات أن ما يلى الأذن هو الذى يبلغ شحمة أذنيه والذى يلى^(١) أذنيه وعاتقيه وما خلفه هو الذى يضرب منكبيه . وقيل بل لاختلاف الأوقات فإذا غفل عن تقصير شعره بلغ المنكب وإذا قصره كان إلى أنصاف أذنيه فكان يقصّر ويَطُول بحسب ذلك .

الثانى : قال ابن القيم رحمه الله تعالى فى زاد المعاد^(٢) : لم يخلق صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف إلا أربع مرات . ولهذا مزيد بيان فى أبواب زينته صلى الله عليه وسلم ويأتى الكلام على ما شاب من شعره صلى الله عليه وسلم فى الباب التاسع .

* * *

الثالث : روى ابن عساكر من طريقين غير ثابتين عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال : كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبْطًا . وقد تقدم من طريق صحيحة أنه لم يكن بالسَّبْط ولا بالجعد القَطَط .

الرابع : قال ابن أبي خَيْثمة فى تاريخه : إنما جعل شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه غدائر أربعة ليخرج الأذن اليمنى من بين غديرتين يكتنفانها ويخرج الأذن اليسرى من بين غديرتين يكتنفانها ويخرج الأذنان بياضهما من بين تلك الغدائر كأنهما توقد الكواكب الدرّية بين سواد شعره وكان أكثر شيبه صلى الله عليه وسلم فى الرأس فى فودى رأسه ، والفودان حرّفا الفَرَق ، وكان أكثر شيبه صلى الله عليه وسلم فى لحيته فوق الذقن وكان شيبه كأنه خيوط الفضة يتلألأ بين ظهري سواد الشعر الذى دعه ، إذا مسّ ذلك

(١) ط : بين أذنيه :

(٢) زاد المعاد بهاش شرح المواهب ١/ ١٥٨ : ولم يحفظ عنه حلقه إلا فى نك .

الشَّيْبُ الصُّفْرَةُ - وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَفْعَلُ - صَارَ كَأَنَّهُ خِيوطُ ذَهَبٍ يَتَلَأَلُ بَيْنَ ظَهْرِي سَوَادِ
الشَّعْرِ الَّذِي مَعَهُ .

* * *

الخامس: في بيان غريب ما سبق.

الهامة - بالتخفيف: الرأس.

رَجَلَ الشَّعْرَ - بَفَتْحِ الرَّاءِ وَكَسْرِ الْجِيمِ وَفَتْحِهَا وَسُكُونِهَا ، ثَلَاثَ لُغَاتٍ ذَكَرَهَا فِي الْمَقَامِ
أَيُّ لَا شَدِيدِ الْجُمُودَةِ وَلَا شَدِيدِ السُّبُوطَةِ بَلْ بَيْنَهُمَا . قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَكَانَ شَعْرُهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْلِ الْخِلْقَةِ مُسْرَّحًا .

العَقِيْقَةُ : بِقَافَيْنِ عَلَى الْمَشْهُورِ : شَعْرُ الرَّأْسِ ، سَمِيَ عَقِيْقَةً تَشْبِيْهَا بِشَعْرِ الْمَوْلُودِ قَبْلَ
أَنْ يَحْلُقَ فَإِذَا حُلِقَ وَنَبَتَ ثَانِيًا فَقَدْ زَالَ عَنْهُ اسْمُ الْعَقِيْقَةِ ، وَرَبَّمَا سَمِيَ الشَّعْرَ عَقِيْقَةً بَعْدَ
الْحُلْقِ عَلَى الِاسْتِعَارَةِ . وَمِنْهُ هَذَا الْحَدِيثُ . وَالْمُرَادُ إِنْ انْفَرَقَتْ عَقِيْقَتُهُ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهَا
وَلَا تَرَكْهَا مَعْقُوصَةً . وَرَوَى : عَقِيْقَتُهُ - بِقَافٍ وَصَادٍ مَهْمَلَةٍ - وَهِيَ اسْمٌ لِلشَّعْرِ الْمَعْقُوصِ ،
مَشْتَقٌّ مِنَ الْعَقْصِ وَهُوَ الَّلِيُّ .

وَقَرَّهَ : بَفَتْحِ الْفَاءِ الْمَشْدُدَةِ أَيُّ جَعَلَهُ وَقَرَّةً .

الْجَعْدُ - بَفَتْحِ الْجِيمِ وَسُكُونِ الْمَهْمَلَةِ . وَالْجَعُودَةُ فِي الشَّعْرِ أَنْ لَا يَتَكَسَّرَ وَلَا يَسْتَرْسِلُ .

الْقَطَطُ - بَفَتْحَتَيْنِ : الشَّدِيدُ الْجَعُودَةُ الشَّبِيْهُ بِشَعْرِ السُّودَانِ .

السَّبْطُ - بَفَتْحِ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَكَسْرِهَا ، وَهُوَ الْمُنْبَسِطُ الْمُسْتَرْسِلُ الَّذِي
لَا تَكْسِيرَ فِيهِ ، أَيُّ لَمْ يَكُنْ شَدِيدَ الْجَعُودَةِ وَلَا شَدِيدَ السُّبُوطَةِ بَلْ بَيْنَهُمَا .

الصُّعْلَةُ - بِصَادٍ فَعَيْنَيْنِ مَهْمَلَتَيْنِ : صِغَرُ الرَّأْسِ . وَيُرْوَى بِالْقَافِ . وَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي صِفَةِ
لِإِبْطَةِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

يَسْدِلُ - بَفَتْحِ الْمُنَاةِ التَّحْتِيَةِ وَسُكُونِ السَّيْنِ وَكَسْرِ الدَّالِّ الْمَهْمَلَتَيْنِ ، وَيَجُوزُ ضَمُّ الدَّالِّ
أَيُّ يَتْرَكَ شَعْرَ نَاصِيَّتِهِ عَلَى جِبْهَتِهِ . قَالَ النَّوَوِيُّ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَالْمُرَادُ إِسْرَالُهُ عَلَى الْجَبِينِ
وَإِتْخَاذُهُ كَالْقُصَّةِ أَيُّ بِضَمِّ الْقَافِ وَبَعْدَهَا صَادٌ مَهْمَلَةٌ وَهُوَ شَعْرُ النَّاصِيَةِ

يَفْرَقُونَ - بضم الراء وكسرهما : أى يلقون شعر رؤوسهم إلى جانبيه ولا يتركون منه شيئاً على جبهتهم .

فَرَّقَ - بفتح الفاء والراء : تقدم معناه قبله .

العَاتِقُ : ما بين المَنْكِبِ والعُنُقِ وهو موضع الرداء يذكر ويؤنث ، والجمع عَوَاتِقُ^(١) صَدَعْتُ - بالتخفيف : نَحَيْتُ . اليَأْفُوخُ : يَهْمَزُ ، وهو أحسن وأصوب ، ولا يهْمَزُ ، وهو وسط الرأس . ولا يقال يافوخ حتى يَضْلُبُ ويشتد بعد الولادة .

الناصية والناصاة : مَنَّبَتِ الشعر في مقدّم الرأس ، ويطلق على الشعر .

المَنْكِبُ : منجتمع رأس العَضُدِ والكَتِفِ .

الغَدَائِرُ : بغين معجمة ودال مهملة .

حُبْكُ الرَّمَالِ - بضم أوله وثانيه جمع حَبِيكَةٍ وهى الطريق^(٢) فى الرمل وقال الفرّاء : الحبك تكسّر كل شيء^(٣) كالرَّمْلُ إذا مرّت به الريح الساكنة والماء الدائم إذا مرّت به الريح والشّرة الجيدة تكسّرها^(٤) حبك .

الْقَلَنْسُوءَ - بفتح القاف واللام وسكون النون وضم السين وفتح الواو . والجمع : القلانس والقلاسى .

الْيَرْمُوكَ - بفتح الياء : مكان قرب دمشق .

قوله : « وقبض إسرائيل ثلاث أصابع » . أشار بذلك إلى صِغَرِ القَدَحِ .

قصة - بضم القاف وصاد مهملة لأكثر رواة الصحيح . قال ابن دُرَيْدٍ : كلُّ خصلة من الشعر قُصَّةٌ . قال ابن دِخْيَةَ والصحيح عند المتّقنين^(٥) : « من فِضَّة » بالفاء بواحدة وضاد معجمة وهو الأشبه والأولى لقوله بعد ذلك : « فاطَّلعت فى الجُلُجُل » وقد بيّنه وَكَيْعٌ فى مصنّفه فقال : كان جُلُجُلاً من فضة صُنِعَ صَوْنًا لشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) فى الأصل بعدها كلمة « أنصاف أذنيه » ولا معنى لها .

(٢) ط : وهى الطريقة .

(٣) ص : الحبك كل شيء كالرمل .

(٤) ص ت م : تكسر حبك . وما أثبت من ط .

(٥) كذا فى ط . وفى ص ، ت ، م : والصواب عند التفتيش .

الباب الرابع

في صفة جبينه وحاجبيه صلى الله عليه وسلم

قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُفَاضَ الجبين . رواه البيهقي وابن عساكر (١) .

وقال هند بن أبي هالة رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسع الجبين أزجَّ الحَوَاجِبِ سَوَابِغَ في غير قَرَن ، بينهما عِرْقٌ يُدْرُهُ الغضب رواه الترمذي (٢)

وقال رجل من الصحابة رضي الله تعالى عنهم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دَقِيقَ الحاجبين . رواه البيهقي (٣)

وقال سعد بن أنى وقاص رضي الله تعالى عنه : كان جَبِينُ رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلْتًا رواه ابن عساكر (٤)

وقال الحافظ أبو أحمد بن أبي خيثمة رحمهما الله تعالى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَجْلَى الجبين إذا طَلَعَ جبينه من بين الشَّعْر أو طلع من فَلَقِ الشَّعْر أو عند الليل أو طلع بوجهه على الناس تراءى جبينه . كأنه السَّراج (٥) المتوقِّد يتلألأ ، كانوا يقولون هو صلى الله عليه وسلم . كما قال شاعره حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه :

(١) دلائل النبوة للبيهقي ١/١٦١ .

(٢) شرح شمائل الترمذي ١/٤٣ .

(٣) لم أجده في دلائل النبوة للبيهقي .

(٤) لم يرد هذا الخبر في تهذيب ابن عساكر .

(٥) ط : كأنه هو السراج .

مَتَى يَبْدُ فِي اللَّيْلِ ^(١) الْبَهِيمُ جَبِينُهُ يَلُحُّ مِثْلَ مَصْبَاحٍ ^(٢) الدُّجَى الْمُتَوَقِّدِ
فَمَنْ كَانَ أَوْ مَنْ قَدْ يَكُونُ كَأَحْمَدَ نِظَامًا لِحَقٍّ أَوْ نَكَالًا لِمُلْحَدٍ ^(٣)

قال أبو الحسن بن قانع عن سويد بن [غفلة ^(٤)] رضى الله تعالى عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضح الجبين أهذب مقرنوا الحاجبين .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : في حديث أم معبد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزج أقرن . قال ابن قتيبة وابن عساكر : ولا أراه إلا كما وصف هند وصححه ابن الأثير والقُطُب رحمه الله تعالى .

قلت : وروى البيهقي وابن عساكر عن مقاتل بن حيان رحمه الله تعالى قال : أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام : جد في أمري ولا تهزل إلى أن قال : صدقوا النبي العربي الصلت الجبين المقرنوا الحاجبين ^(٥) .

وروى ابن عساكر من طرق عن علي رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرنوا الحاجبين ^(٦) . ويمكن الجمع بأنّه صلى الله عليه وسلم كان أولاً بغير قرن أو من جهة الرائي من قرب ومن بُعد ، وبأنّه لم يكن بالأقرن حقيقة ولا بالأزج ^(٧) حقيقة بل كان بين الحاجبين فُرجة يسيرة لا تتبين إلا لمن دقق النظر إليها . كما ذكر في صفة أنفه الشريف صلى الله عليه وسلم فقال : يحسبه من لم يتأمله أشم ولم يكن أشم .

(١) ط : في الدجى .

(٢) ص ت م : مثل أهياح الدجى . وما أثبتته من ط .

(٣) ديوانه ص ١٠١ (ط البرقوق) .

(٤) بياض بالأصول وهى مثبتة بهامش ط .

(٥) تهذيب ابن عساكر ١/ ٣٤٤ .

(٦) تهذيب ابن عساكر ١/ ٣١٥ .

(٧) ط : ولا بالأبلج . وفي ت م . ولا بالأفلاج . وما أثبتته من ص .

الثاني : في بيان غريب ما سبق .

مُفَاضُ الجبين - بميم مضمومة ففاء فالف فضاء معجمة مخففة أى واسعه ، يقال
دَرَع مفاضة أى واسعة . الجبين مافوق الصدغ . والصدغ ما بين العين إلى الأذن ، ولكل
إنسان جبينان يكتنفان الجبهة .

الزَّجَج : تقوُّس في الحاجب مع طول في طرفه وامتداد . قاله في النهاية . وقال غيره :
الزَّجَج دِقَّة الحاجبين وسبوغهما إلى محاذاة آخر العين مع تقوُّس .

سَوَايغ - حال من المجرور وهو الحواجب جمع سايغ وهو التام الطويل أى أنها دَقَّت
في حال سُبوغها . وضع الحواجب موضع الحاجبين لأن التثنية جمع .

الْقَرَن - بالتحريك : اتصال شعر الحاجبين .

يُدِرُّه - بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد ثالثه : أى يحركه ويظهره ، كان صلى الله عليه
وسلم إذا غضب امتلاً ذلك العرق دماً كما يمتلئ الضرع لبناً إذا دَرَّ فَيَظْهَر ويرتفع .
الصَّلَت الجبين : أى واسعه ، وقيل الصلت الأملس وقيل البارز .

الباب الخامس

في صفة عينيه صلى الله عليه وسلم وبعض ما فيها من الآيات

قال علي رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَدْعَجَ العينين وقال
على رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أَهْدَبَ الأشْفار .

رواه الإمام أحمد ومسلم^(١)

وقال أيضا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أَهْدَبَ الأشْفار مُشْرَبَ
العين بِحُمْرَة .

رواه البيهقي^(٢) وأبو الحسن ابن الضحاك وابن عساكر من طرق .

وقال سِمَاك بن حَرْب : قال جابر بن سَمُرَة رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أَشْكَلَ العين^(٣) .

قال الراوى له^(٤) عن سِمَاك : ما أَشْكَلَ العين ؟ قال : طويل شِقِّ الْعَيْنِ^(٥)

رواه مسلم وغيره^(٦) . ورواه أبو داود بلفظ : أَشْهَلَ العين .

وقالت أم مَعْبَد رضي الله تعالى عنها : في أَشْفاره غَطَفٌ وفي لفظ : وَطَفٌ^(٧)

رواه الحارث بن أبي أسامة .

(١) مسند أحمد ٨٩/١ . من حديث طويل وفيه : هدب الأشفار . ولم أجده في صحيح مسلم .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ١٥٩/١ .

(٣) كذا بالأصل . موافقا لصحيح مسلم والذي في دلائل النبوة للبيهقي : أَشْكَلَ العينين .

(٤) هو شعبة .

(٥) في دلائل النبوة للبيهقي : قال : باد أم جشم . ولا معنى لها . ونقل المحقق عن مصحح المستدرک : معناه في عينه

شيء من الحمرة . وهو مخالف لما هنا .

(٦) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٧ ودلائل النبوة للبيهقي ١٥٨/١ . ومسند أحمد ٨٦/٥ ، ٨٨

٩٧ ، ١٠٣ .

(٧) سبق تخريج حديث أم معبد في ص ٧ من هذا الجزء .

وقال أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبخر العينين .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبرج العينين .

رواهما أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان صلى الله عليه وسلم أكحل العينين أهذب الأشفار .

رواه محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات .

وقال جابر بن سمرة رضى الله تعالى عنه : كنت إذا نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أكحل وليس بأكحل .

رواه الإمام أحمد بن حنبل ويعقوب بن سفيان^(١) .

وقال مقاتل بن حيان رحمه الله تعالى : أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم جد في أمرى ولا تهزل إلى أن قال : صدقوا النبي العربي الأنجل^(٢) العينين .

رواه البيهقي وابن عساكر^(٣) .

وقال علي رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود الحدقة أهذب الأشفار .

رواه الترمذي^(٤) .

وقال أيضا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين مشرب العين حمرة أهذب الأشفار كث اللحية .

(١) الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزى ص ٣٨٩ .

(٢) كذا في ط . وفي بقية النسخ : الأكحل .

(٣) تهذيب ابن عساكر ١/٣٤٤ .

(٤) شرح الثماني ١/٣١١ .

رواه ابن عساكر^(١) .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَدْعَجَ العينين .

رواه ابن عساكر^(٢) .

فصل :

روى ابن عديّ والبيهقي وابن عساكر عن عائشة رضى الله تعالى عنها . والبيهقي وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَرى بالليل في الظُّلْمَةِ^(٣) كما يرى بالنهار في الضُّوء^(٤)

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل ترون قِبَلِي ها هنا ، فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا سجودكم ، إني لأراكم من وراء ظَهري . متفق عليه^(٥)

وقال الحافظ أبو بكر بن أبي خيثمة وتبعه أبو الحسن بن الضحاك في كتاب السمائل له : كان فيه صلى الله عليه وسلم شيء من صَوَر . والصَّوَر : الرجل الذي كأنه يَلْمَح الشيء ببعض وجهه .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود فإني أراكم من أمامي ومن خلفي . رواه مسلم^(٦) .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأنظر إلى ما وراء ظهري كما أنظر إلى أمامي » .

(١) تهذيب ابن عساكر ٣١٤/١ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٣١٧/١ .

(٣) ت م : بالظلمة .

(٤) الوفا لابن الجوزي ص ٣٤٤ عن عائشة .

(٥) صحيح البخارى ٦٠١ (ط الأميزية) وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٠٩ .

(٦) صحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١١٢ .

رواه عبد الرزاق في الجامع وأبو زرعة الرازي في دلائله .

وقال مجاهد رحمه الله تعالى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى مَنْ خلفه من الصفوف (١) كما يرى من بين يديه .

رواه الحميدي وأبو زرعة الرازي في دلائله .

فائدة : ذكر القاضي رحمه الله تعالى أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا أحد عشر نجماً .

وذكر السهيلي رحمه الله تعالى أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى فيها اثني عشر نجماً . وبالأول جزم أبو عبد الله القرطبي في كتاب « أسماء النبي صلى الله عليه وسلم » حيث نظم ذلك فقال رحمه الله تعالى :

وهو الذي يرى النجوم الخافية مَبِينَاتٍ في السماء العالِيَةِ
إحدى عشر قد عدَّ في الثريا (٢) لناظِرٍ سِوَاهُ مَا تَهَيَّأَ

قال في « القول المكرم » وهذا لم أقف له على أصل يستند إليه . والناس يذكرون أن الثريا لا تزيد على تسعة أنجم فيما يروون . انتهى .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : قال القاضي : إنما حدثت هذه الآية له صلى الله عليه وسلم بعد ليلة الإسراء كما أن موسى صلى الله عليه وسلم كان يرى النملة السوداء في الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ بعد ليلة الطور .

الثاني : هذه الرؤية رؤية إدراك ، والرؤية لا تتوقف على وجود آلتها التي هي العين عند أهل الحق ولا شعاع ولا مُقَابَلَة ، وهذا بالنسبة إلى الباري تعالى . أما المخلوق فتتوقف صفة الرؤية في حقه صلى الله عليه وسلم عليه (٣) ، ونخالق البصر في العين قادر على خلقه في غيرها .

(١) ط : في الصفوف .

(٢) ط : إحدى عشر عد في السماء .

(٣) أي على وجود آلة الرؤية .

قال الحرّاني رحمه الله تعالى : وهذه الآية قد جعلها الله تعالى دالةً على ما في حقيقة أمره من الاطلاع^(١) الباطن؛ لسعة علمه ومعرفته، لما عَرَفَ بربه لا بنفسه أطلعه الله تعالى على ما بيّن يديه^(٢) مما تقدم من أمر الله وعلى ما وراء الوقت مما تأخر من أمر الله تعالى . فلما كان على ذلك من الإحاطة في إدراك مدركات القلوب جعل الله تعالى له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك في مُدركات العيون ، فكان يرى المحسوسات من وراء ظهره كما يراها من بين يديه .

ومن الغرائب ما ذكره بختيار^(٣) محب بن محمود الزاهد شارح القدوري في رسالته الناصرية أنه صلى الله عليه وسلم كان له بين كتفيه عينان كسمّ الخياط يُبصر بهما لا تحجبهما الثياب . وقيل : بل كانت صورهم تنطبع في حائط قبلته كما تنطبع في المرأة أمثلتهم فيها فيشاهد أفعالهم .

قال الحافظ : وهذا إن كان نقلا عن الشارع بطريق صحيح فمقبول وإلا فليس المقام مقام رأى ، على أن الأقعد في إثبات كونها معجزة حملها على الإدراك من غير آلة . وقال ابن المنير رحمه الله تعالى : لا حاجة إلى تأويله لأنه في معنى تعطيل لفظ الشارع من غير ضرورة .

وقال القرطبي : حمّله على ظاهره أولى؛ لأن فيه زيادة كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم . ولهذا مزيد بيان في الخصائص .

* * *

الثالث : في بيان غريب ما سبق :

الدّعج : شدة سواد العين في شدة بياضها .

(١) ط : في الاطلاع .

(٢) غير ط : على ما في يديه .

(٣) كذا في ط . وفي ص ، ت ، م : مختار محب .

الأهدب - بالدال المهملة : الطويل الأشفار .

الأشفار : جمع شُفْر وزن قُفْل وهو حرف الجَفْن الذى ينبت عليه الهدب . قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى : والعامّة تجعل أشفار العين : الشُّعْر وهو غلط ، وإنما الأشفار حروف العين التى يَنْبِت عليها الشعر .

الحَدَقَة : بالتحريك : سواد العين والجمع حَدَق وحَدَقَات . مثل قَصَبَة ، وقَصَب ، وقَصَبَات . وربما قيل حَدَاق محل رَقَبَة ورقَاب .

قوله : مُشْرَب العين بِحُمْرَة : هى عروق حُمْر رِقَاق وهى من علاماته صلى الله عليه وسلم التى فى الكتب السالفة .

وقول سِمَاك رحمه الله تعالى : إن الشُّكْلَة طول شِقِّ العين : قال القاضى : إنه وَهْم من سِمَاك باتفاق العلماء وغلط ظاهر ، فقد اتفق العلماء وأصحاب الغريب أن الشُّهْلَة^(١) حُمْرَة فى سواد العين كالشُّكْلَة فى البياض .

الغَطَف : بغير معجمة وتُهْمَل هو أن يطول شعر الأجفان ثم ينعطف . الوَطَف : الطويل أيضا .

الكَحَل : بالتحريك : سواد يكون فى مفاوز أجفان العين خلقة .

الأنجَل : يقال عين نجلاء أى واسعة .

الأَبْرَج العين : بهمزة فموحدة فراء فجيم : من البرَج بالتحريك وهو بياض العين مُحَدِّقاً بالسواد كله لا يغيب من سوادها شيء . والله تعالى أعلم .

(١) الأصل : أن الشُّكْلَة . وهو تحريف وصوابه من الوفا لابن الجوزى ص ٣٨٩ قال : « قال أبو عبيدة : الشُّكْلَة حمرة فى بياض العين . والشُّهْلَة : حمرة فى سوادها والكحل : سواد هدب العين خلقة » .

الباب السادس

في سمعه الشريف صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم يَسْمَعُ ما لا يسمعه الحاضرون مع سلامة حواسهم من مثل الذي سمعه .

وروى ابن عساكر عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تامَّ الأذنين^(١) .

وروى الترمذى وابن ماجه عن أبي ذر ، وأبو نُعَيْم عن حكيم بن حزام رضى الله تعالى عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا ما نسمع من شيء قال إني لأرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ، إني أسمع أطيط السماء وما تُكَلِّمُ أَنْ تَنُطَّ وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم^(٢) »

وقال زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه : بينا النبي صلى الله عليه وسلم على بغلة له إذ حادت به فكادت تُلقيه وإذا أقْبُرُ ستة أو خمسة أو أربعة ، فقال من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ فقال رجل : أنا . فقال : متى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا في الإِشْرَاق ، فأعجبه ذلك فقال : « إن هذه الأمة تُبْتَلَى في قبورها ، فلولا أن لا نَدَافِنُوا لدعوتُ الله عز وجل أن يُسَمِّعَكُم من عذاب القبر الذى أسمع » .

رواه مسلم^(٣) .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حائطاً من حيطان المدينة لبني النجار فسمع أصوات قوم يعذبون في قبورهم فحاصت البغلة ، فسأل النبي

(١) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٩ .

(٢) صحيح الترمذى كتاب الزهد باب ٩ وسنن ابن ماجه كتاب الزهد باب ١٩ . ومسنند أحمد ٥/١٧٣ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الجنة حديث رقم ٦٧ .

صلى الله عليه وسلم : متى دُفِنَ هذا ؟ قالوا : يا رسول الله دفن هذا في الجاهلية فأعجبه ذلك وذكر نحو الذى قبله .

رواه الإمام أحمد^(١) .

وقد ثبت أن الوحي كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا في مثل صلصلة الجرس ويسمعه ويَعِيهِ ولا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ من الصحابة .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : إن قيل : كيف يكون صوتٌ مسموعٌ لسامع في محلٍّ لا يسمعه آخر معه وهو مثله سليم الحاسة عن آفة الإدراك ؟

أجيب : بأن الإدراك معنًى يخلقه الله تعالى لمن يشاء ويمنعه لمن يشاء وليس بطبيعة ولا ونيرة واحدة .

الثاني : في بيان غريب ماتقدم :

الأطيط : صوت الأقتاب وأطيط الإبل أصواتها وحَنِينُهَا ، أى أن كثرة ما في السماء من الملائكة قد أثقلها حتى أظَّت .

قال في النهاية : وهذا مثل وإيدان بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثمَّ أطيط ، وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى .

قلت : وفيه نظر لقوله : «إني لأسمع أطيط السماء» .

حادث : مالت عند نِفَارِهَا عن سَنَنِ طَرِيقِهَا .

حاصت : بحاء فصاد مهملتين : نَفَرَتْ وكرَّت راجعةً من خوف ما سمعت .

(١) مستد أحمد ١٠٣٣ وعن زيد بن ثابت ١٩٠٥ .

الباب السابع

في صفة أنفه الشريف وخديّه صلى الله عليه وسلم

روى الترمذى عن هند بن أبي هالة وابن عساكر عن عليّ رضي الله تعالى عنهما
قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقنَى العَرْنَيْنِ . زاد هند : له نور يَعْلُوهُ ، يَحْسِبُهُ
من لم يتأملْه أَشَمٌّ وليس بأَشَمَّ^(١)

وقال رجل من الصحابة رضي الله تعالى عنهم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دقيق الأنف . رواه البيهقي .

وقال هند بن أبي هالة رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سَهْلَ الخدين .
رواه الترمذى .

وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسِيلَ
الخدين .

رواه محمد بن يحيى الذُّهَلِيُّ في الزهريات وابن عساكر .
وقال علي رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سَهْلَ الخدين
دقيق العَرْنَيْنِ .

رواه ابن عساكر من طرق^(٢) .
وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واضح الخد .
رواه ابن عساكر^(٣) .

(١) شرح الشائل ٤٤/١ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٣١٦/١ .

(٣) لم أجده في تهذيب ابن عساكر .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض الخدين .
رواه أبو الحسن بن الضحاك .

الغرّنين . بكسر العين وسكون الراء المهملّة وكسر النون : الأنف . والقنّى فيه :
طوله ودقة أرنبته مع ارتفاع فى وسطه .

الشّمّم : ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها وإشراف الأرنبه قليلا ، والمعنى أنه صلى الله
عليه وسلم لحسن قنّى أنفه واعتدال ذلك يُحسَب^(١) قبل التأمل أنه أشمّ وليس كذلك .
قاله فى النهاية .

سهل الخدين : أى ليس فى خديه نُتوء وارتفاع . وقيل أراد أن خده صلى الله عليه
وسلم أسيلان قليلا اللحم رقيقا الجلد ، كما فى حديث أبي هريرة .

(١) ط : يجب

الباب الثامن

في صفة فمه صلى الله عليه وسلم وأسنانه وطيب ريقه وبعض الآيات فيه

قال هند ابن أبي هالة رضى الله تعالى عنه : كان صلى الله عليه وسلم ضليع الفم ، أَشْنَب ، مُفْلَج الأسنان ، يَغْتَر عن مثل حَبِّ الغمام .
رواه الترمذى^(١) وأبو الشيخ .

وقال جابر بن سَمُرَة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم .

رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم^(٢) .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بَرَّاق الثنايا .
رواه ابن عساکر^(٣) .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الثَّغَر .
رواه البيهقي^(٤) .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُفْلَج الثنايا .
رواه ابن سعد^(٥) وأبو الشيخ .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : شَمَمْتُ العطر كله فلم أَشَمَّ نَكْهَةً أَطْيَبَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) شرح الثمائل ٤٥/١ .

(٢) لم أجده في صحيح البخارى . وهو في صحيح مسلم كتاب الفضائل ٩٧ .

ومسند أحمد ٩٧/٥ وصحيح الترمذى كتاب المناقب باب ١٢ .

(٣) ليس في تهذيب ابن عساکر .

(٣) لم أجده في دلائل النبوة للبيهقي .

(٥) الذى في طبقات ابن سعد ١٢٩ (القسم الثانى) ط ليدن : مفلج الأسنان .

رواه ابن سعد^(١) وأبو الشيخ .

وقال وائل بن حُجْر رضى الله تعالى عنه : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم صَبَّ في البئر أو قال ثم مَجَّ في البئر . ففاح منها مثل رائحة المسك .

رواه الإمام أحمد وابن ماجه^(٢) .

ورواه أبو الحسن ابن الضحاك بلفظ : أتى بدلو فتوضأ منه فتمضمض ومَجَّ مسكاً أو أطيَّب من المسك وانتشر خارجاً منه .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ضحك كاد يتلألاً في الجدر لم أرَ قبله ولا بعده مثله .

رواه محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات . وأبو الحسن ابن الضحاك وابن عساكر^(٣) .
وقال أنس رضى الله تعالى عنه : بزق رسول الله صلى الله عليه وسلم في بئر في دارنا فلم يكن بالمدينة بئر أعذبَ منها .
رواه أبو نعيم^(٤) .

وقالت عُمَيْرَة^(٥) بنت مسعود الأنصارية رضى الله تعالى عنها : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخواتي وهن خَمْس فوجدناه يأكل قَدِيداً فمضغ لهن قَدِيداً ثم ناولني القديدة فقسمتها بينهن فمضغت كل واحدة قطعةً فلَقَيْن الله وما وُجد لَأَفْوَاههن خُلُوف .
رواه الطبراني^(٦) .

وقالت أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد رضى الله تعالى عنها : كنا نتطيَّب ونَجْهد لعتبة ابن فرقد أن نَبْلغه فما نَبْلغه وربما لم يَمَسَّ عُتْبَة طيباً، فقلنا له فقال : أَخَذَنِي الْبِشْرُ عَلَى عَهْدِ

(١) طبقات ابن سعد ١/١٢٣ (القسم الثاني) ط أوربا .

(٢) مسند أحمد ٤/٣١٦ وابن ماجه كتاب الطهارة باب المَج في الإناء .

(٣) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٦ .

(٤) الخصائص الكبرى ١/١٥٣ .

(٥) كذا في ط موافقا لأسد الغابة ٥/٥١٢ . وفي بقية النسخ : عمره . ولعله تحريف .

(٦) أسد الغابة ٥/٥١٢ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَأَتَيْتُهُ ، فَتَقَلَّ فِي كَفِّهِ ثُمَّ مَسَحَ جِلْدِي ، فَكَنتُ مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ رِيحًا .

رواه البخاري في [(١)] والطبراني وأبو الحسن بن الضحاك (٢) .

وقال أبو أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : جَاءَتْ امْرَأَةٌ بِذِيئَةِ اللِّسَانِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَأْكُلُ قَدِيدًا ، فَقَالَتْ : أَلَا تُطْعَمُنِي ؟ فَنَارَهَا مِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَتْ : لَا إِلَّا الَّذِي فِي فَيْكِ . فَأَخْرَجَهُ فَأَعْطَاهَا فَأَلْقَتْهُ فِي فَمِهَا فَأَكَلَتْهُ فَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَذَاءِ وَالذَّرَابَةِ .

رواه الطبراني (٣) .

وقال محمد بن ثابت بن قيس بن شماس : إِنْ أَبَاهُ فَارَقَ أُمُّهُ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ ، فَلَمَّا وَلَدَتْهُ حَلَفَتْ أَنْ لَا تُلَبِّنَهُ مِنْ لَبَنِهَا . فَدَعَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَصَقَ فِي فِيهِ وَقَالَ اخْتَلَفَ بِهِ فَإِنَّ اللَّهَ رَازَقَهُ فَأَتَيْتُهُ بِهِ الْيَوْمَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي وَالثَّالِثَ .

رواه البيهقي (٤) .

ويرحم الله تعالى القائل حيث قال :

بحرٌ من الشَّهْدِ فِي فِيهِ مَرَاشِفُهُ يَا قُوتَ مَنْ صَدَفَ فِيهِ جَوَاهِرُهُ (٥)

ويرحم الله تعالى القائل أيضا :

جَنَى النَّحْلُ فِي فِيهِ وَفِيهِ حَيَاتُنَا وَلَكِنَّهُ مَنْ لِي يَلْتَمِ لِسَامِهِ
رَحِيقَ الثَّنَائِيَا وَالْمُشَانِي تَنْفَسَتْ إِذَا قَالَ عَنْ فَتَحٍ بِطَيْبِ خَتَامِهِ

(١) بياض بالأصول . ولعله في التاريخ الكبير .

(٢) مجمع الزوائد ٢٨٢/٨ . قال : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَالْكَبِيرِ بَنَحْوِهِ . وَرِجَالُ الْأَوْسَطِ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ أُمِّ عَصَمٍ فَإِنَّهُ لَمْ أَعْرِفْهَا .

(٣) مجمع الزوائد ٣١٢/٨ . وقال : وَفِيهِ عَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ الْأَهْلَانِيُّ وَهُوَ ضَعِيفٌ . وَالْخَصَائِصُ الْكُبْرَى ١٥٤/١ (ط المراس) .

(٤) الخصائص الكبرى ١٥٤/١ وبقية الخبر : فَإِذَا امْرَأَةٌ تَسْأَلُ عَنْ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ فَقُلْتُ لَهَا : مَا تَرِيدِينَ ؟ قَالَتْ : رَأَيْتُ فِي مَنْأَى هَذِهِ اللَّيْلَةِ كَأَنِّي أَرْضَعُ ابْنًا يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ . قَالَ : فَأَنَا ثَابِتٌ وَهَذَا ابْنِي مُحَمَّدٌ .

(٥) ط : بِاقْوَةِ صَدَفٍ فِيهِ جَوَاهِرُهُ .

وقال أبو جعفر محمد بن علي رحمه الله تعالى : بينما الحسن بن علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطش فاشتد ظمؤه فطلب له النبي صلى الله عليه وسلم ماء فلم يجد فأعطاه لسانه فمصّه حتى روى .

رواه ابن عساكر . وهو منقطع . ورواه عن أبي هريرة وزاد : الحسين (١) .

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين . زاد أبو الحسن بن الضحاك : والرّباعيتين . انتهى .

إذا تكلم رُئي كالنور يخرج من بين ثناياه .

رواه أبو زرعة الرازي في دلائله والدارمي والترمذي وأبو الحسن بن الضحاك وسنده جيّد (٢) .

وقال سهل بن سعيد رضي الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . فلما أصبح الناس غدّوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يُعطاه . قال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا : هو يشتكي عينيه . قال : فأرسلوا إليه . فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع . الحديث رواه الشيخان (٣) .

وقال أبو قرصافة - بكسر القاف رضي الله تعالى عنه : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأمي وخالتي (٤) فلما رجعنا قالت أُمي وخالتي يا بني ما رأينا مثل هذا الرجل لا أحسن وجهاً ولا أنقى ثوباً (٥) ولا ألين كلاماً ، ورأينا كالنور يخرج من فيه . رواه البيهقي (٦) .

(١) الخصائص الكبرى ١/١٥٥ عن ابن عساكر .

(٢) شرح شائل الترمذي ٦٧/١ والخصائص الكبرى ٦٢/١ وهو في جميع الزوائد من قوله : « إذا تكلم رُئي كالنور » الخ . ٢٧٩/٨ . قال : وفيه عبد العزيز بن أبي ثابت وهو ضعيف .

(٣) صحيح البخاري كتاب الجهاد وكتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٣٢ - ٣٥ .

(٤) كذا في ط . وفي بنية النسخ : أنا وأبني وخالي .

(٥) غير ط : لونا .

(٦) ليس في دلائل النبوة للبيهقي .

تنبيه في بيان غريب ماسبق

الضَّلِيع : بفساد معجمة وعين مهملة - قال في النهاية : أى عظيم الفم وقيل واسعة والعرب تمدح عظم الفم وتذم صغره .

قال الإمام النووي : وهذا قول الأكثر وهو الأظهر . والضَّلِيع : العظيم الخلق ، الشديد . وقال غيره : الضَّلِيع : المهزول الذابل . وهو في صفة صلى الله عليه وسلم ذبول شفتيه ورقَّتْهُمَا وحُسْنُهُمَا .

الشَّنَب : بشين معجمة فنون مفتوحة فموحدة : البياض والبريق والتحديد في الأسنان وقيل هو بَرْدُهَا وعذوبتها .

الفلَجَ بالتحريك : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات .
يَفْتَرُ - بمنثاة تحتية ففاء ففوقية مضمومة أى يُظْهِرُ أسنانه .
حَبَّ الغمام : البَرْد بفتححتين شبه به ثَغْرُهُ في بياضه وصفائه وبَرْدُهُ . الثَّغَرُ هنا : الثنايا .

مَجَّ الماء من فيه : مجاز من باب رمى : رمى به : الخُلُوف : كالتعود تغير رائحة الفم .

الذَّرَابَة : الفُحْش .

البَدَاء في المنطق . بالفتح والمد والذال المعجمة : السَّفَه والفحش .

تَلْبِنُهُ : بالمنثاة الفوقية فلام فموحدة فنون : ترضعه .

الثَّنَايا : جمع ثَنِيَّة وهي أربع من الأسنان .

بَصَقَ بالصاد المهملة ويقال بالسَّين أيضا .

الباب التاسع

في صفة لحيته الشريفة وشيبه صلى الله عليه وسلم

قال هند بن أبي هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر اللحية .

رواه الترمذى ورواه ابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه^(١) .

وقال على رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم اللحية .

رواه البيهقى وابن عساكر وابن الجوزى^(٢) .

وقال جُبَيْر بن مُطْعِم رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخيم اللحية . رواه أبو الحسن بن الضحاك .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود اللحية . رواه البيهقى وابن عساكر^(٣) .

وقال سعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد سواد الرأس واللحية .

رواه ابن عساكر^(٤) .

(١) شرح شاطئ الترمذى ٤٥/١ . وتهذيب ابن عساكر ٣١٧/١ .

(٢) دلائل النبوة للبيهقى ١٦٣/١ . وتهذيب ابن عساكر ٣١٦/١ والوفاء لابن الجوزى ص ٣٩٢ .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ١٦٤/١ . وتهذيب ابن عساكر ٣١٩/١ .

(٤) ليس في تهذيب ابن عساكر . والذي فيه : سئل سعد بن أبي وقاص : هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لا ولا هم به .

وهذا الخبر في طبقات ابن سعد الجزء الأول القسم الثانى ص ١٢٦ (ط ليدن) .

وقال أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : كانت لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ملأت من هاهنا إلى هاهنا . رواه ابن عساكر^(١) .

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة رحمه الله تعالى : كانت عَنَقَتُهُ صلى الله عليه وسلم بارزة ونبكاه^(٢) حول العنققة كأنهما بياض اللؤلؤة ، في أسفل عنقته شعر منقاد حتى يقع انقيادها على شعر اللحية حتى يكون كأنه منها .

وقال أبو ضَمَمَ رحمه الله تعالى : نزلتُ بالرجيح^(٣) فقليل هاهنا رجل يقال له أسعد ابن خالد رأى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فقلت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم رأيتُه كان رجلاً مربوعاً حسن السبلة .

رواه الدينورى وابن عساكر^(٤) .

وقال أيضا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير شعر الرأس واللحية .

رواه مسلم وابن أبي خيثمة واللفظ له^(٥)

وقال جابر بن سمرة رضى الله تعالى عنه : شَمِطَ مُقَدِّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته وكان إذا أدهن لم يتبين فإذا لم يدهن تبين .

رواه مسلم^(٦)

وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن أنس رضى الله تعالى عنه : ليس فى شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته عشرون شعرة بيضاء .
رواه الشيخان^(٧) .

(١) تهذيب ابن عساكر ١ / ٣٢٠ .

(٢) كذا بالأصول . ولعلها : وفكاه . والنبك : المرتفع .

(٣) الأصل بالرجيح - بالخاء - وما أثبتته من معجم البلدان ٩ / ٢٩٧

قال : والرجيح تصغير رج موضع ببلاد العرب .

(٤) دلائل النبوة للبيهقي ١ / ١٦٥ .

(٥) ليس فى صحيح مسلم كتاب الفضائل .

(٦) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٩ .

(٧) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم . وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب صفة

النبي صلى الله عليه وسلم ومبعثه وسنه ٤ / ٨٢٤ ط استامبول .

وقال ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه : ما كان في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لحيته^(١) إلا سبع عشرة أو ثمانى عشرة شعرة بيضاء .
رواه ابن سعد بسند صحيح^(٢) .

ورواه أبو الحسن ابن الضحاك بلفظ أربع عشرة بيضا .
وقال حميد عنه : لم يكن في لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون شعرة بيضاء
قال حميد : كن سبع عشرة .
رواه ابن أبي خيثمة .

وقال قتادة عنه : لم يخضب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان في عنقه وفي الصدغين وفي الرأس نَبَذٌ^(٣) .
رواه مسلم^(٤)

وقال أبو بكر بن عيَّاش رحمه الله تعالى : قلت لربيعة : جالست أنسا ؟ قال : نعم .
وسمعته يقول : شاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين شبة هاهنا . يعنى العنفة .
رواه ابن خيثمة .

وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : كان شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً من
عشرين شعرة بيضاء في مُقَدَّمِهِ .
رواه ابن إسحاق وابن حبان والبيهقي^(٥) .

وقال أبو جَحِيْفَةَ رضى الله تعالى عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت
بياضاً تحت شفته السفلى العنفة .
رواه البخارى^(٦) .

ورواه الإسماعيلي بلفظ : من تحت شفته السفلى مثل موضع إصبع العنفة .

(١) ط : ولحيته .

(٢) طبقات ابن سعد الجزء الأول القسم الثانى ص ١٣٥ (ط أوربا) .

(٣) كذا في ط موافقا لصحيح مسلم . وفي بقية النسخ : وفي الرأس شعرات تبدو .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٤ .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي ١/١٨٦ . وشمال الرسول لابن كثير .

(٦) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ .

وفي لفظ له . رأيت النبي صلى الله عليه وسلم شابت عنفقه
وقال عبد الله بن بُسر- بضم الموحدة وسكون المهملـة - المازني رضي الله تعالى عنه
كان في عنفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم شعراتٌ بيضٌ .
رواه البخاري^(١) .

وفي رواية عند الإسماعيلي : إنما كانت شعراتٍ بيضاً .
وقال أبو إياس رحمه الله تعالى : سئل أنس عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : ما شأنه الله تعالى ببيضاء

رواه ابن عساكر . وقال : لعل أنساً أراد بلحية بيضاء . فقد روى عنه وعن غيره
من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أنه شاب بعض شعره صلى الله عليه وسلم وأشار إلى
العنفقة .

وروى ابن سعد وأبو نُعيم عن ابن سيرين رحمه الله تعالى قال : سئل أنس رضي الله
تعالى عنه عن خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يكن شاباً إلا يسيراً ولكن أبا بكر وعمر خضباه بعدُ بالحناء والكتم^(٢)

وروى ابن عساكر عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
صفر لحيته وما فيها عشرون شعرة بيضاء .

وقال قتادة : سألت أنساً : هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا إنما كان
شيء في صدغيه .

رواه البخاري^(٣) ولفظه : قال : لم يخضب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان
البياض في عنفقه وفي صدغيه^(٤) . نبذ : أي متفرق .

(١) صحيح البخاري كتاب المناقب باب رقم ٢٣ .

(٢) بل هو في صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٥ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ج ١ القسم الثاني ص ١٣٥ وما بعدها .

(٤) صحيح البخاري كتاب المناقب باب رقم ٢٣ وكتاب اللباس باب رقم ٦٩ وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث

رقم ١٠١٠٠١ .

وقال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى : سألت أنساً أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخْضِبُ ؟ قال : لم يَبْلُغِ الخِضَابَ .
رواه الشيخان^(١) .

ولمسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه . لو شئت أن أعدَّ شَمَطَاتٍ كُنَّ في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لفعلت^(٢) . » .

فائدة

روى ابن سعد عن يونس بن طلق بن حبيب رحمه الله تعالى أن حجّاماً أخذ من شارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى شيبه في لحيته فأهوى إليها ، فأمسك النبي ﷺ - صلى الله عليه وسلم بيده وقال : « من شاب شيبه في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة^(٣) » .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : قال الحافظ رحمه الله تعالى : عُرف من مجموع الروايات أن الذي شاب في عنفقه صلى الله عليه وسلم أكثر مما شاب في غيرها . وقول أنس لما سأله قتادة هل خضب ؟ : « إنما كان شئاً في صدغيه » أراد أنه لم يكن في شعره ما يحتاج إلى الخضاب . وقد صرح بذلك في رواية محمد بن سيرين السابقة .

الثاني : اختلف في عدد الشعرات التي شاب في رأسه صلى الله عليه وسلم ولحيته . فمقتضى حديث عبد الله بن بسر أن شيبه صلى الله عليه وسلم كان لا يزيد على عشر شعرات لإيراده بصيغة القلة . وفي رواية ابن سعد : لم يَبْلُغِ ما في لحيته من الشعر عشرين شعرة^(٤) . قال حميد : وأوماً إلى عنفقه سبع عشرة^(٥) .

(١) صحيح البخارى كتاب اللباس باب رقم ٨٧ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٣ .

(٣) طبقات ابن سعد الجزء الأول القسم الثانى ص ١٣٦ (ط أوربا) .

(٤) طبقات ابن سعد الجزء الأول القسم الثانى ص ٦٣٥ .

(٥) الطبقات : قال زهير : وأصنى حميد إلى رجل عن يمينه قال سبع عشرة . ووضع يده على عنفقه .

وروى أيضا عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : ما كان في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمانى عشرة^(١) .

وروى ابن أبي خيثمة عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : لم يكن في لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون شعرة بيضاء . قال حميد : كن سبع عشرة .

وروى الحاكم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : لو عددت ما أقبل من شبيهه صلى الله عليه وسلم في رأسه^(٢) ولحيته ما كنت أزيدهن على إحدى عشرة .

وجمع العلامة البلقيني^(٣) بين هذه الروايات بأنها تدل على أن شعراته البيض لم تبلغ عشرين شعرة ، والرواية الثانية^(٤) توضح أن مادون العشرين كان سبع عشرة ، فيكون كما ذكرنا : العشرة في عنفقه^(٥) والزائد عليها يكون في بقية لحيته لأنه قال في الرواية الثالثة : لم يكن في لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون شعرة بيضاء ، واللحية تشمل العنفقة وغيرها . وكون العشرة في^(٦) العنفقة بحديث عبد الله بن بشر والبقية بالأحاديث الأخرى في بقية لحيته . وكوّن حميد أشار إلى عنفقه سبع عشرة ليس يعلم^(٧) ذلك من نفس الحديث ، والحديث لا يدل إلا على ما ذكرنا من التوفيق . وأما الرواية الرابعة فلا تنافي كون العشرة على العنفقة والزائد^(٨) على غيرها . وهذا الموضع موضع تأمل . انتهى .

الثالث : سيأتى الكلام في خصائصه صلى الله عليه وسلم في أبواب زينته .

الرابع : في بيان غريب ما سبق .

(١) العليقات ١/١٣٥ (القسم الثاني) .

(٢) ص ، ت ، م : ورأسه .

(٣) ط : العين .

(٤) ط : الثابتة .

(٥) ط : على عنفقه .

(٦) ط : على العنفقة .

(٧) ط : يفهم .

(٨) ط : والواحد .

الكَفَّة : بفتح الكاف وثناء مثلثة - أى فيها كثافة واستدارة وليست بطويلة .
السَّيْلَة : بالتحريك - مقدَّم اللحية وما انحدر منها على الصدر . وقيل : هى الشرعات
التي تحت اللُحَى الأسفل . وقيل : الشارب^(١)
الرُّجِيج^(٢) :

شَمِط : بالكسر شَمَطًا : خالط سوادَ لحيته بياضُ فهو أَشْمَط . والمرأة فى رأسها كذلك
فهى شَمْطاء .

أَبُو جُحَيْفَة : بجيم مضمومة فحاء مهملة ومثناة تحتية ساكنة ففاء - واسمه وهب بن
عبد الله السَّوَّائى بضم السين .

العَنْفَقَة : ما بين الذقن والشفة السفلى ، سواء كان عليه شعر أم لا . ويطلق على الشعر
أيضا . وقوله : « تحت شفته السفلى العنقفة » بجرّ العنقفة بدلٌ من الشفة . وينصبها
وإعراب^(٣) عنقفة كما تقدم .

الصَّدْغ : بالضم : ما بين لَحْظ العين إلى أصل الأذن ويطلق على الشعر المتدلى عليه
والجمع أَصداغ ، مثل قُفْل وأَقفال .

(١) كذا بالأصول . وفى القاموس : والسيلة محرّكة : الدائرة فى وسط الشفة العليا أو ما على الشارب من الشعر ،
أو طرفه . أو مجتمع الشاربين ، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلها ، أو مقدمها خاصة .

(٢) بياض بالأصول والرجيج : تصغير رج : موضع ببلاد العرب . معجم البلدان ٢٩/٩

(٣) ص ت م : وهو إعراب . وما أثبتته من ط .

الباب العاشر

في صفة وجهه صلى الله عليه وسلم

سئل البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ قال : لا بل مثل القمر .
رواه البخارى والترمذى^(١) .

وسئل جابر بن سمرة رضى الله تعالى عنه : أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ قال : لا بل^(٢) مثل الشمس والقمر مستديراً .
رواه مسلم^(٣) .

وقال البراء رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً .
رواه الشيخان^(٤) .

وقال على رضى الله تعالى عنه : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمُطَهَّم ولا المُكَلَّم ، وكان في وجهه تَذْوِير .
رواه البيهقى وابن عساكر من طرق^(٥) .

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم (٢/٢١٩) (ط الأميرية) . وشرح شمائل الترمذى للقارى ٥٧/١ .

(٢) ص : لا ولكن مثل القمر .

(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٩ .

(٤) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم .

وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٣ .

(٥) دلائل النبوة للبيهقى ٢٢١/١ وتهذيب ابن عساكر ٣١٧ ١ .

وقال هند بن أبي هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فَخْمًا
مَفْخَمًا يَتَلَأَلُ وجهه وجه القمر ليلة البدر .

رواه الترمذى وغيره^(١) .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تَدْوِير .

رواه مسلم والبيهقى^(٢) .

وقال أبو عبيد^(٣) : يريد ما كان فى غاية التدوير بل كان فيه سهولة وهى أَخْلَى عند
العرب .

وقالت أمّ مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : رأيت رجلاً ظاهرَ الوضاعة متبَلِّجَ الوجه .

رواه الحارث بن أسامة وغيره^(٤) .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس
وَجْهاً وَأَنْوَرَهُمْ لَوْنًا .

رواه ابن الجوزى^(٥) .

وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدَارَةِ
القمر .

رواه أبو نعيم .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : ما رأيت أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كَأَنَّ
الشمس تَخْرُجُ^(٦) من وجهه .

رواه ابن الجوزى^(٧) .

(١) شرح شمائل الترمذى ١/٤٠ .

(٢) لم أجده فى صحيح مسلم كتاب الفضائل وهو فى صحيح الترمذى كتاب المناقب باب رقم ٨ . والوفاء لابن الجوزى

ص ٣٩٢ ودلائل النبوة للبيهقى ١/١٦٠ .

(٣) ص ، ت ، م : أبو عبيدة .

(٤) سبق تخريج حديث أمّ معبد .

(٥) الوفاء لابن الجوزى ص ٤٠٦ .

(٦) كذا فى ط موافقا لابن الجوزى وفى بقية النسخ : تجرى .

(٧) الوفاء ص ٤٠٦ .

وقالت امرأة حجّت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها أبو إسحاق الهمداني :
شبهه لي . قالت : كالقمر ليلة البدر ، لم أر قبله ولا بعده مثله .

رواه البيهقي (١) .

ويروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كنت أخيط الثوب فسقطت الإبرة
فطلبتها فلم أقدر عليها ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبينت الإبرة بشعاع وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه ابن عساكر (٢) .

ويروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما . قال : لم يكن لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ظلّ ولم يقم مع شمسٍ إلا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراجٍ إلا غلب
ضوءه ضوء السراج .

رواه ابن الجوزي (٣) .

وقال كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ
استنار وجهه كأنه قطعة قمر فكنا نعرف ذلك منه .

رواه الشيخان وأبو داود والنسائي (٤) .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا تبرق
أسارير وجهه .

رواه الشيخان (٥)

(١) دلائل النبوة للبيهقي ١/١٤٦ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ١/٣٢٤ .

(٣) الوفاص ٥٧ .

(٤) صحيح البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب المغازي باب غزوة تبوك وصحيح مسلم

كتاب التوبة حديث رقم ٥٣ والترمذي كتاب التفسير «سورة التوبة» .

(٥) صحيح البخاري كتاب المناقب باب رقم ٢٣ وصحيح مسلم كتاب الرضاع حديث رقم ٣٨ .

وقال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرَّ كأن وجهه المرآة ، وكان الجدر تلاحك وجهه .

أورده ابن الأثير في النهاية^(١) .

تَنْبِيهَات

الأول : قال الحافظ : قوله : « كأنه قطعة قمر » لعله صلى الله عليه وسلم كان حينئذ متلئماً ، والموضع الذى يتبين فيه السرور هو جبينه وفيه يظهر السرور ، وكان الشبه وقع على بعض الوجه فناسب أن يشبه ببعض القمر .

وقال فى المغازى فى قصة توبة كعب : ويُسأل عن السرِّ فى التقييد بالقطعة مع كثرة . ماورد فى كلام البلغاء من تشبيه الوجه بالقمر بغير تقييد^(٢) . وقد تقدم تشبيههم له بالشمس طالعةً وغير ذلك . وكان كعب قائل هذا من شعراء الصحابة وحاله فى ذلك مشهور ، وما قيل فى ذلك من الاحتراز من السواد الذى فى القمر ليس بقوى ، لأن المراد بتشبيهه ما فى القمر من الضياء^(٣) والاستنارة وهو فى تمامه لا يكون فيها أقل مما فى القطعة المجردة . ويحتمل أن يكون أراد بقوله « قطعة قمر » القمر نفسه .

وقد روى الطبرانى حديث كعب بن مالك من طرق فى بعضها : « كأنه دارة قمر » .

وروى النسائى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فى قصة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر وسؤاله ربّه تبارك وتعالى قال : ثم التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن شقّة وجهه القمر فقال : هذه مصارع القوم العشيّة .

ووقع فى حديث جُبَيْر بن مُطْعِم عند الطبرانى : التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه مثل شقّة القمر . فهذا محمول على صفته صلى الله عليه وسلم عند الالتفات .

(١) النهاية لابن الأثير ٥٥٤ .

(٢) ص ، ت ، م : بغير تقديم ، وما أثبتته من ط .

(٣) ت م : من الضوء .

الثاني : هذه التشبيهات الواردة في صفاته صلى الله عليه وسلم إنما هي على عادة الشعراء والعرب ، وإلا فلا شيء من هذه المحدثات يعادل صفاته صلى الله عليه وسلم .

ويرحم الله تعالى القائل حيث قال :

كالبدر والكافُ إن أنصفتَ زائدةً فلا تظنَّنها كافاً لتشبيه

ويرحم الله تعالى القائل أيضاً :

يقولون يحكى البدر في الحسن وجهه وبدر الدجى عن ذلك الحسن منقطع
كما شبهوا غضن النقا بقواميه لقد بالغوا بالمدح للغضن^(١) واشتطوا
وقد تقدم في أبيات سيدي على وفا إشارة إلى هذا^(٢)

* * *

الثالث : قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية رحمه الله تعالى : كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مستديراً فأراد البراء أن يزيل ما توهمه القائل من معنى الطول الذي في السيف إلى معنى الاستدارة التي في القمر ، لأن القمر يؤنس كل من شاهده ويجمع النور من غير أذى حرّ ويتمكن من النظر إليه بخلاف الشمس التي تعشى البصر فتمنع من الرؤية .

وقال الحافظ في الفتح : ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف في اللمعان والصقالة فقال البراء : لا بل مثل القمر الذي فوق السيف في ذلك ، لأن القمر يشمل التدوير واللمعان بل التشبيه به أبليغ وأشهر . وإنما قال جابر بن سمره « كان مستديراً » لينبه على أنه جمع الصفتين لأن قوله مثل السيف يحتمل أن يريد به السائل الطول واللمعان ، فردّه المستول ردّاً بليغاً ، ولما جرى التعارف في أن التشبيه بالشمس إنما يراد به غالباً الإشراق ، والتشبيه بالقمر إنما يراد به الملاحظة دون غيرها أتى بقوله « وكان مستديراً » إشارة إلى أنه أراد التشبيه بالصفتين معاً : الحسن والاستدارة^(٣) .

(١) غير ط : بالغضن .

(٢) سبق ذلك في ص ١١ من هذا الجزء وانظر ترجمة على وفا في طبقات الشعراء ٢١ ٢٠ .

(٣) فتح الباري ٤٤٥/٦ .

الرابع : فى بيان غريب ماسبق :

المَطَّهْم : بيم مضمومة فطاء مهملة فهاء مشددة مفتوحتين : وهو المنتفخ الوجه .
المُكَلَّم : بيم مضمومة فكاف مفتوحة فلام ساكنة فثاء مثناة مفتوحة - وهى من الوجه
القصير الحنك الدانى الجبهة المستدير مع خفة اللحم^(١) .
فَخْمًا : بفاء مفتوحة فحاء معجمة ساكنة : أى عظيمًا .
مُفَخَّمًا : بيم مضمومة فحاء معجمة مفتوحة مشددة اسم مفعول : أى معظمًا فى الصدور
والعيون .

المتبلِّج والأبْلَج : الحسن المشرق المضىء ، ولم تُرد به بلج الحواجب لأنها وصفتها
بالقرن .

دائرة القمر : المسالة حوله .

سُرٌّ : بضم أوله مبنيا للمفعول من السرور .

استنار : أضاء وتنور .

الأسارير : جمع أسرار ، وهى جمع السرر^(٢) ، وهى الخطوط التى تكون فى الجبهة
وبرقانها يكون عند الفرح .

الملاحكة : شدة الملازمة^(٣) ، أى يُرى شخص الجدر فى وجهه صلى الله عليه وسلم .
والله تعالى أعلم .

(١) غيوط : التهمة .

(٢) فى القاموس : السرر والسرار ، ويضمان ، والسرار بالكسر ، واحد أسرار الكف ، لخطوطها ، وجمع
الجمع أسارير .

(٣) كذا فى ط موافقا للنهاية ٥٥/٤ وفى بقية النسخ : شدة الملازمة .

الباب الحادى عشر

فى صفة عنقه صلى الله عليه وسلم ، وبُعْد ما بين مَنْكبيه وَغِلْظ كتده

قالت أم معبد رضى الله تعالى عنها : كان فى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم سَطْع .

رواه الحارث بن أبى أسامة^(١)

وقال هند بن أبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم كَجِيد دُمِيَّة فى صفاء الفضة .

رواه الترمذى^(٢) .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فيما رواه ابن عساكر ، وعلى بن أبى طالب فيما رواه ابن سعد وأبو نعيم والبيهقى : كَأَنَّ عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم إبريق فضة^(٣) .

وروى الإمام أحمد والشيخان عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه : والإمام أحمد والبيهقى عن أبى هريرة ، والترمذى عن هند رضى الله تعالى عنهم قالوا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيداً ما بين المَنْكبين^(٤) .

وروى الترمذى عن على رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جَلِيل المَشَاش والكَتَد^(٥) .

(١) دلائل النبوة للبيهقى ٢٣٠/١ .

(٢) شرح الشئائل لابن جوس ٣١/١ .

(٣) تهذيب ابن عساكر ٣١٧/١ .

(٤) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩١ ، ٩٢ .

(٥) شرح الشئائل ٢١/١ .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله الناس فأعظام الحديث وفيه : فجذبوا ثوبه حتى بدا منكبه فكأنما أنظر حين بدا منكبه إلى شقة القمر من بياضه صلى الله عليه وسلم رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة . رواه البزار والبيهقي وابن عساكر ^(١) .

وقال الحافظ أبو بكر بن أبي خيثمة فى تاريخه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس عنقا ، ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة مشرب ذهباً يتلألأ فى بياض القصة وحُمْرة الذهب ، وما غيّبت الثياب من عنقه فما تحتها فكأنه القمر ليلة البدر .

[تفسير الغريب]

السَّطَعُ : بالتحريك طول العنق .

الجيد . بكسر الجيم وسكون المثناة التحتية : العنق .

اللُّمِيَّةُ - بضم الدال المهملة وإسكان الميم ومثناة تحتية مفتوحة - الصورة المصوّرة سميت بذلك لأن المصانع يتفوّق فى صنعها وتحسينها ، شبه عنقه صلى الله عليه وسلم بالفضة فى صفائها .

الْمَنْكِبُ : بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه : مُجْتَمِعُ رَأْسِ الْعُضْدِ وَالْكَتِفِ . وبُعْد ما بين المنكبين يادل على سعة الصدر والظهر .

الْمَشَاشُ : بضم الميم وشينين معجمتين : رعوس العظام : المرفقين والكعبين والركبتين وقال الجوهري . رعوس العظام اللينة التى يمكن مضغها .

الكَتَدُ : بكاف فمثناة مفتوحتين فدل مهملة مُجْتَمِعُ الْكَتِفَيْنِ .

والله تعالى أعلم .

(١) تهذيب ابن عساكر ٣١٩/١ .

الباب الثاني عشر

في صفة ظهره صلى الله عليه وسلم وما جاء في صفة خاتم النبوة

قال مُحَرَّش - بضم الميم وفتح المهملة وقيل معجمة وكسر الراء بعدها معجمة ، ابن عبد الله الكعبي رضي الله تعالى عنه : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجفراثة ليلا فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة .

رواه الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان ^(١)

فصل :

اختلف في صفة خاتم النبوة على أقوال كثيرة متقاربة المعنى .

أحدها : أنه مثل زرّ الحجلة .

روى الشيخان عن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه قال : قمت خلف ظهر رسول

الله صلى الله عليه وسلم فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زرّ الحجلة ^(٢) .

الثاني : أنه كالجمع :

روى مسلم عن عبد الله بن سرجس - بفتح المهملة وسكون الراء وكسر الجيم بعدها

مهملة - رضي الله تعالى عنه قال : نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفه عند نُغْض كتفه اليسرى

جُمعاً عليه ^(٣) خِيْلَان كَأَمْثَالِ الثَّالِيل ^(٤) .

(١) مسند الإمام أحمد ٣٨٠/٥ تحت عنوان : حديث رجل من خزاعة رضي الله عنه . فرواه عن سفيان بن عيينة ، عن اسماعيل بن أمية . عن رجل من خزاعة يقال له محرش أو مخرش لم يكن سفيان يقف على اسمه . وهو كذلك في دلائل النبوة للبيهقي ١٥٥/١ عن محرش بالحاء المهملة وفي الخصائص الكبرى للسيوطي ٧٣/١ .

(٢) صحيح البخاري كتاب المناقب باب خاتم النبوة . وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة وسنن الترمذي كتاب المناقب باب خاتم النبوة . وهو في شمائل الرسول لابن كثير ص ٣٩ . والخصائص الكبرى ١٤٧/١ .

(٣) غير ط : على خيلان .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة .

الثالث : أنه كبيضة الحمامة .

روى مسلم والبيهقي عن جابر بن سُمرة رضى الله تعالى عنه قال : رأيت خاتم النبوة بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم مثل بيضة الحمامة يشبه جسده^(١) .

وروى أبو الحسن ابن الضحاك عن سلمان رضى الله تعالى عنه قال : رأيت الخاتم بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بيضة الحمامة .

الرابع : أنه شعرٌ مجتمع .

روى الإمام أحمد والترمذي والحاكم وصححه وأبو يعلى والطبرانى من طريق علبان - بكسر المهملة وسكون اللام بعدها موحدة - ابن أحمر - بحاء مهملة وآخره راء - عن أبي يزيد عمرو بن أخطب ، بالخاء المعجمة ، الأنصارى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذن فامسح ظهري . فدنوت ومسحت ظهره ووضعت أصابعي على الخاتم . فقبل له^(٢) : ما الخاتم ؟ قال : شعر مجتمع عند كتفيه^(٣) .

ورواه أبو سعد النيسابورى بلفظ شعرات سود .

الخامس : أنه كالسلعة .

روى الإمام أحمد وابن سعد والبيهقي من طرق عن أبي رُمثة - بكسر الراء وسكون اليم فثاء مثلثة - رضى الله تعالى عنه قال : انطلقت مع أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرت إلى مثل السلعة بين كتفيه^(٤) .

السادس : أنه بضعة ناشزة .

روى الترمذي عن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : الخاتم الذى بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة ناشزة^(٥) .

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة .

ودلائل النبوة للبيهقى ٢١٢/١ .

(٢) غير ط : فقبل ل .

(٣) الخصائص الكبرى ١٤٩/١ .

(٤) مسند أحمد ٢٢٦٢ . ودلائل النبوة للبيهقى ٢١٤/١ والخصائص الكبرى ١٤٨/٢ . وشمائل الرسول لابن كثير

ص ٤١ وروايته : عن أبي ربيعة أو رُمثة .

(٥) شرح شمائل الترمذى (جمع الوسائل) ٧١/١ .

وفى لفظ عند البخارى فى التاريخ والبيهقى : لحمه ناتئة^(١) ولأحمد : لحمٌ ناشز بين كتفيه^(٢) .

السابع : أنه مثل البندقة .

روى ابن حبان فى صحيحه من طريق إسحاق بن إبراهيم قاضى سمرقند : حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كان خاتم النبوة على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم مثل البندقة من لحم مكتوب^(٣) فيها : محمد رسول الله^(٤) .

قال الحافظ أبو الحسن الهيثمى فى « مؤرد الظمان إلى زوائد ابن حبان » بعد أن أورد الحديث : اختلط على بعض الرواة خاتم النبوة بالخاتم الذى كان يختم به الكتب^(٥) . انتهى .

ومن خطه نقلت وبخط تلميذه الحافظ على الهامش : البعض المذكور هو إسحاق - ابن إبراهيم قاضى سمرقند . وهو ضعيف .

وذكر الحافظ ابن كثير نحو ما قال الهيثمى . ولهذا مزيد بيان يأتى فى ثامن التنبيهات .

الثامن : أنه مثل التفاحة .

روى الترمذى عن أبي موسى رضى الله تعالى عنه قال : كان خاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه صلى الله عليه وسلم مثل التفاحة^(٦) .

التاسع : أنه كآثر الدخجم .

روى الإمام أحمد والبيهقى عن الثَّوْنِخِيِّ رسول هرقل رضى الله تعالى عنه فى حديثه الطويل قال : فإذا أنا بخاتم فى موضع غُضْرُوف الكتف^(٧) مثل المَحْجَمَةِ الضخمة .

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١ / ٢١٥ .

(٢) مسند أحمد ٦٩/٣ .

(٣) فى مؤرد الظمان إلى زوائد ابن حبان للهيثمى : عليه مكتوب .

(٤) مؤرد الظمان ص ٥١٤ (ط السلفية) .

(٥) سنن الترمذى كتاب المناقب باب ٣ ومسند أحمد ١٦٣/٤ .

(٦) فى مسند أحمد ٤١٢/٣ : فى موضع غضون الكتف ، ٤٤١ مطولا .

(٧) فى مسند أحمد ٤١٢/٣ : فى موضع غضون الكتف ، ٤٤١ مطولا .

العاشر : أنه كشامة سوداء تضرب إلى الصفرة .

روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان خاتم النبوة كشامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متراكبات كأنها عُرف الفرس^(١) رواه أبو بكر بن أبي خيثمة من طريق صبح بن عبد الله الفرغاني حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد . وسيأتى في ثامن التنبیہات أنه غير ثابت أيضا .

الحادى عشر : أنه كشامة^(٢) خضراء مُحْتَضِرَة في اللحم ، قليلا .

نقله ابن أبي خيثمة في تاريخه عن بعضهم . وسيأتى في ثامن التنبیہات أنه غير ثابت أيضا .

الثانى عشر : أنه يَكْرُبَة عَنَز :

روى الطبرانى وأبو نعيم في المعرفة عن عباد بن عمر رضى الله تعالى عنه قال : كان خاتم النبوة على طرف كتف النبي صلى الله عليه وسلم الأيسر كأنه رُكْبَة عَنَز ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يُرى الخاتم .
سنده ضعيف .

الثالث عشر : أنه كبيضة حمامة مكتوب في باطنها : الله وحده لا شريك له . وفي ظاهره : توجّه حيث شئت فإنك منصور .

رواه الحكيم الترمذى وأبو نعيم ، قال في المورد : وهو حديث باطل . ولهذا مزيد بيان في ثامن التنبیہات .

الرابع عشر : أنه كنور يتلألأ .

رواه ابن عائذ - بعين مهملة ومثناة تحتية وذال معجمة .

الخامس عشر : أنه ثلاث شعرات مجتمعات .

ذكره أبو عبد الله محمد القُضَاعِي - بضم القاف وبضاد معجمة وعين مهملة - رحمه الله تعالى في تاريخه .

(١) من : كأنها مثل عرف الفرس . والعبارة ساقطة في ت م .

(٢) غير ط : أنه شامة .

السادس عشر : أنه عذرة^(١) كعذرة الحمامة . قال أبو أيوب : يعني قرطمة^(٢) الحمامة .

رواه ابن أبي عاصم في سيرته .

السابع عشر : أنه كتينة صغيرة تضرب إلى الدُّهْمَة^(٣) .

رُوى ذلك عن عائشة رضى الله عنها .

الثامن عشر : أنه كشيء يُخْتَم به .

روى ابن أبي شيبة عن عمرو بن أخطب أبي زيد الأنصارى رضى الله تعالى عنه قال : رأيت الخاتم على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا بظفره . كأنه يَخْتَم .

التاسع عشر : أنه كان بين كتفيه صلى الله عليه وسلم كدارة القمر مكتوب فيها سطران : السطر الأول : لا إله إلا الله . وفي السطر الأسفل : محمد رسول الله . رواه أبو الدُّخْدَاح أحمد بن إسماعيل الدمشقي رحمه الله تعالى في الجزء الأول من سيرته . قال في «المورد» و «الغرر» وهو باطل بين البطلان .

العشرون : أنه كبيضة نعامة . روى ابن حبان في صحيحه عن جابر بن سُمرة رضى الله تعالى عنه قال : رأيت خاتم النبوة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم كبيضة النعامة يشبه جسده^(٤) .

قال الحافظ أبو الحسن الهيثمي في «مورد الظمآن» روى هذا في حديث الصحيح^(٥) في صفته صلى الله عليه وسلم ولفظه : مثل بيضة الحمامة وهو الصواب .

قال الحافظ : تبين من رواية مسلم «كُرْكُبة عنز» أن رواية ابن حبان غلط من بعض الرواة .

(١) ص : أنه غدة . وما أثبتته من ط ، ت ، م .

(٢) ص : يعني في طهرة الحمامة . وفي الماشي : قرطمة الحمامة .

(٣) الدهمة : السواد .

(٤) مورد الظمآن ص ٥١٤ .

(٥) مورد الظمآن ص ٥١٤ : في حديث في الصحيح .

قلت : ورأيت في « إتحاف المهرة » للحافظ شهاب الدين البوصيري رحمه الله تعالى بخطه : « كركبة البعير » وبيّض لاسم الصحابي وعزاه لمسند أبي يعلى وهو وفهم من بعض رواته كأنه تصحّف عليه كركبة عنز بركبة بعير .

ثم رأيت ابن عساكر روى الحديث في تاريخه من طريق أبي يعلى وسُمي الصحابي عبّاد بن عمرو .

وقال الحافظ في الإصابة في سنده من لا يُعرف . قلت : وقد تقدّم عنه في الثاني عشر أنه كركبة عنز . ولم أظفر به في مجمع الزوائد للهيثمي .
الحادي والعشرون : أنه غُدة ^(١) حمراء .

روى أبو الحسن ابن الضحاك عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم غادة حمراء مثل بيضة الحمامة

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : اختلف في موضع الخاتم من جسده صلى الله عليه وسلم : ففي صحيح مسلم : أنه عند نُغْضِ كتفه الأيسر . وفي رواية شاذة عن سلمان أنه عند غُضُروف كتفه اليمنى . عزى هذه الرواية الشيخ في الخصائص الكبرى والسخاوي في جَمْعِ طُرُق قصة سلمان من رواية أبي قُرّة الكِنْدِي عنه لدلائل البيهقي ولم أر ذلك في نسختين منها ، لافي الكلام على خاتم النبوة ولا في قصة سلمان ، فكأنه في موضع آخر غيرهما .

الثاني : قال العلماء : هذه الروايات متقاربة في المعنى وليس ذلك باختلاف بل كل راوٍ شَبَّهَ بما نسخ له ، فواحد قال كِرَزْرَ الحَجَلَة ^(٢) وهو بَيّض الطائر المعروف أو أزرار البشخاناه . وآخر كبَيضة الحمامة . وآخر كالتفاحة وآخر بِضْعَة لحم ناشرة . وآخر لحمة ناتئة . وآخر كالمِخْجَمَة . وآخر كُرْكُبة العنز . وكلها ألفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم .

(١) غيوط : كفلة .

(٢) غيوط : كزر الحجل .

ومن قال : شَعْر . فلأن الشعر حوله متراكب عليه كما في الرواية الأخرى .

قال أبو العباس القرطبي في « المفهم » : دلت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه صلى الله عليه وسلم الأيسر إذا قُلِّلَ قَدْرُ بَيضَةِ الحمامة ، وإذا كَبُرَ قَدْرُ جُمُعِ اليَدِ .

وذكر نحوه القاضي وزاد : وأما رواية جمع اليد^(١) فظاهرها المخالفة ، فتتأول على وفق الروايات الكثيرة ، ويكون معناها : على هيئة جُمُعِ الكف لكنه أصغر منه في قدر بَيضَةِ الحمامة .

* * *

الثالث : قال السهيلي رحمه الله تعالى : والحكمة في كون الخاتم عند نغض كتفه الأيسر أنه معصوم من وسوسة الشيطان ، وذلك الموضع منه يوسوس لابن آدم .

قلت : روى أبو عُمَرُ بسند قوى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أن رجلاً سأل ربه^(٢) أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم فأرى جسداً مُمَهًى^(٣) يُرى داخله من خارجه ، وأرى الشيطان في صورة ضفدع عند كتفه حذاء قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة وقد أدخله في منكبيه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى العبدُ خنس^(٤)

قال السهيلي : والحكمة في وضع خاتم النبوة على جهة الاعتبار^(٥) أنه صلى الله عليه وسلم لما ملئ قلبه إيماناً ختم عليه كما يُخْتَمُ على الوعاء المملوء مسكاً أو دُرّاً ، فجمع الله تعالى أجزاء النبوة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتممه ونختم عليه بختمه فلم تجد نفسه ولا عدوه سبيلاً إليه من أجل ذلك الختم ، لأن الشيء المختوم محروس ، وكذلك تدبير الله تعالى لنا في هذه الدار إذا وجد أحدنا الشيء بختمه زال الشك وانقطع الخصام فيما

(١) ط : جمع الكف .

(٢) في ط : سأل ربه سنة .. الخ .

(٣) في اللسان عن الليث : المهى إرخاء الحبل ونحوه . وأنشد لطرفة : .. لك الطول الممهى وثنياء في اليد .

(٤) ذكره في جمع الوسائل في شرح الشرائع ٧٢/١ وقال إنه خبر مقطوع . وقال : أخرجه عبد البر - يقصد

أبا عمر ابن عبد البر - بسند قوى إلى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز . وذكره أيضاً صاحب الفائق .

(٥) غير ط على جهة اليسار . وهو تحريف .

بين الأدميين ، فلذلك ختم رب العالمين في قلبه ختما يطمئن له القلب وألقى فيه النور ونفذت قوة القلب فظهر بين كتفيه كالبيضة^(١) .

* * *

الرابع : قال الحافظ : مقتضى الأحاديث أن الخاتم لم يكن موجوداً عند ولادته صلى الله عليه وسلم ، وإنما وضع لما شق صدره عند حليمة وفيه تعقب على من زعم أنه صلى الله عليه وسلم ولد به ، وهو قول نقله أبو الفتح بلفظ : قيل ولد به وقيل حين وضع . ونقله مغلطاي عن ابن عائذ .

قال الحافظ : وما تقدم أثبت .

قلت : وصححه في « الغرر » وتقدمت الأحاديث التي فيها ذكر الختم في باب شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم فراجعها^(٢) .

ومقتضاها والحديث السابق أول هذا الباب أن الختم تكرر ثلاث مرات : الأول وهو في بلاد بني سعد . والثانية : عند المبعث . والثالثة : ليلة الإسراء ، ولم أقف في شيء من أحاديث شق صدره صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين على ذكر الخاتم . فالله تعالى أعلم .

* * *

الخامس : سئل الحافظ برهان الدين الحلبي رحمه الله تعالى : هل خاتم النبوة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم ؟ أو كل نبي مختوم بخاتم النبوة ؟ فأجاب : لا أستحضر في ذلك شيئاً ولكن الذي يظهر أنه صلى الله عليه وسلم خص بذلك لمعان منها : أنه إشارة إلى أنه خاتم النبيين وليس كذلك غيره . ولأن باب النبوة ختم به فلا يفتح بعده أبداً .

وروى الحاكم عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال : لم يبعث الله نبياً إلا وقد كانت عليه شامة النبوة في يده اليمنى ، إلا أن يكون نبينا صلى الله عليه وسلم ، فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه صلى الله عليه وسلم .

(١) الروض الأنف ١/ ١٠٩ .

(٢) سبق ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب .

فعلی هذا یكون وضع الخاتم بظهر النبی صلی الله علیه وسلم مما اختص به عن الأنبياء
وجزم به الشيخ رحمه الله تعالى فی « أنموذج اللیب » كما فی النسخ الصحیحة خلافاً^(١)
لما وقع فی غیرها مما یخالف ذلك .

* * *

السادس : قال القاضی رحمه الله تعالى : إن الختم هو أثر شقّ الملکین لما بین کتفیه .
وتعقبه النووی فقال : هذا باطل لأن الشق إنما کان فی صدره صلی الله علیه وسلم وبطنه ،
وقال القرطبی أثره - أى الشق - إنما کان خطأً واضحاً من صدره إلى مرقّ بطنه كما فی
الصحيح . ولم یثبت قط أنه بلغ الشق حتى نفذ من وراء ظهره ، ولو ثبت لزم علیه أن
یکون مستطیلاً من بین کتفیه إلى بطنه أى أسفل بطنه لأنه الذى یحاذی الصدر من
مُسربته إلى مرقّ البطن . قال : فهذه غفلة من القاضی .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : کذا قال . وقد وقفت علی مستند القاضی وهو حدیث
عتبة بن عبد السلمی وفيه أن الملکین لما شقّا صدره صلی الله علیه وسلم قال أحدهما للآخر
خطئه فخطاه وختم علیه بخاتم النبوة . انتهى . فلما ثبت أن خاتم النبوة بین کتفیه کان
ذلك أثر الختم^(٢)

وفهم النووی و غیره أن قوله : « بین کتفیه » متعلق بالشق ، وليس كذلك بل هو
متعلق بالختم ویؤید ما فی حدیث شدّاد بن أوّس عند أبی یعلی وأبی نعیم فی الدلائل أن
الملک لما أخرج قلبه وغسله ثم أعاده ختم علیه بخاتم فی يده من نور فامتلاً نوراً وذلك
نور النبوة . فیحتمل أن یكون ظهر من وراء ظهره عند کتفه الأيسر لأن القلب فی تلك
الجهة .

وفی حدیث عائشة عند أبی داود الطیالسی وابن أبی أسامة وأبی نعیم فی الدلائل أن
جبریل ومیکائیل لما تراءيا له عند المبعث « هبط جبریل فسلقنی لحلاوة القفا ثم شق عن
قلبی فاستخرجه ثم غسله فی طست من ذهب بماء زمزم ، ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم ألقانی

(١) ط : خلافاً لغيرها .

(٢) غیرط : أثر الخاتم .

وختم في ظهري^(١) حتى وجدت برؤ^(٢) الخاتم في قلبي وقال: اقرأ « وذكر الحديث^(٣) . هذا مستند القاضي رحمه الله تعالى وليس بباطل .

قلت : وقد تقدم في التنبيه الثالث من كلام السهيلي ما يوضح ما ذكره القاضي فراجعهُ :

السابع : وقع في حديث شداد بن أوس في مغازي ابن عائذ في قصة شق صدره صلى الله عليه وسلم وهو في بلاد بني سعد بن بكر « وأقبل وفي يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه » وهذا قد يؤخذ منه أن الختم وقع في موضعين من جسده صلى الله عليه وسلم والعلم عند الله تعالى .

الثامن : قال الحافظ : ما قيل إن الخاتم كان كأثر محجم^(٤) أو كالشامة السوداء أو الخضراء مكتوب عليها : لا إله إلا الله محمد رسول الله أو سِرُّ فَإِنَّكَ المنصور . ونحو ذلك فلم يثبت من ذلك شيء ولا يُغَيَّر بما وقع في صحيح ابن حبان فإنه غفل حيث صحح ذلك .

وقال القطب في « المورد » والمحجب ابن الشهاب بن الهائم في « الغرر » : إنه حديث باطل . ونقل أبو الخطاب بن دحية رحمه الله تعالى عن الحكيم الترمذي أنه قال : كان الخاتم الذي بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه بيضة حمامة مكتوب في باطنها : الله وحده . وفي ظاهرها : تَوَجَّهْ حيث شئت فَإِنَّكَ منصور . قال ابن دحية : وهذا غريب واستنكروه .

وتقدم لهذا مزيد بيان في فصل : اختلف في صفة خاتم النبوة فراجعهُ .

التاسع : قيل إن الخاتم النبوي الذي كان بين كتفيه صلى الله عليه وسلم رُفِعَ عند وفاته فكان بهذا عُرف موته صلى الله عليه وسلم . فروى أبو نعيم والبيهقي من طريق الواقدي

(١) ط : في صدرى .

(٢) ط : مس الخاتم .

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ١٧٥ .

(٤) غيرط : كأثر المحجم .

عن شيوخه قالوا: شكوا في موت النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم: قد مات. وقال بعضهم: لم يم. فوضعت أسماء بنت عميس رضي الله تعالى عنها يدها بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: قد مات، قد رُفِعَ الخاتم من بين كتفيه. وكان بهذا عرف موته صلى الله عليه وسلم.

ورواه ابن سعد عن الواقدي عن أم معاوية أنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذكره (١).

والواقدي متروك بل كذبه جماعة.

وذكر في «الزهر» أن الحاكم روى في تاريخه عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها لمست الخاتم حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد رُفِعَ. انتهى.

ووقع لي نصف تاريخ الحاكم فطالعت فلم أر فيه ذلك وكأنه فيما لم يقع لي. فليُنظر سنده، وما أخاله صحيحاً. وعلى تقدير كونه صحيحاً قال في «الاصطفاء» فإن قيل: النبوة والرسالة باقيتان بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة كما يبتقى وصف الإيمان للمؤمن بعد موته. لأن المتصف بالنبوة والرسالة والإيمان هو (٢) الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن كما صرح به النسفي فلم رُفِعَ ما هو علامة على ذلك؟

قلت: لأنه لما وضع لحكمة وهي تمام الحفظ والعصمة من الشيطان وقد تم الأمن منه بالموت فلم يبق لبقائه في جسده فائدة. وما ذكره النسفي من بقاء النبوة والرسالة بعد موت الأنبياء حقيقة هو مذهب أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى وعامة أصحابه، لا لما قال النسفي بل لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم كما وردت به الأخبار وسيأتي تحقيق ذلك في باب حياته في قبره صلى الله عليه وسلم.

العاشر: روى الحافظ إبراهيم الحرابي في غريبه وابن عساكر في تاريخه، عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: أُرْدَفَنِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَلْفَهُ فالتقمت خاتم النبوة بفِيّ فكان ينمّ عليّ مسكاً.

(١) طبقات ابن سعد ٢/٢٧٢ (ط بيروت).

(٢) ت م: هي الروح.

الحادى عشر : فى بيان غريب ما سبق : زرّ الحَجَلَة : اختاف فى ضبط زرّ وفى الحجلة ومعنييهما . فقليل فى « زر » إنه بتقديم الزاى على الراء المشددة والحَجَلَة بفتح الحاء المهملة والجيم وعلى هذا فقليل المراد بالزرّ الذى يعقد به النساء عُرَى حُجُولُن كَأَزْرَار القميص والحجلة بيتٌ من ثياب كالقُبَّة يُجعل بابه من جنبه ^(١) يُجعل فيه الزرّ والعُرّة . وقيل : المراد بالزرّ البَيْض والحجلة الطائر المعروف . قال الترمذى رحمه الله تعالى : ويساعده فى ذلك رواية كبيضة حمامة . قال النووى : والصحيح المشهور هو الأول . وقيل المراد بالحجلة من حجلّ الفرس . نقله البخارى فى الصحيح عن محمد بن عبيد الله بن محمد بن أبى زيد ^(٢) قال فى المطالع وقيدّه بعضهم بضم الحاء وفتح الجيم . قال فى المطالع : إن كان سَمَى البياض الذى بين عينى الفرس حُجَلَة لكونه بياضا كما سَمى بياض القوائم تحجيلا فما معنى الزرّ مع هذا ^(٣) ؟ لا يتجه لى فيه وَجّه .

وقال الحافظ رحمه الله تعالى : واستبعد السُّهَيْلى قول ابن عبيد الله بأنّها من حجلّ الفرس الذى بين عينيه بأنّ التحجيل إنما يكون فى القوائم وأمّا الذى فى الوجه فهو العُرّة وهو كما قال ، إلا أنّ منهم من يطلق على ذلك مجازاً وكأنّه أراد أنّها قَدَر الزرّ وإلا فالعُرّة لا زِرّ لها .

وضبطه بعضهم بتقديم الراء على الزاى . حكاه الخطّابى وفسره بأنّه البياض من قولهم أَرَزَّت الجرادة بفتح الراء وتشديد الزاى إذا أَدخلت ذنبها فى الأرض لتبيض . فاستعار له الطائر . قال فى « المفهم » : لا يسمى العربُ البيضة « رُزّة » ^(٤) ولا تؤخذ اللغة بالقياس . النُّغْض - بنون تضم وتفتح فغين ساكنة فضاء معجمتين - قال الجمهور : النغض والناغض : أعلى الكتف . وقيل هو العَظْم الدقيق الذى على طرفه ^(٥) وقيل ؛ ما يظهر عند التحرك .

(١) ط : من جنبه .

(٢) كذا فى ط . وفى بقية النسخ : ابن محمد بن يزيد . والذى فى صحيح البخارى : قال ابن عبيد الله : الحجلة من حجلّ الفرس الذى بين عينيه . قال ابن حجر هكذا وقع وكأنّه سقط منه شيء ، لأنّه يبعد عن شيخه - يريد شيخ البخارى ابن عبيد الله - أن يفسر الحجلة ولم يقع لها فى سياقه ذكر ، وكأنّه كان فيه مثل زرّ الحجلة ثم فسرها .

فتح البارى ٤٣٩/٦ (ط عبد الرحمن محمد) .

(٣) غير ط : فى هذه .

(٤) غير ط : الرزّة .

(٥) ص : على كتفه .

السَّلْعَةُ . بكسر السين وسكون اللام وفتح العين : وهى هنا خُرَاج كهيئة الغُدَّة يتحرك بالتحريك .

البَضْعَةُ : القطعة من اللحم والجمع بَضْع وبَضَعَات . وبِضْع وبِضَاع . مثل تَمْرَةٍ وَتَمَرٍ وسَجَدَاتٍ وَيَدَرٍ وَصِحَافٍ .

ناشِزَةٌ : بنون وشين مكسورة فزاي معجمتين : مرتفعة .

ناتئة - بالهمز وتَرَكة : أى خارجة من موضعها من غير أن تَبِين .

جُمُع - بضم الجيم ، وحكى ابن الجوزى وابن دحية كَسَرها وبه جزم فى « المفهم » إسكان الميم أى مَجْمَع الكف وهو صورته بعد أن تَجْمَع الأصابع وتضمها يقال ضربه بِجُمُع كفه .

خَيْلان - بخاء معجمة مكسورة فمثناة ساكنة : جمع خال وهو الشامة فى الجسد .

الثَّالِيل - بالثاء المثناة - جمع ثُلُول بهمزة ساكنة وَزَانُ عُصْفُورٍ ويجوز التخفيف :

حَبَّ يظهر فى الجسد كالحمصة فما دونها . قال القرطبى فى المفهم :نقط سود كانت على الخاتم شَبَّهَها بها لسعتها لا أنها كانت ثاليل .

الغُضْرُوف : رأس لوح الكتف . متراكبات^(١) : مجتمعات .

سَلَقْنِي . ألقانى على ظهرى . قال فى النهاية : ويروى بالصاد أيضا وبالسين أكثر

(١) ط : متراكبات .

الباب الثالث عشر

في صفة صدره وبطنه صلى الله عليه وسلم

قال هند بن أبي هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عريض الصدر سواء البطن والصدر مشيح الصدر .
رواه الترمذى (١) .

وقالت أم معبد رضى الله تعالى عنها : لم تبعه ثجلة ولا تزريه (٢) صعلة .
رواه الحارث بن أبي أسامة .

وقالت أم هانئ رضى الله تعالى عنها ؛ ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تذكرت القراطيس المثنى بعضها على بعض .
رواه أبو داود الطيالسى وابن سعد (٣) .

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة في تاريخه : كانت له صلى الله عليه وسلم عكّن ثلاث يغطى الإزار منها واحدة ويظهر ثنتان ، ومنهم من قال : يغطى الإزار منها ثنتين ويظهر واحدة - تلك العكّن أبيض من القباطى المطواة وألين مساً .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاض البطن .

رواه الترمذى والبيهقى (٤) .

(١) شرح الثمائل ٣٢/١ . والرواية فيه : سواء البطن والصدر عريض الصدر .

(٢) كذا والرواية : ولم تزر به صعلة . الوفا لابن الجوزى ص ٢٤٣ .

(٣) طبقات ابن سعد ٤١٩/١ (ط بيروت) .

(٤) دلائل النبوة للبيهقى ١٨٨/١ .

وقال هند بن أبي هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنور المتجرد دقيق المسربة موصول ما بين اللبّة والسرة بشعري جرى كالخط^(١) عارى الثديين والبطن مما سرى ذلك أشعر الذراعين والذكبين وأعلى الصدر .

رواه الترمذى^(٢) .

وقال أبو أمامة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متفتق الخاصرة^(٣) .
رواه ابن عساكر^(٤) .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض الكشحين .
رواه ابن عساكر^(٥) .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل المسربة

رواه الترمذى وصححه^(٦) .

وقال أيضا : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم شعر يجرى من لبته إلى سرتة كالقضيبي ليس في صدره ولا بطنه شعر غيره .
رواه ابن سعد وابن عساكر^(٧) .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دقيق المسربة له شعرات من لبته إلى سرتة كأنهن قضيب منك أذفر ، ولم يكن في جسده ولا صدره شعرات غيره .
رواه ابن عساكر^(٨) .

(١) كذا ولعلها : كالخط ، كما في شمائل الترمذى .

(٢) شرح الشمائل لابن جوس ٣١/١ ، ٣٢ .

(٣) غير ص : مفتق . وفي تاريخ ابن عساكر : متفتق .

(٤) تاريخ ابن عساكر ٣٢٢/١ .

(٥) تاريخ ابن عساكر ٣١٩/١ .

(٦) شرح الشمائل ١٩/١ .

(٧) طبقات ابن سعد ٤١٠/١ (ط بيروت) .

وتاريخ ابن عساكر ٣١٦/١ .

(٨) تاريخ ابن عساكر ٣١٧ نحو هذا .

[تفسير الغريب]

سَوَاء : بالمد أى مستوى البطن والصدر يعنى أن يظنه غير خارج فهو مساوٍ لصدرة
وصدره عريض فهو مُساوٍ لبطنه .

مُشِيح - بيم مضمومة فشين معجمة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فحاء مهملة . أى
بادى الصدر غير قَعَس ، والقَعَس : نتوء الصدر خِلقة .

ويروى : قَسِيح الصدر بالفاء ومهملتين أى واسع الصدر .

الثُّجْلَة - بثاء مثلثة وجيم ساكنة فلام مفتوحة : عِظَم البطن ويروى بالنون والحاء
المهملة وهو النحول وهو الدقة وضعف التركيب .

ولا تُزْرِيه . بضم أوله .

الصُّقْلَة . بالصاد المهملة والقاف^(١) : الدقة والنحول . وقيل أرادت أنه صلى الله عليه
وسلم لم يكن منتفخ الخاصرة جدا ولا ناحلا جدا .

القراطيس : جمع قِرطاس .

مُقَاض البطن : أى واسعه . وقيل مستوى البطن مع الصدر .

أنور : من النور^(٢) تريد شدة بياضه وحُسْنه .

المتجرّد - بضم الميم وفتح التاء والجيم والراء المشددة : ما جرّد^(٣) عنه الثوب من بدنه
وهو المجدّد أيضا .

المَسْرِيَة - بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء وفتح الباء الموحدة فتاء تأنيث
الشعر المُسْتَدَق ما يحرر اللبّة إلى السرة .

(١) كذا والذى فى المراجع : صلّة . بالعين المهملة .

(٢) ت م : من التنوير .

(٣) ت م : ما جدد .

اللَّبَّة - بفتح اللام وتشديد الموحدة المفتوحة : المَنْحَر وهي التَّطَامُن الذي فوق الصدر وأسفل الحلق بين الترقوتين وفيها تُنْحَر الإِبِل .

عارى الشَّدِيَيْن إلى آخره : أى أن ثدييه وبطنه - ليس عليهما شعر سوى المسرَّبة المتقدم ذكرها الذي جعله جاريًا كالخطّ .

الأشعر : الذى عليه الشعر من البدن .

الكَشْح : الخضر .

الباب الرابع عشر

فيما جاء في شق صدره وقلبه الشريفين صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : « أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ » قال في الكشف : استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار مبالغة في إثبات الشرح وإيجابه فكأنه قيل : شَرَحْنَا لك صدرك . ولذلك عطف عليه « ووضَعْنَا » اعتباراً للمعنى ^(١) .

قال الطيبي : أى أنكّر عدم الشرح فإذا أنكّر ذلك ثبت الشرح لأن الهمزة للإنكار والإنكار نَفَى ، والنفى إذا دخل على النفي عاد إثباتاً ، ولا يجوز جعل الهمز للتقرير .

قال الراغب رحمه الله تعالى : أصل الشرح بَسَطَ اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحته ومنه شَرَحَ الصدر وهو بَسَطَه بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه ^(٢) .

النقاش ^(٣) : الشرح التوسعة وكل ما وسَّعته فقد شرحته .

الراغب : الصدر الجارحة وجمعه صدور . قال بعض الحكماء : حيثما ذكر الله تعالى القلبَ فإشارة إلى العقل والعلم نحو : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ » ^(٤) وحيثما ذكر الصدر فإشارة إلى ذلك وإلى سائر القوى من الشهوة والهوى ونحوهما وقوله : تعالى « رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي » ^(٥) سؤال لإصلاح قواه وكذا : « وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ » ^(٦) ، فإشارة إلى ذلك .

مكّي : المراد بالصدر القلب ، لأنه وعاء الفهم والعلم وإنما ذكر الصدر لقربه من القلب وامتناجه به .

(١) تفسير الكشف ٦١٤/٤ (ط الاستقامة) .

(٢) مفردات الراغب ص ٢٥٨ (ط الحلبي) .

(٣) كذا في ط وفي بقية النسخ : الشاسي .

(٤) سورة ق ٣٧ .

(٥) سورة طه ٢٥ .

(٦) سورة التوبة ١٤ .

الحكيم الترمذی : ذکر الصدر دون القلب لأن^(١) محل الوسوسة في الصدر ، فأزال الله تلك الوسوسة وأبدلها بدواعي الخير وهي الشرح . وقيل القلب محل العقل والمعرفة وهو الذي يقصده الشيطان فإن الشيطان يجيء الصدر الذي هو حصن القلب فإذا وجد مسلکًا أغار عليه فيضيق القلب ولا يجد للطاعة لذة ولا للإسلام حلاوة فإذا طرد العدو في الابتداء حصل الأمن وزال الضيق وانشرح الصدر وتيسر له القيام بأداء العبودية .

الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى : كان موسى صلى الله عليه وسلم مريدًا إذ قال : « رب اشرح لي صدري » وكان نبينا صلى الله عليه وسلم مرادًا إذ قيل له : « ألم نشرح لك صدرك » .

الإمام الرازي رحمه الله تعالى : وإنما لم يقل : ألم نشرح صدرك دون « لك » لوجهين : أحدهما : أراد شرحته لأجلك كما تفعل أنت الطاعة لأجلى . الثاني : أن فيه تنبيهًا على أن منافع الرسالة عائدة إليه عليه الصلاة والسلام ، كأنه قيل إنما شرحنا [لك] صدرك لأجلك لا لأجلى .

وإنما قال « نشرح » بنون العظمة لأن عظمة المنعم تدل على عظمة النعمة ، وكان صلى الله عليه وسلم يضيق صدره من منازعة الجن والإنس فاتاه الله تعالى من آياته ما اتسع لكل ما حمله صلى الله عليه وسلم .

واختلف المنسرون في معنى الآية على أقوال : فقال الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى : ألم نفسحه حتى وسیع مناجاة الحق ودعوة الخلق وكان غائبًا حاضرا أو : ألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحكيم وأزلنا عنه ضيق الجهل . أو : بما يسرنا لك من تلقى الوحي بعد ما كان يشق عليك^(٢) .

وقيل : إنه إشارة إلى ما روى أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه أو يوم أخذ الميثاق فاستخرج قلبه فغسله فملاه إيمانًا وعلمًا^(٣) ولعله إشارة إلى نحو ما سبق انتهى .

(١) ص : لأنه محل الوسوسة في الصدر .

(٢) تفسير البيضاوي ٢/٣٧٥ (ط الميمية) .

(٣) غيرط : وحلما .

قال الشيخ رحمه الله تعالى في حواشيه : إن أراد بقوله « يوم الميثاق » يوم أخذه في عالم الذر فلا أصل له . وإن أراد به يوم بُعث ونُبئ . وبيّض الشيخ هنا . قلت : وكأنه أراد : فله أصل . كما سيأتى في المرة الثالثة .

ولا منافاة بين هذه الأقوال السابقة وبين شق صدره صلى الله عليه وسلم فإن من جملة شرح صدره شقه وإخراج ما فيه من أذى كما أشار إلى ذلك الحافظان أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري وابن كثير رحمهما الله تعالى .

* * *

وقد تكرر شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم أربع مرّات : الأولى : وهو صلى الله عليه وسلم صغير في بني سعد .

روى البيهقي عن إبراهيم بن طهمان - بفتح الطاء المهملة رحمه الله تعالى : قال سألت سعداً عن قوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك » فحدثني عن قتادة عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : شق بطنه صلى الله عليه وسلم من عند صدره إلى أسفل بطنه فاستخرج قلبه إلخ .

وروى الإمام أحمد ومسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه واستخرج القلب ثم شق القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك . ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه فأعاد مكانه . وجعل الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا : إن محمداً قد قُتل فجاءوه وهو منتقع اللون . قال أنس : فلقد كنت أرى أثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم

وروى الإمام أحمد والداري والحاكم وصححه والطبراني والبيهقي وأبو نعيم ، عن عتبة ابن عبد - بغير إضافة - السلمي رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر ، فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زاداً فقلت : يا أخي اذهب فائتنا بزاد من عند أمنا . فانطلق أخي ومكثت عند البهم فأقبل إلي طائران كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو؟ قال : نعم فأقبلا . يبتدراني فأخذاني فبطحاني للقفأ فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقا فأخرجا منه علقتين سوداوين

فقال أحدهما لصاحبه : إيتني بماء ثلج ففسلا به جَوْفِي - ثم قال : إيتني بماء بَرَد ففسلا به قلبي . ثم قال : إيتني بالسَّكِينَة فذراها في قلبي . ثم قال أحدهما لصاحبه حُصّه . فحاصه وختم عليه^(١) بخاتم النبوة . وذكر الحديث .

[تفسير الغريب]

الظُّرُّ ومُنْتَقَع اللَّوْن . تقدما في شرح غريب قصة الرضاع . المِخِيط بكسر الميم : ما يخاط به . البَهْم وَزَنَ فَلَس - جمع بهمة وهي الصغير من أولاد الغنم .

نَسْران : تشنية نَسْر - طائر معروف والجمع أَنْسُر ونُسور مثل فَلَس وأفلس وفُلوس .

ذَرَّاهَا بِذال معجمة : حَشِيَاهَا^(٢)

حُصّه بحاء مهملة مضمومة : أى خِطّه يقال حاص الثوب يَحُوصه حوصاً إذا خاطه

المرة الثانية : وهو صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين .

روى عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المُسْنَد بسند رجاله ثقات ، وابن حبان والحاكم وأبو نعيم وابن عساكر والضياء ، في « المُخْتَارَة » عن أَبِيّ بن كعب رضى الله تعالى عنه أن أبا هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال يارسول الله ما أولُ ما ابتدئت به من أمر النبوة ؟ قال : إني لفي صحراء أمشي ابن عشر حِجَج إذا أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال نعم . فأخذاني فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط وأرواح لم أرها من خلق قط ، وثياب لم أرها على أحد قط ، فأقبلأ إليّ يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعَصْدِي لا أجد لأخذهما مَسًّا . فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه فأضجعاني بلا قَصْر ولا هَضْر وفي لفظ : فقلبانى^(٣) لِحَلَاوة القفا ثم شقاً بطني . وفي لفظ فقال أحدهما

(١) ط : وختمه .

(٢) مجمع الزوائد : ٢٢٢/٨ وهو في دلائل النبوة للبيهقي ٣٥٢/١ .

وقال : رواه أحمد والطبراني وإسناد أحمد حسن .

(٣) ط : فصلقاني وفوقها : فصلقاني . وما أثبت من ص ، ت ، م .

لصاحبه : افلق صدره . فخَوَى أحدهما إلى صدرى ففلقه ^(١) فيما أرى بلا دم ولا وجع فكان أحدهما يختلف بالماء في طُسْتُ من ذهب والآخر يغسل جَوْفِي فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره فإذا صدرى فيما أرى مفلوقا لا أجِد له وجعاً ثم قال : شق قلبه فشق قلبى فقال : أخرج الغِلَّ والحسد منه . فأخرج شبه العَلَقَة فنبَذ به . ثم قال : أدخل الرَّأْفَة والرحمة في قلبه . فأدخل شيئاً كهَيْثَة الفَضَّة . ثم أخرج دَرُوراً كان معه فدَرَّه عليه ثم نَقَرَ إِنْهَامَى ثم قال : اغْدُ واسلِّم . فرجعت بما لم أَعُد به من رحمتى للصغير ورأفتى للكبير ^(٢) .

[تفسير الغريب]

الجَجَج : بكسر الحاء وفتح الجيم الأولى السُّنُون .

الأرواح : جمع رِيح بمعنى الرائحة وهى عَرَض يدرك بحاسة الشم وهى مؤنثة يقال رِيح ^(٣) ذكية .

بلا قَصْر : قصرتُ الثوبَ أى أرخيته بلا استرخاء . ولا هَضْر : قال فى النهاية : هَضْر ظَهْره أى ثناه إلى الأرض . وأصل الهَضْر أن تأخذ برأس العود فتثنيه إليك وتَعطفه .

حلاوة القفا : يأتى بيانه فى بيان غريب المرة الثالثة .

خَوَى أحدهما إلى صدرى : أى مال إليه .

دَرُوراً : بفتح الذال المعجمة

(١) ط : ففلقه .

(٢) ط : ورقى على الكبير . والحديث فى مجمع الزوائد ٢٢٣/٨ . وقال : رواه عبد الله - أى ابن الإمام أحمد - ورجاله ثقات وثقهم ابن حبان .

(٣) غير ط : رائحة .

المرّة الثالثة : عند المبعث

روى أبو داود الطيالسي والحاتر ابن أبي أسامة في مسنديهما ، والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في اللآلئ ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم نذر أن يعتكف شهراً هو وخديجة . فوافق ذلك شهر رمضان فخرج ذات ليلة فسمع : السلام عليك . قال : فظننت أنها فجأة الجن ، فجئت مسرعاً حتى دخلت على خديجة فقالت : ما شأنك ؟ فأخبرتها فقالت : أبشر فإن السلام خير . ثم خرجت مرة أخرى فإذا أنا بجبريل على الشمس له جناح - بالشرق وجناح بالمغرب فهلت منه فجئت مسرعاً فإذا هو بيني وبين الباب فكلّمني حتى أنست منه ثم وعدني موعداً فجئت له فأبطأ عليّ فأردت أن أرجع فإذا أنا به وميكائيل قد سدّ الأفق فهبط جبريل وبقى ميكائيل بين السماء والأرض ، فأخذني جبريل فألقاني لحلاوة القفا ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج ثم غسله في طست من ماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم أكفاني كما يكفأ الإناء ثم ختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم في قلبي . وذكر الحديث^(١) .

فجأة الجن بالضم والمد ، وفي لغة بوزن ثمرة : بغتة .

هلت منه : خفت وزناً ومعنى .

الأفق . بضم الهمزة والفاء : الناحية والجمع آفاق .

حلاوة القفا : بتثنية الحاء المهملة وحلاواه . فإن ضممت قصرت وهي وسط

القفا .

أكفاني : قلّبنى .

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ١٧١ .

المرة الرابعة : ليلة الإسراء

روى مسلم والبرقاني بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وبالقفاف والنون ، وغيرهما عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتيت وأنا في أهلي فانطلق بي إلى زمزم فشرح صدرى ، ثم أتيت بطست من ذهب ممتلئاً حكمة وإيماناً فحشي بهما صدرى . قال أنس والنبي صلى الله عليه وسلم يُرِينَا صدره . فعرج بي الملك إلى سماء الدنيا . وذكر حديث المعراج ^(١) .

وروى الإمام أحمد والشيخان عن مالك بن صغصة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أُسْرِىَ به قال : بينما أنا في الحطيم وربما قال قتادة : في الحجر . مُضْطَجِعاً إذ أتاني ^(٢) آت فجعل يقول لصاحبه : الأوسط من الثلاثة . فأتاني فشق ما بين هذه إلى هذه . يعنى من ثغرة نحره إلى شِعْرته . فاستخرج قلبي . فأتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة فغسل قلبي ثم حُشِيَ ثم أُعيد . ثم أتيت بدابة دُون البغل وفوق الحمار . ورواه البخارى من طريق شريك عن أنس رضي الله تعالى عنه ^(٣) . والله أعلم .

ذكر احاديث فيها شق صدره صلى الله عليه وسلم من غير تعيين زمان

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : قلت يا رسول الله كيف علمت أنك نبي حتى علمت ذلك واستيقنت أنك نبي ؟ قال : يا أبا ذر أتاني ملكان وأنا في بعض بطحاء مكة فوقع أحدهما بالأرض ^(٤) وكان الآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : هو هو ؟ فقال : هو هو . فقال : زنه برجل فوزنت برجل فرجحت . فقال ^(٥) : زنه بعشرة فوزنتي بعشرة فوزنتهم . فقال : زنه بمائة فوزنتي بمائة فرجحتهم . ثم قال : زنه

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في شرح النووي على مسلم ٢١٧/٢ ،

(٢) ط : إذ أتاه .

٢١٨ .

(٣) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق باب رقم ٦ وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥٩ ، ٢٦٤ . ومسنَد

أحمد ٢٠٧/٤ ، ٢٠٨ .

(٤) ط : على الأرض :

(٥) ط : ثم قال .

بألف . فوزنني بألف فرجحتهم فجعلوا يَنْتَشِرُونَ عَلَى من كِفَّة الميزان . فقال أحدهما للآخر : لو وزنته بأتمته رَجَحَهَا . ثم قال أحدهما لصاحبه : شُقَّ بطنه فشُقَّ بطني ثم قال أحدهما لصاحبه اغسل قلبه^(١) فشُقَّ قلبي^(٢) فأخرج منه مَغْمَز الشيطان وَعَلَقَ الدم فطرَحهما ثم قال أحدهما لصاحبه : اغسل بطنه غَسَلَ الإِنَاءَ واغسل قلبه غسل المَلَأَة ، ثم دعا بسَكِينَة كأنها برهرة بيضاء فأدخلت قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْ بطنه . فخاط بطني فجعلنا الخاتم بين كَتَفَيَّ فما هو إلا أَن وَلِيَا عَنِّي فكَأَنَّمَا أُعَايِنُ الأَمْرَ معَايِنَة .

رواه الدارمي والبزار والرويانى وابن عساكر والضياء في المختارة .

وروى البيهقي عن يحيى بن جَعْدَة^(٣) رحمه الله تعالى مُرْسَلًا . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنْ مَلَكَينِ جَاءَانِي فِي صورة كُرْكَبَيْنِ معهما ثَلَجٌ وَبَرْدٌ وماء بارد فشُقَّ^(٤) أحدهما صدرى ومَجَّ الآخر بمنقاره فيه فغسله^(٥) .

وروى أبو نعيم عن يونس بن ميسرة بن حَلْبَسٍ بمهملتين في طرفيه وموحدة وزن جَعْفَرٍ رحمه الله تعالى - مُرْسَلًا . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَتَانِي مَلَكٌ بَطَسَتْ مِنْ ذَهَبٍ فَشَقَّ بَطْنِي فَاسْتَخْرَجَ حُشْوَةً جَوْفِي فغسلها ثم ذَرَّ عليه ذَرُّورًا ثم قال : قلبٌ وَكَيْعٌ يعى ما وضع^(٦) فيه عَيْنَانِ^(٧) بصيرتان وأذنان تسمعان وأنت محمد رسول الله الْمُقَفَّى الحاشِر ، قلبك سليم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة وخلقتك قيمٌ وأنت قُتْمٌ^(٨) .

وروى الدارمي وابن عساكر ، عن ابن عَنَمٍ - بغين معجمة مفتوحة فنون ساكنة - وهو مختلف في صحبته رضى الله تعالى عنه قال : نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه

(١) ط : أخرج قلبه .

(٢) غير ط : فشق بطني .

(٣) تابعى ثقة روى عن جدته لأبيه أم هانئ بنت أبي طالب ترجمته في تهذيب التهذيب ١١/١٩٢ .

(٤) دلائل النبوة للبيهقي : فشرح أحدهما صدرى .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي ٨٦/١ وقال : هذا مرسل ، وقد روى حديث الشق بإسناد صحيح موصول . وهو في الخصائص

الكبرى للسيوطي ١٦٠/١ (ط المراس) .

(٦) كذا في ط وفي ص ، ت ، م : ما وقع فيه . وهو كذلك في الخصائص الكبرى .

(٧) ص ، ت ، م : عيناك بصيرتان وأذناك سمعتان .

وفي الخصائص : عيناك بصيرتان وأذناك تسمعان . وما أثبت من ط .

(٨) الخصائص الكبرى ١٦٢/١ .

وسلم فشق قلبه^(١) ثم قال جبريل : قلبك^(٢) وكيع فيه أذنان سميعتان وعينان بصيرتان
محمة رسول الله المقفى الحاشر خلقت قيّم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة .

ذكر غريب ما تقدم

ثُغْرَةُ النَّحْرِ : بالضم : وهى النقرة التى بين الترقوتين .

شِعْرَتُهُ بكسر الشين المعجمة : العانة .

كَفَّةُ الْمِيزَانِ : بتثليث الكاف والكسر أشهر .

مَغْمِزُ الشَّيْطَانِ : بفتح الميم الأولى وإسكان الغين المعجمة وكسر الميم الثانية وآخره
زأى ، وهو الذى يُغْمِزُهُ الشَّيْطَانُ من كل مولود ، إلا عيسى بن مريم وأمه لقول أمها
حَنَّةُ : « وإني أعيذُها بك وذُرِّيَّتُها من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ »^(٣) قال السُّهَيْلِيُّ : ولا يدل هذا على
أفضلية عيسى على نبيينا صلى الله عليه وسلم فقد نُزِعَ ذلك منه ومُلِيَ حكمةً وإيماناً بعد
أن غسله روحُ القُدُس بالثلج والبرَد .

الْمَلَاءَةُ بالضم والمد : الإزار .

سَكِينَةٌ وبرهرة . سيأتى الكلام عليها .

حُشْوَةٌ بضم الحاء وكسرها : الأمعاء .

وكيع قال فى النهاية : قلبٌ وكيع : واع : أى متين مُحْكَمٌ ومنه قولهم : سِقَاءٌ
وكيع إذا كان مُحْكَمَ الْخَزَزِ .

قيّم بمثناة تحتية . وقثم : بمثلاة . وتقدم الكلام عليهما فى الأسماء^(٤) .

(١) ط : بطنه .

(٢) ط : قلب وكيع .

(٣) سورة آل عمران ٣٦ .

(٤) راجع الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٦١٦ ، ٦١٨ .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : قال الحافظ أبو الفضل العراقي رحمه الله تعالى في أوّل شرحه لتقريبه : قد أنكر صحّة وقوع شق الصدر ليلة الإسراء ابنُ حَزْمٍ وعِيَاضٌ وأدْعِيَا أَنَّهُ تَخْلِيْطٌ مِنْ شُرَيْكٍ . وليس كذلك فقد^(١) ثبت في الصحيحين من غير طريق شريك .

وقال الإمام أبو العباس القرطبي في المفهم : لا يُلْتَفَتُ لِإِنْكَارِ شِقِّ الصَّدْرِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ لِأَنَّ رَوَاتِهِ ثِقَاتٌ مَشَاهِيرٌ .

وقال الحافظ : قد أنكر شق الصدر ليلة الإسراء بعضهم ولا إنكار في ذلك ، فقد تواترت به الروايات .

الثاني : قال القرطبي في المفهم والتوريشي - بضم المثناة الفوقية وفتح الراء وكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة بعدها مثناة فوقية - في شرح المصابيح والطبّي في شرح المشكاة والحافظ والشيخ وغيرهم رحمهم الله تعالى أن جميع ما وَرَدَ في شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك مما يجب التسليم له دون تعرّض لصرفه عن حقيقة صلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك . ويؤيِّده الحديث الصحيح أنهم كانوا يرون أثر المَخِيطِ في صدره صلى الله عليه وسلم .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وما وقع من بعض جهلة العصر من إنكار ذلك وحمله على الأمر المعنوي وإلزام قائله القول بقلْبِ الحقائق ، فهو جهل صريح وخطأ قبيح نشأ من خذلان الله تعالى لهم وعكوفهم على العلوم الفلسفية وبُعْدهم عن دقائق السُّنة . عافانا الله تعالى من ذلك .

الثالث : قال العلامة ابن المنير - بضم الميم وفتح النون وكسر التحتية المشددة رحمة الله تعالى : وشق الصدر له صلى الله عليه وسلم وصبره عليه من جنس ما ابتلى به الله الذَّبِيحَ وصبر

(١) ص ، ت ، م : بل ثبت .

(٢) غير ط : من شق الصدر .

عليه ، بل هذا أشقُّ وأَجَلُّ لَأَنَّ تلكَ مَعَارِيضَ وهذه حقيقة ، وأيضا فقد تَكَرَّرَ ووقع له صلى الله عليه وسلم وهو صغير يتيم بعيداً^(١) من أهله صلى الله عليه وسلم وزاده شرفاً وفضلاً .

الرابع : سئل شيخ الإسلام أبو الحسن السُّبُكِيُّ رحمه الله تعالى عن العَلَقَةِ السوداء التي أخرجت من قلبه صلى الله عليه وسلم حين شُقَّ فؤاده وقول الملك : هذا حَظُّ الشيطان منك .

فأجاب رحمه الله تعالى : بَأَنَّ تلكَ العَلَقَةَ خَلَقَهَا الله تعالى في قلوب البشر قابلاً لما يُلقِيهِ الشيطان فيها فأزيلت من قلبه صلى الله عليه وسلم فلم يبق فيه مكان لَأَنَّ يُلْقَى الشيطان فيه شيئاً . هذا معنى الحديث ولم يكن للشيطان فيه حظ . وأما الذي نَفَاهُ الملك هو أَمْرٌ في الجِبِلَّاتِ^(٢) البشرية فأزيل القابلُ الذي لم يكن يلزم من حصوله حصول القَذْفِ في القلب .

قيل له : فلمَ خلق الله تعالى هذا القابل في هذه الذات الشريفة ، وكان يمكن أن لا يخلقه الله تعالى فيها ؟ فقال : إنه من جملة الأجزاء الإنسانية فخلقه تكملة للخلق الإنساني ولا بد منه ونزعه كرامة ربّانية طرأت .

وقال غيره : لو خلق الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم سليماً فيها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته ، فأظهره الله تعالى على يد جبريل عليه الصلاة والسلام ليتحققوا^(٣) كمال باطنه كما برز لهم مُكَمَّلُ الظاهر .

الخامس : قال الشيخ أبو محمد بن أبي جَمْرَةَ - وهو بجيم مفتوحة فراء مهملة رحمه الله تعالى : الحكمة في شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم مع القدرة على أن يمتلئ قلبه إيماناً وحكمة من غير شق : الزيادة في قوة اليقين لَأَنَّهُ^(٤) أعطى برؤية شق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أَمِنَ معه من جميع المخاوف العادية ، فلذلك كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس حالاً ومقالاً ولذلك وصف بقوله تعالى : « ما زاغ البَصَرُ وما طَغَى »^(٥) .

(١) غير ط : بعيداً .

(٢) غير ط : في الجبليات .

(٣) غير ط : ليتحقق .

(٤) ت ، م : كأنه .

(٥) سورة النجم ١٧ .

السادس : اختلف : هل كان شق الصدر وغسله مختصاً به صلى الله عليه وسلم أو وقع لغيره ؟
صحح الشيخ رحمه الله تعالى عدم المشاركة . وسيأتي في الخصائص أن الصحيح المشاركة .

السابع : في الحكمة في تكرّره . قال الحافظ رحمه الله تعالى ، بعد أن ذكر الأولى والثالثة والرابعة : ولكل من الثلاث حكمة ، فالأولى كان في زمن الطفولية لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم عند المبعث زيادة في الكرامة ليتلقّى ما يُلقَى إليه بقلب قوى . في أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع عند إرادة الخروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة .

قلت : وسكت عن حكمة المرة الثانية مع ذكره للمرة ^(١) الثانية في كتاب التوحيد جازماً بها ويحتمل أن يقال لما كان العشر قريباً من سنّ التكليف شق صدره صلى الله عليه وسلم وقُدّس حتى لا يلتبس ^(٢) بشئ مما يعاب على الرجال . والله تعالى أعلم .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما هي في شرّعه صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن أبي جَمْرَةَ رحمه الله تعالى : وإنما غُسل قلبه ^(٣) صلى الله عليه وسلم وقد كان مقدّساً وقابلًا لما يُلقَى فيه من الخير . وقد غسل أولاً وهو صغير السن وأُخرجت منه العَلَقَةُ ^(٤) إعظماً وتأهباً لما يُلقَى هناك . يعنى في المعراج . وقد جرت الحكمة بذلك في غير ما مَوْضِع مثل الوضوء للصلاة لمن كان متوضئاً لأنّ الوضوء في حقه إنما هو إعظام وتأهب للوقوف بين يدي الله تعالى ومناجاته . وكذلك أيضاً الزيادة على الواحدة والثنتين إذا أسبغ بالأولى لأنّ الإجزاء قد حصل وبقي ما بعد الإسباغ إلى الثلاث عظاماً لما يُقدّم عليه . وكذلك

(١) غير ط : في المرة الثانية .

(٢) ط : لا يلتبس .

(٣) ط : بطنه .

(٤) ط : من قلبه العَلَقَةُ .

غسل الباطن^(١) هنا وقد قال تعالى : « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب »^(٢) فكان الغسل له صلى الله عليه وسلم من هذا القبيل وإشارة لأُمتِه بالفعل بتعظيم الشعائر كما نصَّ عليه بالقول

وقال البرهان النعماني رحمه الله تعالى في سراجِه : قد سُنَّ لداخل الحرم الشريف الغُسل ، فما ظنك بداخل الحضرة المقدَّسة ؟ ! فلما كان الحرم الشريف من عالم الملك وهو ظاهر الكائنات أنيط الغسل له بظاهر البدن في عالم المعاملات ، ولما كانت الحضرة القدسيَّة^(٣) من عالم الملكوت وهو باطن الكائنات أنيط الغسل بباطن البدن في التحقيقات ، وقد عُرِجَ به صلى الله عليه وسلم لتُفرض عليه الصلاة وليصلَّى ملائكة السموات ، ومن شأن الصلاة الطُّهور فقدسَّ ظاهراً وباطناً .

فإن قلت : إن الله تعالى خلقه نوراً متنقلاً من الأنبياء وفي صفاء النور ما يُغنى عن التطهير الحسِّي ، ثم إن المرة الأولى لم تكن كافية في تطهير الباطن ويلزم عليه أنه بعد النبوة كان فيه شيء يحتاج إلى ذلك ، وهو منزَّه عن أدران البشرية .

قلت : الغسلة الأولى لَعَيْنِ اليقين والثانية لعِلْمِ اليقين ، والثالثة لِحَقِّ اليقين .

الثامن : اختلف هل وقع له صلى الله عليه وسلم مع ذلك مشقة أم لا ؟

قال الحافظ : من غير مشقة وبه جزم ابنُ الجوزي فقال : شَقَّه وما شَقَّ عليه . وقال ابن دحية : بمشقة عظيمة ولهذا انتقع لونه صلى الله عليه وسلم أى صار كلون النقع وهو الغبار ، وهذه صفة ألوان الموتى .

(١) ط : غسل البطن .

(٢) سورة الحج ٣٢ .

(٣) ط : الحضرة الشريفة .

قلت : رواية « انتقع لونُه » حكاية « وقع في المرة الأولى وهو صغير في بى سعد . وأما ما وقع بعدها فلم يُنقل أنه صلى الله عليه وسلم تأثر لذلك . وقد تقدم في حديث أبي هريرة في المرة الثانية ما يؤيد ذلك فراجعه .

التاسع : وقع السؤال هل كان شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم بآلة أم لا : ولم يجب عنه أحد ولم أر من تعرض له بعد التتبع . وظاهر قوله : « فشق » أنه كان بآلة ، ويدل لذلك قول المالك في حديث أبي ذر . « خَطَّ بطنَه فخاطَه » وفي لفظ عن عتبة ابن عبد : « حصه فحاصه » ؛ وفي حديث أنس « كانوا يرون أثر المَخِيط في صدره صلى الله عليه وسلم » .

العاشر : في حديث أبي ذر « وأُتيت بالسَّكِينَة كأنها بَرَهْرَهة فوضعت في صدرى » قال ابن الأنبارى : « بَرَهْرَهة » وهى السَّكِينَة المعوجَّه الرأس التى تسميها العامة « المِنْجَل » بالجيم . وقال الخطابى : عثرت على رواية وفيها : أنه شُقَّ عن قلبه قال : فدُعِيَ بِسَكِينَة^(١) كأنها درهمة بيضاء ، فوقع لى أنه أراد بالبرَهْرَهة سَكِينَة بيضاء صافية الحديد تشبيهاً بالبرَهْرَهة من النساء فى بياضها وصفائها .

ثم قال ابن دحية والصواب فى هذه اللفظة السَّكِينَة - أى بالتخفيف لأنه قال بعد شق البطن ، ثم أُتيت بالسَّكِينَة كأنها بَرَهْرَهة فوضعت فى صدرى ، فإنما عنى بها السَّكِينَة التى هى فى أصل اللغة فَعِيلَة من السكون وهى أكثر ما تأتى فى القرآن العظيم بمعنى السكون والطمأنينة .

الحادى عشر : خص الطست بما ذكر لكونه أشهر^(٢) آلات الغسل عُرفاً .

قال السَّهْلَى رحمه الله تعالى : وفى^(٣) ذِكر الطست أيضاً وحروف اسمه حِكَم تنظر إلى قوله تعالى « طسم تلك آيات القرآن وكتاب مُبين^(٤) »

(١) غير ط : فأتى بالسكينة .

(٢) غير ط : أشرف .

(٣) الروض الأنف ١١١/٢ .

(٤) سورة النمل : ١ .

الثاني عشر : قال السهيلي : خَصَّ الذهب لكونه مناسباً للمعنى الذى أُريد به فإن نظرت إلى لفظ الذهب فمطابق للذهب ، فإن الله تعالى أراد أن يُذهب عنه الرجس ويظهره تطهيراً وإن نظرت إلى معنى الذهب وأوصافه وجدته أنقى شيء وأصفاه يقال فى المثل : « أنقى من الذهب » وقالت بريرة فى عائشة رضى الله تعالى عنها : ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على الذهب الأحمر . وقال حذيفة رضى الله تعالى عنه فى صِلَة - بكسر الصاد المهملة - ابن أشيم - بالشين المعجمة - وَزَنَ أَعْلَمَ : إِنَّمَا قَلْبُهُ ذَهَبٌ . وقال جرير بن حازم رحمه الله تعالى ، وهو بالحاء المهملة والزاي ، فى الخليل بن أحمد : إنه لرجلٌ من ذهب . يريد النقاء من العيوب . فقد طابق طَسَّت الذهب ما أُريدَ بالنبي صلى الله عليه وسلم من نقاء قلبه .

ومن أوصاف الذهب أيضاً المطابقة لهذا المقام : ثِقَلَهُ وَرَسُولُهُ فَإِنَّهُ يُجْعَلُ فى الزُّبُقِ الذى هو أثقل الأشياء فيَرْسَبُ . والله سبحانه وتعالى يقول : « إِنَّا سَنُلْقِيْ عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً »^(١) وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إِنَّمَا ثَقُلْتُ موازينَ المحِقِّينَ يومَ القيامةِ لاتباعهم الحقَّ وَحَقٌّ لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً . وقال فى أهل الباطل بعكس ذلك .

وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم أنزل عليه الوحى وهو على ناقته فثَقُلَ عليها حتى ساحت قوائمها فى الأرض . فقد طابقت الصفة المعقولة الصفة المحسوسة .

ومن أوصاف الذهب أيضاً : أنه لا تأكله النار ، وكذلك القرآن لا تأكل النار يوم القيامة قلباً وعاءً ولا بَدَنًا عَمِلَ به . قال عليه الصلاة والسلام : « لو كان القرآن فى إهاب ثم طُرِحَ فى النار ما احترق »^(٢)

ومن أوصاف الذهب المناسبة لأوصاف القرآن والوحى : أن الأرض لا تُبْلِيه وأن الهواء لا يُؤْذِرِيهِ وكذلك القرآن لا يَخْلُقُ على كثرة الرد ولا يستطاع تغييره ولا تَبْدِيلُهُ .

(١) سورة المزمل ٥ . وهذا النص كله عن الروض الأنف ١/١١١ .

(٢) الحديث فى تذكرة الموضوعات للمافظ المقدسى ص ٩٨ بها مش الموضوعات الكبير لعل القارى (ط الهند) بلفظ : « لو كان القرآن فى إهاب ما مسته النار » . وقال فيه عبد الوهاب بن الضحاك ، قال البخارى : عنده عجائب .

ومن أوصافه أيضًا : نفَاسَتُهُ وعزته عند الناس . وكذلك القرآن والحق عزيزان .
قال تعالى : « وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ^(١) » .

فهذا إذا نظرت إلى أوصافه ولفظه ^(٢) فإن نظرت إلى ذاته وظاهره فإنه زخرف الدنيا وزنتها ، وقد فُتِحَ بالقرآن والوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وأُمتِه خزائن الملوك وتصيير ذلك إلى أيديهم ذهبها وفضتها وجميع زخرفها وزينتها . ثم وعد ^(٣) باتِّباع الوحي والقرآن قصورَ الذهب في الجنة قال صلى الله عليه وسلم : جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آتِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ^(٤) « وفي التنزيل : « يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ ^(٥) » فكأن ذلك الذهب يُشعر بالذهب الذى يصير إليه من اتبع الحق والقرآن ، وأوصافه تُشعر بأوصاف . الحق ^(٦) والقرآن ، ولفظه يُشعر بإذهاب الرُّجُس . كما تقدم .

فهذه حِكَمُ بالغَةِ لمن تَأَمَّلَ ، واعتبار صحيح لمن تدبَّرَ .

وزاد غيره أَنَّ الذهبَ مِنْ جَوَالِبِ السُّرُورِ . وقال الشاعر :

صَفَرَاءُ لَا تَنْزِلُ الْأَحْزَانُ سَاحَتَهَا لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ ^(٧)

الثالث عشر : قال النووى رحمه الله تعالى : ليس فى هذا الخبر ما يوهم جواز استعمال إناء الذهب والفضة لأن هذا فعل الملائكة واستعمالهم ، وليس بلام أن يكون حُكْمُهُمْ حُكْمَنَا ولأنه كان قَبْلَ تحريم النبي صلى الله عليه وسلم أواني الذهب والفضة . انتهى .

(١) سورة فصلت ٤١ .

(٢) غير ط : إلى أوصاف لفظه . والضمير عائد إلى الذهب .

(٣) ت ، م : ثم أتبع باتِّباع .

(٤) صحيح البخارى كتاب التوحيد وكتاب التفسير وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٩٦ ، وسنن الترمذى

كتاب الجنة ، وسنن ابن ماجه فى المقدمة ومسند أحمد ٤/٤١١ ، ٤١٦ .

(٥) سورة الزخرف ٧١ .

(٦) غير ط : بأوصاف من اتبع الحق والقرآن .

(٧) البيت لأبي نواس من قصيدته التى مطلعها :

دع عنك لومى فإن السوم إغراء وداوئى بالتي كانت هى الداء

وفى هذا الاستشهاد نظر فإن المؤلف يستشهد بهذ البيت على أن الذهب من جوالب السورور ، مع أن المقصود بالصفرَاء

هنا الحمر وأنها تبعث النشوة فى شاربها وتنسيه أحزانه ، وليس فى البيت تعرض للذهب .

أى لأن التحريم إنما وقع بالمدينة كما نبّه عليه الحافظ

الرابع عشر : يؤخذ من غسل قلبه صلى الله عليه وسلم بماء زمزم أنه أفضل المياه وبه جزم الإمام البلقيني قال ابن أبي جَمْرَة : إنما لم يُغسل بماء الجنة لِمَا اجتمع في زمزم من كون أصلها من الجنة ثم استقر في الأرض ، فأريد بذلك بقاء بركته صلى الله عليه وسلم في الأرض .

وقال غيره : لَمَّا كان ماء زمزم أصل حياة أبيه إسماعيل صلى الله عليهما وسلم وقد ربّى عليه ونما عليه قلبه وجسده وصار هو صاحبه وصاحب البلدة المباركة ، ناسب أن يكون ولده الصادق المصدوق كذلك . ولِمَا فيه من الإشارة إلى اختصاصه بذلك بعده فإنه قد صارت الولاية إليه في الفتح فجعل السقاية للعباس وولده وحجابه البيت لعثمان بن شيبة وعقبه إلى يوم القيامة .

الخامس عشر : الحكمة في غسل صدره صلى الله عليه وسلم بماء الثلج والبرد هي مع ما فيهما من الصفاء وعدم التكدر بالأجزاء الترابية التي هي محلّ الأرجاس وعنصر الأكدار ، الإيماء إلى أن الوقت يَصِفُّو له صلى الله عليه وسلم ولأمته ويروق بشريعتي الغراء وسُنَّتِهِ ، والإشارة إلى ثلوج صدره أى انشراحه بالنصر على أعدائه والظفر بهم والإيذان ببرودة قلبه ، أى طمأنينته على أمته بالمغفرة لهم والتجاوز عن سيئاتهم .

وقال ابن دحية : إنما غسل قلبه صلى الله عليه وسلم بالثلج لِمَا يُشعر به الثلج من ثلج اليقين إلى قلبه . وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول بين التكبير والقراءة : اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والبرد^(١) » وأراد تعالى أن يغسل قلبه فيما حُمِل من الجنة في طست مليّ حكمة وإيماناً ليُعرف قلبه طيب الجنة ويجد حلاوتها فيكون في الدنيا أزهد وعلى دعوة الخلق إلى الجنة أحرص ، ولأنه صلى الله عليه وسلم كان له أعداء يتقوّلون عليه فأراد

(١) الحديث بنحوه في صحيح البخارى كتاب الدعوات والأذان وفي صحيح مسلم كتاب الذكر حديث رقم ٤٨ وسنن ابن ماجه كتاب الدعاء ومسند أحمد ٥٧/٦ .

الله تعالى أن يَنْقِي عنه طَبْعَ البشرية من ضيق الصدر وسوء مقالات الأعداء ، فغسل قلبه ليورث ذلك صدره سعةً ويفارقه الضيق . كما قال تعالى : « وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ^(١) » . فغسل قلبه غير مرة فصار بحيث إذا ضُرب أو شُجَّ رأسه أو كُسِرَت رِباعيته كما في يوم أحد يقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يَعْلَمُونَ .

* *

السادس عشر : جاء في رواية : أن المغسول البطن . فقيل : المراد بالبطن هنا ما بطن وهو القلب ، واستظهره بعضهم لأنه جاء في رواية ذكر القلب ولم يذكر البطن . ويحتمل أن تُحمل كل رواية على ظاهرها ، ويقع الجمع بينهما بأن يقال : أخبر صلى الله عليه وسلم مرة بغسل البطن ولم يتعرض لذكر القلب ، وأخبر مرة بذكر القلب ولم يتعرض لذكر البطن ، فيكون قد حصل فيهما معاً مبالغة في تنظيف المحل .

قلت : تقدم التصريح بذلك في الأحاديث السابقة .

السابع عشر : قال السهيلي رحمه الله تعالى : فإن قيل كيف يكون الإيمان والحكمة في طست من ذهب ، والإيمان عَرَض من الأعراض لا يوصف بها إلا محلّها والذي يقوم به ، ولا يجوز فيها الانتقال لأن الانتقال من صفة الأجسام لامن صفة الأعراض ؟ قلنا : إنما عُبِّرَ عما في الطست - بالحكمة والإيمان كما عُبِّرَ عن اللَّبَنِ الذي شربه وأعطى فَضْلَهُ عُمَرُ ابن الخطاب بالعلم ، فكان تأويل ما أفرغ في قلبه صلى الله عليه وسلم إيماناً^(٢) وحكمة ولعل الذي كان في الطست كان ثلجاً وبرداً كما ذكر في الحديث الأول ، فعُبِّرَ في المرة الثانية بما يُؤوّل إليه وعُبِّرَ عنه في المرة^(٣) الأولى بصورته التي رآها ، لأنه في المرة الأولى كان طفلاً فلما رأى الثلج في طست الذهب اعتقده ثلجاً حتى عَرَفَ تأويله بعد . وفي المرة

(١) سورة الحجر ٩٧ .

(٢) ط : إيمان .

(٣) غير ط : في الصورة الأولى .

الأخرى كان نبياً فلما رأى طست الذهب مملوءاً ثلجاً علم التأويل لحينه واعتقده في ذلك المقام حكمة وإيماناً ، فكان لفظه في الحديثين^(١) على حسب اعتقاده في المقامين^(٢) . انتهى

وقال النووى والحافظ : المعنى جعل في الطست شيء يحصل به الزيادة في كمال الإيمان وكمال الحكمة ، وهذا المملوء يحتمل أن يكون على الحقيقة ، وتجسد المعاني جائز كما جاء أن سورة البقرة تجيء يوم القيامة كأنها الظلّة والموت في صورة كبش وكذلك وزن الأعمال ، وغير ذلك من أحوال الغيب .

وقال البيضاوى رحمه الله في شرح المصابيح : لعل ذلك من باب التمثيل ، إذ تمثيل المعاني وقع كثيراً كما مثّلت له الجنة والنار في غرض الحائط - بضم العين المهملة ، وفائدته كشف المعنوى بالمحسوس .

وأشار النووى بقوله : جعل فيه شيء يحصل به زيادة في كمال الإيمان إلى آخره : أنه صلى الله عليه وسلم كان متصفاً بأقوى الإيمان .

* * *

الثامن عشر : المملوء الصدر أو البطن ففي رواية ذكر البطن وفي غيرها القلب . والظاهر أنهما ملأاً معاً وأخبر صلى الله عليه وسلم في رواية بالبطن وأخبر في أخرى بالقلب ، ويحتمل أن يكون أراد القلب وذكر البطن توسعة لأن العرب تسمى الشيء بما قاربه وبما كان فيه . وقد قال تعالى : « فمن يُرد الله أن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسلام »^(٣) والمراد بالصّدر في الآية القلب فسمّاه باسم ما هو فيه وهو الصدر .

التاسع عشر : اختلف في تفسير الحكمة ف قيل : إنها العلم المشتغل على معرفة الله تعالى مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكفّ عن ضده ، والحكيم

(١) غير ط : في الحديث .

(٢) الروض الأنف ١/ ١١٠ (ط الجمالية) .

(٣) سورة الأنعام ١٢٥ .

من حاز ذلك . قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : هذا ما صنفنا لنا من أقوال كثيرة .
انتهى .

وقد تطلق الحكمة على القرآن وهو مشتمل على ذكر ذلك كله ، وعلى النبوة كذلك .
وقد تُطلق على العلم فقط وعلى المعرفة فقط ونحو ذلك .

وقال الحافظ : أصبح ما قيل فيها : أنها وُضِعَ الشيء في محله والفهم في كتاب الله تعالى .
وعلى التفسير الثاني قد توجد الحكمة دون الإيمان ، وقد لا توجد . وعلى الأول فقد يتلازمان
لأن الإيمان يدلُّ على الحكمة^(١) .

العشرون : قال بعض العلماء : المراد بالوزن في قوله «زنه بعشرة من أمته» الوزن الاعتباري ، فيكون
المراد الرجحان في الفضل وهو كذلك . وفائدة فعل الملكين ذلك ليُعَلِّمَ رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم ذلك حتى يُخَبِّرَ به غيره ويعتقده ، إذ هو من الأمور الاعتقادية .

وسألت شيخ الإسلام برهان الدين ابن أبي شريف رحمه الله تعالى عن هذا الحديث
قبل وقوفى على الكلام السابق فكتب لي بخطه : هذا الحديث يقتضى أن المعاني جعلها
الله تعالى ذواتاً فعند ذلك قال الملك لصاحبه : اجعله في كفة واجعل ألفاً من أمته في كفة .
ففعل فَرَجَحَ ماله صلى الله عليه وسلم رجحانا طاش معه ما لئالَفَ بحيث يخيَّلُ إليه أنه
يَسْقُطُ بعضهم عليه ، ولَمَّا عرف الملكان منه الرجحان وأنه معنًى لو اجتمعت المعاني
كلها للأمة ووضعت في كفة ووضع ماله صلى الله عليه وسلم لَرَجَحَ على الأمة ، قالا : لو أن
أمته وزنت به مالَ بهم ، لأن مآثر خَيْرِ الخلق صلى الله عليه وسلم وما وهبه الله تعالى له
من الفضائل يستحيل أن يساوها غيرها . والله أعلم .

(١) ط : تدل عليه الحكمة .

الباب الخامس عشر

في صفة يديه وإبطيه صلى الله عليه وسلم

قال علي رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شثن الكفين سائل الأطراف سبط القصب
رواه الترمذی^(١) .

وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخماً الكفين .
رواه أبو يعلى وابن عساكر .

وقال أنس رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط^(٢) الكفين .
رواه البخاري^(٣) .

وقال الحافظ أبو بكر ابن أبي خيثمة رحمه الله تعالى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبل العضدين والذراعين طويل الزندين ، وكان معمر الأوصال سبط القصب كان أصابعه قضبان الفضة .
رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبل الذراعين
رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

(١) شرح الثمائل لابن جسوس ١/ ١٩ بنحوه . ونحوه أيضا عن هند بن أبي هالة ص ٣٣ من شرح الثمائل .

(٢) غير ط : سبط الكفين . ورواية ط موافقة لرواية البخاري في الصحيح .

(٣) صحيح البخاري كتاب اللباس باب رقم ٦٨ .

وقال هند بن أبي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشعر الذراعين طويل الزندين رَحْبَ الراحة .

رواه الترمذى^(١) .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَبَحَ الذراعين .
رواه ابن سعد^(٢) وابن عساكر .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : ما مَسَسْتُ حريرا ولا ديباحاً قط أَلَيْنَ من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم .
رواه الإمام أحمد والشيخان^(٣) .

وقال المستورد بن شدَّاد عن أبيه رضى الله تعالى عنه : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فإذا هي أَلَيْنَ من الحرير وأَبْرَدَ من الثلج .
رواه الطبرانى^(٤) .

وقال وائل بن حُجر رضى الله تعالى عنه : لقد كنت أصافح النبیَّ صلى الله عليه وسلم أو يمسُّ جلدى جلده فاتَّعرَّفه بعدُ فى يدى فإنه لأَطْيَبَ رائحةً من المسك .
رواه الطبرانى والبيهقى .

وقال يزيد بن الأسود رضى الله تعالى عنه : ناوَلَنِي رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فإذا هي أَبْرَدُ^(٥) من الثلج وأَطْيَبُ ريحاً من المسك .
رواه الشيخان^(٦) .

(١) شرح الثمائل ١ / ٣٢ - ٣٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ١ / ٤١٤ (ط بيروت) .

والذى فى تهذيب ابن عساكر ١ / ١٣٩ عن أبي هريرة : كان أشعر الذراعين . ولعله تحريف .

(٣) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ .

وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨١ .

ومسند أحمد ٣ / ٢٢٢ .

(٤) الخصائص الكبرى ١ / ١٨٤ .

(٥) ط : أبيض من الثلج .

(٦) لم أجده فى الصحيحين وهو فى مسند أحمد ٤ / ٢٤٤ والخصائص الكبرى للسيوطى ١ / ١٨٤ (ط الهراش) .

وقال جابر بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ : مَسَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدَّيْ فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا كَأَنَّمَا أُخْرِجَتْ مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ .
رواه مسلم^(١) .

وقال الثَّوْنِيُّ بْنُ صَالِحٍ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ : صَافَحْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أَرِ وَاللهُ كَفًّا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
رواه أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ الضَّحَّاكِ .

وقال سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ : اشْتَكَيْتُ بِمَكَّةَ فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِي فَمَسَحَ وَجْهِي وَصَدْرِي وَبَطْنِي فَمَا زِلْتُ يَخْبِلُ إِلَيَّ أَنِّي أَجِدُ بَرْدَ يَدِهِ عَلَى كَبِدِي حَتَّى السَّاعَةِ .
رواه الإمام أحمد^(٢) .

وقال أَنَسُ بْنُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي الدَّعَاءِ حَتَّى يَرَى^(٣) بَيَاضَ إِبْطِيهِ .
رواه البخاري وغيره^(٤) .

وقال جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَجَدَ يُرَى بَيَاضُ إِبْطِيهِ .
رواه ابن سعد^(٥) .

وقال رَجُلٌ مِنْ بَنِي حَرِيشٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ : ضَمَّنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَالَ عَلَيَّ مِنْ عِرْقٍ إِبْطِيهِ مِثْلُ رِيحِ الْمَسْكِ .
رواه البزار^(٦) .

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٠ . (٢) مسند أحمد ١٦١/٤ وهو في الخصائص الكبرى ١/١٨٥ .

(٣) ط : حتى رأيت .

(٤) صحيح البخاري كتاب الاستسقاء وكتاب الأحكام وكتاب المغازي . وصحيح مسلم كتاب الاستسقاء حديث رقم

(٥) الخصائص الكبرى ١/١٥٧ .

٧٠٥ .

(٦) الوفا لابن الجوزي ص ٤٠٨ وذكر في روايته أن ذلك كان حين رجم النبي صلى الله عليه وسلم ماعز بن مالك وكان ذلك الرجل حينئذ صغيراً مع أبيه ، فلما رأى الحجارة أخذت ماعزاً أربعاً ، فضمه النبي صلى الله عليه وسلم إليه تلميحاً له . وهو أيضاً في الخصائص الكبرى ١/١٦٨ .

قال الحافظ محب الدين الطبري رحمه الله تعالى : من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم أن الإبط من جميع الناس متغير اللون غيره صلى الله عليه وسلم .
وذكر القرطبي مثله وزاد : أنه لا يشعر عليه . وجرى على ذلك الإمام الإسنوي رحمه الله تعالى . وسيأتي الكلام على ذلك في الخصائص إن شاء الله تعالى .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : وَصَفَ أَنَسٌ وَغَيْرُهُ كَفَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّيُونَةِ ، وَهُوَ مُخَالَفٌ لَوْصَفَ هِنْدُ لَهُ بِالشَّثْنِ وَهُوَ الْغِلْظُ مَعَ الْخَشُونَةِ كَمَا قَالَ الْأَصْمَعِيُّ .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : والجمع بينهما : أَنَّ المراد بالَّيْنِ فِي الْجِلْدِ وَالْغِلْظُ فِي الْعِظَامِ ، فَيَجْتَمِعُ لَهُ نُعُومَةُ الْبَدَنِ وَقُوَّتُهُ .

قال ابن بطَّال رحمه الله تعالى : كانت كفّه صلى الله عليه وسلم ممتلئةً لحما غير أنها مع ضخامتها كانت ليّنة كما في حديث المستورد . وأما قول الأصمعي : الشَّثْنُ غِلْظُ الْكَفِّ مَعَ خَشُونَةٍ فَلَمْ يَوَافِقْ عَلَى تَفْسِيرِهِ بِالْخَشُونَةِ ، وَالَّذِي فَسَّرَ بِهِ الْخَلِيلُ أَوَّلَى . وَعَلَى تَسْلِيمِ مَا فَسَّرَ بِهِ الْأَصْمَعِيُّ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ وَصَفَ كَفِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَ إِذَا عَمِلَ فِي الْجِهَادِ أَوْ مَهْنَةٍ أَهْلُهُ صَارَ^(١) كَفُّهُ خَشْنًا لِلْعَارِضِ الْمَذْكُورِ ، وَإِذَا تَرَكَ ذَلِكَ رَجَعَ إِلَى أَصْلِ جِبِلَّتِهِ مِنَ النُّعُومَةِ .

وقال القاضي : فَسَّرَ أَبُو عُبَيْدٍ الشَّثْنَ بِالْغِلْظِ مَعَ الْقِصْرِ وَتُعَقَّبُ بِأَنَّهُ ثَبِتَ فِي وَصْفِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ سَائِلَ الْأَطْرَافِ . انْتَهَى .

وقال الحافظ : وَيُؤَيِّدُ كَوْنَ كَفِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْنًا قَوْلُهُ فِي رَوَايَةِ النُّعْمَانِ : كَانَ سَبْطَ الْكَفَّيْنِ بِتَقْدِيمِ الْمَهْمَلَةِ عَلَى الْمُوَحَّدَةِ فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لَوْصَفِهَا بِاللَّيْنِ .
والتحقيق في الشَّثْنِ أَنَّهُ غِلْظٌ مِنْ غَيْرِ قِصَرٍ وَلَا خَشُونَةٍ .

(١) ط : كَانَ .

الثاني : زعم الحكيم الترمذى وتبعه أبو عبد الله القرطبي والذهبي في شرح المنهاج أن سبابة النبي صلى الله عليه وسلم كانت أطول من الوسطى . قال ابن دحية : وهذا باطل بيقين ولم ينقله أحد من ثقات المسلمين مع إشارته صلى الله عليه وسلم بإصبعه في كل وقت وحين ، ولم يحك ذلك عنه أحد من الناظرين .

وفي مسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بُعثت أنا والساعة كهاتين^(١) وفي رواية : فقرن شعبة بين إصبعيه المسبحة والوسطى كليهما^(٢) . وروى الترمذى وحسنه عن المستورد بن شداد يرفعه : « بُعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه » . لإصبعه السبابة والوسطى^(٣) .

وقال الحافظ في فتاويه : ما قاله الترمذى الحكيم خطأ نشأ عن اعتماد رواية مُطلقة ، ولكن الحديث في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود عن ميمونة بنت كَرْدَم رضى الله تعالى عنهما قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو على ناقة له وأنا مع أبي . فذكرت الحديث إلى قولها : فدنا منه أبي فأخذ بقدمه فأقر له رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : فما نسيت فيما نسيت طول إصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه . الحديث^(٤) . انتهى .

وقد جزم الإمام العلامة فتح الدين ابن الشهيد رحمه الله تعالى بأن ذلك كان في سبابة قدمه صلى الله عليه وسلم فقال في سيرته المنظومة التي لانظير لها في بابها :
ووصف زينب بنت كَرْدَم فيما رآته عينها في القدم

فإنها^(٥) سميت في الرواية ميمونة . وكذا في الباب بعده :

سبابة النبي كانت أطول أصابع النبي فاحفظ واسأل

كَرْدَم بوزن جعفر .

(١) صحيح مسلم كتاب الجمعة حديث رقم ٤٣ وكتاب الفتن ١٣٢ - ١٣٥ .

(٢) ط : يحكيه .

(٣) سنن الترمذى كتاب الفتن باب رقم ٣٩ .

(٤) مسند أحمد ٦ ٣٦٦ .

(٥) كذا بالأصول .

الثالث : فى بيان غريب ماسبق :

شَنُّ الكَفَّين : بشين معجمة فثاء مثلثة ساكنة فنون : هو الذى فى أنامله غلظ بلاقصر ، ويُحمد ذلك فى الرجال لأنه أشد لقبضتهم ويُدَم فى النساء .

سائل الأطراف : بسين مهملة وآخره لام ، من السَّيلان أى ممتدها ، يعنى أنها طَوَّال ليست بمنعقدة ولا منعقدة . ورواه بعضهم بالنون بدل اللام فقال سائن . قال ابن الأنبارى : وهما بمعنى تبدل اللام من النون ، أى طويل الأصابع .

سَبَط بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة وكسرها ، وحكى الفتح أيضا وبالطاء المهملة : المتمد الذى ليس فيه تعقد ولا نتوء .

والقصب بقاف فصاد مهملة فباء موحدة جمع قصبة وهى كل عظم أجوف فيه مخ وأما العريض فيسمى لَوْحًا ، يريد بهما ساعديه وساقيه . وفى لفظ : العَصَب بالعين المهملة بدل القاف .

الزَّنْدان : بفتح الزاى : عَظْمَا الذراعين .

رَحَب الراحة : أى واسع الكف . وقال فى النهاية : يكون بذلك عن السخاء والكرم . فسيح - بفاء فسین وحاء مهملتين بينهما مثناة تحتية : أى بعيد ما بينهما لسعة صدره .

شَبَّح الذراعين : بشين معجمة فباء موحدة فحاء مهملة أى عريض الذراعين .

مَسِسَتْ : بسينين الأولى مكسورة وتفتح والثانية ساكنة .

ولا ديباجاً : من عطف الخاص على العام لأن الديباج نوع من الحرير .

أَلَيْن : أنعم .

الجُؤنة : يأتى الكلام عليها فى طيب عرقه وريحه صلى الله عليه وسلم . والله أعلم .

الباب السادس عشر

في صفة ساقيه وفخذه وقدميه صلى الله عليه وسلم

قال جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه : كان في ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم حُموشة .

رواه مسلم ^(١) .

وقال سُرَّاقَةُ بن مالك بن جُعْشَم - بضم الجيم والمعجمة بينهما عين مهملة - رضي الله تعالى عنه : دنوتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته فرأيت ساقه كأنها جُمَّازة نَخْلٍ .

رواه يعقوب ابن سفيان وإبراهيم الحارثي ^(٢) .

وقال أنس رضي الله تعالى عنه : انحسر الإزارُ عن فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب في غزوة خيبر فإني لأرى بياض فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه ابن أبي خيثمة .

وقال أيضا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَخَمَ القدمين .

رواه الشيخان والبيهقي ^(٣) .

وقال جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنهُوسَ الْعَقَبِ .
رواه مسلم ^(٤) .

(١) لم أجده في صحيح مسلم وهو في سنن الترمذي كتاب المناقب باب رقم ١٢ ومسنده أحمد ٩٧/٥ ، ١٠٥ ودلائل النبوة للبيهقي ١٩٦/١ .

(٢) الوفا لابن الجوزي ص ٤٠٠ .

(٣) الذي في صحيح البخاري كتاب اللباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم القدمين واليدين . وفي مسند أحمد ٣ ١٢٥ : « كان صلى الله عليه وسلم ضخم القدمين ضخم الكفين » . وهو أيضا في دلائل النبوة للبيهقي ١٩١/١ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٧ .

وقال أَبُو جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبَيْصِ سَاقِيهِ .
رواه البخارى (١) .

وقال هند بن أبى هالة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف (٢) سَبَطَ الْقَصَبُ (٣) خَمَصَانِ الْإِخْمَصَيْنِ فَسَيَّحَ الْقَدَمَيْنِ يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ .
رواه الترمذى (٤) .

وتقدم تفسير غريبه إلا قوله « خَمَصَانِ » فسيتى .

وقال عبد الله بن بُرَيْدَةَ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن البشر قدما .
رواه ابن عساكر (٥) .

وقالت ميمونة بنت كَرْدَمَ بوزن جَعْفَر - رضى الله تعالى عنها : إنها رأت سبابة قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أطولَ من سائر أصابعه .
رواه الإمام أحمد وغيره (٦) .
ورحم الله تعالى القائل .

من قاب قوسين المحلل الأعظما	ياربَّ بالقدم التى أوْطأَتْهَا
كَيْفَ الْبَرِيَّةِ فِي الرِّسَالَةِ سُلِّمََا	وَبُحْرَمَةِ الْقَدَمِ الَّتِي جُعِلَتْ لَهَا
قَدِمَى وَكُنْ لِي مُنْقِذَا وَمُسَلِّمَا	ثَبَّتْ عَلَى مَتْنِ الصَّرَاطِ تَكْرِمَا
أَمِنَ الْعَذَابَ وَلَا يَخَافُ جَهَنَّمَا (٧)	وَاجْعَلْهُمَا دُخْرَى وَمَنْ كَانَا لَهُ

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ .

(٢) زاد فى شمائل الترمذى : أو قال شائل الأطراف . بالشين المجمة .

(٣) لم ترد هذه الجملة فى رواية هند بن أبى هالة فى شمائل الترمذى :

(٤) شرح الشمائل ١/٣٣ .

(٥) لم يرد فى تهذيب ابن عساكر صفة خلقه صلى الله عليه وسلم .

(٦) سبق تخريجه فى مسند أحمد وهو أيضا فى دلائل النبوة للبيهق ١/١٩٤ وجمع الزوائد ٨/٢٨٠ عن الطبرانى .

قال الهيثمى : وفيه من لم أعرفهم .

(٧) الأبيات ذكرها ابن الجوزى فى الوفا ص ٤٠٠ . ونسبها لبعض البلغاء .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : ذكرَ كثير من المُدَّاح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا مشى على الصُّخْرِ غاصَّت قدماه فيه .

ولا وجود لذلك في كتب الحديث البتة . وقد أنكره الإمام برهان الدين الناجي بالنون^(١) - الدمشقي رحمه الله تعالى وجزم بَعْدَم وروده ، والشيخُ رحمه الله تعالى في فتاويه وقال إنه لم يقف له على أصل ولا سند ولا رأى من خرَّجه في شيء من كتب الحديث وناهيك باطلاع الشيخ رحمه الله تعالى . وقد راجعت الكتب اللَّاتِي ذكرها في آخر الكتاب فلم أرَ مَنْ ذَكَرَ ذلك ، فشيء لا يوجد في كتب الحديث والتواريخ كيف تسوغ نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم ؟ !

الثاني : في حديث جابر بن سَمُرَةَ قال : كانت خِنَصْر رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجله متظاهرة^(٢) . رواه البيهقي^(٣) . وفي سنده سلمة بن خَفْص السَّعْدِي . قال ابن حِبَّان كان يضع الحديث لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه ، وحديثه هذا باطل لا أصل له ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان معتدل الخَلْق .

* * *

الثالث : في بيان غريب ما تقدَّم .

الحُمُوشة : بضم الحاء المهملة وشين معجمة : الدقَّة

الجُمَار - كُرْمَان : قَلْب النخل حين يقطع يكون رطبة بَيْضَاء .

(١) انظر هذه النسبة في الباب لابن الأثير ٢٠٥/٣ .

(٢) غير ط : متظاهرة . وما في ط هو الموافق لرواية البيهقي في الدلائل .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ١٩٦/١ . وروايته فيه : « كانت إصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم خنصرة من رجله متظاهرة » .

وهو أيضا في شمائل الرسول لابن كثير ص ٣١ (ط الحلبي) وروايته فيه :

« كانت إصبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم خنصر من رجله متظاهرة » . ثم قال : وهذا حديث غريب .

مَنْهُوس : بإعجام السين وإهمالها أى قليل لحم العَقَب .
الوبيص : البريق واللمعان .

خُمْصَان . بضم الخاء المعجمة كما وجدته مضبوطاً بالقلم فى نسخة صحيحة من الصَّحاح
والنهاية ، لكن فى بعض نسخ الشفاء المعتمدة بالفتح . قال فى النهاية : الإخمص من
القدم الموضع الذى لا يُلصق بالأرض منها عند الوطء والخُمْصَان المبالغ فيه . أى ذلك
الموضع من أسفل قدميه كان شديد التجافى عن الأرض جداً .

وسئل ابن الأعرابى رحمه الله تعالى عنه فقال : إذا كان خُمْص الإخمص بقَدْر
لم يرتفع عن الأرض جداً ولم يَسْتَوِ أسفل القدم جداً ، فهو أحسن الخُمْص بخلاف
الأول^(١) .

مَسِيح القدمين : بميم مفتوحة فسين مهملة مكسورة فمشناة تحتية ساكنة فحاء مهملة
أى مَلَسَاوَان لِيَنْتَان ليس فيهما تكسّر ولا شقاق فإذا أصابهما المساء نَبَا عنهما سريعاً
للملاستهما فينبو عنهما ولا يقف ، يقال نَبَا الشَّيْءُ يَنْبُو إذا تباعد . وأمّا رواية عبد الرزاق
والبزار عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَطَأُ بقدمه
جميعاً . وفى لفظ كلها ليس له إخمص فيحتمل^(٢) .

(١) لعله يريد بالأول ما ذكره من قبل من أن المقصود بالخُمْصَان المبالغ فى الخُمْص . وهذا من كلام المؤلف وليس
من كلام ابن الأعرابى .

(٢) فى هامش ط : « هكذا بيض له المؤلف رحمه الله تعالى . قال أقل تلامذته محمد القيسى لطف الله تعالى به : لعله
أراد : فيحتمل أنه فى هذه الحالة وطئ وطئاً شديداً فظهر موضع قدمه جميعاً بخلاف الأول فإنه عند خفة الوطء لا يرى أثر
خُمْصاته . وبه يحصل الجمع . فليتأمل » .

الباب السابع عشر

في ضخامة كراديسه صلى الله عليه وسلم

روى الترمذى عن هند بن أبى هالة ، والبيهقى وابن عساكر وابن الجوزى عن على ، وأبو الحسن ابن الضحاك عن جُبَيْر بن مُطْعِم رضى الله تعالى عنهم قالوا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَخْم الكراديس^(١) .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جَلِيل المُشَاش . رواه الترمذى والبيهقى^(٢) .

الكَرَادِيس : رُءُوس العظام واحدها كُرْدُوس قيل هو ملتقى كل عَظْمَيْن كالرُكْبَتَيْن والمرفقين والمنكبين ، أراد أنه صلى الله عليه وسلم ضخم الأعضاء .

المُشَاش بضم الميم وبشينين معجمتين : رُءُوس العظام كالْمِرْفَقَيْن والكَفَيْن والرُكْبَتَيْن . وقال الجوهري : رُءُوس العظام اللَّيْنَةُ التى يمكن مَضْغُهَا .

جليلهما : عظيمهما .

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١٩٢/١ وشرح شمائل الترمذى ١٩/١ .

والوفاء لابن الجوزى ص ٣٩٩ ، ٤٠٢ .

(٢) شرح الشمائل ٢١١ .

الباب الثامن عشر

في طوله واعتدال خلقه ورقّة بشرته صلى الله عليه وسلم

قال البراء بن عازب رضى الله تعالى عنهما : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير .

رواه الشيخان^(١)

وقال أيضاً : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعاً .

رواه الخمسة^(٢) .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة وهو إلى الطول أقرب^(٣) .

رواه محمد بن يحيى الذهلى في الزهريات وأبو الحسن بن الضحاك بسند حسن .

وقال هند ابن أبي هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتدل الخلق بادنّ متمسك أطول من المربع وأقصر من المشدّب .

رواه الترمذى^(٤) .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس قواماً وأحسن الناس وجهاً وأحسن الناس لوناً وأطيب الناس ريحاً وألين الناس كفّاً .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك وابن عساكر^(٥) .

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم .

وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٣ .

وسنن الترمذى كتاب المناقب باب رقم ٨ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكتاب اللباس .

وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩١ . ومسنّد أحمد ٢٨١/٤ .

(٣) شمائل الرسول لابن كثير (ط الحلبي) ص ٣٢ .

(٤) شرح الشمائل ٣١/١ .

(٥) تهذيب ابن عساكر ٣٢٠/١ .

وقال أيضاً : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رُبعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير .

متفق عليه^(١) .

وقالت أم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رُبعة لابائن من طوله ولا تقتحمه عينٌ من قِصَرِ غُصْنٍا بين غصنين فهو أنضَرُ الثلاثة منظرًا وأحسنهم قَدْرًا .

رواه البيهقي^(٢) .

وقال معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه : أَرَدَفَنِي رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في سفرٍ فما مَسَسْتُ شيئاً قط أَلَيْن من جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
رواه البزار والطبراني .

وقال عليّ رضى الله تعالى عنه : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل المُمَغِط ولا بالقصير المتردّد كان رُبعة من القوم .
رواه ابن عساكر^(٣) .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : ما مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أحدٍ إلا طَّالَه .
رواه ابن عساكر^(٤) .

وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقَصِّدًا .
رواه مسلم^(٥) .

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم . وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٢ .

(٢) سبق تخريج حديث أم معبد في أول هذا الجزء .

(٣) تهذيب ابن عساكر ٣١٧/١ . والرواية فيه محرفة : لم يكن بالطويل القلط .

(٤) تهذيب ابن عساكر ٣١٩/١ .

(٥) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث ٩٩ ومسند أحمد ٤٥٤/٥ .

وقال البراء رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ، ليس بالطويل ولا بالقصير .
رواه الشيخان^(١) .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ، وكان يُنسب إلى الرُبعة إذا مشى وحده ، ولم يكن يُماشيه أحدٌ من الناس يُنسب إلى الطول إلا طأله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطوئهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فإذا فارقاه نُسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرُبعة .

رواه ابن أبي خيثمة في تاريخه والبيهقي وابن عساكر^(٢) .

وقال عليّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب طولاً وفوق الرُبعة إذا جامع القوم غَمَرهم .

رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند والبيهقي ولفظه : إذا جامع القوم

وقال أيضا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة .

رواه ابن الجوزي^(٣) .

وقال ابن سبع رحمه الله تعالى : إنه صلى الله عليه وسلم كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع المجالسين صلى الله عليه وسلم^(٤)

تنبيه في بيان غريب ما سبق :

اعتدال الخلق : يناسب الأعضاء والأطراف ، أى لا تكون مُتباينة في الدقة والغِلظ والصغر والكبر والطول والقصر .

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم .

وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٣٠٥٥٠٥٤ .

(٢) الوفا لابن الجوزي ص ٤٠٣ والخصائص الكبرى ١/١٦٩ (ط الهراس) .

(٣) الوفا لابن الجوزي ص ٤٠٤ .

(٤) الخصائص الكبرى ١/١٦٩ .

البَادِن : بكسر الدال المهملة : الضخم الكثير اللحم . ولَمَّا قال ذلك أَرَدَفَه بقوله مُتَمَاسِك وهو الذى يمسك بعضه بعضاً فليس هو بِمُسْتَرخ ولا متهَدِّل ، كَأَن لحمه لا كتنازه واصطحابه يُعَسِّك بعضه بعضاً لِأَنَّ الغالب على السَّمَنِ الاسترخاء .

المربوع : الذى بَيَّن الطويل والقصير .

المَشْدَب : بيمين مضمومة فشين فذال مشددة معجمتين مفتوحتين فباء موحدة : البائن طولاً مع نقص فى لحمه ، أى ليس بنحيف طويل ، بل طوله صلى الله عليه وسلم وعرضه^(١) متناسبان على أتم صفة .

رَبْعَة : براء مفتوحة فموحدة ساكنة أى مربوع الخلق لا طويل ولا قصير ، والتأنيث باعتبار النفس ، يقال رجل رُبْعَة وامرأة رُبْعَة وقد فسرهُ فى الحديث بقوله : ليس بالطويل البائن المقرط فى الطول مع اضطراب القامة .

البائن : الطويل فى نحافة اسم فاعل من بان أى ظهر على غيره . قاله الحافظ وفى النهاية : أى المقرط طولاً الذى بَعُدَ عن قَدْرِ الرجال الطَّوَال^(٢) .

الغُصْن والأغصان : أطراف الشجر ما دامت فيها نابذة .

النَّضَارَة : حُسْن الوجه والبريق .

الثلاثة : النبىُّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعامر بن فُهَيْرَة .

المُنْغِط : بيمين الأولى مضمومة والثانية مفتوحة مشددة فغين معجمة مكسورة المتناهى فى الطول ، وامتغط النهارُ امتدَّ ومغطتُ الحَبْلَ إذا مددته وأصله مُنْغِط والنون للمطاوعة فقلبت ميماً وأدغمت فى الميم ويقال بالعين المهملة بمعناه .

القصير المتردد : وهو الذى تردَّد بعضُ خلقه على بعض فهو المجتمع الخلق الذى يَضْرِب إلى القصر جداً .

(١) ت ، م : وقصره .

(٢) غير ط : طوله .

مُقَصِّداً : بيم مضمومة ففاف فصاد مشددة مفتوحتين أى ليس بطويل ولا قصير
ولا جسيم ، كَأَنَّ خَلَقَهُ صلى الله عليه وسلم يحىء به القَصْد من الأمور .
اكتنفه الرُّجُلان : أحاطا به من جانبيه .
غمرهم : أى كان فوق كل من معه .
سهمهم : طالهم .
والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب التاسع عشر

في عرقه صلى الله عليه وسلم وطيبه

قال أنس رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير العرق .
رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال أيضاً : ما شَمَمْتُ ريحاً قط أو عرقاً قط أَطْيَبَ من ريح أو عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه الإمام أحمد والشيخان والترمذي . وزاد : ولا شَمَمْتُ مِسْكَاً - ولا عطرأً أَطْيَبَ من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : كَانَ ريح عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ريحُ المسك بآبَى وأُمَى ! لم أرَ قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ مثله .
رواه ابن عساکر^(٢) .

وقال أنس رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي أُمَّ سُلَيْمٍ فيَقِيلُ عندها فتبسط له نِطْعاً فيَقِيلُ عليه وكان كثير العرق وكانت تجمع عرقه صلى الله عليه وسلم فتجعله في الطيب والقوارير ، فيستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : ما هذا الذي تضعين يا أُم سليم ؟ فتقول : هذا عَرَقُكَ نجعله لِطَيبِنَا وهو أَطْيَبُ الطَّيِّب . وفي رواية قالت : هذا عَرَقُكَ أدُوف به طيبي .
رواه مسلم وغيره^(٣) .

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم .

وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨١ ، ٨٢ .

ومسند أحمد ١٠٧/٣ .

(٢) تهذيب ابن عساکر ٣١٧/١ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٥ ومسند أحمد ١٤٦/٣ .

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها : كان عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه مثل اللؤلؤ أطيب ريحاً من المسك الأذفر وكان كفه كف عطار مسها طيب أو لم يمسها به ، يضافه^(١) المصافح فيظل يومها يجد ريحها ، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان من ريحها على رأسه .

رواه أبو بكر بن أبي خيثمة وأبو نعيم مختصراً .
وقال أنس رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ .

رواه أبو بكر ابن أبي خيثمة^(٢) .
وقالت أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد السلمي له : إنا لنجهد^(٣) في الطيب ولأنت أطيب ريحاً منا فمم ذلك ؟ فقال : أخذني السرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيتته فشكوت ذلك إليه فأمرني أن أتجرد فتجردت وقعدت بين يديه صلى الله عليه وسلم وألقيت ثوبي على فرجى فنفت في يده ومسح ظهرى وبطنى بيده فعقب بي هذا الطيب^(٤) من يومئذ .
رواه الطبراني .

وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني زوّجت ابنتي وأحب أن تعينني بشيء فقال : ما عندي شيء ولكن ايتني بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة . فأتاه بهما فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسلمت له فيها من عرقه حتى امتلأت القارورة ، فقال خذها وأمر بنتك أن تغمس هذا العود في القارورة وتطيب به . فكانت إذا تطيبت به يشم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب .
رواه الطبراني وأبو يعلى وابن عدى^(٥) .

(١) ط : يضاف .

(٢) السوفالابن الجوزي ص ٤٠٨ .

(٣) ت ، م : لنجهد .

(٤) غير ط : فعقب بي ذلك الطيب .

(٥) هذا الحديث موضوع كما ذكر السيوطي في كتابه اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٢٧٤/١ (طالعية)

وقال : آتته جليس بن غالب الكلبي . قال في الميزان : هذا منكر جدا . وجليس : قال ابن عدى : منكر الحديث . وقال الدارقطني متروك .

وقال وائل بن حُجْر رضى الله تعالى عنه : كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدى جلده فاتعرّفه بعدُ فى يدى وإنه لأطيب من ريح المسك .
رواه الطبرانى .

وقال يزيد بن الأسود رضى الله تعالى عنه : ناوَلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فإذا هى أبرَد من الثلج وأطيب ريحا من المسك .
رواه البيهقى (١) .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كلَّ ريح طيب قد شَمَنْت ، فما شَمْت قط أطيَّب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلَّ شئ لَيْن قد مَسَنْت فما مَسْت شيئا قط أَلَيْن من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم .
رواه ابن عساكر (٢) .

وقال جابر بن سَمُرَة رضى الله تعالى عنه : مَسَح رسول الله صلى الله عليه وسلم خَدَى فوجدت ليده بَرْدًا وريحا كأنما أخرج يده من جُؤنة عطار .
رواه مسلم (٣) .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كأن عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه اللؤلؤ ، ولريح عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيَّب من ريح المسك الأذفر .
رواه ابن سعد وابن عساكر (٤) .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون كأنَّ عَرَقه اللؤلؤ .
رواه مسلم (٥) .

(١) دلائل النبوة للبيهقى ٢٠٥١ . والخصائص الكبرى ١٨٤/١ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٣٢٠/١ ، ٣٢١ بمعناه .

(٣) سبق تخريج هذا الحديث قريبا

(٤) الخصائص الكبرى ١٨٥/١ .

(٥) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٢ .

وقال رجل من قريش^(١) كنت مع أبي حنن رَجَمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ماعزُ بن مالك ، فلما أَخَذَتْهُ الحِجَارَةُ أَرْغَبْتُ ، فَضَمَّنِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فسال من عرق إبطه مثل رِيحِ المسك .

رواه الدارمي .

وقال أنس رضي الله تعالى عنه : كنا نَعْرِفُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إذا أَقْبَلَ بطيب ريحه .

رواه ابن سعد وأبو نعيم^(٢) .

وقال معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه : كنت أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أَذُنُ مَنِي فدنوت منه فما شممت مسكًا ولا عنبرًا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه البزار^(٣) .

وقال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما : كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال : لم يكن يمر في طريق فيتبعه أحدٌ إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عرقه أو عرقه .

رواه البخاري في تاريخه والدارمي^(٤) .

وقال أنس رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب فيقال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الطريق .

رواه أبو يعلى والبزار^(٥) .

ويرحم الله تعالى القائل حيث قال :

ولو أن رَكْبًا يَمُوكَ لَقَادَهُم نَسِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِهِ الرَكْبُ

(١) كذا وقد سبق أنه من بني حريش ، وكذلك جاء في الخصائص الكبرى ١/١٦٨ والوفاء لابن الجوزي ص ٤٠٨ .

(٢) الخصائص الكبرى ١/١٦٧ .

(٣) الخصائص الكبرى ١/١٦٩ .

(٤) الخصائص الكبرى ١/١٦٦ .

(٥) الخصائص الكبرى ١/١٦٧ .

والقائل :

يُرُوحُ عَلَى تِلْكَ الطَّرِيقِ الَّتِي غَدَاً^(١) عَلَيْهَا فَلَا يَنْهَى عُلَاهُ نُهَاتُهُ
تَنْفُسُهُ فِي الْوَقْتِ^(٢) أَنْفَاسُ عِطْرِهِ فَمِنْ طَيِّبِهِ طَابَتْ لَهُ طُرُقَاتُهُ
تَرُوحُ لَهُ الْأَرْوَاحُ حَيْثُ تَنْسَمْتُ لَهَا سَحَرًا مِنْ حُبِّهِ نَسَمَاتُهُ

وقال أنس رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير العرق .

رواه مسلم^(٣) .

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها فيما رواد ابن عساكر وأبو نعيم : كنت قاعدة أغزل والنبي صلى الله عليه وسلم يَخْصِفُ نَعْلَهُ فَيَجْعَلُ جَبِينَهُ يَعْرقُ وَجَعَلَ عَرَقُهُ يَتَوَلَّدُ نُورًا فَبُهِتُ ، فقال : مالك بُهِت ؟ قلت : جعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نوراً ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره حيث يقول في شعره :

وَمُبْرَأً عَنْ كُلِّ غُبْرٍ حَيْضَةٍ وَفَسَادٍ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مُعْضِلٍ^(٤)

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسِرَةٍ وَجْهَهُ بَرَقَتْ بِرُوقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ^(٥)

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال إسحق بن راهويه رحمه الله تعالى : إن هذه الرائحة الطيبة كانت رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير طيب .

(١) ط : على غير الطريق الذي غدا .

(٢) غير ط : ينفس في ذا الوقت .

(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٢ .

(٤) كذا والرواية في ابن عساكر والخصائص الكبرى : وداء مغيل ، يقال : غالت المرأة ولدها إذا أرضعته

وهي حامل .

(٥) تهذيب ابن عساكر ٣٢٤/١ والخصائص الكبرى ١٦٧/١ .

وقال السيوطي في الخصائص بعد أن ذكره : قال أبو علي صالح بن محمد البندادي : لا أعلم أن أبا عبيدة - يقصد معمر ابن الحنفي راوي الحديث عن هشام بن عروة - حدث عن هشام بن عروة شيئاً . قال : لكن الحديث حسن عندي . حين صار نخرجه محمد بن إسماعيل البخاري .

وقال النووى رحمه الله تعالى : وهذا مما أكرمه الله تعالى به .

قالوا : وكانت الريح الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وإن لم يمس طيباً ، ومع هذا كان يستعمل الطيب فى أكثر أوقاته مبالغة فى طيب ريحه للملاقة الملائكة وأخذ الوحي ومجالسة المسلمين .

الثانى : مبدأ هذه الرائحة الطيبة بجسده صلى الله عليه وسلم من ليلة الإسراء . روى ابن مَرْذَوَيْه عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أُسْرِى به ريحُه ريح عروس وأطيب من ريح عروس .

الثالث : ما اشتهر على ألسنة بعض العوام أن الورد خلق من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر أبو زكريا يحيى النووى والحافظ والشيخ وغيرهم : إنه باطل لا أصل له . والحديث رواه الدَّيْلَمِى فى مسند الفردوس من طريق مكى بن بندار وقد اتهمه الدارقطنى بوضع الحديث . وله طرق بيّنت بُطلانها فى كتابي «إتحاف اللبيب فى بيان ما وضع فى معراج الحبيب» .

الرابع : فى بيان غريب ما تقدم :

شَمِئَتْ : بكسر الميم فى الماضى وفتحها فى المضارع ويجوز فتحها فى الماضى وضمها فى المضارع

أو عَرَفَا : شك من الراوى لأنَّ العَرَفَ - بفتح العين المهملة وسكون الراء بعدها فاء - هو الريح الطيب .

ومن ريح : بكسر الحاء بلا تنوين لأنَّه فى حكم المضاف تقديره من ريح النبي صلى الله عليه وسلم أو عرقه . ووقع فى بعض الروايات بفتح الراء وبالقاف فأو على هذا للتنويع .

قال الحافظ : والأول هو المعروف . وفى رواية ما شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الحافظ رحمه الله تعالى : ضبط هذا اللفظ^(١) بوجهين أحدهما بسكون

(١) يريد قوله : ولا عنبرة .

النون بعدها موحدة . والآخر بكسر الموحدة بعدها مشناة ثحية^(١). والأول هو المعروف ،
والثاني طيب معمول من أخلاط يجمعها الزعفران . وقيل هو الزعفران . ووقع عند البيهقي
ولا شممت مسكا ولا عنبراً ولا عبيراً ذكرهما جميعاً .

يقيل : ينام في القائلة وهي شدة الحر .

القوارير : آنية من زجاج . أدوف بالبدال المهملة أى أخلط . يقال : داف الشيء يدُوفه

دوفا وأدافه : خلطه . الأذفر بذال معجمة أى طيب الرائحة والأذفر بالتحريك يقع على
الطيب والكريه ويفرق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به .

السرى : بفتحتين - خُراج^(٢) صغار لها لذع شديد .

عَبَقَ به الطيب عَبَقًا من باب تَعَب - ظهرت ريحُه بثوبه أو بدنه فهو عَبَق . قلت^(٣) :
ولا يكون العبَق إلا للرائحة الطيبة الزكية .

جُؤنة - بضم الجيم وهمزة ساكنة ، ويجوز تسهيلها : سَفَط^(٤) مُغَشَّى بجلد يجعل فيه العطار
طيبه .

(١) أى عيرة .

(٢) الخراج كغراب : القروح .

(٣) ط : قالوا .

(٤) السفط : وعاء كالجوالق .

الباب العشرون

في مشيه صلى الله عليه وسلم وأنه لم يكن يُرى له ظلّ

قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فكننت إذا مشيت سبقتني، فالتفت إلى رجل إلى جنبي فقلت : تُطوى له الأرض وخليل إبراهيم .

رواه الإمام أحمد وابن سعد (١) .

وقال يزيد بن مرثد - بيم مفتوحة فراء ساكنة فثاء مثلثة مفتوحة فดาล مهملة - وهو من التابعين رحمه الله تعالى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى أسرع حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه .

رواه ابن سعد (٢) .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : ما رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الأرض تُطوى له ، إنا لنجهد أنفسنا وإنه غير مُكثرت .

رواه الإمام أحمد والترمذي في الشمائل والبيهقي وابن عساكر من طرق (٣) .

وقال ذكوان رحمه الله تعالى : لم يُرَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظلّ في شمس ولا قمر .

رواه الحكيم الترمذي (٤) . وقال : معناه لثلا يطأ عليه ككافر فيكون مذلةً له .

(١) طبقات ابن سعد ٣٧٩/١ (ط بيروت) . ومسنّد أحمد ٢/٢٥٨ ، ٢٩٥ ،

(٢) سقط من الأصل وأثبتته من طبقات ابن سعد ٣٧٩/١ . وتهذيب ابن عساكر ٣١٩/١ .

(٣) مسنّد أحمد ٢/٣٥٠ ، ٣٨٠ وسنن الترمذي كتاب المناقب باب ١٢ .

(٤) الخصائص الكبرى ١/١٦٩ .

وقال ابن سبع رحمه الله تعالى : في خصائصه : إن ظلّه صلى الله عليه وسلم كان لا يقع على الأرض وإنه كان نوراً وكان إذا مشى في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل^(١) .

قال بعض العلماء : ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه : « واجعلني نوراً^(٢) » وستأتي صفة مشيه صلى الله عليه وسلم في باب آدابه .

نُجْهَد - بفتح النون وضمّها ، يقال : جَهِد دابته وأجهدّها إذا حمل عليها فوق طاقتها .

مُكْتَرِث : أى غير مبالٍ ، ولا يستعمل إلا في النفي وأما استعماله في الإثبات فشاذ .

(١) الخصائص الكبرى ١/١٦٩ .

(٢) الخصائص الكبرى ١/١٧٠ .

الباب الحادى والعشرون

فى الآفة فى صوته صلى الله عليه وسلم وبلوغه حيث لا يبلغه صوت غيره

روى ابن سعد عن قتادة وابن عساکر عنه ، عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : ما بعث الله نبياً إلا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت^(١) .

وقال على رضى الله تعالى عنه : ما بعث الله تعالى نبياً قط إلا بعثه صبيح الوجه كريم الحسب حسن الصوت ، إن نبيكم كان صبيح الوجه كريم الحسب حسن الصوت . رواه ابن عساکر .

وقال جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن النعمة .

رواه أبو الحسن بن الضحاك .

وقال البراء رضى الله تعالى عنه : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى خدورهن .

رواه أبو نعيم والبيهقى^(٢) .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال للناس : اجلسوا ، فسمعه عبد الله بن رباح وهو فى بنى غنم^(٣) فجلس مكانه . رواه أبو نعيم والبيهقى^(٤) .

(١) طبقات ابن سعد ٣٧٦/١ (ط بيروت) .

(٢) الخصائص الكبرى ١٦٤/١ .

(٣) كذا فى ط موافقاً لما فى الخصائص ، وفى بقية النسخ : فى بنى تميم .

(٤) الخصائص ١٦٥/١ .

وقال عبد الرحمن بن معاذ التميمي رضى الله تعالى عنه : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففتحت أسماعنا . وفي لفظ : ففتح الله أسماعنا حتى أنا كنا لنسمع ما يقول ونحن في منازلنا .

رواه ابن سعد وأبو نعيم^(١) .

وقالت أم هانئ رضى الله تعالى عنها : كنا نسمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف الليل وأنا على عريشى .

رواه ابن ماجه^(٢) .

وقال البراء رضى الله تعالى عنه : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في العشاء « والتين والزيتون » فلم أسمع صوتاً أحسن منه .
متفق عليه^(٣) .

وقالت أم مقبّد رضى الله تعالى عنها : كان في صوته صلى الله عليه وسلم صَحْلٌ .
رواه ابن عساكر وغيره^(٤) .

[تفسير الغريب]

العواتق : جمع عاتق يقال : عَتَقْتُ الجاريةَ عن خدمة أبيها وعن أن يملكها زوج
فهي عاتق .

وفي البارع : العاتق التي لم تَبَيِّنْ عن أهلها والتي لم تتزوج .

(١) الخصائص ١٦٥/١ .

(٢) سنن ابن ماجه كتاب الإقامة باب رقم ١٧٩ . ومسنّد أحمد ٣٤٢/٦ ، ٣٤٣ ، والخصائص ١٦٥/١ .

(٣) صحيح البخارى كتاب التفسير باب سورة « والتين » .

وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٧٧ .

(٤) تهذيب ابن عساكر ٤٢٦/١ . وقد سبق تخرّيج حديث أم مقبّد في مواضع متفرقة من هذا الجزء .

وقال أبو زيد رحمه الله تعالى : هي التي أدركت ما لم تَغْنَس^(١) . وقال الأصمعي :
هي فوق المُعَصِر^(٢) .

صَحْل - بفتح الصاد والحاء المهملتين وباللام - شبه البُحَّة وهي غِلْظ الصوت . وفي رواية :
صَهْل بالهاء بدل الحاء وهو قريب منه لأن الصهل صوت الفرس ، وهو يَصْهَل بشدة
وقوة .

وستأتي صفة كلامه صلى الله عليه وسلم في أبواب آدابه .

(١) عنست الجارية - كسمع ونصر وضرب - عنوسا وعناسا : طال مكثها في أهلها بعد إدراكها حتى خرجت من
عداد الأبكار ولم تزوج قط . (القاموس المحيط) .
(٢) المعصر : التي أدركت وبلغت شبابها .

الباب الثاني والعشرون

في فصاحته صلى الله عليه وسلم

الفصاحة لغةً : البيانُ .

واصطلاحاً : خلوصُ الكلام من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد .

هذا باعتبار المعنى . وأما باعتبار اللفظ فهي كونه على ألسنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم
أذُور^(١) واستعمالهم له أكثر .

والفرق بينها وبين البلاغة : أن الفصاحة يوصف بها المفرد والكلام والمتكلم ، والبلاغة
يوصف بها الأخيران فقط .

ففصاحة المفرد : خلوصه من تنافر الحروف والغرابية ومخالفة القياس .

وفصاحة الكلام : خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد .

وبلاغته : مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته .

وفصاحة المتكلم : ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود . وبلاغته : ملكة يقتدر
بها على وجوه تأليف الكلام البليغ . فالبلاغة أخصُّ مطلقاً ، فكلُّ بليغ فصيح ولا عكس ،
والبليغ الذى يَبْلُغُ بعبارته كُنْهَ ضميره .

وقال الإمام العلامة أبو سليمان أحمد الخطابي رحمه الله تعالى : اعلم أن الله تعالى لما وضع
رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعَ البلاغ^(٢) من وَحْيِهِ ونَصَبَهُ منصب البيان لدينه اختار
له من اللغات أعذبها^(٣) ومن الألسن أفصحها وأبينها ، ثم أمدّه بجوامع الكلم التي جعلها رِداءً

(١) غير ط : إذا ورد استعمالهم له .

(٢) ط ، ص : موضع البلاغة . وما أثبت من ت ، م .

(٣) ط : أعربها .

لنبوته وعلمًا لرسالته ، لينتظم في القليل منها عِلْمٌ كثير يسهل على السامعين حفظه ولا يثودهم حَمْلُهُ ، ومن تتبع الجوامع من كلامه صلى الله عليه وسلم لم يَغْدَمْ بيانها .

وقال الإمام أبو السعادات المبارك ابن محمد بن الأثير رحمهم الله تعالى في أول النهاية :
قد عرفت أيَّدك الله تعالى وإيانا بلطفه وتوفيقه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب لسانا وأوضحهم بيانًا وأعذبهم نطقًا وأسدهم لفظًا وأبينهم لهجة وأقومهم حُجَّةً ، وأعرفهم بمواقع الخطاب وأهداهم إلى طريق^(١) الصواب ، تأييدًا إلهيًا ولفظًا سمائيًا وعناية ربانية ورعاية رُوحانية ، حتى لقد قال له على رضى الله تعالى عنه وسَمِعَهُ يخاطب وفد بني نَهْد : يا رسول الله نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فقال : « أدبني ربِّي فأحسن تأديبي وربيت في بني سعد » .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب العرب^(٢) على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم وفصائلهم يخاطب كلًّا منهم بما يفهمون ويحادثهم بما يعلمون ، ولذلك قال صدَّق الله تعالى قوله : « أُمِرْتُ أَنْ أُخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ » فكان الله تعالى قد أعلمه ما لم يكن يعلمه غيره من بني أبيه وجمع فيه ما تفرَّق^(٣) ولم يوجد في قاصي العرب ودانيه ، وكان أصحابه رضى الله تعالى عنهم ومن يفد إليه من العرب يعرفون أكثر ما يقوله وما جهلوه يسألونه عنه فيوضحه لهم .

قلت : قوله : « ولذلك قال : أُمِرْتُ أَنْ أُخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ » .

رواه الحسن بن سفيان في مسنده بسند ضعيف وله طرق تقويه .

وقال القاضي أبو الفضل عيَّاض رحمه الله تعالى : وأمَّا فصاحة اللسان وبلاغة القول ففقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحلِّ الأفضل والموضع الذي لا يُجْهَل ، سَلَاة^(٤) طَبِيع وبراعة مَنزَع وإيجاز مَقْطَع ونَصَاة^(٥) لَفْظ وِجْزَالَة^(٦) قولٍ وصحة معانٍ وقلة تكلف ، أوتى

(١) ط : طرق .

(٢) ص ، ت ، م : يخاطب ألوفًا . وما أثبتته من ط .

(٣) ص : ما لا يعرف . وفي ت م : ما يعرف . وأظنه عرفًا . وما أثبتته .

(٤) ت ، م : سلامة طبع .

(٥) كذا في ط موافقًا للشفاء . وفي غيرها : وفصاحة لفظ .

(٦) ص : وحلاوة قول .

صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب ، يخاطب كل أمة بلسانها ويخاورها بلغتها^(١) ويباريها في منزع بلاغتها ، حتى كان كثير من أصحابه صلى الله عليه وسلم يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله ، من تأمل حديثه وسيرته^(٢) علم ذلك وتحققه^(٣) .

فصاحة^(٤) لسانه صلى الله عليه وسلم غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يداني منتهاها وكيف يكون ذلك وقد جعل الله تعالى لسانه سيفاً من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو إليه عباده ، فهو ينطق بحكمة عن أمره ، ويبين عن مراده بحقيقة^(٥) ذكره ، أفصح خلق الله إذا لفظ وأنصحهم إذا وعظ ، لا يقول هجراً ولا ينطق هذراً ، كلامه كله يثمر علماً ويمتثل شرعاً وحكماً لا يتفوه بشر بكلام أحكم منه في مقالته ولا أجزل منه في عدوبته ، وخلق بمن عبر عن مراد الله بلسانه وأقام^(٦) الحجة على عباده ببيانه ، وبين مواضع فروضه وأوامره ونواهيه وزواجره ، أن يكون أحكم الخلق تبياناً وأفصحهم لساناً وأوضحهم بياناً ، وبالجمله فلا يحتاج العلم بفصاحته إلى شاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند .

قال القاضي رحمه الله تعالى : أما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع حكمه الماثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب . ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة . كقوله صلى الله عليه وسلم : «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم» . رواه أبو داود والنسائي عن علي رضي الله تعالى عنه^(٧) .

(١) ص : بلغاتها . (٢) في نسخة من الشفاء : وسره .

(٣) إلى هنا انتهى كلام القاضي عياض في الشفاء ص ٨٨ (الطبعة العثمانية) وبعده في ت م فقط :

ينظم ذا الشعر نثر بقوله فأحسنه في نثره ونظامه

يناجي منجي من ينجي في الجوى وكل علم يروى في كلامه

ولم ترد في ط ، ص . ولعلها مقحمة محرفة .

(٤) ت م ص : فقد أوتي لسانه صلى الله عليه وسلم . وما أثبتته من ط .

(٥) كذا في ط وفي بقية النسخ : تحقيق ذكره .

(٦) ط : وأقام به الحجة .

(٧) سنن أبي داود كتاب الديات باب ١١ وكتاب الجهاد باب ١٤٧ .

وسنن ابن ماجه كتاب الديات باب ٣١ . ومسنند أحمد ٢/١٨٠ ، ١٩٢ .

«المسلمون»^(١) كأَسنان المشط .

ابن لآل في مكارم الأخلاق عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه .
«المرء مع من أحب» .

الشيخان عن أنس رضى الله تعالى عنه^(٢) .

«لا خَيْرَ في صُحْبَةِ من لا يرى لك مثلَ ما ترى له» .

ابن عَدِيٍّ عن أنس رضى الله تعالى عنه .

«النَّاسُ معادن كمعادن الذهب والفضة ، خِيَارُهُم في الجاهلية خيارُهُم في الإسلام إذا فقهوا» .

الشيخان عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه^(٣)

« ما هلك امرؤُ عَرَفَ قَدْرَ نفسه » .

ابن السمعاني في تاريخه عن علي رضى الله تعالى عنه .

«المستشار مُؤْتَمِنٌ ، وهو بالخيار إن شاء تكلم وإن شاء سكت» .

أحمد عن أبي^(٤) مسعود عُقْبَةُ بن عمرو^(٥) وصدره عند الأربعة عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه .

«رحم الله عبداً قال خيراً فغَنِمَ أو سَكَتَ عن شرٍ فسلِمَ» .

أبو الشيخ في الثواب عن أبي أُمَامَةَ والدَيْلَمِيٍّ عن أنس رضى الله تعالى عنهما .

«أَسْلَمَ تَسْلَمَ يُؤْتِنَكَ اللهُ أَجْرَكَ مرتين» .

الشيخان في قصة هرقل^(٦) .

(١) ط : الناس كأَسنان المشط .

(٢) صحيح البخارى كتاب الأدب باب ٩٦ . وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ١٦٥ .

(٣) صحيح البخارى كتاب الأنبياء وكتاب المناقب وكتاب التفسير وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٦٨ .

(٤) كذا في ط وفي بقية النسخ : عن ابن مسعود .

(٥) هو عُقْبَةُ بن عمرو بن ثعلبة ، أبو مسعود الأنصارى من بنى الحارث بن الخزرج ، وهو مشهور بكنيته ويعرف

بأبي مسعود البدرى لأنه رضى الله عنه كان يسكن بدارا . الاستيعاب ٣/١٧٤ .

(٦) صحيح البخارى كتاب بدء الوحي وصحيح مسلم كتاب الجهاد حديث رقم ٧٤ . وكتاب الجهاد ، وكتاب التفسير .

« إن أحبكم ^(١) إلى وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطأون أكثافاً الذين يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ » .

الترمذى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ^(٢) .

« لعله كان يتكلم بما لا ^(٣) يَغْنِيهِ وَيَبْخُلُ بما لا يُغْنِيهِ » .

البيهقى فى الشَّعْبِ عن أنس رضى الله تعالى عنه والترمذى نحوه ^(٤) .

« ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً » .

أبو داود بلفظ : ذو الوجهين فى الدنيا ذو لسانين فى النار ^(٥)

نَهَى عَنْ قِيلٍ وَقَالَ وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةُ الْمَالِ وَمَنْعُ وَهَاتِ ، وَعَقُوقُ الْأُمَمَاتِ وَوَأْدُ الْبَنَاتِ » .

رواه الشيخان ^(٦) .

اتَّبَعَ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتُ ^(٧) وَأَتَّبَعَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَجُّهَا وَخَالَقَ النَّاسَ بِخُلُقِ حَسَنٍ » .

رواه الإمام أحمد وغيره عن أبي ذر رضى الله تعالى عنه ^(٨) .

« خير الأمور أوساطها » .

ابن السمعاني فى الذيل عن على .

« أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا » .

البخارى فى الأدب المفرد والترمذى ^(٩) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه .

(١) ت م : إن أدناكم .

(٢) صحيح الترمذى كتاب البر ، باب رقم ٧١ .

(٣) ص ، ت ، م : فيها .

(٤) سنن الترمذى كتاب الزهد باب ١١ ولفظه : أو بخل بما لا ينقصه .

(٥) سنن أبي داود كتاب الأدب باب ٣٤ .

(٦) صحيح البخارى كتاب الرقاق باب ٢٢ وكتاب الزكاة باب ٥٣ وصحيح مسلم كتاب الأقضية حديث رقم ١٠ ،

١١ ، ١٣ ، ١٤ .

(٧) ص : حيث كنت .

(٨) مسند الإمام أحمد ٥/٣ . وسنن الترمذى كتاب البر باب ٥٥ ، وسنن الدارمى كتاب الرقاق .

(٩) صحيح الترمذى كتاب البر باب ٦٠ .

«الْظُّلُمَ ظِلْمَات يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

البخارى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما^(١) .

« اللهم إني أسألك رحمة تَهْدِي بها قلبي وتجمع بها شَمْلِي وتَلُمُّ بها شَعْيِي وتُصْلِح بها غَائِبِي وترفع بها شَاهِدِي وتزكِّي بها عملي وتُلْهَمْنِي بها رُشْدِي وتردّ بها أَلْفَتِي وتعصمني بها من كل سوء ، اللهم إني أسألك الفَوْزَ في القضاء وَمَنَازِلَ^(٢) الشَّهَدَاءِ وعِيشَ السَّعْدَاءِ والنَّصْرَ على الأَعْدَاءِ » .

الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما^(٣) .

إلى غير ذلك ممّا روته الكافّة عن الكافّة من مقاماته صلى الله عليه وسلم ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده ممّا لا خلاف أنّه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز منها سبقاً لا يُقَدَّر قَدْرُهُ .

* * *

وقد جَمَعْتُ من كلماته صلى الله عليه وسلم التي لم يُسَبِّق إليها ولا يَقْدِر أحد أن يُفْرَغ في قلبه عليها كقولهِ صلى الله عليه وسلم «حَمَى الوطيس» قاله صلى الله عليه وسلم يوم حنين .

مُسْلِمٌ عن جابر رضى الله تعالى عنه^(٤) .

« مات حَتَفَ أَنْفَهُ » .

البيهقى عن عبد الله بن عتيك رضى الله تعالى عنه : وقال : والله إنها كلمة ما سمعتها من أحدٍ من العرب قبله صلى الله عليه وسلم .
« لا يُلْدَغُ المؤمن من جُحْرِ مرتين » .

البخارى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما^(٥) .

(١) صحيح البخارى كتاب المظالم باب ٨ .

(٢) ط : ونزل .

(٣) صحيح الترمذى كتاب الدعاء باب ٣٠ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الجهاد، حديث رقم ٧٦ . هذا وتخرّيج هذه الأحاديث ليس من كلام القاضى عياض فى الشفاء ، وإنما هو من المصنف .

(٥) صحيح البخارى كتاب الأدب باب ٨٣ وصحيح مسلم كتاب الزهد حديث رقم ٦٣ .

«السَّيِّدُ مَنْ وَعِظَ بغيره» .

الدَّيْلَمِيُّ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْقَضَاعِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا . وَمُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَوْقُوفًا وَزَادَ : وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ^(١) .

هَذَا مَذْكُورُهُ الْقَاضِي ^(٢) .

وَزَادَ الثَّعَالِبِيُّ : كُلُّ الصَّيِّدِ فِي جَوْفِ الْفِرَا «الرَّامَهُ مُرْتَى فِي الْأَمْثَالِ عَنْ ^(٣)» وَهُوَ مُرْسَلٌ سَنَدُهُ جَيِّدٌ .

«لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنَزَانٌ» .

«هُدْنَةٌ عَلَى دَخْنٍ» .

«جَمَاعَةٌ عَلَى قَذَى» .

«إِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى» .

«نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ» .

«أَوْتَيْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ» .

«إِنَّ مِمَّا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ ^(٤) يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يَلْمُ» .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ^(٥) .

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : إِنَّهُ مِنَ الْكَلَامِ الْفَرْدِ الْوَجِيزِ الَّذِي لَمْ يُسَبِّقْ إِلَى مِثْلِهِ ^(٦) .

«الْإِيْمَانُ قَيْدُ الْفَتْكِ» ^(٧) .

«يَا خَيْلَ اللَّهِ اارْكَبِي» .

«اشْتَدَّى أَزْمَةٌ تَنْفَرُجِي» انْتَهَى .

(١) صحيح مسلم كتاب القدر حديث رقم ٣ .

(٢) الشفا للقاضي عياض ص ٦٠ - ٦١ .

(٣) بياض بالأصول .

(٤) ط : البقل :

(٥) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب ٣٧ وكتاب الرقاق باب ٧ وصحيح مسلم كتاب الزكاة ، حديث ١٢١ .

(٦) ط : إلى معناه .

(٧) سنن أبي داود كتاب الجهاد باب ١٥٧ ومسنند أحمد ٩٢/٤ .

قال القاضي : إلى غير ذلك مما يدرك الناظر العجب في مُضْمَنُهَا ويذهب به الفكر في أَذَنِي^(١) حِكْمُهَا .

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم « أنا النبي لا كَذِبَ أنا ابن عبد المطلب أنا أغرب العرب ولدتي قريش ونشأت في بني سعد بن بكر ، فَأَنْتَ يَا تَيْبِي اللَّحْنُ » .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك^(٢) .

وقد قال له أصحابه فيما رواه ابن أبي حاتم والبيهقي عن محمد بن إبراهيم التيمي والعسكري والرامهرمزي معا في الأمثال عنه عن أبيه عن جده قال : ما رأينا الذي هو أفصح منك . فقال : « وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان^(٣) عربي مبين وإني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر^(٤) » .

قال : فجمع له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها وفصاحة^(٥) ألفاظ الحاضرة وروثق كلامها .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : يا رسول الله ما لك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ قال : « كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل فحفظتها^(٦) » .
رواه أبو نعيم والبيهقي^(٧) .

وقالت برة^(٨) بنت عامر الثقفية سيّدة نساء قومها لإخوتها : يا بني عامر أفیکم من أبصر محمداً صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : كلنا قد رأيناه أيام الموسم . فقالت : أفیکم من سمعه

(١) الشفا : في أداني حكمها .

(٢) الخصائص الكبرى ١/١٥٨ . وذكر أن الطبراني أخرجه .

(٣) ص ، ت ، م : بلسان عربي .

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وابن أبي الدنيا في كتاب المطر وابن أبي حاتم والخطيب في كتاب النجوم وابن

عساكر . الخصائص الكبرى ١/١٥٨ .

(٥) ط : ونصاعة ألفساط .

(٦) ط : فحفظتها .

(٧) الخصائص الكبرى ١/١٥٧ .

(٨) ط : مرة .

يتكلم ؟ قالوا : نعم . فقالت : كيف هو في فصاحته ؟ قالوا يا أختاه إن أفصح مثالب العرب الكذب ، أما فصاحته فما ولدت العربُ فيما مضى ولا تلد فيما بقى أفصح منه ولا أذرب منه إذا تكلم يُعجز اللبيب كلامه ويخرس الخطيب خطابه .

رواه أبو الحسن أحمد بن عبد الله محمد البكري في كتابه « أنس الواحش وري العاطش » .

وقال محمد بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن جدّه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيّدالك الرجل امرأته ؟ قال : نعم . إذا كان مُلقِحاً . فقال له أبو بكر : يا رسول الله لقد طُفئت في العرب وسمعت فصاحهم ^(١) فما سمعت أفصح منك . فقال : أدبني ربي ونشأت في بني سعد بن بكر .

رواه ابن عساكر ^(٢) .

دالكة : ماطله .

مُلْقِحاً - بضم الميم وفتح القاف اسم فاعل من أَلْقَح الرجلُ فهو مُلْقِح إذا كان فقيراً . وهو غير مقيس . قاله في القاموس . وقال غيره : معناه أيّداعب الرجل امرأته يعني قبل الجماع وسمّاه مَطْلاً لكون غرضها الجماع - قال : إذا كان عاجزاً فيكون ذلك محرّكاً لشهوته ولعجزه يسمّى مُفْلِساً .

وقال زكريا بن يحيى بن يزيد السَّعْدِي رحمه الله تعالى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أعربُ العرب ولِدْتُ في قريش ونشأت في بني سعد . فَأَنَّى يَأْتِينِي اللّٰحْن »
رواه ابن سعد ^(٣) .

(١) فصاحتهم .

(٢) الخصائص الكبرى ١/١٥٨ .

(٣) لم أجد في طبقات ابن سعد في باب نسب ولا في باب رضاعه ولا في باب صفة كلامه . ويبدو أن المؤلف لم ينقله عن ابن سعد مباشرة وإنما نقله عن السيوطي في الخصائص ، إذ أن السيوطي كان شيخه وهو ينقل عنه أكثر ما في كتابه . والذي في الخصائص : وأخرج ابن سعد عن يحيى بن يزيد السَّعْدِي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أعربكم أنا من قريش ولساني لسان بني سعد بن بكر » .

ثم قال : « وأخرج الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أعرب العرب ولدت في قريش » إلخ . فلعل هنا سقطاً في الأصل .

وقال بُرَيْدَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْصَحَ النَّاسِ وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلَامِ لَا يَذَرُونَ مَا هُوَ حَتَّى يَخْبِرَهُمْ » رواه أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ الضَّحَّاكِ وَابْنُ الْجَوْزَى^(١)

[مَعْرِفَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَهْجَاتِ الْعَرَبِ]

وَلَيْسَ كَلَامُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ قَرِيشٍ وَالْأَنْصَارِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ وَنَجْدٍ كَكَلَامِهِ مَعَ غَيْرِهِمْ ، فَانْظُرْ دَعَاؤَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَنِي^(٢) نَهْدٍ وَقَدْ وَفَدُوا عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمَلَةِ الْوُفُودِ فَقَامَ طَهْفَةُ ابْنِ رَهْمٍ النَّهْدِيُّ يَشْكُو الْجَذْبَ فَقَالَ : أَتَيْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ غَوْرٍ تَهَامَةٍ بِأَكْوَارِ الْمَيْسِ تَرْتَمِي بِهَا الْعَيْسُ ، نَسْتَحْلِبُ الصَّبِيرَ ، وَنَسْتَجْلِبُ الْخَبِيرَ وَنَسْتَعْفِدُ الْبَرِيرَ ، وَنَسْتَحِيلُ الرَّهَامَ ، وَنَسْتَجِيلُ الْجَهَامَ ، مِنْ أَرْضِ غَائِلَةٍ^(٣) النَّطَاءِ ، غَلِيظَةِ الْوِطَاءِ ، قَدْ نَشَفَ الْمُدْهَنُ وَيَبِسَ الْجَعْنُنُ ، وَسَقَطَ الْأَمْلُوجُ ، وَمَاتَ الْعُسْلُوجُ ، وَهَلَكَ الْهَدْيُ ، وَمَاتَ الْوَدْيُ ، بَرِئْنَا إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْوَثْنِ ، وَالْعَنَنِ ، وَمَا يَحْدُثُ بِهِ الزَّمَنُ ، لَنَا دَعْوَةُ السَّلَامِ . وَشَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ ، مَا طَمَأَ الْبَحْرُ ، وَقَامَ يَعَارُ ، وَكُنَّا نَعْمُ هَمَلِ أَغْفَالٍ . مَا تَبِلَ بَيْلَالٌ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَخْضَمِهَا وَمَخْضَمِهَا وَمَذْقِهَا . وَابْعَثْ رِعَاتَهَا^(٤) فِي الدُّثْرِ بَيَانِعِ الثَّمَرِ وَافْجُرْ لَهُمُ الثَّمَدَ ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ ، مِنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ ، كَانَ مُسْلِمًا ، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا ، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مُخْلِصًا ، لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ وَدَائِعَ الشُّرْكِ وَوَضَائِعَ الْمَلِكِ لَا تُلْطِطُ فِي الزَّكَاةِ وَلَا تُلْجِدُ فِي الْحَيَاةِ وَلَا تَتَأَقَلَ عَنِ الصَّلَاةِ » .

ثُمَّ كَتَبَ مَعَهُمْ كِتَابًا إِلَى بَنِي نَهْدٍ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى بَنِي نَهْدِ بْنِ زَيْدٍ : السَّلَامُ عَلَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ . لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ فِي الْوُظَيْفَةِ الْفَرِيضَةِ وَلَكُمْ الْفَارِضُ وَالْقَرِيشُ . وَذُو الْعِئَانِ الرَّكُوبُ وَالْفَلْقُ الضَّبِّيُّ ، لَا يُنْمَعُ سَرَّحُكُمْ ، وَلَا يُعْضَدُ طَلْحُكُمْ ، وَلَا يُخْبَسُ دَرَّكُمْ ، مَا لَمْ تُضْمِرُوا الرَّمَاقَ . وَفِي لَفْظٍ : الْأَرْمَاقُ .

(١) الْوَفَا لِبْنِ الْجَوْزَى ص ٤٥٦ . (٢) ص ، ت ، م : بَنِي نَهْدٍ .

(٣) ط : عَالِيَةٌ . (٤) ط : رَاعِيهَا .

وتأكلوا الرِّبَاق ، من أَقَرَّ ما في هذا الكتاب ، فله من الله الوفاء بالعهد والذمة ، ومن أُنِيَ فعليه الرِّبوة

رواه أبو نعيم في المعرفة والدَّيْلَمِي في مسند الفردوس عن عمران بن حصين ، وأبو نعيم عن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنهم مختصراً^(١)

وكتابه صلى الله عليه وسلم لدى المِشْفَار^(٢) مالك بن نمط^(٣) لما لقيه وفد همدان مَقْلَمَهُ من تبوك فقال مالك بن نمط : يا رسول الله نَصِيَّةٌ من همدان ، من كل حاضر وباد ، أتوك على قُلُوص نَوَاج ، متصلة بحبائل الإسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، من مِخْلَاف خارف ويام ، لا يُنْقَضَ عَهْدُهُم عن سُنَّةِ مَاجِل ، ولا سوداء عَنَقْفِير ، ما أقام^(٤) لَعْلَع ، وما جَرَى يَغْفُورُ بِصَلَّع

فكتب إليهم النبي صلى الله عليه وسلم : « هذا كتابٌ من محمد رسول الله لمِخْلَاف خارف وأهل جَنَابِ الهَضْبِ وَجِنَافِ الرَّمْلِ ، مع وافدها ذى المعشار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه ، على أن لهم فِرَاعَهَا وَوَهَاطَهَا وَعِزَّازَهَا ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون عِلَافَهَا ويرعون عَفَاءَهَا لنا من دِفْنِهِمْ وَصِرَامِهِمْ ما سلّموا بالميثاق والأمانة ، ولم من الصَّدقة الثُّلُبُ والنَّابِ والفَصِيلِ والفَارِضِ والدَّاجِنِ^(٥) والكَبِشِ الحَوْرَى ، وعليهم فيه الصالغ^(٦) والقارح .

رواه أبو القاسم الزجاجي في أماليه عن^(٧) . . . مُغْضَلَا .

* * *

(١) الشفا للقاضي عياض ٥٨ .

(٢) ط ، لدى المعشار . وانظر ضبط المؤلف للكلمة ص ١٤٧ .

(٣) ط : ابن نمط .

(٤) ط : ما قام .

(٥) ص : الغسيل الداجن . ولم يرد في تفسير الفريبي ذكر لكلمة الغسيل .

(٦) ط : الضارح . وص ، ت ، م : الصايغ وما أثبتته من تنبيهات المصنف الآتية بعد .

(٧) بياض بالأصول .

وكتابه صلى الله عليه وسلم لقطن بن حارثة ويقال حارثة بن قطن قال الشيخ في « مناهل الصفا » وهو المعروف : العليمى بن كلب : « هذا كتاب من محمد لعمائر كلب وأخلافها ومن ظأره الإسلام من غيرهم مع قطن بن حارثة العليمى بإقام الصلاة لوقتها وأداء الزكاة بحققها في شدة عقدها ووفاء عهدها بمخضر^(١) من شهود المسلمين وسمى جماعة منهم دحية بن خليفة الكلبي . عليهم من الهمولة الراعية البساط الطثار ، في كل خمسين ناقة غير ذات عوار ، والحمولة المائرة لهم لاغية ، وفي الشوى الورى مسنة حامل أو حائل^(٢) وفيما سوى الجدول من العين المعين العشر ، وفي العتري شطره بقيمة الأوسط^(٣) ، لايزاد عليهم وظيفة ولا يفرق . شهد على ذلك الله ورسوله وكتب ثابت بن قيس بن شماس . رواه ابن سعد عن ربيعة بن إبراهيم الدمشقي رحمه الله تعالى^(٤) .

وكتابه صلى الله عليه وسلم لوائيل بن حُجر : « إلى الأقيال العبايلة والأزواع المشابيب من أهل حضرموت بإقام الصلاة المفروضة وأداء الزكاة المعلومة عندمحلها ، في التبعة شاة لا مقورة الألياط ولا ضناك وأنطوا الثبجة ، وفي السيوب الخمس ، ومن زنى من بكر فاضقعوه مائة واستوفضوه عامًا ، ومن زنى من ثيب فضرجوه بالأضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله ، وكل مسكر حرام ، ووائيل بن حُجر يتبرقل على الأقيال أميرًا أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم » . رواه الطبراني في الصغير والخطابي في غريبه .

قال القاضي رحمه الله تعالى : وأين هذه الألفاظ من كتابه صلى الله عليه وسلم في الصدقة لأنس المشهور ، فإنه بمحل من جزالة ألفاظ مألوفة وسلاسة تراكيب مأنوسة ،

(١) ت م : لنفر من شهود المسلمين .

(٢) ط : حامل أو حامل .

(٣) ط : بقيمة الأمين .

(٤) الذى في طبقات ابن سعد ٣٣٤/١ (ط بيروت) عن ربيعة ابن إبراهيم الدمشقي قال : وفد حارثة بن قطن بن

زائر بن حصن بن كعب بن عليم الكمي وحمل بن سعدانة بن حارثة بن مغفل بن كعب بن عليم إلى رسول الله (ص) إلخ ثم ذكر نصا للكتاب الذى كتبه رسول الله (ص) لحارثة بن قطن يخالف ما ذكره المؤلف هنا .

وذلك مجمل من غلاظة ألفاظ غريبة وقلالة أساليب في النطق عسيرة ، لأنه لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد أي غريباً غير مألوف وكانت بلاغتهم على هذا النمط وحشياً غير مأنوس ، وكان أكثر استعمالهم هذه الألفاظ التي ليست بمألوفة ولا مأنوسة ، استعمالها معهم ليبين للناس ما نزل إليهم وليحدث الناس بما يعلمون ليفهموه .

وقد كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن يكلم كل ذى لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها ، وكان أحدهم لا يجاوز لغته وإن سمع لغة غيره فكان العجمية يسمعها العربي وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم إلا بقوة إلهية وموهبة ربانية ، لأنه صلى الله عليه وسلم بُعث إلى الكافة طراً وإلى الخليقة سوداً وحُمراً ، ولا يوجد متكلم بغير لغته إلا قاصراً في تلك الترجمة نازلاً عن صاحب الأصالة في تلك ، إلا هو صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان إذا تكلم في كل لغة من لغة العرب أفصح وأنصح بلغاتها منها بلغة نفسها وجدير به ذلك ، فإنه صلى الله عليه وسلم قد أوتي جميع القوى البشرية المحمودة ومزية على الناس بأشياء كثيرة ، كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عطية السعدي رضي الله تعالى عنه قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآني قال : « ما أغناك (١) الله فلا تسأل الناس فإن اليد العليا خير هي (٢) المنطية واليد السفلى هي المنطاة وإن مال الله مشئول (٣) ومنطى » . قال : فكلّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا .

رواه الحاكم وصححه البيهقي .

وقوله صلى الله عليه وسلم لكعب ابن عاصم الأشعري رضي الله تعالى عنه : « ليس من أم بر أم صيام في أم سقر »

رواه عبد الرزاق والحميدي ، وابن القاسم البغوي . أي ليس من البر الصيام في السفر ، وهذه لغة صحيحة وأكثر ما يتكلم بها الأشعريون وهي في الغالب يمنية والأشعريون من اليمن ، وإنما تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبة في البيان وحسن التعلم والإفهام لهم بلغتهم .

(١) غير ص : ما أعتاك الله .

(٢) ط : فإن اليد العليا هي المنطية .

(٣) ط : ميسول .

وقوله في حديث العامري حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « سَلْ عَنْكَ »
رواه أبو نعيم عن شداد بن أوس رضى الله تعالى عنه .
أى اسأل^(١) عما شئت . وهى لغة بنى عامر .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : ما اشتهر على ألسنة كثير من الناس أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أَنَا أَفْصَحُ مِنْ نَطَقَ
بالضاد » فقال الحافظ عماد الدين ابن كثير - وتابعه تلميذه الزركشى - وابن الجوزى
والشيخُ والسخاوى : إنه لا أصل له ومعناه صحيح ، والمعنى أنه^(٢) صلى الله عليه وسلم أفصح
العرب لكونهم هم الذين ينطقون بها ولا توجد فى لغة غيرهم .
الثانى : فى شرح غريب ما سبق .

قول القاضى رحمه الله تعالى « سَلَاَسَةٌ طَبْعٌ » : قال العلامة شمس الدين الدلجى فى
شرحه على « الشفا » - وهو فرد فى بابهِ - نُصِبَ سَلَاَسَةٌ بِنَزْعِ الْخَافِضِ أَىْ مَعَ أَوْ بِسَهْوَةٍ
جَبِلَةٍ وانقياد طبيعة .

بَرَاةٌ مَنزَعٌ : أَىْ وَمَنزَعًا بَارِعًا ، مِنْ بَرَعَ الرَّجُلُ بَفَتْحِ رَائِهِ وَضَمِّهَا ، أَىْ فَاقَ أَقْرَانَهُ ،
وَالْمَنَزَعُ - بَفَتْحِ أَوَّلِهِ وَثَالِثِهِ : الْمَأْخُذُ .

وإِيجَازٌ مَقْطَعٌ : أَىْ وَمَقْطَعًا مُوجَزًا ، مِنْ أَوْجَزَ : أَىْ بِكَلَامٍ قَلَّ لَفْظُهُ وَكَثُرَتْ مَعَانِيهِ .
وَالْمَقْطَعُ - بَفَتْحِ مِيمِهِ وَطَائِهِ : تَمَامُ الْكَلَامِ .

وَنَصَاعَةٌ لَفْظٌ : أَىْ وَلَفْظًا نَاصِعًا - أَىْ خَالصًا مِنْ شَوَائِبِ تَنَافُرِ الْحُرُوفِ وَغَرَابَةِ
الْأَلْفَاظِ وَمَخَالَفَةِ الْقِيَاسِ .

وَجَزَالَةٌ قَوْلٌ : أَىْ قَوْلًا جَزَلًا^(٣) سَالِمًا مِنْ شَوَائِبِ الرَّكَّةِ وَضَعْفِ التَّأْلِيفِ قَدْ نُسِجَتْ
جِبْرَهُ عَلَى مَنَوَالِ تَرَكَيبِ الْعَرَبِيَّةِ .

(١) ط : أَىْ سَل .

(٢) ط : والمعنى أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ .

(٣) ط : جَازِلًا .

وصحة معان : أى ومعان صحيحة لا يتطرق إلى ألفاظها احتمال غير لائق .

وقلة تكلف : لو قال : وعدم تكلف كان أليق وأحسن .

أوفى جوامع الكلم : كالمؤكد لما قبله أو البديل منه . ومن ثم فصله عنه ، لأن من جُبلت طبيعته على ما ذكر من الملكات فجدير أن يحوز الكلم الجوامع ، جمع جامعة للمعاني الكثيرة .

وخص ببدائع الحكيم : جمع حكمة وهى هنا كمال العلم وإتقان العمل . أى وبالحكمة البديعة ، من أبدع إذا أتى بشيء بديع مُخترع غير مسبق بمادة وزمان ، ويقابله التكوين لكونه مسبقاً بمادة ، والإحداث لكونه مسبقاً بزمان .

يحاورها : يجاوبها .

ويُباريها : يعارضها . يقال هو يباريه أى يعارضه ويفعل مثل فعله ، وهما يتباريان .

ومن تأمل حديثه وسيره صلى الله عليه وسلم : جمع سيرة وفى رواية : وسبره : بباء موحدة أى نظر فى نصاعة أساليبه وصياغة تراكيبه .

تتكافأ : تتساوى . دماؤهم : أى فى العصمة والحرمة فكل مسلم شريفاً أو وضعياً أو ضعيفاً كبيراً أو صغيراً حراً أو عبداً فى ذلك سواء . أو فى القصاص والدية لا فضل فيهما لمسلم على مسلم : فيفاد الدين^(١) بالوضع ، والكبير بالرضيع ، والعالم بالجاهل ، والذكر بالأنثى ، وكذا حكم الدية فيُخص منه العبد إذ لا يكافى حراً .

بذمتهم : بعهدهم وأمانهم : أدناهم : كعبيد وامرأة فإذا أعطى أحدهم أماناً فليس لأحدهم نقض أمانه .

وهم يدُ على من سواهم : أى هم مع كثيرهم قد جمعتهم أخوة الإسلام وجعلتهم فى وجوب الاتفاق بينهم تعاوناً وتناصرأ على من ناوأهم وعاداهم كيداً واحدة لا يسعهم أن يخذل

(١) كذا فى ط . وفى بقية النسخ : الدين بالوضع . ولا معنى لها .

بعضهم بعضا [بل يجب أن ينصر كل أخاه . قال الله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » كآسنان المشط تماثلا وتساويا]^(١) أى فهم مستوون فى إجراء الأحكام^(٢) عليهم .

مَعْدَن كل شئ : أصله أى أن أصول بيوتهم الشريفة تُعَقَّب أمثالها وَيَسْرَى كَرَم أعراقها إلى فروعها لا يكون فيها خيار لمجرّد ذلك ، ومن ثَمَّ قُبِدَ بقوله إذا فَقَهُوا - بضم القاف - أى مارسوا الفقه وتعاطوه ، فأرشد أنه لا خيار فيه إلا بالفضل والتقوى فمن اتفق له مع ذلك أصل حميد^(٣) شريف الأعراق كُمِلت فضيلته وربّا فضله^(٤) عن غيره .

وهو بالخيار : أى بين أن يشير بالإصلاح^(٥) وأن لا يشير به ، بشهادة رواية أحمد : إن شاء تكلم وإن شاء سكت فإن تكلم فيجتهده رأيه .

ما لم يتكلم : أى ما لم يعزم المستشار على الإشارة له ، فإذا عزم وجب أن يجتهده رأيه فإن أخطأ فلا غرم عليه .

الموطأون : من التوطئة بمعنى لين الجانب : أكنافا : جمع كَنَف أى جانب .

عن قيل وقال : أى عما يتحدث به فى المجالس كقيل كذا وقال كذا . ويجوز بناؤهما على أنهما فعلان ماضيان فى كل منهما ضمير ويجوز إعرابهما بإجراء لهما مجرى الأسماء ولا ضمير فيهما .

وواد البنات - بهزة ساكنة بعد واو مفتوحة : أى دفنهن حَيَات . هَوْنًا مَا : بتشديد ما ، والهَوْن فى الأصل : السكينة ، نصب على المصدر لأن المعنى : أَحِبْ حبيبك حُبًا قليلاً . فقليلًا صفة لما اشتق منه أحجب . وما مزيدة لتأكيد معنى القِلَّة أو على الظرف لأنه من صفات الأحيان أى أحجب فى حين قليل ولا تُسْرِف فى حبه .

(١) سقط من ت م وهى مثبتة فى هامش ص .

(٢) ص ت م : فى إجراء الكلام محرقة .

(٣) ص . م : جميل .

(٤) ت . م : وربما فضل عن غيره .

(٥) ط : بالصلاح .

شَعَى : ماتفرق من أمرى . غائى : باطنى . أَلْفَتى - بضم الهمزة وكسرها : مصدر بمعنى
المفعول أى أَلِيتى أو مألوفى أى ما كنت آلفه .

الكافة : الجماعة . وعن سيبويه منع استعمال الكافة معرفة ، وهى نكرة منصوبة
على الحال .

مرقبة - بقاف بعد راء - بمعنى مرتبة - بقاء بعدها هاء ، كما فى بعض النسخ .
حَمَى الوطيس : وهو فى الأصل التنور شبه به الحرب لاستعار نارها وشدة وقدها
فاستعار لها اسمه استعارة تحقيقية لتحقيق معناها وقرنها بالحمو ترشيحاً للمجاز .

مات حَتَفَ أنفه : أى بلا مباشرة قتال

قوة عارضة : أى جَلَدٍ وصرامة .

الجزالة : ضد الركافة .

النصاعة : الخلوص . الرونق : الحسن .

كل الصَّيد - بضم الكاف واللام - مبتدأ . الفَرا - بفتح الفاء : حمار الوحش .

لا ينتطح فيها عنزان : قال فى النهاية : أى لا يلتقى فيها اثنان ضعيفان لأن النطاح
من شأن التيوس والكباش لا العنوز ، وهى إشارة إلى قضية مخصوصة لايجرى فيها حلف
ولا نزاع .

الهدنة - بضم الهاء وسكون الدال المهملة : السكون . والهدنة الصلح والمواذعة بين المسلمين
والكفار وبين كل متحاربين .

على دَخَن - بفتح الدال المهملة والخاء المعجمة : أى على فساد واختلاف تشبيهها
بدخان الحطب الرطب ، لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر .

المُنْبَتَّ قال فى النهاية : يقال للرجل إذا انقطع به فى سفره وعطبت راحلته : قد انبت
من البت وهو القَطْع ، يريد أنه بقى فى طريقه عاجزاً عن مقصده لم يقضِ وطَّره وقد
أعطب ظهره .

حَبَطاً - بفتح الحاء المهملة والموحدة والطاء المهملة : وهو انتفاخ البطن من كثرة الأكل
حتى ينتفخ فيموت

يُلمّ : بضم المثناة التحتية أى يَقْرُب من الهلاك ، وهو مثل للمُنْهَمِك فى جَمْع الدنيا المانع من إخراجها فى (١) وجهها .

الْفَتْك - بفتح الفاء وسكون المثناة الفوقية - قال فى النهاية : هو أن يأتى الرجل صاحبه وهو غارٌ غافل فَيَشُدُّ عليه فيقتله . والغيلة أن يخدعه ثم يقتله فى موضع خفى .

شرح غريب الحديث الاول

طُهْفَة - بطاء مهملة فهاء سا كنة ففاء أخت القاف مفتوحة .

المَيْس - بفتح الميم وسكون المثناة التحتية : شجر صُلْب يعمل منه أكوار الإبل وبرخالها .

نَهْذ - بفتح النون وإسكان الهاء ودال مهملة : قبيلة من اليمن .

نَسْتَحْلِب : بحاء مهملة . الصَّبِير : بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة وهو سحاب أبيض متراكب متكاثف أى نَسْتَدِرُّ السحاب . نَسْتَحْلِب : بالخاء المعجمة .

الخَيْر - بخاء معجمة فموحدة : النبات والعشب ، شُبّه بخَيْر الإبل وهو وبرها ، واستخْلَبُه احتشاشه (٢) بِالْمِخْلَب وهو المنجل . والخبير يقع على الوبر والزرع والأكار (٣) .

نَسْتَعْضِد البَرِير - بفتح الموحدة والراء بينهما مثناة تحتية : ثمر الأراك إذا اسود وبلغ ، وقيل هو اسم له فى كل حال . أى نجنيه ونقطعه من شجره للأكل وكانوا يأكلونه فى الجَدْب .

نَسْتَخِيل : بالخاء المعجمة من أخال إذا ظن .

الرَّهَام - بكسر الراء : الأمطار الضعيفة ، واحداً رَهْمَة ، أى نَسْتَخِيلُ المساء فى السحاب القليل ، وقيل : الرَهْمَة أشد دَمْعاً من الدَّيْمَة .

(١) غير ط : إلى وجهها .

(٢) غير ط : استحشاشه .

(٣) كذا فى ت ، وفى ط : الأكار . وفى ص : الإكاف .

قال فى القاموس : والخير : الأكار - أى الحراث - والعالم بالله تعالى ، والوبر والنبات والعشب .

نستجیل : بالجیم أى نراه جائلا تذهب به الريح هاهنا وهاهنا .

الجَہام - بفتح الجیم : السحاب الذى فرغ ماؤه . ومن رواه : نستخيل بالخاء المعجمة فهو نستفعل من خلّت أخال إذا ظننت ، أراد لا نتخيل في السحاب خيالا إلا المطر وإن كان جهاما لشدة احتياجنا .

ومن رواه بالخاء المهملة وهو الأشهر : أراد أنه لا ننظر من السحاب في حال إلا إلى جَہام من قلة المطر .

أرض غائلة : بالغين المعجمة .

النُّطَا - بكسر النون أى مُهلكة للبعيد ، يقال بلدٌ نطى أى بعيد . ويروى المنطى وهو مَفْعَل منه .

المُدْهَن - بضم الميم وسكون المهملة وضم الهاء : نُقْرة في الجبل .

الجِئْن - بجيم مكسورة فعين مهملة ساكنة فمثلثة مكسورة : أصل النبات ويقال : أصل الصُّليان خاصّة ، وهو نبت معروف .

العُسْلُوج - بعين مضمومة فسین ساكنة مهملتين آخره جيم : الغصن إذا يبس فذهبت طراوته ، وقيل هو القضيب الحديث الطلوع ، يريد أن الأغصان يبست وهلكت من الجذب ، والجمع عَسَالِيج .

الأُمْلُوج - بضم الهمزة فميم ساكنة فلام مضمومة : ورق شجر يشبه الطرفاء والسُّرُوق وقيل هو ضرب من النبات ورقه كالعيدان . وقيل هو نَوَى المقل . وفي رواية : ونط^(١) الأُمْلُوج .

هَلَكَ الْهَدَى - بفتح الهاء وكسر الدال وبالتشديد كَالْهَدَى مخففا ، وهو ما يُهْدَى إلى البيت الحرام لِيُنْحَر ، فأطلق على جميع الإبل وإن لم تكن هَدْيا تسمية للشئ باسم بعضه . يقال : كم هدى بنى فلان ؟ أى كم إبلهم .

(١) ط : وسط .

مات الودى : بفتح الواو وكسر المهملة مشدداً : قَبيل النخل^(١) . يريد هلك الإبل
ويبست النخيل .

الوثن : الصنم

العنن : بفتح العين المهملة والنون الأولى : الاعتراض ، يقال عَنْ إلى الشيء : اعترض
كأنه قال : برئنا إليك من الشرك والظلم وقيل أراد به الخلاف والباطل .
طَمَا البحرُ : ارتفع بأواجه .

تَعَار : بكسر المثناة فوقية وبالعين المهملة : اسم جبل يُصْرَف ولا يصرف .

نَعَمَ هَمَل : أى مهمة لا رعاء لها ولا فيها ما يصلحها ويهديها فهي كالضالة .
إبل أغفال : لا لبن فيها .

مَحْضُهَا - بالحاء المهملة والضاد المعجمة : أى خالص لبنها .

مَحْضُهَا بالمعجمتين : ما تَمَحَّض من اللبن ويؤخذ زبدته .

مَذْقُهَا - بفتح الميم وسكون المعجمة وبالقاف : المزوج بالماء .

الدَّثْرُ بدال مهمة فثاء مثلثة ساكنة فراء : المال الكثير . وقيل الخصب والنبات الكثير
افجُرْهُم التَّمَد : بمثلثة مفتوحة : الماء القليل ، أى صيره كثيراً .

ودائع الشرك : قيل المراد بها العهود والمواثيق ، يقال تَوَادَعَ الفريقان إذا أعطى كل
واحد منهم عهدَه للآخر لا يَغْزوه . وقيل : ما كانوا استودعوه من أموال الكفار الذين لم
يدخلوا فى الإسلام ، أراد إحلالها لهم لأنها مال كافر قد قَدَّر عليه من غير عهد ولا شرك .

وضائع الملك : جمع وضیعة وهى الوظيفة التى تكون على الملك ، وهى ما يلزم الناس
فى أموالهم من الزكاة والصدقة ، أى لكم الوظائف التى تلزم المسلمين لا تتجاوز عنكم
ولا تزيد عليكم شيئاً .

لا تُلْطَطُ : بمثناة فوقية مضمومة فلام ساكنة فطائين مهملتين الأولى مكسورة والثانية
مجزومة على النهى أى لا تمنعها .

(١) غير ط : قليل النخل .

لا تُلَحِد : بمثناة فوقية مضمومة فلام سا كنة فحاء مهملة مكسورة فداال مهملة سا كنة :
أى لا تَحِد^(١) عن الحق ما دمت حيا .

لا تناقل عن الصلاة : أى لا تتخلف . قال الحافظ أبو موسى المدينى رحمه الله تعالى :
هكذا رواه القُتَيْبَى على النهى للواحد أى لا تُلَطِّطُ ولا تُلَحِد^(٢) . والذي رواه غيره : « ما لم
يكن عَهْد ولا مَوْعِد ولا تناقلُ عن الصلاة ولا تُلَطِّطُ فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة » وهو
الوَجْه ، لأنّه خطاب للجماعة واقع على ما قبله .

الوظيفة : الحق الواجب .

الفريضة : الهرمة المسنة ، أى لا تأخذ فى الصدقات هذا الصنف كما لا تأخذ خيار
الأموال .

الفارض : بقاء فراء فضاء معجمة : المريضة .

الفَرِيش : بقاء مفتوحة فراء فمثناة تحتيه فشين معجمة ، وهى من الإبل كالنفساء
من بنات آدم ، أى لكم خيار المسال وشراره ، ولنا وَسَطُه .

ذو العنان : بكسر العين المهملة : سَيْر اللجام .

الركوب : بفتح الراء : الفرس الذَّلُول .

الضَّيْس : بضاد معجمة فباء موحدة مكسورة فمثناة تحتيه سا كنة فسين مهملة : المهر
العسر الصعب .

امتنٌ عليهم بترك الصدقة فى الخيل جيدها ورديثها .

لا يُمنَع : بضم المثناة التحتيّة وفتح النون .

سَرَحُكُمْ : بسين مهملة مفتوحة فراء سا كنة فحاء مهملة مضمومة : ما سَرَحْتُم من
المواشى ، أى لا يدخل عليكم أحدٌ فى مراعيكم .

ولا يُغَضَد : لا يقطع .

(١) ط : لا تلحد .

(٢) ط : وتلحد .

طَلْحَمَ : جمع طَلْحَةٍ وهى شجر عِظَام من شجر العِصَاه .

لَا يُخْبَس دَرَّكَم : أى لَا تُحَبَس ذوات الدَّر عن المرعى إلى أَنْ تَجْتَمع الماشية ثُمَّ تُعَدَّ وَإِنَّمَا مَنَعَاهُ^(١) أَنْ يَأْخُذَهَا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِضْرَار .

الإِمْلاق : بالميم أى مالم تُفْصِرُوا الْغَيْظَ والبكاء بما يلزمكم من الصدقة . قاله فى القاموس .
وقال الزمخشري : المراد اضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار^(٢) فى دين الله . وفى رواية الرِّمَاق ، والمراد النفاق يقال رامَقته رِمَاقا وهو أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ شَزْرًا نَظَرَ الْعِدَاوَةِ ، يعنى ما لم تَبْصُقْ قُلُوبَكُمْ عَنِ الْحَقِّ ، يقال عِشْرُ رِمَاقٍ أى ضَيِّقُ^(٣) وَعِشْرُ رَمِقٍ ومَرْمِقٍ^(٣) أى يَمْسُكُ الرُّوحَ ، والرَّمِقُ بَقِيَّةُ الرُّوحِ وَآخِرُ النَّفْسِ .

تَأْكُلُوا الرِّبَاقَ : براء مكسورة وموحدة مخففة أى لَا تَنْقُضُوا الْعَهْدَ ، واستعار الأكلَ لِنَقْضِ الْعَهْدِ لِأَنَّ الْبَهِيمَةَ إِذَا أَكَلَتِ الرِّبْقَ ، وهو الجبل الذى تُجْعَلُ فِيهِ عُرَى وَتُشَدُّ ، خَلَصَتْ مِنَ الرِّبَاطِ .

الرَّبْوَةُ : بتشليث الراء : الزيادة يعنى من تقاعد عن إعطاء الزكاة فعليه الزيادة فى الفريضة عقوبة له .

شرح غريب الحديث الثانى

المِشْرُ : بميم مكسورة فشين معجمة ساكنة فراء مهملة . الهمدانى : بهاء مفتوحة فميم ساكنة فдал مهملة اسم قبيلة .

النَّصِيَّةُ بنون مفتوحة ومشددة ، فصاد مهملة مكسورة فمشناة تحتية مفتوحة من يُنْتَصَى من القوم أى يختار من نواصيهم وهم الردوس والأشراف ، ويقال للرؤساء نواصٍ كما يقال للأتباع أذئاب . وقد انتصيت من القوم رجلا أى اخترته .

(١) غير ط : وإِنَّمَا مَنَعَاهُ .

(٢) غير ط : الاستبصار .

(٣) كذا فى ط . وفى بقية النسخ ورميق . وما أثبتته يتفق مع قوله : يمسك الروح .

القُلُص : بقاف ولام مضمومتين جمع قُلُوص بفتح القاف وهى الناقة الشاة .

النَّوْاجِي : جمع ناجية ، السريعة المشى .

حَبَائِل الإسلام : عهوده وأسبابه .

المخْلَاف : بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وآخره فاء وهو فى لغة اليمن الرُستاق^(١) .

خارف - بخاء معجمة فألف فراء مكسورة ففاء - ويام - مثناة تحتية : قبيلتان من

اليمن :

عن نُسْنة ما حل : أى لا يُنْقَض بسعى ساع بالنميمة والإفساد ، كما يقال : لا أفسد

ما بينى وبينك مذاهب الشرار وطرقهم فى الفساد . والسنة : الطريقة أيضا .

عَنْقَفِير : بعين مهملة مفتوحة فنون ساكنة فقاف مفتوحة ففاء مكسورة فمثناة تحتية :

الداهية أى لا يُنْقَض عهدهم بسعى الواشى ولا بداهية تنزل .

لَعْلَع : بلامين مفتوحتين بينهما عين مهملة وآخره أخرى : جبل .

الْيَغْفُور بمثناة تحتية مفتوحة : الخشن^(٢) من ولد البقر الوحشية وقيل هو نيس

الظباء والجمع اليعافير .

بَصَلَع : بباء موحدة هى حرف جر فصاد مهملة مفتوحة فلام مشددة فعين مهملة : الأرض

التي لا نبات فيها .

جَنَاب : بكسر الجيم وبالنون : اسم موضع .

الْمُضْب : بفتح الهاء وسكون الصاد المعجمة جمع مضبة . وهى هنا اسم موضع . حِفَاف

الرَّمَل : بحاء مهملة مكسورة ففائين بينهما ألف أساء بلادهم .

فِرَاعِهَا : بفاء مكسورة فراء فعين مهملتين : ما علا من الجبال والأرض^(٣) .

وَهَاطِهَا : بكسر الواو وبطاء مهملة : المواضع المطمئنة .

عَزَاظِهَا بعين مهملة فزايين معجمتين مخففتين : ما صلب من الأرض واشتد وخشن

وإنما يكون فى أطرافها .

(١) الرستاق : السواد والقرى ، كالرزداق والرستاق ، وهو فارسى معرب (القاموس) .

(٢) غير ط : الخشف .

(٣) ط : أو الأرض .

عَلَّافُهَا : بعين مهملة مكسورة فلام مخففة ففاء جمع عَلَف وهو ما تأكله الماشية .
عَفَّاهَا : بعين مهملة مفتوحة ففاء مخففة وبالد : المباح ما ليس لأحد فيه مِنْكَ
ولا أثره من عَفَا الشيء إذا خَلَص وصفا .

لَنَا من دِفْئِهِمْ : بدال مهملة مكسورة ففاء ساكنة وبالهَمْز : نتاج الإِبِل وما ينتفع به
منهَا ، سَمَّاهَا دِفْئًا لِأَنَّهَا يتخذ من أَصَوَافِهَا وأَوْبَارِهَا ما يستدفأ به ، وفَصَلَهُ عَمَّا قبله ملتفتا
من الخطاب إلى التكلم لِشَبْهِ انْقِطَاعِ بَيْنَهُمَا ، إِذْ ذَاكَ مَّا خَصَّصَهُمْ بِهِ من أَرْضِيهِمْ وما يخرج
منهَا وهذا مَّا خَصَّصَ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ من مَعَهُ من مواشيهِمْ .
صِرَامِهِمْ : بصاد مهملة مكسورة : نَخِيلُهُمْ ، سَمِيَتْ صِرَامًا لِأَنَّهَا تُصْرَمُ أَي تُقَطَّع ، واحِدَتَهَا
صِرْمَةٌ بكسر أوله وراء ساكنة : أَوْ من ثَمَرِهِمْ .

قال شيخنا الإمام العلامة شمس الدين الدلجى : وعليهما^(١) يجوز فتح الصاد وأيضاً لأن
الاسم عليهما مصدر ، تقول صرمت النخل أَوْ الثمر صراماً بالكسر والفتح .
الثَّلب : بشاء مثناة فلام ساكنة فباء موحدة : ما هَرَمَ من ذكور الإِبِل .
النَّاب : بالنون الموحدة الناقصة المرمية التى طال نابها .
الفَصِيل : أَكْثَرُ ما يطلق على أولاد الإِبِل وقد يطلق على أولاد البقر إِذْ هو ما فصل
عن اللبن .

الفَارِضُ بالفاء : المسنُّ من الإِبِل وقيل من البقر بشهادة « لا فارض ولا يَكُرُّ »^(٢)
الداجن : بدال مهملة وجيم : الدابة التى تألف البيوت ولا تُرْسَلُ إلى المراعى .
الخَوَرَى : بحاء مهملة فواو مفتوحتين فراء مكسورة منسوب إلى الخَوَر وهو جلود الضَّأن
وقيل ما دُبِغَ من الجلود بغير القَرظ .
الصَّالِغ : بصاد مهملة فلام فغين معجمة هو من البقر والغنم ما أَكْمَلَ ستَّ سنين ويقال بالسين^(٣) .
القَارِحُ بالقاف والراء المكسورة : ما دخل من الخيل فى خامس سنة . وفى القاموس :
هو من ذى الحافر بمنزلة البازل من الإِبِل .

(١) عليهما : أى على الوجهين السابقين : أن المراد نخيلهم أو ثمراتهم .

(٢) سورة البقرة ٦٨ .

(٣) فى القاموس : صلفت الشاة : لغة فى سلفت ، وهى صالغ ، أو الصالغ منها كالقارح من الخيل ، و دخلت

فى الخامسة أو السادسة .

شرح غريب الحديث الثالث

العَمائر : جمع عَمارة بالفتح والكسر وهو فوق البطن من القبائل ، أولها الشَّعب ، ثم القبيلة ، ثم العِمارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ . وقيل : العِمارة الحى العظيم يمكنه الانفراد بنفسه . فمن فتح^(١) فلالتفاف بعضهم على بعض كالعمارة وهى العمامة . ومن كسر فلأنهم عِمارة الأرض .

الأحلاف : جمع حِلَف وهو فى الأصل المعاهدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد .

ظأره الإسلامُ : بالطاء المعجمة والهمز آخره راء أى عطفه عليه .

الهُمُولَة : بفتح الهاء : هى التى ترعى بأنفسها .

البساط : قال الهروى يروى بالفتح والكسر والضم^(٢) وقال الجوهري والقُتبي هو بالضم جمع بَسَط بكسر الباء كظئر وهى المُرْضِع وجمعها ظئار . وقال الأزهري : هو بالكسر جمع بَسَط وهى التى تُرْكُت^(٣) وولدها لا يُمنع منها ولا تعطف على غيره .

وبسط بمعنى مبسوط أى بسطت على أولادها التى معها أولادها .

الظئار بكسر الظاء المعجمة وبالهمز آخره راء : أن تعطف الناقة على غير ولدها .

الحُمُولَة المائرة : بفتح الحاء الإبل التى تُحمل عليها الميرة وهى الطعام ونحوه مما يُجلب للبيع .

لم لاغية : أى لا يؤخذ منها زكاة لأنها عوامل .

الشَّوْى بشين معجمة مفتوحة فواو مكسورة فمثناة تحتية مكسورة مشددة اسم جمع للشاة .

الوَرَى : بفتح الواو وكسر الراء وتشديد الباء : السمينة .

(١) يريد : فتح العين فى عِمارة .

(٢) انظر تفسير الهروى لهذه الكلمة فى الغريبين ١٦٦/١ ولم يرد فيه هذا الضبط بالحروف .

(٣) الأصل : تركب وما أثبتته عن الغريبين للهروى ١٦٦/١ .

شرح غريب الحديث الرابع

وائل بن حُجْر : بضم المهملة وسكون الجيم .

الأقيال : بقاف فمثناة تحتية ولام جمع قَيْل وهم رؤساء الملك الأعظم ووزراؤه .

العباهلة : بعين مهملة مفتوحة فباء موحدة جمع عَبْهَل هم الملوك الذين أُجْرُوا على مُلكهم فلم يزالوا عنه وكذا كلُّ شيء لا يُمنع مما يريد ولا يؤخذ على يده فيما قصده : عَبْهَل .

الأزواع : بفتح الهززة وسكون الراء وآخره عَيْن مهملة جمع رائع وهم الحِسان الوجوه أو الذين يَرُوْعون الناس أى يفرعونهم بجمالهم ومنظرهم هَيِّبَةٌ لهم .

المشآبيب : بفتح الميم والشين المعجمة وموحدتين بينهما مثناة تحتية ساكنة : الرعوس السادة الحِسان المناظر الزُّهر الألوان كأنما وجوههم تتلألأ نوراً .

التَّيعة : بمثناة فوقية مكسورة فتحتية ساكنة فعين مهملة : الأربعون من الغنم أو أدنى ما تجب فيه الزكاة كالأربعين منها والخمس من الإبل .

مُقَوَّرَةٌ : بميم مضمومة فقفاف مفتوحة فواو مشددة .

الألياط : بهززة مفتوحة فلام ساكنة آخره طاء مهملة جمع لَبِط وهو فى الأصل القِشْر اللاتط يعود أى اللازق به شبه به الجلد لالتزاقه باللحم من الهزال ، أى لا مُسْتَرْخِية الجلد لهزالها .

ضِنَاك : بضاد معجمة مكسورة فنون مخففة : المكتنز اللحم يستوى فيه المذكور والمؤنث .

أَنْطُوا : بقطع الهززة أى أعطوا .

الثَّبَجَة : بثلاثة فباء موحدة فجيم مفتوحات . وقد تكسر الموحدة . ثَبَجَ كلُّ شيء : وسطه ، أى أعطوا فى الزكاة الشاة الوسطى التى ليست رديئة ولاخيARA . وألحق بها التاء لانتقالها من الاسمية إلى الوصفية .

السيوب : بسين مهملة مضمومة وآخره موحدة جمع سَيْب وهو الرِّكَاز . قال أبو عبيد : ولا أراه إلا أخذ من معنى العطية ، إذ السَّيْب لغةً العطاء ، والرِّكَاز عطاء من الله تعالى .

وقيل هي عروق الذهب والفضة تسبب في الأرض أى تكون فيها وتظهر . وقال الزمخشري
هي المعدن والمال المدفون في الجاهلية لأنه من فضل الله وعطائه لمن أصابه .

ومن زنى ممّ بِكْر : قال شيخنا الشمس الدلجى : بِكْر نكرة عامة لوقوعها في سياق
الشرط فراؤها منونة وأبدلت فيه نون « من » ميا لكثرة استعمالهم ذلك لفظا نحو « مما
أنزلنا » « مما أخرجنا » « مما كانا فيه » سيما إذا كان بعدها باء كما هنا ولو كان معرفة
لقال بلغتهم : ومن زنى من مبكر كما قال : « ليس من امبر امصيام في امسفر » .

و« من » الجارة تبعية أو بيانية مفسرة للاسم المبهم الشرطى وترجمة عنه ، أى ومن
زنى من الابكار .

فاضقعه : بهزة وصل فصاد مهملة ساكنة فقاق مفتوحة فعين مهملة وأصله الضرب
على الرأس وقيل ببطن الكف . أى اضربه .

استوفضوه : بهزة وصل وكسر الفاء وضم الضاد المعجمة ، من استوفضت الإبل
إذا تفرقت في رعيها أى اطرده وانفوه أو غربوه .

فضرجه : بضاد معجمة فراء مشددة مكسورة فجيم أى أذموه بالضرب بالأضاميم
بفتح الضاد المعجمة جمع إضامة لأن بعضها يضم إلى بعض كالجماعات من الناس ، أى
ارجموه بالحجارة حتى تذموه بالضرب بجمامير الحجارة .

لا توصيم في الدين : بمثناة فوقية فصاد مهملة مكسورة أى لا كسل ولا توائى ولا محابة
في إقامة الحدود .

ولا غمة : بغين معجمة مضمومة فميم مشددة . وفي لفظ ولا غمة بعين مهملة فميم
مفتوحة فهاء . وفي لفظ ولا غمة بمعجمة مكسورة فميم ساكنة فдал مهملة أى لاستر
ولا خفاء ولا إلباس .

يترقل على الأقيال : بفاء مفتوحة مشددة تشبيها لإمرته بالثوب فهى في تلبسه بها كهو ،
استعير لها ترفيله وهو إطالته وإسباله فكانه يرقل فيها أى يجر ذيلها عليهم زهواً .

الباب الثالث والعشرون

في معرفة الذين كانت صفات أجسادهم تقرب من صفات جسده صلى الله عليه وسلم

وهم : آدم أبو البشر صلى الله عليه وسلم . ذكره صاحب « استجلاب ارتقاء »^(١) العرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف .

وإبراهيم نبي الله ورسوله ، وخليله صلى الله عليه وسلم : جاء في غير ما حديث صحيح أنه كان يشبهه صلى الله عليه وسلم^(٢) .

ومن أمته : أبو محمد الحسن ، وأبو عبد الله الحسين ابنا علي رضي الله تعالى عنهم . روى البخاري عن ابن سيرين^(٣) عن أنس قال : كان الحسن بن علي أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤) .

وروى البخاري أيضا عن الزهري عن أنس قال : لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسين^(٥) بن علي . وفي لفظ لغيره : كان أشبههم وجها بالنبي صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ : قوله أشبههم أي أشبه أهل البيت . وقول أنس في رواية ابن سيرين يعارض قوله في رواية الزهري . ويمكن الجمع بأن يكون أنس قال ما قال في رواية الزهري في حياة الحسن لأنه كان يومئذ أشد شبا بالنبي صلى الله عليه وسلم من أخيه الحسين . وأما ما وقع في رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك كما هو ظاهر من سياقه والمراد : مَنْ

(١) ص : إرتقاء .

(٢) انظر كتاب الأنبياء في صحيح البخاري، باب ٢٤ ، ٤٨ . وصحيح مسلم كتاب الإيمان - ديث رقم ٢٧٢ .

(٣) ط : عن ابن مسعود عن أنس .

(٤) صحيح البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب ٢٢ .

(٥) ط : من الحسن .

فُضِّلَ عليه الحسين في الشَّبه كان من عدا الحسن . ويحتمل أن يكون كل منهما كان أشد شَبها به في بعض أعضائه فقد روى الترمذى وابن حبان من طريق هاني بن هاني عن علي قال : الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الرأس إلى الصدر ، والحسين أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك^(١) .

وفي رواية عن أنس : كان الحسن أشبههم وجهًا . وهو يؤيد حديث علي انتهى .

● وأمُّ الحسن ، السيدة فاطمة الزهراء أمهما رضى الله تعالى عنهم .

● وأخوها إبراهيم ابن سيد الخلائق صلى الله عليه وسلم .

روى الخرائطى في « اعتلال القلوب » عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على مارية وهى حامل منه بإبراهيم فذكر حديثا فيه أن جبريل صلى الله عليه وسلم بشره أنه أشبه الخلق به .

● وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح البخارى أنه صلى الله عليه وسلم قال له : أشبهت خلقى وخلقى^(٢) .

● وابناه عون وعبد الله .

روى النسائى عن عبد الله بن جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخيه عون : إنه أشبه خلقى وخلقى^(٣)

● وقثم ابن سيدنا العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وصفه ابن السكن بذلك .

● وأبو سفيان بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب رضى الله عنه .

● وابن ابنه عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب الملقب فيما ذكر في « المحبر » و « الاستيعاب » بذلك أمير البصرة .

وعبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب قال الزبير بن بكار : كان يُشبه النبي^(٣) صلى الله عليه وسلم .

(١) سنن الترمذى كتاب المناقب باب ٣٠ .

(٢) صحيح البخارى كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب ١٠ .

(٣) ط : كان يشبه بالنبي .

- ومحمد ومُسلم . ذكرهما ابن حبان في الثقات بذلك ، ابنا عقيل بن أبي طالب .
- والسائب بن يزيد ، الجد الأعلى للإمام الشافعي رضي الله تعالى عنهما ، وصفه الزبير ابن بكار بذلك .
- روى الحاكم في مناقب الشافعي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم في فسطاط إذ جاء السائب بن عبيد الله ومعه ابنه فقال : « من سعادة المرء أن يُشبه أباه » وهذا الابن هو شافع بن السائب - ويمكن أن يعدّ هذا الولد في الأشباه أيضا لهذا .
- وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز العَبْشَمِي .
- وكابس بن ربيعة بن عدى .
- وعلى بن نِجَاد بنون مكسورة فعيم خفيفة - ابن رفاعة الرفاعي اليَشْكُري - بمشاة تحتية مفتوحة ومعجمة ساكنة .
- والقاسم بن عبد الله بن محمد بن عقيل .
- وعبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب ذكره المزني في ترجمة والده بذلك .
- والقاسم بن محمد . قال عبيد الله بن إسحاق فيما نقله العسكري كان أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وسلم .
- وإبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم .
- ويحيى بن القاسم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم .
- وعبيد الله بن أبي طلحة الخَوْلَانِي .
- ومسلم بن مُعْتَب بن أبي هب .

● قيل وعثمان بن عفان رضى الله عنه لكن قال الحافظ^(١): إن الأثر المحكى في ذلك موضوع وإن الثابت في صفته رضى الله تعالى عنه خلاف ذلك .

● وثابت البناني وقتادة بن دُعامة . ذكرهما صاحب استجلاب ارتقاء^(٢) الغرق .

● ومحمد بن عبد الله المهدي الذي يخرج في آخر الزمان .

ذكر غالب ذلك الحافظ في الفتح في مناقب السيدَيْن الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما .

وعده المهدي في الأشباه غلط . فقد روى أبو داود عن علي رضى الله عنه في صفة المهدي « يسمي باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق^(٣) » .

وعبد الله بن عَوانة شريف مغربي قديم الديار المصرية زمن السلطان الأشرف قايتباي . أخبرني غير واحد من الأشياخ^(٤) الذين كانت لهم معرفة بصفات النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا المغربي كانت صفته تقرب من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وسألت شيخنا الإمام العلامة شيخ الإقراء بدمشق وإمام جامعها أبا العباس أحمد شهاب الدين الرُملي ثم الدمشقي الشافعي لما قدم الديار المصرية في آخر عمره أن ينظم أسماء المذكورين قبل أن أظفر بجماعة ليسوا في نظمه فأجاب إلى ذلك وسر بوقوفه على أسمائهم فقال :

فاحفظهم ولا تكن بالناسي	بالمصطفى شبه بعض الناس
ثم حسين وكلاهما حسن	فاطمة الزهراء وابناها الحسن
ونوفل بن الحارث العظيم	وابن رسول الله إبراهيم
أبو محمد أمير البصرة	وابن ابنه انشربالجميل ذكره
وعزنا اذكر لا تكن باللاهي	وجعفر وابناه عبد الله
ومسلم والسائب المجتهد	وابننا عقيل وهما محمد
إماننا الأعظم نجل شافع	ابن يزيد وهو جد الشافعي

(١) ط : الحافظ .

(٢) ط ، أربعة .

(٣) سنن أبي دلرد كتاب المهدي باب ١ .

(٤) ط : من المشايخ

والجَبَر عبد الله ذا ابن عامر	ابن كُرَيْز العَبْشَمي الفاخر
وكابس والسده ربيعه	ابن عسدى نِسْبة ربيعه
كذا علي بن علي بن نجاد	ابن رفاعه الرفساعي الجواد
اليشكري وعُدَّ بعدَّ اليشكري	يحيى هو ابن القاسم بن جعفر
ابن محمد مولانسا على	ابن حسين بن علي الولي
وولد العباس وهو قُثم	وابن معتب المسمى مُسلم
والقاسم الثبث ابن عبد الله	بن محمد عظيم الجساه
فجده عقيل الكريم	كذا ابن عبد الله ابراهيم
وجده فالحسن بن الحسن	ابن علي ياله من مُحسن
والسيد المهدي الذي سيظهر	قُبيل عيسى وبه يُبشّر
وابن أبي طلحة عبد الله	وذاك خولاني بلا اشتباه
وابن عوانة الشريف المغربي	أحمد لُقْب الشبيه بالنبي
قد جاء في تاسع قَرْنٍ قد مضى	ووجهه على البُذور قد أضا
وقد رأيت لطيف الذات	مُمدِّحاً بأحسن الصفات
وذكروا عثمان في التشبيه	بالمصطفى وليس بالوجيه
وأثر فيه أتي موضوع	مُختلق في شبهه مصنوع
وهو جميل الذِّكر ^(١) على الدرجة	وبابنتيه المصطفى قد زوَّجه
صلى عليه ربُّنا وسلِّما	والآل والصَّحْب الكرام العُظما

(١) غير ط : جميل الشكل .

وقد تمَّ ما أفاد^(١) الناظم أقل تلامذة المؤلف - هو شيخنا الشيخ شمس الدين محمد ابن محمد بن محب الدين أحمد بن أحمد القيسي المالكي فسح الله تعالى في مدته آمين منبها على ما في النظم من مخالفة الأصل في تسمية أبي سفيان بن نوفل بنو فل فقال :

وَعُدَّ فِي أَشْبَاهِهِ الْخَلِيلُ	وَأَدَمُ الْمَعْظَمُ الْجَلِيلُ
صَلَّى عَلَيْهِمَا إِلَهُ دَائِمَا	مُسْلِمًا مَالِحَ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ
كَذَاكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ نَوْفَلٍ	كَذَا أَبُو سَفْيَانَ أَخُوهُ الْمُعْتَلِ
وَعَدَّهُ النَّازِمُ نَوْفَلًا بَلَا	شَكَّ مُخَالَفَ لِمَا قَدْ نُقِلَ
كَذَلِكَ الْمَهْدِيُّ أَيْضًا مُنْتَقَدٌ	لَمَّا مَضَى فِي الْأَصْلِ وَهُوَ الْمُعْتَمَدُ
وَعُدَّ فِي الْإِشْبَاهِ أَيْضًا ثَابِتٌ	هُوَ الْبَنَانِيُّ وَكَذَا قَتَادَةُ
ابْنُ دُعَامَةَ كَذَلِكَ الْقَاسِمُ	كَذَاكَ عَبْدُ اللَّهِ أَبُوهُ الْعَالِمُ
وَشَافِعُ ابْنُ ذِي الذِّكْرِ الْجَمِيلُ	وَالْفَضْلُ وَالتَّبَجُّيلُ مَوْلَانَا عَقِيلُ
وَشَافِعُ جَدُّ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ	لَمَّا مَضَى عَنْ صَاحِبِ الشَّرَائِعِ
صَلَّى عَلَيْهِ الرَّبُّ ذُو الْجَلَالِ	كَذَا الصُّحَابُ جَمَلَةٌ وَالْآلُ

(١) في ط : وقد تمَّ كاتبه أقل تلامذة المصنف رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته ما فات الناظم ووقف عليه المؤلف بعد النظم فقال :

وَأَدَمُ وَمِثْلُهُ الْخَلِيلُ	كُلَاهُمَا ذَكَرَ لَهُ جَمِيلُ
صَلَّى لِمَا كَذَلِكَ سَلَامًا	عَلَيْهِمَا وَالْأَنْبِيَاءُ دَائِمًا
بِالْمَصْطَفَى قَدْ شَبَّهَا وَثَابِتُ	أَعْنَى الْبَنَانِيُّ وَكَذَا قَتَادَةُ
ابْنُ دُعَامَةَ بِذَاكَ ذَكَرَهُ	بَعْضُ مِنَ الْخَفَاطِ فِيهَا سَطَرُهُ
كَذَا أَبُو سَفْيَانَ بْنِ نَوْفَلٍ	أَنْتُمْ بِهِ يَا صَاحِبَ مِنْ خَيْرِ وَلِي
وَابْنُ أَخِيهِ الْحَبْرُ عَبْدُ اللَّهِ	عَدَا مَعَا مِنْ جَمَلَةِ الْأَشْبَاهِ
كَذَاكَ عَبْدُ اللَّهِ جَدُّهُ عَقِيلُ	وَالْقَاسِمُ الْحَبْرُ كَبْذَاكَ يَا نَبِيلُ
ابْنُ مُحَمَّدٍ بِهِ خَتَمَ النَّظْمُ	وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبَّنَا عَلَى الْإِقَامِ

وقول الناظم : ونوفل بن الحارث : أي ابن نوفل بن الحارث .

جَمَاعُ أَبْوَابِ بَعْضِ الْأُمُورِ الْكَائِنَةِ بَعْدَ مَوْلِدِهِ
وَقَبْلَ بَعْثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الباب الأول

في وفاة أمه آمنة بنت وهب وحضانة أم أيمن له

توفيت أمه وهو ابن أربع سنين . وقدمه في الإشارة . وقيل ست . وقيل سبع . وقيل تسع .
وقيل خمس . وقيل اثنتي عشرة سنة وشهر وعشرة أيام
بالأبواء . وقيل يشعب أبي دبّ بالحجون . وغلط قائله .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب وجده
عبد المطلب في كَلَاءة الله وحفظه يُنَبِّئُهُ الله نبأً حسناً لِمَا يريد به من كرامته ، فلما بلغ
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ستَّ سنين توفيت أمه آمنة بالأبواء بين مكة والمدينة^(١)

قال البلاذري : وزعم بعض البصريين أنها ماتت بمكة ودفنت في شعب أبي دبّ الخزاعي
وذلك غير ثَبُت^(٢) .

وقال ابن سعد : هو^(٣) غلط وليس قبرها بمكة ، قبرها بالأبواء وكانت أمه قَدِمَتْ به
على أخواله من بني عدى بن النجار تُزِيرُهُ إياهم فماتت وهي راجعة به إلى مكة .

قال ابن هشام : أم عبد المطلب بن هاشم : سَلِمَى بنت عمرو النجارية فهذه الخثولة
التي ذكر ابنُ إسحاق لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم^(٤) .

وروى ابن سعد عن ابن عباس وغيره قالوا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه
آمنة بنت وهب فلما بلغ ستَّ سنين خرجت به إلى أخواله بني عدى بن النجار تزورهم به

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١٦٨/١ .

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ٩٥/١ .

(٣) ط ، ص : هذا غلط .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١٦٨/١ .

ومعه أم أيمن رضى الله تعالى عنها تحضنه ، وهم على بعيرين ، فنزلت به في دار النابغة فأقامت به عندهم شهراً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك ولما نظر أطم بنى عدى بن النجار عرفه فقال : كنت ألعب أنيسة جارية من الأنصار على هذا الأطم ، وكنت مع الغلمان من أخوالى نطير طائراً كان يقع عليه . ونظر إلى الدار فقال : ها هنا نزلت بي أمى وفي هذه الدار قبر أبى عبد الله وأحسنْتُ العَومَ في بئر بنى عدى ابن النجار .

وكان قوم من اليهود يختلفون إليه ينظرون إليه . قالت أم أيمن : فسمعت أحدهم يقول : هذا نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته . فوعيت ذلك منه .

ثم رجعت به أمه إلى مكة ، فلما كانت بالأبواء توفيت أمه آمنة بنت وهب ، فقبرها هناك فرجعت به أم أيمن إلى مكة وكانت تحضنه (١) .

وروى أبو نعيم عن محمد بن عمر الأسلمى عن شيوخه مثله وزاد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنظر إلى رجل من اليهود يختلف ينظر إلى فقال : يا غلام ما اسمك ؟ قلت : أحمد ، ونظر إلى ظهري فأسمعه يقول : هذا نبي هذه الأمة . ، ثم راح إلى أخوالى فأخبرهم فأخبروا أمى فخافت على فخرجنا من المدينة .

وكانت أم أيمن تحدث تقول : أتاني رجلان من يهود يوماً نصف النهار بالمدينة فقالا أخرجى لنا أحمد . فأخرجته فنظرا إليه وقبلاه ملياً ثم قال أحدهما لصاحبه : هذا نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته وسيكون بهذه البلدة من القتل والسبى أمر عظيم . قالت أم أيمن : ووعيت ذلك كله من كلامهما (٢) .

وروى أبو نعيم عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها قالت : شهدت آمنة بنت وهب في علتها التي ماتت فيها ومحمد غلام يقع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت :

بارك فيك الله من غلام
يا ابن الذى من حومة الحمام (٣)
نجسا بعون الملك المنعاه
فودى غداة الضرب بالسهام

(١) طبقات ابن سعد ١/١١٦ (ط بيروت) .

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم ١١٩ (ط حيدرآباد) .

(٣) غير ط : من حرمة الحرام .

بمائة من إبل سَـوَامٍ	إِنْ صَحَّ مَا أَبْصَرْتُ فِي مَنَامِي
فَأَنْتَ مَبْعُوثٌ إِلَى الْأَنْسَامِ	مِنْ عِنْدِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ
تُبْعَثُ فِي الْحُلِّ وَفِي الْحَرَامِ	تُبْعَثُ بِالتَّحْقِيقِ وَالْإِسْلَامِ
دِينَ أَبِيكَ الْبِرِّ إِبْرَاهِمَ	تُبْعَثُ بِالتَّخْفِيفِ ^(١) وَالْإِسْلَامِ
أَنْ لَا تَوَالِيَهَا ^(٢) مَعَ الْأَقْوَامِ	فَاللَّهُ أَنَّهُكَ عَنِ الْأَصْنَامِ

ثم قالت : كلُّ حيٍّ ميت وكل جديد بَالٍ وكل كبير يَفْنَى وأنا ميتة وذِكْرِي باق وقد تركتُ خيراً وولدت طُهرًا . ثم ماتت وكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك :

نبكى الفتاة البرّة الأَمِينَةَ	ذات الجمال العَفَّة الرزِينَةَ
زوجة عبد الله والقَـسِرِينِ	أُم نَبِيِّ اللَّهِ ذِي السَّكِينَةِ
وصاحب المنبر بالمدينة	صارت لدى حُفْرَتِهَا رَهِينَةَ
لوفوديت لفوديت ثمينه	وللمنايا شَفْرَةَ سَنِينَةِ
لا تُبْقَى ظَعَّانًا وَلَا ظَعِينَةَ	إِلَّا أَتَتْ وَقَطَّعَتْ وَتَبِينَةَ
أما هلكتِ أَيْهَا الحزينة	عن الذى ذوالعرش يُعْلَى دِينَةَ
فكلنا والهمة حزينه	نبكيك للعُظْلَةِ أَوْ للزِينَةِ

وللضعيفات وللمسكينة^(٣)

تنبيه

روى أبو حفص ابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ من طريق أحمد بن يحيى الخَضْرَمِى ، والمحِبُّ الطَبْرِى فى سيرته من طريق القاضى أبى بكر محمد بن عمر بن محمد بن الأخضر ، والدارقطنى وابن عساكر كلاهما فى غرائب مالك ، والخطيب فى السابق واللاحق من طريق على بن أيوب الكَعْبِى ، قالوا : حدثنا أبو غزِيَّة محمد بن يحيى الزهرى ، حدثنا

(١) غير ص : بالتحقيق .

(٢) ط : أن لا توالىها .

(٣) هامش دلائل النبوة لأبى نعيم ١٢٠ - ١٢١ باختصار فى الأبيات . وهى كذلك فى شرح المواهب ١٦٤/١

والخصائص الكبرى للسيوطى ١٩٦/١ (ط المراس) .

عبد الوهاب بن موسى الزهرى . قال الحضرمى وابن الأخصر عن عبد الرحمن بن أبى الزناد . وقال الكعبى : عن مالك بن أنس . قالوا عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : حججنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر بي على عقبية الحجون وهو بالك حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه طفق يقول : يا حُمَيْراء استمسكى . فاستندت إلى جنب البعير فمكث عنى طويلا ثم عاد إلى وهو فرح مبتسم فقلت : بأبى أنت وأُمى يا رسول الله ! نزلت من عندى وأنت بالك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم إنك عدت إلى وأنت فرح مبتسم فعم ذاك ؟ قال : ذهبت لقبر أمى فسألت الله أن يحييها فأحيها فأمنت بي وردّها الله .

تفرد بهذا الحديث أبو غزيرة وتفرد عنه الكعبى بذكر مالك فى إسناده . قال الدارقطنى : هذا كذب على مالك والحمل فيه على أبى غزيرة والمتهم بوضعه هو أو من حدث به عنه .

وهذا الحديث قد حكم بوضعه الحافظ أبو الفضل بن ناصر والجوزقانى وابن الجوزى والذهبي وأقره الحافظ فى اللسان ، وحكم بوضعه جماعة سبق ذكرهم فى ترجمة عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم . وجعله ابن شاهين ومن تبعه ناسخا لأحاديث النهى عن الاستغفار^(١) .

قلت : وهذا غير جيد لأن أحاديث النهى عن الاستغفار لهما بعض طرقها صحيح . رواه مسلم وابن حبان فى صحيحيهما وهذا الحديث على تسليم ضعفه لا يكون ناسخا للأحاديث الصحيحة والله تعالى أعلم .

قال أبو الخطاب ابن دحية : الحديث فى إحياء أبيه وأمه موضوع يرده القرآن والإجماع قال تعالى : « ولا الذين يموتون وهم كفار^(٢) » وقال : « فَيَمُتْ وهو كافر^(٣) » فمن مات وهو كافر لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة بل لو آمن عند المعينة لم ينفعه ، فكيف بعد الإعادة ؟ وفى التفسير أنه عليه الصلاة والسلام قال : « ليت شِعْرِى ما فعل أبواى ؟ » فنزلت « ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم^(٤) » .

(١) انظر اللآلئ المصنوعة للسيوطى ٢٦٦/١ (ط الحسينية) .

(٢) سورة النساء ١٨ .

(٣) سورة البقرة ٢١٧ .

(٤) سورة البقرة ١١٩ .

قالت : لو اقتصر أبو الخطاب على الحكم بوضع الحديث فقط وسكت عما ذكره لكان جيداً وتأديباً مع النبي صلى الله عليه وسلم - في حق أبيه . وقد تعقبه القرطبي فقال : وفيما ذكره ابن دحية نظر . وذلك أن فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تنزل تتوالى وتتتابع إلى حين مماته فيكون هذا مما فضله تعالى وأكرمه به ، وليس لإحيائهما وإيمانهما به ممتنعاً عقلاً ولا شرعاً ، فقد ورد في الكتاب العزيز إحياء قتيل بنى إسرائيل وإخباره بقاتله وكان عيسى صلى الله عليه وسلم يحيى الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أحيا الله تعالى على يديه جماعة من الموتى . وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته مع ما ورد من الخبر في ذلك ويكون مخصوصاً من^(١) مات كافراً .

وقوله : « فمن مات كافراً » إلى آخر كلامه مردود بما في الخبر أن الله ردَّ الشمس على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مغيبها حتى صلى على العصر . ذكره الطحاوي وقال إنه حديث ثابت . فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً وأنه لا يتجدد الوقت لما ردَّها عليه ، فكذلك يكون إحياء أبوى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قبل الله تعالى إيمان قوم يونس وتوبتهم مع تلبسهم بالعذاب كما هو أحد الأقوال وهو ظاهر القرآن .

وأما الجواب عن الآية فيكون ذلك قبل إيمانهما وكونهما في العذاب . انتهى كلام القرطبي . ونقله الحافظ في شرح الدرر ملخصاً له . وأقره .

قال الشيخ رحمه الله : استدلاله على عدم تجدد الوقت بقصة رجوع الشمس في غاية الحسن ولهذا حكم بكون الصلاة أداءً وإلا لم يكن لرجوعها فائدة إذ كان يصح قضاء العصر بعد الغروب . قال : وقد ظفرتُ باستدلال أوضح منه ، وهو ما ورد أن أصحاب الكهف يبعثون آخر الزمان ويحجون ويكونون من هذه الأمة تشریفاً لهم بذلك .

وورد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً : أصحاب الكهف أعوان المهدي . رواه ابن مردويه في التفسير . فقد اعتدَّ بما يفعله أصحاب الكهف بعد حياتهم عن الموت .

(١) غير ط : فيمن مات .

ولا بدّ في أن يكون الله تعالى كتبَ لأبوي النبي صلى الله عليه وسلم عُمرًا ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما لاستيفاء تلك اللحظة الباقية وآمنا فيها فيُعْتَدَ به ويكون تأخير تلك البقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الإيمان ، من جملة ما أكرم الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ، كما أن تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما أكرموا به ، فيَحْوزُونَ شرفَ الدخولِ في هذه الأمة .

وأما حديث : « ليت شعري ما فعل أبواي » فإنه مُغْضَلٌ ضعيف لا تقوم به حجة . وقال الحافظ ابن سيّد الناس في « العيون » بعد أن ذكر أنه روى أن الله تعالى أحيا أبويه فأما به قال : وهو مخالف لما أخرجه أحمد عن أبي رزين العقيلي قال : قلت : يا رسول الله أين أمي ؟ قال : أمك في النار . قلت : فأين من مضى من أهلك ؟ قال : أما ترضى أن تكون أمك مع أمي . قال : وذكر بعض أهل العلم في الجمع بين هذه الروايات ما حاصله : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل راقياً في المقامات السنية صاعداً إلى الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة لديه وأزلفه بما خصّه به لديه من كرامة القدوم عليه ، فمن الجائز أن تكون هذه كرامة حصلت له صلى الله عليه وسلم بعد أن لم تكن وأن يكون الإحياء والإيمان متأخرًا عن تلك الأحاديث ، فلا تعارض . انتهى .

فصل

في الكلام على أحاديث النهي عن استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لأبويه
حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ليت شعري ما فعل أبواي » فنزل « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم » فما ذكرهما حتى توفاه الله . رواه ابن جرير^(١) وغيره عن محمد بن كعب القرظي مرسلًا وسنده ضعيف لا تقوم به حجة . وروى أيضاً عن داود ابن أبي عاصم نحوه وهو مُغْضَلٌ وسنده ضعيف لا تقوم به حجة . ثم إن هذا السبب مَرْدُودٌ بوجوه أخرى من جهة الأصول والبلاغة وأسرار البيان ، وذلك أن الآيات من قبل هذه الآيات ومن بعدها كلها في اليهود من قوله تعالى « يا بني إسرائيل

(١) تفسير الطبري ١٦/١ هـ (ط الحلي) .

اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون^(١) ، إلى قوله : « وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات » واختتمت القصة بمثل ما صدرت به وهو قوله « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم » الآيتين فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب وقد ورد ذلك مصرحاً به في الأثر . روى عبد بن حميد والفرجاني عن مجاهد قال : من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين ، وآيتان في نعت الكافرين ، وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين ، ومن أربعين آية إلى عشرين ومائة في بني إسرائيل .

ومما يؤيد ذلك أن السورة مدنية وأكثر ما خوطب فيها اليهود ، ويرشح ذلك من حيث المناسبة أن الجحيم اسم لما عظم من النار كما هو مقتضى اللغة والآثار ، روى ابن جرير عن مالك^(٢) في الآية قال : الجحيم اسم لما عظم^(٣) من النار .

وروى ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى « لها سبعة أبواب » قال : أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ، ثم الهاوية . قال : والجحيم فيها أبوجهل^(٤) .

إسناده صحيح .

فاللائق بهذه المنزلة من عظم كفره واشتد وزره وعاند عند الدعوة ، وبدل وحرف وجحد بعد علم ، لا من هو بمظنة التخفيف .

وإذا كان قد صح في أبي طالب أنه أهون أهل النار عذاباً لقربته منه صلى الله عليه وسلم وبره به ، مع إدراكه الدعوة وامتناعه من الإجابة وطول عمره ، فما ظنك بأبويه اللذين هما أشد منه قرباً وأكثر منه حباً ، وأبسط عذراً وأقصر منه عمراً ؟ فمعاذ الله أن يُظن بهما أنهما في طبقة الجحيم وأن يشدد عليهما العذاب العظيم هذا لا يفهمه من له أدنى ذوق .

(١) سورة البقرة ٤٠ .

(٢) ط : عن أبي مالك .

(٣) غير ط : الجحيم ما عظم من النار .

(٤) تفسير الطبري ٣٥/١٤ الحلبي .

حديث : أنه صلى الله عليه وسلم استغفر لأُمّه فضربَ جبريل في صدره وقال لا تَسْتَغْفِرَ
لنِ مات مُشركا .

رواه البزار وفي سنده من لا يُعرف فلا تقوم به حجة .

وأما ما يُروى في سبب نزول قوله تعالى « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين » من أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر لأُمّه فنزلت الآية . فرواه الحاكم عن
ابن مسعود ، وابن جبرير من طريق عطية العوفي ، والطبراني من طريق عكرمة ، كلاهما عن
ابن عباس وابن مردويه عن بُرَيْدَةَ قال : وفيه أن قبرها بمكة .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : (فأما حديث ابن مسعود وإن صححه الحاكم فقد تنقّب
الذهبي في مختصره فقال : في سنده أيوب بن هاني ضعّفه ابن معين . فهذه علة تُقدح
في صحته . وله علة ثانية وهي مخالفته لما في صحيح البخاري وغيره أن هذه الآية
نزلت بمكة عقب موت أبي طالب واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم له كما سيأتي في باب
موت أبي طالب . وأما حديث ابن عباس فله علتان : مخالفته للحديث الصحيح كما سبق
وضعف إسناده . وأما حديث بُرَيْدَةَ فله علتان : إحداهما المخالفة في سبب نزول الآية .

والثانية : قال ابن سعد بعد تخريجه : هذا غلط وليس قبرها بمكة وقبرها بالأبواء .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وأصح هذه الطرق أن النبي صلى الله عليه وسلم زار قبر
أُمّه في أَلْفَى^(١) مُقَنَّع فما رثى أكثر بأكياً من ذلك اليوم . رواه الحاكم وصححه عن
[بُرَيْدَةَ]^(٢) . وهذا القدر لا علة له ، وليس فيه مخالفة لشيء من الأحاديث ولا نهي عن
الاستغفار ، وقد يكون البكاء لمجرد الرقة التي تحصل عند زيارة الموقى من غير سبب
تعذيب ونحوه .

ثم قال الشيخ : وقد ظفرت بآثر يدل على أنها ماتت وهي موحدة . فذكر أثر أم سباعة -
بنت أبي رهم عن أمها - السابق ثم قال : فهذا القول من أم النبي صلى الله عليه وسلم صريح
في أنها موحدة إذ ذكرت دين إبراهيم وبعث ابنها صلى الله عليه وسلم بالإسلام من عند ذى

(١) غير ط : في ألف .

(٢) يياض بالأصول . وما أثبت عن سيرة ابن كثير ٢٣٦/١ . وفيها أورد طرق هذا الحديث ونقدها .

الجلال والإكرام ونَهَيْهِ عن عبادة الأصنام وموالاتها مع الأقوام وهل التوحيد شيء غير هذا ؟ التوحيد الاعتراف بالله وإلهيته وأنه لا شريك له والبراءة من عبادة^(١) الأصنام ونحوها . وهذا القَدْر كاف في التبرُّي من الكفر وصفة ثبوت التوحيد في الجاهلية قبل البعثة . وقد قال العلماء في حديث الذي أمر بنبيه عند موته أن يَحْرِقُوهُ وَيَسْحَقُوهُ وَيُذْرُوهُ في الرِّيح وقوله : « إِنَّ قَدَرَ اللَّهِ عَلَى » إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لَا تَنَافِي الْحُكْم بِإِيمَانِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَشْكُ فِي الْقُدْرَةِ وَلَكِنْ جَهْلُ فَظْنٍ أَنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَا يَعَادُ . وَلَا يُظَنَّ بِكُلِّ مَنْ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنَّهُ كَانَ كَافِرًا ، فَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ تَحَنُّفُوا وَتَرَكَوْا مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الشَّرْكِ وَتَمَسَّكُوا بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ التَّوْحِيدُ ، كَزَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ وَقُتَيْبِ بْنِ سَاعِدَةَ وَوَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ ، فَكُلُّهُمْ مُحْكَمٌ بِإِيمَانِهِ فِي الْحَدِيثِ وَمَشْهُودٌ لَهُ بِالْجَنَّةِ ، فَلَا يَدْعُ أَنْ تَكُونَ أُمُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ ، كَيْفَ وَأَكْثَرُ مَنْ تَحَنَّفَ إِنَّمَا كَانَ سَبَبُ تَحَنُّفِهِ مَا سَمِعَهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ قُرْبَ زَمَنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَنَّهُ قُرْبَ بَعْثِ نَبِيٍّ مِنَ الْحَرَمِ صَفَتُهُ كَذَا ، وَأُمُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَتْ مِنْ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِمَّا سَمِعَهُ غَيْرُهَا ، وَشَاهَدَتْ فِي حَمْلِهِ وَوِلَادَتِهِ مِنْ آيَاتِهِ الْبَاهِرَةِ مَا يَحْتَمِلُ عَلَى التَّحَنُّفِ ضَرُورَةٌ ، وَرَأَتْ^(٢) النُّورَ الَّذِي خَرَجَ مِنْهَا أَضَاءَتُ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ حَتَّى رَأَتْهَا كَمَا تَرَى أُنْمَاتُ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَقَالَتْ لِحَلِيمَةَ حِينَ جَاءَتْ بِهِ وَقَدْ شَقَّ صَدْرُهُ وَهِيَ مَذْعُورَةٌ : أَخَشَيْتُمَا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ ؟ كَلَّا وَاللَّهِ مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ وَإِنَّهُ لَكَائِنٌ لِابْنِي هَذَا شَأْنٌ . فِي كَلِمَاتٍ أُخْرَى مِنْ هَذَا النَّمطِ ، وَقَدِمْتُ بِهِ الْمَدِينَةَ عَامَ وَفَاتِهَا وَسَمِعْتُ كَلَامَ الْيَهُودِ فِيهِ وَشَهَادَتِهِمْ - لَهُ بِالنَّبِوَةِ وَرَجَعْتُ بِهِ فَمَاتَتْ فِي الطَّرِيقِ . فَهَذَا كُلُّهُ مَا يُؤَيِّدُ أَنَّهَا تَحَنَّنَتْ فِي حَيَاتِهَا .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ قَرَّرْتَ أَنَّهَا كَانَتْ مُوَحَّدَةً فِي حَيَاتِهَا وَمَتَحَنَّنَةً وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الْاسْتِغْفَارِ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ . وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ « أُمِّي مَعَ أُمِّكَ » يُؤْذَنُ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَهَبَيْكَ أَجَبْتَ عَنْهُمَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحَدِيثِ الْإِحْيَاءِ بِأَنَّهُمَا مُتَقَدِّمَانِ فِي التَّارِيخِ وَذَلِكَ مُتَأَخِّرُ فَكَانَ نَاسِخًا ، فَمَا تَقُولُ فِي هَذَا ؟ فَإِنَّ الْمَوْتَ عَلَى التَّوْحِيدِ يَنْبَغِي التَّعْذِيبُ الْبَتَّةَ ؟

(١) ط : والبراءة من الأصنام .

(٢) ص : إذ رأت .

قلت : أما حديث : « أُمِّي مع أُمِّكَا » وإن صححه الحاكم ، فقد تقرر في علوم الحديث أن الحاكم يتساهل في التصحيح . وقال الذهبي بعد قول الحاكم في هذا الحديث : إنه صحيح : قلت : لا والله فإن عثمان بن عُمَيْرَ ضَعُفَهُ الدارقطني . فبيّن الذهبي ضعف الحديث وحلف عليه يمينا . وعلى تقدير أن يكون صحيحاً فأحسن ما يقرر به الجواب أن يقال : إن قوله « أُمِّي مع أُمِّكَا » صدر قبل أن يوحى إليه أنها من أهل الجنة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « لا أدري تَبَعاً كان نبياً أم لا » رواه الحاكم وابن شاهين من حديث أبي هريرة . وقال صلى الله عليه وسلم بعد أن أوحى إليه في شأنه : « لا تسبوا تَبَعاً فإنه كان قد أسلم » رواه ابن شاهين في نُسَخِهِ من حديث سهل بن سعد وابن عباس . وكأنه صلى الله عليه وسلم أولاً لم يوحَ إليه في شأنها شيء ولم يبلغه الذي قالت عند موتها ولا تذكره فإنه كان إذ ذاك ابن خمس سنين ، فأطلق القول بأنها مع أمهما جزئياً على قاعدة أهل الجاهلية ، ثم أوحى إليه في أمرها بعد ذلك .

ويؤيد ذلك أن في آخر الحديث نفسه « ما سألتُهما ربِّي » فهذا يدل على أنه لم يكن بعد وقعت بينه وبين ربه مراجعة في أمرها ثم وقع بعد ذلك . وأما عدم الإذن في الاستغفار فلا يلزم منه الكفر بدليل أنه صلى الله عليه وسلم كان ممنوعاً في أول الإسلام من الصلاة على من عليه دين لم يترك وفاءً ومن الاستغفار له وهو من المسلمين ، وعُلِّلَ ذلك بأن استغفاره مجابٌ على الفور ، فمن استغفر له وصلَّ عَقِبَ دعائه إلى منزله الكريم في الجنة والمديون محبوس عن مقامه حتى يُقضى دينه كما ورد في الحديث « نفسُ المؤمن معلّقة بِدينه حتى يُقضى »^(١) فقد تكون أم النبي صلى الله عليه وسلم مع كونها متحنفة كانت محبوسة في البرزخ عن الجنة لأُمور أخرى غير الكفر اقتضت أن لا يؤذن له في الاستغفار إذ ذاك بسببها إلى أن أذن الله تعالى فيه بعد ذلك . ويحتمل أن يجاب عن الحديثين بأنها كانت موحدة غير أنها لم يبلغها شأن البعث والنشور وذلك أصل كبير ، فأحياها الله تعالى له حتى آمنت بالبعث وبجميع ما في شريعته ولذلك تأخر إحيائها^(٢) إلى حجة الوداع

(١) سنن الترمذي كتاب الجنائز باب ٧٦ .

(٢) ط : إحيائها .

حتى تمت الشريعة^(١) ونزل : « اليوم أكملت لكم دينكم »^(٢) فأحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه وهذا معنى نفيس بليغ . وبسط الشيخ رحمه الله تعالى الكلام على ذلك في كتابيه « الدرر الكامنة في إسلام »^(٣) السيدة آمنة « وفي « مسالك الحنفا في والدى المصطفى » والذى ذكرته خلاصتهما وفيه مناقشات ليس المقام لائقاً لذكرها .

وتقدم في ترجمة عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم ما فيه مَقْنَع .

وقد وقعتُ على فتوى بخط بعض علماء المغاربة بسطَ فيها الكلام على هذا المقام ورجَّح ما مشى عليه الشيخ ، ومن جملة ما ذكره : أن المتكلم في هذا المقام على ثلاثة أقسام : قسم يوجب تكفيراً قائله وزندقته وليس فيه إلا القتل دون تلغم ، وهو حيث يتكلم بمثل هذا الكلام المؤذى في أبويه صلى الله عليه وسلم قاصداً لأذيته^(٤) وتعييره والإضرار به والتجسُّر على جهته العزيزة بما يصادم تعظيمه وتوقيره^(٥) .

وقسم ليس على المتكلم به وضم وهو حيث يدعوه داع ضرورى إلى الكلام به ، كما إذا تكلم على الحديث مفسراً له ومقرراً ، ونحو ذلك مما يدعو إلى الكلام به من الدواعى الشرعية .

وقسم يحرم علينا التكلم فيه ولا يبلغ بالتكلم به^(٦) إلى القتل ، وهو حيث لا يدعوه داع شرعى إلى الكلام به فهذا يؤدَّب على حسب حاله ويشدَّد في أدبه إن عُلِمَ منه الجرأة وعدم التحفظ في اللسان ، ويُعزل عن الوظائف الشرعية . واستدل بعزل عمر بن عبد العزيز عامله . وسبق ذلك في ترجمة عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم^(٧) .

(١) ط : الشرائع .

(٢) سورة المائدة الآية ٣ .

(٣) ط : في إيمان .

(٤) غير ص : لإذيته .

(٥) غير ط : وترفيه .

(٦) ت م : ولا يباح بالتكلم فيه .

(٧) سبق ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب

ثم قال : ولا ينبغي لعاقل إنكار ذلك . أى حديث إحياء أبويه صلى الله عليه وسلم -
فكرامته صلى الله عليه وسلم على مَولاه أعظمُ من ذلك ، ولا يُتَشَاغل في هذا المقام بكونه
صحيحاً ، فقد قال العلماء : أحاديثُ الترغيب والترهيب لا يُشترط فيها الصحة ، فما بالك
بهذا المقام ؟ ولا مانع من صحته إن شاء الله تعالى وذلك هو الذى يغلب على ظن كل مُحب
للجناب الشريف صلى الله عليه وسلم .

الباب الثاني

في كفالة عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفته بشأنه
لَمَّا توفيت آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمّه إليه جده عبد المطلب ورقّ
عليه رقّة لم يرقّها على ولده .

قال ابن إسحاق : حدثني العباس بن عبد الله بن مَعْبَد عن بعض أهله قال : كان يوضع
لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان لا يجلس عليه أحد من بنيهِ إِجْلَالاً له ، وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي حتى يجلس عليه فيذهب أعمامه يُؤخّرونه فيقول جده :
دَعُوا ابني . فيمسح ظهره ويقول : إِنَّ لا بني هذا لَشَأْنًا^(١) .

وروى أبو نُعَيْم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مثله . وزاد : دَعُوا ابني يجلس فإنه
يحس من نفسه بشيء ، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم^(٢) يبلغه عربي قبله ولا بعده^(٣) .

وروى ابن سعد وابن عساكر عن الزُّهْرِي ومجاهد ونافع وابن جُبَيْر قالوا : كان النبي
صلى الله عليه وسلم يجلس على فراش جده فيذهب أعمامه ليؤخّروه فيقول عبد المطلب :
دعوا ابني إنه ليؤنس مُلْكًا^(٤) .

وقال قوم من بني مُدْلج لعبد المطلب : احتفظ به فإننا لم نَرَقْدَمًا أشبه بالقدم التي
في المقام منه^(٥) .

وقال عبد المطلب لأُمِّ أَيْمَن : يا بركة احتفظي به لا تَغْفلي عنه فإن أهل الكتاب يزعمون
أنه نبيّ هذه الأمة .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١٦٨/١ .

(٢) ط : ما لا يبلغه .

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم ١٢١ (ط حيدر آباد الثانية)

(٤) طبقات ابن سعد ٧٠/١ .

(٥) الاكتفاء ١٧٨/١ .

وروى المحاملي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : سمعت أبا يقول : كان لعبد المطلب مفرش في الحِجْر لا يجلس عليه غيره وكان حَرْبُ بن أُمَيَّة فَمِنْ دُونِهِ يجلسون حَوْلَهُ دُونَ المَفْرَش ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على المفرش فجذبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عبد المطلب - وذلك بعد ما كُفَّ بصره : ما لابني يبكي ؟ قالوا له : أراد أن يجلس على المفرش فممنوعه . فقال عبد المطلب : دعوا ابني يجلس عليه فإنه يحس من نفسه بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده^(١) .

وروى البلاذري عن الزهري ومحمد بن السائب أن عبد المطلب كان إذا أتى بالطعام أجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه وربما أقعده على فخذه فيؤثره بأطيب طعامه ، وكان رقيقاً عليه براً به ، وربما أتى بالطعام وليس رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضراً فلا يمس شيئاً منه حتى يؤتى به . وكان يُفرش له في ظل الكعبة ويجلس بنوه حول فراشه إلى خروجه فإذا خرج قاموا على رأسه مع عبيده لإجلاله له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جَفَر فيجلس على الفراش فيأخذه أعمامه ليؤخروه فيقول عبد المطلب : دعوا ابني ما تريدون منه ؟ إن له لشأناً . ويقبل رأسه ويمسح صدره ويسرّ بكلامه [وما يرى منه]^(٢)

وروى أبو نعيم عن محمد بن عمر الأسلمي عن شيوخه قالوا : بيننا عبد المطلب يوماً في الحِجْر وعنده أسقف نجران وهو يحادثه ويقول : إنا نجد صفة نبي بقي من ولد إسماعيل ، هذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا . وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليه الأسقف وإلى عينيه وإلى ظهره وإلى قدميه فقال : هو هذا ، ما هذا منك ؟ قال : هذا ابني . قال الأسقف : لا ، ما نجد أباه حياً . قال : هو ابن ابني وقد مات أبوه وأمه حُبلى به . قال : صدقت . قال عبد المطلب لبنيه : تحفظوا بابن أخيكم ألا تسمعون ما يقال فيه^(٣) ؟ .

وروى البخاري في تاريخه وابن سعد والحاكم وصححه ، عن كندير بن سعيد بن حيوة ويقال حيوة ، عن أبيه ، والبيهقي عن معاوية بن حيدة قال الأول : خرجت حاجاً

(١) الوفا ١٢٠/١ .

(٢) من أنساب الأشراف للبلاذري ٨١/١ .

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم ١٢٢ .

في الجاهلية . وقال الثاني : خرجت معتمراً في الجاهلية . قالوا : فإذا شيخ طويل يطوف بالبيت وهو يقول :

رُدُّ إلى راکسې محمدا ارُدُّه ربی واتخذ^(١) عندي يدا

فسألا عنه فقيل هذا سيد قریش عبد المطلب له إبل كثيرة فإذا ضل منها شيء بعث فيه بنیه يطلبونها فإذا غابوا بعث ابن ابنه ولم يبعثه في حاجة إلا أنجح فيها ، وقد بعثه في حاجة أعيا عنها^(٢) بنوه وقد أبطأ عليه . قالوا : فلم نلبث حتى جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالإبل معه ، فقال له عبد المطلب : يا بني حزنتُ عليك حزناً لا تفارقني بعدُ أبداً^(٣) .

وروى ابن الجوزي عن أم أيمن رضي الله تعالى عنها قالت : كنت أخضن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فغفلت عنه يوماً فلم أدر إلا بعبد المطلب قائماً على رأسى يقول : يا بركة . قلت : لبيك . قال : تَذرين أين وجدت ابني ؟ قلت : لا أدرى . قال : وجدته مع غلمان قريباً من السُدرة ، لا تغفلي عنه فإن أهل الكتاب يزعمون أنه نبي هذه الأمة وأنا لا آمنُهم عليه^(٤) .

(١) ط : واصطنع .

(٢) غير ط : منها .

(٣) طبقات ابن سعد ٧٠/١ القسم الأول .

(٤) السوفا ١٢٠/١ .

الباب الثالث

في استسقاء أهل مكة بجده وهو معهم وسقيهم ببركة

روى ابن سعد والبلاذري وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي عن رقيقة بنت أبي صتيق ابن هاشم وكانت لدة عبد المطلب قالت : تتابعت على قريش سنون جدبة أقحلت الجلدة وأدقت العظم ، فبينما أنا نائمة أو مهومة إذا هاتف يصرخ بصوت صخل يقول : يا معشر قريش إن هذا النبي المبعوث منكم قد أظلتكم أيامه وهذا إبان مخرجه^(١) فحي هلاً بالحيا والخصب ، ألا فانظروا رجلاً منكم وسيطا عظاماً جسماً أبيض بضاً أوطف الأهداب سهل الخدين أشم العرنين له فخر يكظم عليه وسنة يهتدى^(٢) إليها ، فليخلص هو وولده وولد ولده ، وليذلف إليه من كل بطن رجل ، فليشئوا من الماء^(٣) وليمسوا من الطيب ثم يستلم الركن ، وليطوفوا بالبيت سبعاً ثم ليرتقوا أبا قبيس فليستق الرجل وليؤمن القوم ، ألا وفيهم الطيب الطاهر فغثم إذا ما شتم .

قالت : فأصبحت مذعورة قد اقشعر جلدي ووكله عقلي واقتصيت رؤياي فنمت في شعاب مكة ، فما بقي أبطحى إلا قال : هذا شئبة الحمد . وتنامت عنده قريش وانقض إليه من كل بطن رجل فشئوا من الماء ومسوا من الطيب واستلموا وطافوا ثم ارتقوا أبا قبيس فظفّق القوم يدلفون حوله ما إن يُدرك سعيهم مهلة ، حتى قرّ لذروته ، فاستكفوا جانبيه ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ غلام قد أيقع أو كرب فقام عبد المطلب فقال : اللهم ساد الخلة وكاشف الكرب أنت عالم غير معلّم ومسئول غير مبخل وهذه عبادك وإماؤك بعذرات حرّمك^(٤) يشكون إليك سننهم التي قد أقحلت الظلف والخف فأمطرنا الله

(١) ط : خروجه .

(٢) ط : يهتدى . وفي أعلام النبوة للساوري والسوفا : وسنه يهتدى إليه .

(٣) ط : بالماء .

(٤) غير ط : رحمتك .

غَيْثًا مَرِيحًا مُقَدِّقًا . فما برحوا حتى انفجرت السماء بمائها وكَظَّ الوادِي بشجيجه فَلَسَمَعْتَ
شَيْخَانَ قَرِيشٍ وهى تقول لعبد المطلب : هنيئًا لك أبا البطحاء بك عاش أهل البطحاء .

وفى ذلك تقول رُقَيْقَةُ بنت أَبِي صَيْنِي :

بشبية الحمد أسقى الله بلدتنا	وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر
فجاد بالماء جَوْنِي لسه سَبْلُ	سَحَّافَعاشت به الأنعام والشجر
سَيْلٌ من الله بالميمون ^(١) طائره	وخير من بشرت يوما به مُضَرُّ
مبارك الأمر يُستسقى الغمامُ به	ما فى الأنام له عِذْل ولا خَطَرُ ^(٢)

[تفسير الغريب]

رُقَيْقَةُ : براء مضمومة وقافين مصغرة ، بنت أَبِي صَيْنِي بن هاشم بن عبد المطلب بن
هاشم الهاشمية والدة مَحْرَمَةَ بن نوفل . ذكرها ابن سعد فى المسلمات المهاجرات^(٣) .

لِدَّة الرجل : تَرْبِه الذى ولد هو وإياه فى وقت واحد .

التتابع : بمثنائين فوقيتين فألف فمثناة تحتية فعين مهملة قال فى النهاية : الوقوع
فى الشر من غير فكرة ولا روية والمتابعة عليه ، ولا يكون فى الخير . وقال غيره : التتابع
بالموحدة يقال فى الخير ، والمثناة يقال فى الشر .

السُّنُون : جمع سَنَةٍ وهى الجَذْب بفتح الجيم وسكون الدال المهملة نقيض الخِضْب .
أَقَحَلت : بقاف فحاء مهملة : أَيْبَسَتْ . مُهُوِّمَةٌ : بضم الميم وفتح الهاء وكسر الواو المشددة
قال فى النهاية : التَّهْوِيم : أول النوم ، وهو دون النوم الشديد .

الهاتف : ما يُسْمَع صوته ولا يرى شخصه .

بصوت صَحْل : بصاد مفتوحة فحاء مهملتين فلام أى غير^(٤) حاد الصوت .

(١) ط : للميمون .

(٢) أنساب الأشراف ٨٢/١ والوفا ١٢٠/١ وأعلام النبوة للماوردي ص ١١٥ .

(٣) الذى فى طبقات ابن سعد زينب بنت صَيْنِي ، ولم يرد فيه ذكر لرقيقة ، وقد ذكر فى أول الخبر أن رقيقة كانت
لدة عبد المطلب ، فكيف تكون من المسلمات المهاجرات .

(٤) ط : أى حاد الصوت . وفى القاموس : محل صوته ، كفرح ، فهو أمحل ومحل . يح أو احتد فى يحج .
أو الصحل محركة : خشونة فى الصدر وانشقاق فى الصوت من غير أن يستقيم .

إِبَانِ الشَّيْءِ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَتَشْدِيدِ الْمَوْحِدَةِ : وَقْتَهُ .

حَتَّى هَلَاءَ : اسْمُ فِعْلٍ بِمَعْنَى أَقْبَلُوا وَأَسْرَعُوا ، وَهِيَ كَلِمَتَانِ جَعَلْنَا كَلِمَةً فَحَتَّى بِمَعْنَى أَقْبَلِ وَهَلَا بِمَعْنَى أَسْرِعْ .

الْحَيَا بِالْقَصْرِ : الْغَيْثُ .

الْخِصْبُ بِالْكَسْرِ : نَقِيضُ الْجَدْبِ .

وَسَيْطًا : يُقَالُ فُلَانٌ وَسَيْطٌ قَوْمُهُ إِذَا كَانَ أَوْسَطَهُمْ نَسَبًا وَأَرْفَعَهُمْ مَحَلًا .

عُظَامًا : بَضْمُ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ بِمَعْنَى عَظِيمٍ . جُسَامًا : بَضْمُ الْجِيمِ بِمَعْنَى جَسِيمٍ .

بَضًا : بِمَوْحِدَةٍ فُضَادٍ مَعْجَمَةٍ مُشَدَّدَةٍ قَالَ فِي النِّهَايَةِ : الْبُضَاضَةُ رَقَّةُ اللَّوْنِ وَصِفَاؤُهُ الَّذِي يُوْثِرُ فِيهِ أَدْنَى شَيْءٍ .

الْوَطْفُ : بَفَتْحِ الْوَاوِ وَالطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ : طُولُ شَعْرِ الْعَيْنِ مَعَ سَعْتِهَا .

الشَّمَمُ : ارْتِفَاعُ قَصْبَةِ الْأَنْفِ وَاسْتَوَاءُ أَعْلَاهَا وَإِشْرَافُ الْأَرْنَبَةِ قَلِيلًا .

الْعَرْنِينَ بِكَسْرِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ : الْأَنْفُ وَهَذَا اللَّفْظُ كُنَايَةٌ عَنِ الرَّفْعَةِ وَالْعُلُوِّ وَشَرَفِ النَّفْسِ .

يَكْظُمُ عَلَيْهِ : بِمِثْنَةٍ تَحْتِيَّةٍ مَفْتُوحَةٍ فَكَافٌ سَاكِنَةٌ فَظَاءٌ مُشَالَةٌ مُضْمُومَةٌ فَمِيمٌ أَيْ لَا يُبْدِيهِ وَلَا يَظْهَرُهُ .

يَذْلِقُونَ : بِدَالِ مَهْمَلَةٍ وَفَاءٌ : أَيْ يَقْرَبُونَ مِنْهُ .

شَنُّوا مِنَ الْمَاءِ : اغْتَسَلُوا بِهِ . تَنَامَ الْقَوْمُ : جَاءُوا كُلُّهُمْ وَتَمَوْا .

الْعَذْرَاتُ : بَعَيْنِ مَهْمَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ فَذَالٌ مَعْجَمَةٌ فَرَاءٌ فَتَاءٌ تَأْنِيثٌ جَمْعُ عَذْرَةٍ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ

وَكَسْرِ ثَانِيهِ وَهِيَ فِتَاءُ الدَّارِ ، وَهُوَ سَعَةٌ أَمَامَهَا . وَقِيلَ : مَا امْتَدَّ مِنْ جَوَانِبِهَا .

الْعَدَقُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمَهْمَلَةِ : الْمَطَرُ الْكِبَارُ الْقَطَرُ ، وَالْمُغْدِقُ : مُفْعِلٌ مِنْهُ .

مَرِيحًا بِفَتْحِ الْمِيمِ : مُخَصَّبًا .

الْحَيَا : هُنَا^(١) بِالْقَصْرِ الْمَطَرِ .

(١) ط : هُوَ بِالْقَصْرِ .

اجلُوذ المطر : بجيم فلام مشددة مفتوحتين فذال معجمة قال فى النهاية : امتد وقتُ تأخّره وانقطاعه .

جَوْنى : بفتح الجيم وسكون الواو وتشديد الياء منسوب إلى الجَوْن وهو من الألوان يقع على الأبيض والأسود ، والجمع جُون بضم الجيم ، وقيل الياء فيه للمبالغة كما يقال فى الأحمر أحمرى .

السَّبل : بسين مهملة فباء موحدة مفتوحتين المطر الجَوْد الهاطل يقال أسبل المطرُ والدمع : إذا هطلا والاسم السَّبل بالتحريك .

سَحًا : بسين فحاء مهملة مشددة مفتوحتين : يقال سَحَّ المطر والدمع وغيرهما يَسُحُّ بالضم سُحوحا وسَحًا : سَالَ . ويقال السَّحُّ : الصَّبُّ الكثير .

الميمون طائره : أى المبارك حظّه ويجوز أن يكون أصله من الطير السارح والبارح .
العدل بكسر العين : المثل . الخِطَرُ بخاء معجمة : الشبيه والمثل .

الباب الرابع

فما حصل له في سنة سبع من مولده

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في « الوفا » في سنة سبع من مولده صلى الله عليه وسلم أصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يُغن فقليل لعبد المطلب إن في ناحية عكاظ راهبا يعالج الأعين فركب إليه فناداه وذيره مُغلق فلم يجبه فتزلزل ذيره حتى كاد أن يسقط عليه فخرج مبادرا فقال : يا عبد المطلب إن هذا الغلام نبي هذه الأمة ولو لم أخرج إليك لخرّ على ذيري فارجع به واحفظه لا يقتله بعض أهل الكتاب . ثم عالج وأعطاه ما يعالج به . وألقى له ^(١) المحبة في قلوب قومه وكل من يراه ^(٢) .

عكاظ : بضم العين وآخره ظاء مشالة معجمة : مكان بقرب عرفات .

(١) ط : عليه .

(٢) ط : رآه . والخبر في الوفا لابن الجوزي ١٠١/١ .

الباب الخامس

في وفاة عبد المطلب ووصيته لأبي طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم
وما ظهر في ذلك من الآيات

اختلف في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات جده فقيل : وله ثمان سنين
وقدّمه في الإشارة . وقيل بزيادة شهر وعشرة أيام . وقيل تسع وقيل عشر وقيل ست .
ولعبد المطلب عشر ومائة سنة . وقدّمه في الإشارة . وقيل اثنتان وثمانون سنة ويقال
بلغ مائة وأربعة وأربعين^(١) سنة . ويقال خمسا وتسعين سنة . ويقال مائة وعشرين .
قال الواقدي : وليس ذلك يثبت .

وروى محمد بن عمر الأسلمي عن أم أيمن أنها حَدَّثَتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَانَ يَبْكِي خَلْفَ سَرِيرِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ سَنِينَ وَدَفَنَ بِالْحَجُّونِ^(٢) .
وروى ابن سعد عن الواقدي عن شيوخه أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَتَذْكُرُ مَوْتَ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ؟ قَالَ : نَعَمْ أَنَا يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَمَانَ سَنِينَ^(٣) .

قال ابن إسحاق وغيره : ولما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول
الله صلى الله عليه وسلم وحيّاطته والقيام عليه ، وأوصى به إلى أبي طالب ، لأن عبد الله
وأبا طالب كانا لأُم واحدة ، فلما مات عبد المطلب كان أبو طالب هو الذي يلي أَمْرَ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده^(٤) .

وروى ابن سعد والحسن بن عرفة وابن عساكر عن ابن عباس وغيره قالوا :
لما توفى عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يكون معه ، وكان

(١) ط : مائة وأربعين .

(٢) الوفا ١٢٩/١ . ودلائل النبوة لأبي نعيم ١٢٣ .

(٣) السيف ١٢٩/١ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١٧٩/١ .

يحبّه حبا شديدا لا يحبّه ولده وكان لا ينام إلا إلى جنبه وصبّ به صباة^(١) لم يصب مثله قط ، وكان يخصصه بالطعام وكان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعا أو فرادى لم يشبعوا وإذا أكل معهم - رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا . وكان أبو طالب إذا أراد أن يغذيهم أو يُعشيهم يقول : كما أنتم حتى يحضر ابني . فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فيفضلون من طعامهم ، وإن لم يكن معهم لم يشبعهم ، وإن كان لبنا شرب أولهم ثم يتناول العيال القعب فيشربون منه فيزؤون عن آخرهم من القعب الواحد ، وإن كان أحدهم ليس شرب قعبا وحده فيقول أبو طالب : إنك لمبارك . وكان الصبيان يصبحون رَمَصًا شُعْثًا ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دَهِينا كحिला^(٢) .

وروى أبو نعيم عن أم أيمن قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم شكا جوعاً ولا عطشا لا في كبره ولا في صغره ، وكان يَغْدُو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول : أنا شبعان^(٣) .

وروى الحسن بن سفيان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان أبو طالب يقرب للصبيان تَصْبِيحهم فيضعون أيديهم فينتهبون ويكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعامه .

[تفسير الغريب]

صَبَّ به : يقال صَبَّ يَصَبُّ بالفتح صباة رَقَّ شوقه .

القعب : قدح من خشب : الرَمَص بالتحريك وسخ يجتمع في الموق فإن سال فهو غَمَص وإن جمّد فهو رَمَص .

الشُعْث : تلبّد الشعر لقلّة تعهّده بالدهن .

والله تعالى أعلم .

(١) ت م : عليه .

(٢) الاكتفا ١٩٠/١ والوفا ١٣٠/١ . ودلائل النبوة لأبي نعيم ١٢٣ .

(٣) الاكتفا ١٩٠/١ .

ودلائل النبوة لأبي نعيم ١٢٤

الباب السادس

في استسقاء أبي طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم
وعطش أبي طالب وشكواه ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم

روى ابن عساكر عن جُلْهَمَة بن عُرْفُطَة قال : قدمتُ مكة وقريش في قحط ، فقاتل منهم يقول : اعتمدوا واللات والعزى . وقاتل منهم يقول : اعتمدوا مناة الثالثة الأخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي : أننى تؤفكون وفيكم بقية^(١) إبراهيم وسُلالة إسماعيل . قالوا : كأنك عنيتَ أبا طالب ؟ قال : إِيَّهَا . فقاموا بأجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه فخرج إلينا رجلٌ حسن الوجه عليه إزار قد اتشح به فشاروا إليه فقالوا : يا أبا طالب أقمط الوادى وأجذب العيال فهلم فاستسقى^(٢) لنا فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دُجْنَة تجلّت عليه سحابة قَتَماء وحوله أُغَيْلَمَة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ بأضبعه^(٣) الغلام وما فى السماء قَرَعَة فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا وأغدق وأغدق^(٤) وانفجر له الوادى وأخصب النادى والبادى . وفى ذلك يقول أبو طالب :

وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوجهه ثِمَالُ اليتامى عصمةٌ للأرامِلِ
يلوذ به الهلاكُ من آل هاشمٍ فهم عنده فى نعمة وفواضِلِ^(٥)

وقال ابن سعد : حدثنا الأزرق ، حدثنا عبد الله بن عون ، عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال : كنت بغى المجاز مع ابن أخى ، يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأدركنى العطش فشكوت إليه فقلت : يا ابن أخى قد عطشت . وما قلت له ذلك وأنا أرى عنده

(١) غير ط : باقية .

(٢) غير ط : فاستق .

(٣) كذا بالأصول . وفى الخصائص : بإصبه . وهو تحريف . وللإنسان ضبعان فقط ، والضبع : العضد كلها ، أو وسطها ، أو الإبط أو ما بين الإبط إلى نصف العضد .

(٤) الخصائص الكبرى عن ابن عساكر ٢١٣/١ .

وأغدق المطر : وأغدودق : كثر قطره .

شيئا إلا الجَزَع قال : فثني وَرِكَه ثم قال : يا عم عطشت ؟ قلت : نعم . فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا أنا بالماء فقال اشرب فشربت .

وله طرق أخرى رواها الخطيب وابن عساكر^(١) .

جُلْهُمة : [بجيم مضمومة ولام ساكنة وهاء مضمومة وميم مفتوحة]^(٢)
أَنَّى : بمعنى كيف .

تؤفكون : تصرفون .

ثاروا إليه : بالمثلثة : قاموا .

دُجَّةٌ بدال مهملة فجيم مضمومتين : الظَّلَّة والجمع دُجْنَات . قَتَماء : بقاف فتاء مثناة فوقية : الغبراء ، من القَتَام بالفتح وهو الغبار .

لاذ به : طاف .

قَزَعَة : سحابة .

أَغْدَق : كَثُر .

اغدودق : كذلك .

الثَّمَال : تقدم الكلام عليه في أسمائه صلى الله عليه وسلم^(٣) .

ذو المجاز : مكان على فرسخ من عرفة .

(١) الوفا ١٣١/١ . وطبقات ابن سعد ١٥٢/١ (ط بيروت) .

(٢) بياض بالأصل والضبط من القاموس .

(٣) الثَّمَال : النيات الذي يقوم بأمر قومه . وانظر أبواب أسمائه صلى الله عليه وسلم في الجزء الأول من هذا الكتاب .

الباب السابع

في سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه الزبير بن عبد المطلب إلى اليمن

قال ابن الجوزي في « الوفا » : لما أتت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة خرج في سفر مع عمه الزبير ، فمروا بوادٍ فيه فحل من الإبل يمنع من يجتاز ، فلما رآه البعير برك وحك الأرض بكلكله ، فنزل عن بعيره وركبه فسار حتى جاوز الوادي ثم خلى عنه ، فلما رجعوا من سفرهم مروا بوادٍ مملوء ماء يتدفق فوقفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتبعوني . ثم اقتحمه فاتبعوه فأنبس الله الماء . فلما وصلوا إلى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس إن لهذا الغلام شأنًا^(١) .

الكُكُل والكُلُكَال : الصُّدُر .

(١) الوفا ١/١٠١ .

الباب الثامن

في سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب إلى الشام

روى ابن سعد وابن عساكر عن داود بن الحصين - بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ابن اثنتي عشرة سنة . قال البلاذري : وهو الثبت^(١) وروى أبو نعيم عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وابن سعد وابن عساكر عن عبد الله ابن محمد بن عقيل وابن سعد عن عبد الرحمن بن أبزى ، والبزار والترمذي وحسنه عن أبي موسى الأشعري ، وابن سعد عن داود بن الحصين وأبو نعيم عن محمد بن عمر الأسلمي ، والبيهقي عن محمد بن إسحاق قالوا : إن أبا طالب أراد المسير في ركب إلى الشام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عم إلى من تُخَلِّفَنِي هاهنا ؟ وَصَبَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له أبو طالب فلما سارا^(٢) أردفه خلفه فخرج^(٣) به فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال : ما هو بابنك وما ينبغي أن يكون له أب حتى . قال : ولم ؟ قال : لأن وجهه وجه نبي وعينه عين نبي . قال : وما النبي ؟ قال : الذي يُوحَى إليه من السماء فيُنْبِئُ أهل الأرض . قال الله أَجَلٌ مما تقول . قال : فاتق عليه اليهود .

ثم خرج حتى نزل براهب أيضا صاحب دير فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني قال : ما هو بابنك وما ينبغي أن يكون له أب حتى . قال : ولم ؟ قال : لأن وجهه وجه نبي وعينه عين نبي . قال : سبحان الله ! أَجَلٌ مما تقول .

(١) الذي في أنساب الأشراف للبلاذري ٩٦/١ : « فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة عرض لأبي طالب شخوص إلى الشام في تجارة » .

(٢) غير ط : ساروا .

(٣) غير ط : فخرجوا .

وقال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم : يا بن أخى ألا تسمع ما يقولون ؟ قال :
أى هم لا تنكر لله قُدرة .

[خبر بحيرا]

فلما نزل الـركب بُصِّرَى وبها راهب يقال له بَحِيرَا فى صومعة له قال ابن اسحاق :
وكان أعلم أهل النصرانية . فلما نزلوا ذلك العام ببَحِيرَا وكانوا كثيرا ما يمرّون به قبل
ذلك لا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتّى إذا كان ذلك العام نزلوا قريبا من صومعته فرأى
وهو فى صومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رَكْب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين
القوم ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبا منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة
وتحصّرت أغصانُ الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظلّ تحتها ، فلما رأى
بَحِيرَا ذلك نزل من صومعته وجعل يتخلّلهم حتّى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال : هذا سيّد العالمين هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين . فقال له أشياخ من قريش (١) :
وما علمك ؟ قال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يمرّ بشجر ولا حَجَرٍ إلا خرّ ساجداً
ولا يسجدان إلا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة فى أسفل من غضروف كتفه مثل الثفاحة .
ثم رجع وأمر بطعام كثير فصنع ثم أرسل إليهم فقال : إني صنعت لكم طعاما يا معشر
قريش وإني أحب (٢) أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وحُرّكم وعَبْدكم . فقال رجل :
يا بَحِيرَا إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا فيما مضى وقد كنا نمرّ بك كثيرا فما شأنك ؟
فقال بَحِيرَا : صدقت قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيّف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع
لكم طعاما تأكلون منه . فاجتمعوا إليه ، فلما أتاهم به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم راح
مع من يرعى الإبل . وفى رواية : فتخلّف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة
سنه فى رحال القوم ، فلما نظر بَحِيرَا لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده ، فقال : يا معشر
قريش لا يتخلّف أحدٌ منكم عن طعامى هذا قالوا : ما تخلّف عنك أحد يأتيك إلا غلام
هو أخذت القوم سنّا تخلّف فى رحالنا . فقال : لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام .
فقام الحارثُ بن عبد المطلب فأتى به ، فلما أقبل وعليه غمامة تظله فقالوا : انظروا إليه

(١) ط : أشياخ قريش .

(٢) ط : أرى .

عليه غمامة تظله . فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه إلى فَيء الشجرة فلما جلس مال فَيء الشجرة عليه ، فقال : انظروا مال فَيء الشجرة عليه هذا نبي هذه الأمة الذي يرسله الله إلى الناس كافة^(١) .

وفي « الزهر » نقلا عن محمد بن عمر الأسلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فارق تلك الشجرة التي كان جالسا تحتها وقام انفلقت من أصلها حين فارقها وجعل يلحظه لحظا شديدا ينظر إلى أشياء من بدنه قد كان يجدها عنده في صفته وقال لقومه : هذه الحُمرة التي في عينيه تأتي وتذهب أولا تفارقه ؟ قالوا : ما رأيناها فارقته قط . فأقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا غلام أسألك باللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه . وإنما قال له بحجيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضتُبُغضهما شيئا . فقال له بحيرا : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك . فقال : سئلتني عما بدالك . فجعل يسأله عن أشياء من حال نومه ويقظته وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم - يخبره فوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته عنده فلما فرغ منه أقبل على عمه أبي طالب فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . فقال بحيرا : ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون له أب حي . قال : فانه ابن أخي . قال : فما فعل أبوه قال مات وأمه حامل به . قال : صدقت ارجع بابن أخيك إلى بلدك^(٢) واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنَّهُ شرا فإنه كائن لابن أخيك شأن . فأسرع به إلى بلاده ولا تذهب به إلى الروم فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه .

والتفت عنه بحيرا فإذا هو بسبعة نفر قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا إلى هذا النبي الذي هو خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بُعث إليه ناس وإنما قد أخبرنا خبره بطريقك هذا . قال : أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع

(١) خبر بحيرا في سيرة ابن هشام ١٨٠/١ ودلائل النبوة لأبي نعيم ١٢٥ والوفاء ١٣١/١ والاكتفاء ١٩١/١ .

وشرح المواهب ١٩٠/١ .

قال البيهقي : هذه القصة مشهورة عند أهل المغازي وضعت الذهبى هذا الحديث . وقال ابن حجر : رجاله ثقات .

(٢) ط : إلى بلده .

أحد من الناس رده ؟ قالوا : لا فبايعوه وأقاموا معه . فأتى قريشا فقال : أنشدكم بالله أينكم وليه قالوا : أبو طالب . فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وأرسل معه رجلا وزودهم الراهب من الكعك والزيت^(١) .

وقال أبو طالب في هذه السفرة قصائد منها ما ذكره ابن اسحاق وأبو هفان في ديوان شعر أبي طالب :

عِنْدِي بِمِثْلِ مَنَازِلِ الْأَوْلَادِ	إِنَّ ابْنَ آمَنَةَ الْأَمِينِ مُحَمَّدًا
وَالْعَيْشُ قَدْ قَلَّضَنَ بِالْأَزْوَادِ	لَمَّا تَعَلَّقَ بِالزُّمَامِ رَحْمَتُهُ
مِثْلُ الْجُمَانِ مُفَرَّقِ الْأَفْرَادِ	فَارْقَضِي مِنْ عَيْنِي دَمْعُ ذَارِفٍ
وَحَفِظْتُ فِيهِ وَصِيَّةَ الْأَجْدَادِ	رَاعَيْتُ مِنْهُ قَرَابَةَ مَوْصُولَةٍ
بِيضِ الْوَجْهِ مَصَالِحِ أَنْجَادِ	وَأَمَرْتُهُ بِالسَّيْرِ بَيْنَ عُمُومَةٍ
فَلَقَدْ تَبَاعَدَ طَيْبَةُ الْمَرْتَادِ	سَارُوا لِأَبْعَدِ طَيْبَةٍ مَعْلُومَةٍ
لَا قَوْأَ عَلَى شَرِكٍ مِنَ الْمَرْصَادِ	حَتَّى إِذَا مَا الْقَوْمُ بُضِرَى عَايَنُوا
عَنْهُ وَرَدَّ مَعَاشِرَ الْحَسَادِ	حَبْرًا فَأَخْبِرْهُمْ حَدِيثًا صَادِقًا
ظَلَّ الْغَمَامَةُ ثَاغِرَى الْأَكْبَادِ	قَوْمًا يَهُودًا قَدْ رَأَوْا مَا قَدْ رَأَى
عَنْهُ وَأَجْهَدُ أَحْسَنَ الْأَجْهَادِ	سَارُوا لِفَتْكَ مُحَمَّدٍ فَنَهَامُ
فِي الْقَوْمِ بَعْدَ تَجَادُلٍ وَتَعَادِ ^(٢)	فَنَنِي زَبِيرَاءَ بَعِيرٍ فَاثْنِي
عَنْ قَوْلِ حَبْرٍ نَاطِقٍ بِسَدَادِ	وَنَبِي دَرِيْسَا فَانْتَهَى لَمَّا نَبَى

ومنها :

كَأَنَّ لَا يَرَانِي رَاجِعًا لِمَعَادِ	بَكَى حَزَنًا لَمَّا رَأَى مُحَمَّدًا
وَعَبْرَتَهُ عَنْ مَضْجَعِي وَوَسَادِي	فَبِئْسَ يَجَافِينِي تَهْلُلُ دَمْعُهُ
لَا تَخْشَ مِنِّي جَفْسُوهَ بِبِلَادِ	فَقُلْتُ لَهُ قَرَّبَ قُتُودِكَ وَارْتَحَلْ

(١) الوفا ١٣٣/١ . وشرح المواهب ١٩١/١ .

(٢) ص : زبيرا . وقوله زبيرا يشير إلى اسم واحد من النفر الذين قدموا إلى رسول الله عند بحيرا . وفي ابن

هشام ٨٣/١ : زبيرا .

وَحُلَّ زِمَامُ الْعَيْسِ وَارْحَلُ بِنَا مَعًا
رُحْ رَائِحًا فِي الرَّائِحِينَ مُشِيْعًا
فَرَحْنَا مَعَ الْقَوْمِ الَّتِي رَاحَ رَكْبُهَا
فَمَا رَجَعُوا حَتَّى رَأَوْا مِنْ مُحَمَّدٍ
وَحَتَّى رَأَوْا أَخْبَارَ كُلِّ مَدِينَةٍ
زُبَيْرًا وَتَمَامًا^(١) وَقَدْ كَانَ شَاهِدًا
فَقَالَ لَهُمْ قَوْلًا بَحِيرًا فَأَيَقَنُوا
كَمَا قَالَ لِلرَّكَبِ الَّذِينَ تَهَوَّدُوا
وَقَالَ وَلَمْ يَتْرَكْ لَهُ النَّصِاحَ رَدَّهُ
فَلَمَّا أَخَافَ الْحَاسِدِينَ وَإِنْسَهُ

ومنها :

أَلَمْ تَرَنِي مِنْ بَعْدِ هَمْ هَمَّتْهُ
بِأَحْمَدٍ لَمَّا أَنْ شَدَدَتْ مَطِيقِي
بَكَى حَزَنًا وَالْعَيْسَ قَدْ فَصَلْتُ بِنَا
ذَكَرْتُ أَبَاهُ ثُمَّ رَفَرْتُ عَبْرَةً
فَقُلْتُ تَرَوْحُ رَاشِدًا فِي عُمُومَةٍ
فَرَحْنَا مَعَ الْعَيْرِ الَّتِي رَاحَ أَهْلُهَا
فَلَمَّا هَبَطْنَا أَرْضَ بُصْرَى تَشَرَّفُوا
فَجَاءَ بَحِيرًا عِنْدَ ذَلِكَ حَاشِدًا
فَقَالَ اجْمَعُوا أَصْحَابَكُمْ لَطَعَامِنَا
يَتِيمًا فَقَالَ ادْعُوهُ إِنَّ طَعَامِنَا
فَلَمَّا رَأَاهُ مُقْبِلًا نَحْنُو دَارَهُ
حَتَّى رَأَسَهُ شِبْهَ السُّجُودِ وَضَمَّهُ

بِفَرْقَةٍ حُرِّ الْوَالِدِينَ كَرَامِ
بِرَحْطِي . وَقَدْ وَدَّعْتَهُ بِسَلَامٍ
وَأَمْسَكَ بِالْكَفَّيْنِ فَضَلَّ زِمَامِ
بَحُورًا مِنَ الْعَيْنِينَ ذَاتَ سَجَامِ
مَوَاسِينَ فِي الْبَاسَاءِ غَيْرَ لِيَامِ
شَامِ الْهَوَى وَالْأَصْلَ غَيْرَ شَامِ
لَنَا فَوْقَ دُورٍ يَنْظُرُونَ جِسَامِ
لَنَا بِشَرَابٍ طَيِّبٍ وَطَعَامِ
فَقُلْنَا جَمْعَنَا الْقَوْمَ غَيْرَ غَلَامِ
كَثِيرٌ عَلَيْهِ الْقَوْمُ غَيْرَ حَرَامِ
تَوَقَّيْهِ حَسْرَةَ الشَّمْسِ ظِلُّ غَمَامِ
إِلَى نَخْرِهِ وَالصَّدْرُ أَيْ ضَمَامِ

(١) في ابن هشام ١٨٣/١ أن اسماؤهم : زبير وتمام ودريس .

وأقبل ركبٌ يَطْلُبونَ الذي رأى بحيرا من الأعلام وَسَطَ خِيَامِ
فَنَسَارَ إليهم خَشِيَةً لَغْرَامِهِم وكانوا ذوى مَكْرٍ مَعًا وَغَرَامِ
دريس وتَمَامٍ وقد كان فيهم زبير وكلُّ القُومِ غيرَ نِيَامِ
فجاءوا وقد هُمُوا بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ فردَّهم عنه بِحَسَنِ خَصَامِ
بتأويله التَّوْرَةَ حتى تفرَّقوا فقال لهم ما أنتم بِطَغَامِ
فذلك مِن أعلامه وَيَسَانِهِ وليس نَهَارٌ واضحٌ كظلام^(١)

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : وقع في حديث أبي سعيد عن الترمذى : فلم يزل بحيرا يناشد جدَّه حتى ردَّه وبعث معه أبو بكر بلالا قال الحافظ شرف الدين الدمياطى وتبعه في المورد والعيون : في قوله : « وأرسل معه أبو بكر بلالا » نكارة كيف وأبو بكر حينئذ لم يبلغ العَشرَ سنين فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أَسَنُ من أبي بكر بِأَزِيدٍ من عامين وقد قدمنا ما كان سِينَ النبي صلى الله عليه وسلم حين سافر هذه السَّفَرَةَ . وأيضا فإنَّ بلالا لم ينتقل لِأَبِي بكرٍ إلَّا بعد ذلك بِأَكْثَرِ من ثلاثين عاما ، فإنه كان لبني خَلْفِ الجَمَحِيِّينَ وعندما عَذَّبَ في الله على الإسلام اشتراه أبو بكر رحمةً له واستنقاذًا له من أيديهم وسيأتى بيان ذلك .

وذكر نحو ذلك الحافظ في الإصابة وزاد أن هذا اللفظ مقتطع من حديث آخر أُدرِج في هذا الحديث وفي الجملة هو وَهُمْ من أحد رواته .

وروى ابنُ مَنْدَةَ بسند ضعيف عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال إن أبا بكر صحب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام في تجارة ، حتى إذا نزل منزلا فيه سِدْرَةٌ فقعد في ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له بِحِيرَا يسأله عن شيء فقال له : من الرجل الذى في ظِلِّ السِدْرَةِ فقال له : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . فقال له : هذا والله نبي هذه الأمة ما استظل تحتها بعدَ عيسى بن مريم إلَّا محمد . وذكر الحديث .

(١) يتضح في هذا الشعر المنسوب إلى أبي طالب الصنعة والركاكة ولم يروه أحد من أهل العلم بالشعر ، وليس في سيرة

ابن هشام .

قال الحافظ : فهذا إن صح يحتمل أن يكون في سَفَرَة أُخرى بعدَ سَفَرَة أبي طالب .
وذكر نحوه في « الزُّهر » وزاد : وقول ابن دَحِيَّة : يمكن أن يكون أبو بكر استأجر بلالا حينئذٍ
أو يكون^(١) أمية بن خلف بعثه : غير جيدٍ لأمرين .

أحدهما أن أبا بكر لم يكن معهم ولا كان في سِنٍّ من يملك . وذكر نحو ما سبق في سِنِّ
النبي صلى الله عليه وسلم إذ ذاك .

ثانيهما : أن بلالا كان أصغر من أبي بكر فلا يتجه ما قاله بحال .

الثاني : قوله في الحديث : « فبايعوه » في « العيون » : إن كان المراد فبايعوا بحيرا
على مُسألة النبي صلى الله عليه وسلم فقريب . وإن كان غير ذلك فلا أدري ما هو^(٢) .

وقال في « الغرر » : الأول هو الظاهر ليوافق الضمير^(٣) في فيه وفي « وأقاموا معه » ومعناه :
فبايعوه على أن لا يأخذوا النبي صلى الله عليه وسلم ولا يؤذوه على حسب ما أرسلوا فيه ،
وأقاموا مع بحيرا خوفاً على أنفسهم إذا رجعوا بدونه . وهذا وجه حسن جدا .

الثالث : وقع في سِير الزهري أن بحيرا كان حَبْرًا من يهود تَيْمَاء . قال الحافظ عماد
الدين ابن كثير : والظاهر من سياق القصة أنه كان نصرانياً^(٤)

قلت : وبذلك جزم ابن إسحاق . كما تقدم .

وقال المسعودي في تاريخه : كان بحيرا نصرانيا من عبد القيس^(٥) .

وفي تاريخ ابن عساكر أنه كان يسكن ميفعة قرية وراء دَيْرٍ بالبلقاء^(٦) . وذكر الإمام
السُّروجي في مناسكه أن عند كفافه منزلة وادي الظُّبَاء بها شجر تَمَر الهندي تزعم العامة
أن صومعة بحيرا كانت هناك . قال : ولا يوقف على حقيقة ذلك .

(١) ط : وأن .

(٢) عيون الأثر ٤٣/١ .

(٣) ط : ليوافق الضميرين فيه وفي أقاموا .

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ٢٤٩/١ .

(٥) مروج الذهب ٨٩/١ (ط بيروت) .

(٦) سيرة ابن كثير ١٤٠/١ عن ابن عساكر .

وذكر القُتَيْبِيُّ في « المعارف » أنه سُمِعَ قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف : ألا إن خير أهل الأرض بحيرا ورثاب بن البراء الشنّي والثالث المنتظر . فكان الثالث رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

قال ابن قتيبة : وكان قبر رثاب الشنّي وقبر ولده من بعده لا يزال يُرى عليه طَشٌّ والطش : المطر الخفيف .

ثم إن بحيرا بباء موحدة مفتوحة فحاء مهملة مكسورة فراء فألف قال : غير واحد مقصورة ورأيت بخط مُغلطاي وصاحب الغرر وغيرهما عليها مدّة . فالله تعالى أعلم .

قال المسعودي : واسمه سرجس^(٢) . كذا فيما وقفت عليه من نسخ الروض^(٣) . وفي النسخ التي وقفت عليها من الإشارة جرجيس بكسر الجيمين بينهما راء وبعد الثانية مثناة تحتية فسين مهملة . وهكذا رأيت بخط صاحبها في « الزهر » وصحح عليه . وكذلك هو في الإصابة للحافظ . وجزم الذهبي في ترجمة أبي الفتح سعيد بن عقبة من « الميزان » بأن بحيرا لم يدرك البعثة^(٤) . وأقره الحافظ في اللسان^(٥) . وهو غير مصروف للعجمة والعلمية . وهو في الأصل اسم نبي .

• • •

الرابع : في بيان غريب ما سبق :

صَبَّ به - بصاد مهملة فباء موحدة : أى مال إليه ورقٌ عليه . ويروى وَصَبَتْ به بضاد معجمة فباء موحدة فمثلة . أى تعلّق به وأمسك .

الصَّوْمعة : منزل الراهب ، سميت بذلك لأنها محدّدة الرأس من قولهم ثريدة مُصَمَّعة^(٦) إذا دُقَّت وحدد رأسها .

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٥٨ (ط دار المعارف) .

(٢) ط : جرجس .

(٣) الروض الأنف ١/ ١١٨ .

(٤) ميزان الاعتدال ٢/ ١٥٣ .

(٥) لسان الميزان ٣/ ٣٩ .

(٦) القاموس : (صمغ) والثريدة : لعلها حجر أو عظم ، قال في القاموس (ثرد) : والمراد من يلبح بحجر أو عظم أو من حديثه خير حادة ، واسم ذلك المتراد .

تَهَصَّرَتْ : مالت وتدلَّت عليه .

احتَضَنه : أَخَذه مع حِضْنه أى مع جنبه .

الغُضْرُوف - بضم الغين وإسكان الضاد المعجمتين فراء مضمومة فواو ساكنة ففاء :
هو رأس لوح الكتف ويقال فيه غُرُضُوف بتقديم الراء .

فبايَعَره - بفتح المثناة التحتية وهو خبر لا أمر .

أَنشُدْكم - بفتح الهمزة وضم الشين : أى أسألكم بالله .

العِيس - بعين مكسورة وسين مهملتين بينهما مثناة تحتية : إِبِلٌ بِيضٌ فى بياضها
ظُلْمَةٌ خَفِيَّةٌ ، والواحدة عَيْسَاء بفتح العين .

قلْضَن : ارتفعن .

ارْفَضَّ : سأل .

ذارف - بذال معجمة - يقال ذَرَفَ الدمعُ يَذْرَفُ ذَرْفًا وذَرْفَانًا : سأل .

الجُمَان - بضم الجيم : جمع جمانة ، حبة تُعْمَل من الفضة كالذُرَّة . الصَّلَتْ : الواضح
الجبين .

أَنْجَاد : أَقْوِيَاء .

على شَرَك : على طريق .

ثَاغِرَى الْأَكْبَاد : أى سقطت أَكْبَادهم من سرعة المشى .

الْفَتَك : البطش والقتل على غفلة .

الْقُتُود والْأَقْتَاد جمع قتد^(١) : خشب الرَّحْلِ .

من غَوْرَيْن : تشنية غَوْر وهو ما انخفض من الأرض .

(١) الذى فى القاموس : جمع قتاد .

إِيَاد : هم بنو إِيَاد بن نزار من معدّ بن عدنان .
الرَّيْن : الغشاء الذى على القلب من ظُلْمَةِ الذُّنُوب .
رَقِرَتْ : براعين مهملتين وقافين قال فى الصُّحاح : رقرقتُ الماء فترقرق : أى جاء
وذهب ، وكذلك الدمع إذا ملأ الحُمْلَاق^(١) .
سِجَام : يقال سجم الدمع سَجْمًا وسِجَامًا : سَالَ .

(١) الحُمْلَاق : باطن أجفان العين الذى يسود بالكحلة ، أو ما غطته الأجفان من بياض المقلة .

الباب التاسع

في حفظ الله تعالى إياه في شبابه عما كان عليه أهل الجاهلية واشتهاره بالأخلاق -
الفاضلة والخصال الحميدة قبل بعثته ، وتعظيم قومه له صلى الله عليه وسلم
قال داود بن الحصين ، فيما رواه ابن سعد وابن عساكر ، وابن إسحاق فيما رواه البيهقي وغيره :
فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية ومعابها ،
لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءةً وأحسنهم
خلقاً ، وأكرمهم حسباً وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حلماً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم
أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً . ما رثي ملاحياً
ولا مُمَارِياً أحداً حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة ^(١) .

وذكر أبو هاشم محمد بن ظفر في «خَيْرِ الْبَشَرِ بِخَيْرِ الْبَشَرِ» : حج أكثم بن صيفي
حكيم العرب ، والنبي صلى الله عليه وسلم في سن الحُلُم ، فرآه أكثم فقال لأبي طالب :
ما أسرع ما شب أخوك . فقال ليس بأخي ولكنه ابن أخي عبد الله . فقال أكثم أهو ابن
الذبيحين ؟ قال : نعم . فجعل يتوسم ثم قال لأبي طالب ما تظنون به ؟ قال : نحسن
به الظن وإنه لوفى سخى . قال ؟ هل غير هذا ؟ قال : نعم إنه לנו شدة ولين ومجلس
ركين وفضل متين . قال فهل غير هذا ؟ قال : إنا لنتيمن بمشهدته ونتعرف البركة فيما
لمسه بيده . فقال أكثم : أقول غير هذا إنه ليضرب العرب قامطة - يعني جامعة - بيد حائطة
ورجل لائقة ثم ينق بهم إلى مرتع مريع وورث سريع فمن اخرووط إليه هداه ومن اخرووف
عنه أزداه .

وروى ابن سعد عن الربيع بن خثيم قال : كان يُتَحَاكَمُ إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الجاهلية قبل الإسلام ^(٢) .

(١) سيرة ابن هشام ١٨٣/١ .

(٢) طبقات ابن سعد ١٥٧/١ (ط بيروت) .

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عما كان الله يحفظه في صغره من أمر الجاهلية أنه قال : لقد رأيتني في غلمان من قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الصبيان كلنا قد تعرّى وأخذ إزاره وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فلما لأقبل معهم وأدبر إذ لکمنی لکمن لکمن شديدة^(١) ثم قال : شدّ عليك إزارك . قال : فأخذته فشدته على ثم جعلت أنقل الحجارة على رقبتي وإزارى على من بين أصحابي^(٢). وهذه القصة شبيهة بما وقع عند بناء الكعبة .

روى الطبراني والبيهقي في الدلائل من طريق عمرو بن قيس^(٣) ، وابن جرير في التهذيب من طريق هارون بن المغيرة ، وأبو نعيم في المعرفة من طريق قيس بن الربيع ، وفي الدلائل من طريق شعيب بن خالد ، كلهم عن سَمَک بن حَرْب ، وأبو نعيم من طريق الحكم بن أبان ، كلاهما عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : حدثني أبي العباس بن عبد المطلب قال : لما بنت قريش الكعبة انفردت رجلين رجلين ينقلون الحجارة ، فكنت أنا وابن أخي ، فجعلنا نأخذ أزرنا فنضعها على مناكبنا ونجعل عليها الحجارة فإذا دنونا من الناس لبسنا أزرنا فبينما هو أمامي إذ صرّع فسعيت وهو شاخص ببصره إلى السماء فقلت : يا ابن أخي ما شأنك ؟ قال نهيت أن أمشي عربانا . قال : فكتمته حتى أظهره الله ، بنبوته^(٤) .

وورد من حديث جابر وأبي الطفيل . ويأتيان .

وروى الترمذی وغيره عن أبي موسى أن بَحِيرًا حين حلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى قال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا تسألني باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت بَغْضَهُمَا شيئا^(٥) .

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهْمُون به من الغناء إلا ليلتين كلتاها عصمتني الله

(١) سيرة ابن هشام : لكمة أو جيمة .

(٢) سيرة ابن هشام : ١٨٣/١ .

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ١٤٧ .

(٤) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ١٢٧ .

منهما . قلت ليلةً لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلينا فقلت لصاحبي : أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأُسْمُرَ بها كما يُسْمَرُ الفتيان . فقال : بلى فدخلت حتى إذا جئت أولَ دارٍ من دور مكة سمعت عَزْفاً وغَرَابيلَ ومَزَامِيرَ . قلت : ما هذا ؟ قيل : تزوج فلان فلانة . فجلست أنظر . وضرب الله على أذني ، فوالله ما أيقظني إلا مسُ الشمس فرجعت إلى صاحبي فيقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلتُ شيئاً ثم أخبرته بالذي رأيت . ثم قلت له ليلةً أخرى : أبصر لي غنمي حتى أُسْمُرَ بمكة . ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثلَ الذي سمعت تلك الليلة فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مسُ الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت فقلت لا شيء ثم أخبرته بالذي رأيت^(١) فوالله ما هممت ولا عُدت بعدهما لشيءٍ من ذلك حتى أكرمني الله بنبوته .

رواه ابن اسحاق^(٢) وإسحاق بن راهويه والبخاري وابن حبان . قال الحافظ : وإسناده حسن متصل^(٣) .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : لما نزلت « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ »^(٤) نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قريش بَطْنًا بَطْنًا فقال : « أَرَأَيْتُمْ لو قلت لكم إنَّ خيالاً بسَفْحِ هذا الجبل أكنتم مصدقاً ؟ » قالوا : نعم ما جربنا عليك كَذِباً قط . رواه الشيخان^(٥) .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سمعت زيدَ ابن عمرو بن نفيل يعيب كلَّ ما ذُبح لغير الله فما ذقت شيئاً ذُبح على النُّصب حتى أكرمني الله برسالته .

(١) ط : ثم أخبرته الخبر .

(٢) ليس في سيرة ابن هشام إذ أن هذا الخبر من رواية يونس من بكير عن ابن إسحق . وهو في السيرة النبوية لابن كثير ٢٥١/١ وفي دلائل النبوة لأبي نعيم ١٤٣ . والخصائص الكبرى للسيوطي ٢١٩/١ (ط القاهرة) .

(٣) قال ابن كثير : « وهذا حديث غريب جداً ، وقد يكون عن علي نفسه ، ويكون قوله في آخره : حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته » مقحماً . والله أعلم . السيرة ٢٥٢/١ .

(٤) سورة الشعراء ٢١٤ .

(٥) صحيح البخاري كتاب التفسير (سورة تبت) .

وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٣٥٥ .

رواه أبو نعيم^(١) .

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : هل عبدت وثناً قط ؟ قال : لا . قالوا : فهل شربت خمرًا قط ؟ قال : « لا وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كُفْرٌ وما كنت أدري ما الكتابُ ولا الإيمان » .

رواه أبو نعيم^(٢) .

وعن أم أيمن رضي الله تعالى عنها قالت : كان بُؤَانَةٌ صَنَمًا تَحْضُرُهُ قَرِيشٌ يَوْمًا فِي السَّنَةِ فَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَحْضُرُهُ مَعَ قَوْمِهِ وَكَانَ يَكْلِمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يَحْضُرُ ذَلِكَ مَعَهُ فَيَأْتِي حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا طَالِبٍ غَضِبَ عَلَيْهِ وَرَأَيْتُ عَمَاتِهِ غَضِبْنَ عَلَيْهِ وَقُلْنَ يَا مُحَمَّدُ مَا تَرِيدُ أَنْ تَحْضُرَ لِقَوْمِكَ عِيدًا وَلَا تَكْثُرَ لَهُمْ جَمْعًا . فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى ذَهَبَ فغَاب ١٠ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَجَعَ مَرْغُوبًا فزَعَا فَقَالَتْ عَمَاتُهُ : مَا دِهَاكَ ؟ قَالَ : إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ بِي لَمَمٌ فَقُلْنَ : مَا كَانَ اللَّهُ يَبْتَلِيكَ بِالشَّيْطَانِ وَفِيكَ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ مَا فِيكَ ، فَمَا الَّذِي رَأَيْتَ ؟ قَالَ : إِنِّي كَلِمًا دَعَوْتُ مِنْ صَنَمٍ مِنْهَا تَمَثَّلُ لِي رَجُلٌ أَبْيَضٌ طَوِيلٌ بِصِيحٍ بِي : وَرَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ لَا تَمْسُهُ قَالَتْ : فَمَا عَادَ إِلَى عِيدِهِمْ .

رواه ابن سعد وأبو نعيم وابن عساکر^(٣)

وعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَهُوَ يَقِفُ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ بِعَرَفَاتٍ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ حَتَّى يَدْفَعَ مَعَهُمْ تَوْفِيقًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ^(٤) .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كَانَتْ قَرِيشٌ وَمِنْ دَانَ دِينُهَا وَهُمْ الْحُمْسُ يَقِفُونَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِالْمَزْدَلِفَةِ وَيَقُولُونَ : نَحْنُ قَطْنُ الْبَيْتِ . وَكَانَتْ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَالْعَرَبُ يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ »^(٥) فَتَقَدَّمُوا فَوَقَفُوا مَعَ النَّاسِ .

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ١٤٦ .

(٢) الخصائص الكبرى ٢٢١/١ (ط القاهرة) .

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم ١٤٤ والخصائص الكبرى ٢٢١/١ .

(٤) الخصائص الكبرى ٢٢٣/١ وقال : أخرجه ابن إسحق والبيهقي وأبو نعيم .

(٥) سورة البقرة ١٩٩ .

رواه الشيخان^(١) .

وروى يعقوب بن مفيان عن الزُّهري أن قريشا سمّت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
الأمين قبل أن ينزل عليه الوحي فطفقوا ألا ينحروا جُزُورا إلا التمسوه فيه فيدعوا لهم فيها .
وروى الشيخان من حديث عائشة في حديث بدّء الوحي لما أتاه جبريل بالوحي قال
لخديجة : لقد خَشِيت على نفسي وأخبرها الخبر . فقالت له : كَلَّا أبشر فوالله لا يُخزيك
الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتقرى الضيف
وتعين على نوائب الحق^(٢) .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : ما ذكره ابن اسحاق من قصة تعرّبه صلى الله عليه وسلم وأنه في صغره وأنه
أمر بالستر قال السهيلي وتبعه ابن كثير وأبو الفتح والحافظ : إن صحَّ حُمل على أن هذا
الأمر كان مرتين مرة في حال صِغَره ومرة في أول اكتهاله عند بنيان الكعبة^(٣) . واستبعد
ذلك مغلطاي في كتابيه « الزُّهر » و « دلائل النبوة » بأنّه صلى الله عليه وسلم إذا نُهي عن
شيء مرة لا يعود إليه ثانيا بوجه من الوجوه . وأيضا في حديث العباس - أي الآتي في باب
بناء البيت - أنه لأوّل ما نودى .

وأما ما رواه ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر من طريق النضر بن عبد الرحمن عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان أبو طالب يعالج زمزمَ وكان النبي صلى الله عليه وسلم
ينقل الحجارة وهو غلام يأخذ لإزاره ويتقي به الحجارة فغشى عليه ، فلما أفاق سأله
أبو طالب فقال : أتاني آتٍ عليه ثيابٌ بيض فقال لي : استتر فكان أول شيء رآه رسول
الله صلى الله عليه وسلم من النبوة أن قيل له استتر وهو غلام . قال : فما رُئيت عورته من
يومئذ^(٤) . فقد قال الحافظ في الفتح : إن النضر ضعيف وقد خبط في إسناده وفي متنه

(١) صحيح البخارى كتاب التفسير سورة البقرة .

وصحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ١٥١ .

(٢) صحيح البخارى كتاب بدء الوحي باب ٣ . وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥٢ - ٢٥٤ .

(٣) سيرة ابن كثير ٢٥١/١ .

(٤) دلائل النبوة لأبي نعيم ١٤٥ .

فلأنه جعل القصة في معالجة زمزم ولم يذكر العباس وقد قدمنا أن عكرمة والحكم بن أبان رويَا القصة عن ابن عباس عن أبيه في قصة بناء البيت .

• • •

الثاني : روى أبو يعلى وابن عدى والبيهقي وابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كيف نقوم خلفه وإنما عهده باستلام الأصنام قبيل ؟ فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم^(١) .

وقول الملكين : وإنما عهده باستلام الأصنام قال الطبراني والبيهقي : يعنى أنه شهد مع من استلمها . والمراد بالمشاهد التى شهدوها مشاهد الحلف ونحوها لا مشاهد استلام الأصنام .

وقال الحافظ فى المطالب العالية : هذا الحديث أنكره الناس على عثمان بن أبى شبة فبالغوا^(٢) ، والمنكر منه قوله عن الملك : «عده باستلام الأصنام» فإن ظاهره أنه باشر الاستلام وليس ذلك مراداً ، بل المراد أنه شهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم . انتهى .

الثالث : فى بيان غريب ما سبق .

ملاحياً : مخاصماً لأحد ولا سائلاً له .

أَكْتَمَ : بشاء مثلثة . رَكِين : أى له أركان عالية ، أراد بذلك شدة قومه وركن الشئ جانبه .

قامطة : أى جامعة . لا يطة بمنناة تحتية مكسورة وطاء مهملة : أى لاصقة لازمة .

يَنْعَقُ بهم : بكسر العين المهملة أى يصيح .

المرْتَع . بفتح الميم : مكان الخصب والسعة .

(١) سيرة ابن كثير ٢٥٣/١ .

(٢) قال ابن كثير : أنكره غير واحد من الأئمة على عثمان بن أبى شبة حتى قال الإمام أحمد فيه : لم يكن أخوه .

يتلفظ بشئ من هذا .

مَرِيع : أى كثير النماء والزيادة . وَرَدَّ سريع : مجيء قريب .
 اخْرُورُط . بخاء معجمة فراء فواو ساكنة فراء فطاء مهملة : أى مال إليه وتبعه .
 اخْرُورَف . عنه : بخاء فراء مفتوحة مهملتين فواو ساكنة فراء ففاء أى عدل عنه .
 أَرَدَاه : أهلكه . رَأَيْتُنِي ، بضم التاء : أى رأيت نفسى . السَّمَر : الحديث بالليل .
 غِنَاء بكسر الغين المعجمة وبالماء : معروف .
 العَرْف قال فى الصحاح : المعازف الملاحى والمعاذف اللاعب بها والمغنى ، وقد عَرَفَ
 عَرَفَا .
 الغَرَابِيل : جمع غُرْبَال والمراد به هنا الدف سمي بذلك لأنه يشبه الغربال فى استدارته .
 سفح الجبل بالسین ، وبالصاد أجود ، مَضْجَعُهُ^(١) . بُوَانَةٌ بضم الباء الموحدة وتفتح
 ثم واو مخففة وبعد الألف نون مفتوحة ثم تاء تأنيث .
 النُّصَب : الأصنام التى كانوا يذبحون عليها الذبائح تقرباً لها .
 الحُمْس . يقال حَمَسَ بالكسر فهو أَحْمَسُ أى شديد صُلْب فى الدين والقتال ، ومنه
 حُمْس قريش ومن ولدت وكنانة وجَدِيلَةٌ قيس .
 قُطْن البيت : أى سُكَّانُه جمع قاطِن^(٢) .

(١) كذا بالأصول . وفى القاموس : السفح عرض الجبل المضطجع أو أصله أو أسفله .
 (٢) كذا والذى فى القاموس : والقطن : أهل الدار الواحد والجمع ويجمع على قطن . وأما جمع قاطن فهو
 قَطَان وقاطنة وقطين .

الباب العاشر

في شهوده صلى الله عليه وسلم حرب الفِجَار

وكان في شوال . كما قاله الواقدي . وقيل في شعبان كما في الرؤص .

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة أو خمس عشرة فيما قال ابن هشام ، وقال ابن اسحاق : عشرين سنة كان قبل المبعث بعشرين سنة هاجت حرب الفِجَار بين قريش ومن معها من كِنانة وبين قيس عيلان . وكان الذي هاجها أن عروة الرِّحَال ابن عتبة أجار لطيمةً للنعمان بن المنذر فقال البرّاض بن قيس أحد بني ضَمْرَة : أتُجيرها على كِنانة ؟ قال : نعم وعلى الخَلْق . فخرج فيها عروة الرِّحَال وخرج البرّاض يطلب غفلته حتى إذا كان بتَيَمَن ذى طَلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البرّاض فقتله في الشهر الحرام ، فلذلك سمي الفِجَار . فَأَتَى آتٍ قريشا فقال : إن البراض قد قتل عروة وهم في الشهر الحرام بَعُكَظ . فارتحلوا وهوازن لا تشعر ، ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحَرَم فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم فأمسكت عنهم هوزان ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما ، وكان لكنانة وقيس فيه ستة أيام مذكورة : شَمْظَة ويوم العَبْلَاء وهما عند عُكَظ ، ويوم الشَّرَب وهو أعظمها يوما وفيه قيد أبو سفيان وأمّية وحرب أبناء أمّية أنفسهم كي لا يفرّوا فسمّوا العَنَابِس . ويوم الحُريرة عند نخلة انهزمت قريش إلا بنى نصر منهم فإنهم ثبتوا وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم أخرجه أعمامه معهم^(١)

وَرَوَى ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قد حضرته يعني حرب الفجار مع عمومتى ورميت فيه بأْسهم وما أحبّ أني لم أكن فعلته وكنت أنبئ على أعمامى^(٢) .

(١) سيرة ابن هشام ١٨٤/١ .

(٢) طبقات ابن سعد ١٢٨/١ (ط بيروت) .

وكان آخر أيام الفِجَار أن هوزان وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاءوا للموعد ، وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة ، وكان عتبة بن ربيعة يتيمًا في حجره فضربه حرب وأشفق من خروجه معه فخرج عتبة بغير إذنه فلم يشعر إلا وهو على بعيره بين الصفيين ينادى : يا معشر مُضَرَّ عَلامَ تَفَانَوْنَ ؟ فقالت له هوزان : ما تدعو إليه ؟ قال : الصلح على أن ندفع لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دماننا . قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : ندفع إليكم رهناً منا . قالوا : ومن لنا بهذا ، قال أنا : قالوا ، ومن أنت : قال : أنا عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس . فرضوا ورضيت كنانة ودفعوا إلى هوزان أربعين رجلاً فيهم حكيم بن حزام فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم عَفَوْا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار .

وكان يقال : لم يسُد من قريش مُملق يعني فقيراً غير عتبة وأبي طالب فإنهما سادا بغير مال .

تنبيه : ذكر السهيلي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقاتل في حرب الفجار . وقد تقدم عن ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل فيه .

[تفسير الغريب]

الفِجَار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة ، كالقِتال بمعنى المقاتلة ، وذلك أنه كان قتالهم في الشهر الحرام ففَجَرُوا فيه جميعاً فسمى الفِجَار . وكانت للعرب فِجَارَات أربع ذكرها المسعودي .

عَيَّلَان : بفتح العين المهملة .

الرَّحَال : براء مفتوحة فحاء مهملة مشددة .

الْبَرَاض : بفتح الباء الموحدة والراء المشددة وآخره ضاد معجمة ساقطة .

تَيْمَن : بفتح التثنية الفوقية بعدها مثناة تحتية فميم فنون .

يوم شَمْطَة : بشين معجمة مفتوحة فميم ساكنة فطاء معجمة .

يوم العَبْلَاء : بعين مهملة مفتوحة فباء موحدة ساكنة فلام فألف ممدودة .

يوم شَرَب : بشين معجمة فراء مفتوحتين فباء موحدة .

الْحُرَيْرَةُ : بحاء مهملة تصغير حُرَّة .

الْأَرْبَعَةُ أَسْمَاءُ أَمَاكِن .

الْعَنَابِسُ : بعين مهملة فنون مخففة فألف فباء موحدة مكسورة فسين مهملة جمع عُنْبِس وهو الأسد . قال في الصُّحَا ح : العنابيس من قريش : أولاد أُمَيَّة بن عبد شمس الأكبر وهم ستة حَرْب وأبو حرب وسُفْيَان وأبو سفِيَان وعمرو وأبو عمرو ، وسُمُّوا بِالْأَسَد والْبَاقُونَ يقال لهم الْأَغْيَاص بعين مهملة فمثناه تحتية . فصاد مهملة وهم أولاد أُمَيَّة بن عبد شمس الأكبر وهم أَرْبَعَةُ : العاص وأبو العاص والعِيص وأبو العيص .

نَخْلَةٌ بلفظ واحدة شجر النخل : موضع قريب من مكة . في حَبْرَه : بكسر الحاء وفتحها .

ضَنَّ بِهِ : بضاد معجمة مفتوحة ساقطة فنون مشددة : بخل به .

أَشْفَقَ : خاف .

يَشْعُرُ : يعلم .

تَفَانَوْنَ : بمثناة فوقية حذف منه أخرى مأخوذ من الْفَنَاء .

رُهْنَا بضم الهاء والراء .

الباب الحادي عشر

في شهوده صلى الله عليه وسلم حلف الفضول

كان هذا الحلف في ذى القعدة قبل المبعث بعشرين سنة مُنْصَرَف قريش من الفِجَارِ ولرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عشرون سنة . وكان أكرم حِلْف سُمِع به وأشرفه في العرب .

وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصي بن وائل السهمي وكان ذا قَدْر وشرف بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدي الأُحلاف عبد الدار ومخزوما وجُمحا وسهما فأبوا أن يعينوا الزبيدي على العاصي بن وائل وزبروه ونهروه فلما رأى الزبيدي الشرَّ رقى على أبي قُبَيْس عند طلوع الشمس وقريش في أُنْديتهم حول الكعبة فقال بأعلى صوته :

يا آل فِهْرٍ لِمَ ظَلَمْتُمُ بَضَاعَتَهُ بَبْطُنْ مكة نائى الدار والنفرِ
ومُحْرَمٍ أَشَعْتَ لَمْ يَقْضِ عُمرَتَهُ يا للرجال وبين الحجر والحجرِ
إنَّ الحرامَ لَمَنْ تَمَّتْ مَسْكَارُمُهُ ولا حرام لثوب الفاجر الغسدرِ

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال ألهذا^(١) مَتْرُكٌ ؟ فاجتمعت هاشم وزُهرة وتيم في دار عبد الله بن جُدعان فصنع لهم طعاما فحالفوا في القعدة في شهر حرام قايما فتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بَلَّ بَحْرٌ صوفة وما رَسَاحِرَاء وتبِير مَكَانَهُمَا ، وعلى النَّاسِ في المعاش . فسَمَّت قريش ذلك الحلف حِلْف الفضول وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فضولٍ من الأمر . ثم مشوا إلى العاصي بن وائل . فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه^(٢) .

(١) كذا والرواية عند ابن هشام وابن كثير : ما لهذا مترك .

(٢) سيرة ابن كثير ٢٥٧/١ .

وروى ابن اسحاق عن طلحة بن عبيد الله وابن سعد والبيهقي عن جبير بن مطعم رضى الله عنهما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم ولو دُعِيَ به في الإسلام لأَجَبْتُ »^(١)

وروى البيهقي عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما شهدتُ حلفاً لقريش إلا حلف المطيبين شهادته مع عمومى وما أحب أن لى به حمر النعم وأنى كنت نقضته .

قال بعض رواة : والمطيبون^(٢) هاشم وزهرة ومخزوم .

قال البيهقي : كذا روى هذا التفسير مُدرجاً ولا أدرى من قاله . وزعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُذكر حلف المطيبين .

الحلف : بكسر الحاء المهملة وإسكان اللام وهو العهد والبيعة .

الفضول : اختلفوا فيه فقليل سمي بذلك لأنه كان قد سبق قريشا فيما قاله ابن قتيبة إلى مثل هذا الحلف جرهم في الزمن الأول فتحالف منهم ثلاثة هم ومن تبعهم أحدهم : الفضل بن فضالة . والثاني : الفضل بن وداعة . والثالث : الفضل بن الحارث . هذا قول القُتَيْبِي . وقال الزبير : الفضل بن شراة والفضل بن قضاة فلما أشبه حلف الآخر فعمل هؤلاء الجرهميين سمي حلف الفضول ، والفضول جمع فَضْل وهي أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم .

قال السهيلي : وهذا الذى قاله ابن قتيبة حسنٌ ولكن في الحديث ما هو أقوى منه . روى الحميدى عن سفيان عن عبد الله بن محمد وعبد الرحمن بن أبي بكر قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دُعيت به في الإسلام لأَجَبْتُ تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها ولا يُعزَّ ظالم على مظلوم .

قلت : الظاهر أن قوله : تحالفوا إلى آخره - مُدرج من بعض رواة وليس بمرفوع ، فلا دلالة حينئذ فيه .

(١) سيرة ابن هشام ١/١٣٤ .

(٢) بالأصول : والمطيبين .

وقيل : إنما سمي حلفَ الفضول لأنهم أخرجوا فضول أموالهم للأضياف .
مُنْصَرَف : بفتح الراء .

جُدْعَان : بضم الجيم وإسكان الدال فعين مهملتين فألف فنون .
مَابِلَ بحر صوفة : يعنى الأبد ، أى ما قام فى البحر ماء ولو قطرة .
حُمُر النعم : بحاء مضمومة فميم ساكنة والنعم هنا : الإبل خاصة .

الباب الثاني عشر

في رعيته صلى الله عليه وسلم الغنم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله نبياً إلا راعى غنم » . فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « وأنا رعيته لأهل مكة بالقراريط » .

رواه ابن سعد والبخاري وابن ماجه^(١) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجني الكبّاث ، فقال : عليكم بالأسود منه فإنه أطيبه فإني كنت أجنيه إذ كنت أراعى الغنم . قلنا : وكنت تراعى الغنم يا رسول الله ؟ قال : نعم . وما من نبي إلا وقد رعاها .

رواه الإمام أحمد وابن سعد والشيخان^(٢) .

وروى أبو داود الطيالسي والبخاري وابن منده وأبو نعيم وابن عساكر عن بشر بن حرب البصري مرسلاً ، والإمام أحمد وعبد بن حميد عن أبي سعيد رضي الله عنه قالاً : افتخر أهل الإبل والشاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعث موسى وهو راعى غنم وبُعث داود وهو راعى غنم ، وبُعثت وأنا راعى غنم لأهل بيّاد^(٣) » .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : قال العلماء رضي الله تعالى عنهم : الحكمة في إلهام رعى الغنم قبل النبوة : أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما سيكلفونه من القيام بأمر أمتهم ، ولأن في مخالطتها ما يحصل

(١) طبقات ابن سعد ١/١٢٥ . (ط بيروت) . وسنن ابن ماجه كتاب التجارات باب ٥ . وصحيح البخاري كتاب

الإجارة باب ٢ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الأطعمة باب ٧٠ . وكتاب الأنبياء باب ٢٩ .

وصحيح مسلم كتاب الأشربة حديث رقم ١٦٥ . وطبقات ابن سعد ١/١٢٦ .

(٣) مستند أحمد ٣/٤٢ ، ٩٦ .

الحِلْم والشفقة ، لأنهم إذا صبروا على رَغِيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ، ونقلها من مَسْرَح إلى مَسْرَح ، ودَفَع عدوها من سَبْع وغيره كالسارق ، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة أَلِفُوا من ذلك الصبر على الأمة وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها ، فجبروا كَسِيرها^(١) ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاقد لها ، فيكون تحمّلهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلّفوا القيام بذلك من أول وهلة لما تحصّل لهم من التدريج على ذلك برعى الغنم ، وخُصِّصَت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها . وفي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لذلك بعد أن عَلِمَ أنه أكرم الخلق على الله تعالى ما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتّصريح بحِنِّته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء صلى الله عليه وسلم عليه وعليهم أجمعين .

الثاني : في فتاوى الشيخ رحمه الله تعالى نقلاً عن الحنفية والمالكية والحنابلة ومقتضى مذهب الشافعي : أنه يعزّر من قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم راعى غنم . إذا عيّر برعيها .

الثالث : في بيان غريب ما سبق .

رَغِيته بكسر الراء المراد : الهيئة . والغنم : منصوب مفعول المصدر وهو رَغِيته . على قراريط : قال الحافظ : على بمعنى الباء ، وهى للسببية . وقيل إنها للظرفية كما سيتبين . وفي رواية ابن ماجه ، عن سُؤيد بن سعيد ، والإسماعيلي عن حَسَّان بن محمد كلاهما عن عمرو بن يحيى : كنت أُرعاها لأهل مكة بالقراريط قال سويد بن سعيد : يعنى كل شاة بقيراط . يعنى القيراط الذى هو جزء من الدينار أو الدرهم .

وقال الإمام أبو إسحاق الحرّبي : قراريط : اسم موضع بمكة ولم يرد القراريط من الفضة . وصوّبه ابنُ الجوزي^(٢) تبعاً لابن ناصر وخطأً سُؤيداً في تفسيره .

قال الحافظ : لكن رجّح الأول بأن أهل مكة لا يعرفون بها مكاناً يقال له قراريط .

(١) ص ، ط : كسرهما .

(٢) الوفا ١/١٤٢ .

وزعم بعضهم أن في قوله صلى الله عليه وسلم في الرواية الأخرى : « وبعثت وأنا راعى غنم بأجْيَاد » ردّ لتأويل سُويد لأنه ما كان يرعى بالأجرة لأهله ، فتعيّن أنه أراد المكان فعبّر تارة بأجْيَاد وتارة بقراريط .

وليس الردّ بجيد إذ لا مانع من الجمع بأن يرعى لأهله بغير أجرة ولغيرهم بأجرة . والمراد بقوله : « أهلى » أهل مكة فيتحد الخبران ويكون في أحد الحديثين بين الأجرة وفى الآخر بين المكان فلا تنافى في ذلك .

وقال بعضهم : لم تكن العرب تعرف القراريط الذى هو من النقد ، ولذلك جاء فى الصحيح : « ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط^(١) » وليس الاستدلال لما ذكر من نفي المعرفة بواضح . انتهى كلام الحافظ .

قلت : تأويل سعيد هو الذى فهمه الإمام البخارى وهو الأجرة ، ولذا ذكره فى الإجارة .

الكَبَاث - بكاف فباء موحدة مفتوحتين فألف فثاء مثناة : النَّضِيج من ثَمَر الأراك .
جِيَاد : موضع بأسفل مكة معروف من شعابها ، ذكره بغير هَمْز البكرى فى معجمه .
أجْيَاد : بفتح أوله وإسكان ثانيه وبالمثناة التحتية والذال المهملة : كأنه جمع جيد ، موضع من بطحاء مكة من منازل قريش ، فإذاً يقال له جِيَاد وأجْيَاد بالهمز وعدمه .

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

الباب الثالث عشر

في سفره صلى الله عليه وسلم مرة ثانية إلى الشام

قال ابن إسحاق : وله من العمر خمس وعشرون سنة .

زاد غيره : لأربع عشرة ليلة من ذى الحجة .

وروى ابن سعد وابن السكَن وأبو نُعَيْم عن نفيسة بنت مُنَيَّة قالت : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وليس له بمكة اسم إلا الأَمِين لِمَا تَكَامَل فِيهِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ ، قَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ : يَا ابْنَ أَخِي أَنَا رَجُلٌ لَا مَالَ لِي وَقَدْ اشْتَدَّ الزَّمَانُ عَلَيْنَا وَالْحَتُّ عَلَيْنَا سِنُونَ مُنْكَرَةٌ وَلَيْسَتْ لَنَا مَادَّةٌ وَلَا تِجَارَةٌ ، وَهَذِهِ عِيْرُ قَوْمِكَ قَدْ حَضَرَ خُرُوجَهَا إِلَى الشَّامِ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ تَبِعَتْ رِجَالًا مِنْ قَوْمِكَ فِي عِيْرَاتِهَا فَيَتَجَرَّوْنَ لَهَا فِي مَالِهَا وَيَصِيبُونَ مَنَافِعَ ، فَلَوْجِثَتْهَا وَعَرَضَتْ نَفْسُكَ عَلَيْهَا لِأَسْرَعَتْ إِلَيْكَ وَفَضَّلْتَكَ عَلَى غَيْرِكَ ، لِمَا يَبْلُغُهَا عَنْكَ مِنْ طَهَارَتِكَ وَإِنْ كُنْتَ أَكْرَهَ^(١) أَنْ تَأْتِيَ الشَّامَ ، وَأَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ يَهُودَ ، وَلَكِنْ لَا تَجِدُ مِنْ ذَلِكَ بُدًّا .

وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام فيكون غيرها كعامة غير قريش ، وكانت تستأجر الرجال وتدفع إليهم الأموال مضاربة ، وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن تاجرا من قريش فليس عندهم^(٢) بشيء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلعلها ترسل إلي في ذلك . فقال أبو طالب : إني أخاف أن تولي غيرك فتطلب أمرا مُدْبِرا . فافترقا .

وبلغ خديجة ما كان من محاوره عمه له وقَبِلَ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ صَدَقِ حَدِيثِهِ وَعِظَمِ أَمَانَتِهِ وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ ؛ فَقَالَتْ : مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يَرِيدُ هَذَا .

(١) ص ، ط : لأكره . وما أثبتته من ت ، م .

(٢) ت م : لم يكن عندهم .

ثم أرسلت إليه فقالت : إنه دعاني إلى البعث إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك ، وأنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلا من قومك .

ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم لقي عمه أبا طالب فذكر له ذلك فقال : إن هذا لرزق ساقه الله إليك .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع غلامها ميسرة ، وقالت خديجة لميسرة : لاتعص له أمرا ولا تخالف له رأيا .

فخرج هو وميسرة وعليه غمامة تظله وجعل عمومته يؤصون به أهل البعير .

فخرج حتى قدم الشام فنزلا في سوق بُصْرَى في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب يقال له نسطورا . فاطلع الراهب إلى ميسرة - وكان يعرفه - فقال : ياميسرة من هذا الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال ميسرة : رجل من قريش . فقال الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي ، أفي عينيه حُمْرة ؟ قال ميسرة : نعم لاتفارقه . فقال الراهب : هو هو ، وهو آخر الأنبياء ، ويا ليت أني أدركه حيث يؤمر بالخروج .

وعند أبي سعد النيسابوري في الشرف : فلما رأى الغمامة فزع وقال : ما أنتم ؟ قال : ميسرة غلام خديجة ، فدنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم سرا من ميسرة وقبل رأسه وقدميه وقال : آمنت بك وأنا أشهد أنك الذي ذكره الله في التوراة . ثم قال : يامحمد قد عرفت فيك العلامات كلها خلا خضلة واحدة فأوضح لي عن كتفك . فأوضح له ، فإذا هو بخاتم النبوة يتلأل ، فأقبل عليه يقبله ويقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله النبي الأمي الذي بشر بك عيسى بن مريم فإنه قال : لا ينزل بعدى تحت هذه الشجرة إلا النبي الأمي الهاشمي العربي المكي صاحب الخوض والشفاعة وصاحب لواء الحمد . انتهى .

فوعى ميسرة ذلك .

ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق بُصْرَى فباع سلعته التي خرج بها واشترى ، فكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة فقال الرجل : احلف باللات والعزى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما حلفت بهما قط . فقال الرجل : القول قولك .

ثم قال لميسرة وخلا به : يا ميسرة هذا نبيُّ هذه الأمة والذي نفسى بيده إنه لو تجده أحبارنا منعوناً في كتبهم ، فوعى ميسرة ذلك .

ثم انصرف أهلُ العير جميعاً ، وكان ميسرة يرى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملكين يُظِلُّانه من الشمس وهو على بعيره . وكان الله تعالى قد ألقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة من ميسرة ؛ فكأنه عَبْدُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعند أبي سَعْدٍ في « الشرف » أنهم باعوا متاعهم وربحوا ربحاً لم يربحوا مثله قط ، فقال ميسرة : يا محمد اتَّجَرْنَا لخديجة أربعين سنة مارأيتُ ربحاً قط أكثر من هذا الربح على وجهك .

فلما كانوا بمرَّ الظهران قال ميسرة للنبي صلى الله عليه وسلم : هل لك أن تسبقني إلى خديجة فتخبرها بالذي جرى لعلها تزيدك نكرةً إلى بكرتيك . فركب النبي صلى الله عليه وسلم قعوداً أحمر فتقدم حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في عُلْيَةٍ^(١) لها معها نساء فيهن نفيسة بنت مُنَيَّة فرأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يُظِلُّان عليه فأرته نساءها فعمجين^(٢) لذلك .

ودخل عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فخبَّرها بما ربحوا فسُرَّت بذلك وقالت : أين ميسرة ؟ قال : خلفته في البادية . قالت : عجِّلْ إليه ليعجِّلَ بالإقبال . وإنما أرادت أن تعلم أهو الذي رأت أم غيره . فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعدت خديجة تنظر فرأته على الحالة الأولى فاستيقنت أنه هو ، فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت وأخبرها بقول الراهب نسطورا وبقول الآخر الذي خالفه في البيع .

قال ابن إسحاق : فلما رأت خديجة أن تجارتها قد ربحت أضعفت له ماسمت^(٣) .

وكانت قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وكان ابن عمها وكان

(١) العلية : الفرقة .

(٢) ت م : فتمجين .

(٣) حديث سفر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشام في تجارة خديجة رواه ابن سعد في الطبقات ١/١٢٩ (ط بيروت) وابن هشام في السيرة ١/١٨٨ (ط الحلبي) وابن كثير في السيرة ١/٢٦٢ . والكلاعي في الاكتفا ١/١٩٦ .

نصرانيا قد تتبّع الكتب وعلم من علم الناس ، ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب
وما كان يُرى منه إذ كان الملكان يُظِلّانه ، فقال ورقة : يا خديجة إن محمدا لنبي هذه الأمة
وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبيّ ينتظر ، هذا زمانه . أو كما قال :

وجعل ورقة يستبطن الأمر^(١) وله في ذلك أشعار منها مارواه يونس بن بُكَيْر عن

ابن إسحاق :

أَتُبَكِّرُ أَمْ أَنْتَ الْعَشِيَّةُ رَائِحُ
لِفُرْقَةٍ قَوْمٍ لَا أَحَبُّ فَرَاقَهُمْ
وَأَخْبَارُ صَدَقَ خَبَرْتُ عَنْ مُحَمَّدٍ
فَتَاكِ الَّذِي وَجَّهَتْ يَا خَيْرَ حُرَّةٍ
إِلَى سَوْقِ بُضْرَى فِي الرِّكَابِ الَّتِي غَدَتْ
فَخَبَرْنَا عَنْ كُلِّ حَبِيرٍ بَعْلَمَهُ
بِأَنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ مُرْسَلُ
وِظْنِي بِهِ أَنَّ سَوْفَ يُبْعَثُ صَادِقًا
وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ حَتَّى يُرَى لَهُ
وَيَتَّبِعَهُ حَيًّا لِنُؤَى بْنِ غَالِبٍ
فَإِنْ أَبَقَ حَتَّى يَسْدُرَكَ النَّاسَ أَمْرُهُ
وِلَا فَإِنِّي يَا خَدِيجَةَ فَاعْلَمِي

وَفِي الصَّدْرِ مِنْ إِضْمَارِكَ الْحَزْنَ فَادِحُ
كَأَنَّكَ عَنْهُمْ بَعْدَ يَوْمَيْنِ نَازِحُ
يَخْبِرُهَا عَنْهُ إِذَا غَسَابُ نَاصِحُ
بَغَوْرٍ وَبِالنَّجْدَيْنِ حَيْثُ الصَّحَّاحُ
وَهُنَّ مِنَ الْأَحْمَالِ قُفُصُ دَوَالِحُ
وَلِلْحَقِّ أَبْوَابٌ لَهْنُ مَفَاتِحُ
إِلَى كُلِّ مَنْ ضُمَّتْ عَلَيْهِ الْأَبَاطِحُ
كَمَا أُرْسِلَ الْقَبْدَانُ هَوْدُ وَصَالِحُ
بِهَاءٍ وَمَنْشُورٍ مِنَ الذِّكْرِ وَاضِحُ
شَبَابُهُمُ وَالْأَشْيَبُيُونَ الْجَحَاجِحُ
فَإِنِّي بِهِ مُسْتَبَشِّرُ السُّودِ فَسَارِحُ
عَنْ أَرْضِكَ^(٢) فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ نَازِحُ

وقال أيضا :

لَجَجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرِ لَجُوجًا
وَوَصَفٍ مِنْ خَدِيجَةَ بَعْدَ وَصَفٍ
بِبَطْنِ الْمَكْتَنَيْنِ عَلَى رَجَائِي
بِمَا أَخْبَرْتَنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ

لَهُمْ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا
فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا
حَدِيثُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا
مِنَ الرِّهْيَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَعْجُوجَا

(١) ت م ، : هذا الأمر .

(٢) ط : عن الدار .

بأنَّ محمداً سَيُّسُودُ قسوماً وَيَخْصِمُ من يكون له حَجِيجَا
وَيُظْهِرُ في البلاد ضياءَ نُورٍ يُقِيمُ به البرِّيَّةَ أَنْ تَمُوجَا
فَيَلْقَى من يحاربُه خَساراً ويلقى من يُسألُه فُلُوجَا
فِيالْيَتِي إذا ما كان ذا كَمٍ شَهِدْتُ فكنت أولهم وُلُوجَا
ولسوجاً في الذي كرهتُ قريشُ ولو عَجَّتْ بمكتهما عَجِيجَا
أرجى بالذي كرهسوا جميعا إلى ذى العرش إن سفلسوا عُرُوجَا
وهل أَمَسُّ السفاهة غير كُفْرٍ بمن يختار من سَمَكِ البرُوجَا
فإن يَنْقُصُوا وأَبَقِ تكن أَمُورٌ يَضِجُ الكافرون لها ضجيجا
وإن أَهْلِكَ فكلُّ قى سيلقى من الأقدار مَتَلَفَةً خروِجَا^(١)

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : قول الراهب : «مانزل تحت هذه الشجرة إلانبي» قال السهيلي : يريد مانزل تحتها هذه الساعة قط إلانبي . ولم يرد مانزل تحتها قط إلانبي لبُعْد العهد بالأنبياء قبل ذلك ، وإن كان في لفظ الخبر قط فقد يُتَكَلَّمُ بها على جهة التوكيد للنفي ، والشجرة لا تعمّر في العادة هذا العمر الطويل حتى يُدْرَى أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى أو غيره من الأنبياء ، ويبعد في العادة أيضا أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد حتى يجيء نبي ، إلا أن تصح رواية من قال : لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم . وهي رواية عن غير ابن إسحاق فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية . انتهى . وأقره في «الزهر» و«النور» .

وتعقبه الإمام العلامة عز الدين ابن جماعة بأنه مجرد استبعاد لادلالة فيه على امتناع ولا إحالة ، وبأنه استبعاد يُضْعَفُه معارضة ظاهر الخبر وكون متعلقات الأنبياء مظنة خرق العادة ، فلا يكون حينئذ ذلك من طول البقاء وصرف غير الأنبياء عن النزول تحتها ببعيد ، وذلك واضح فتفطن .

قلت : ويؤيد ما ذكره الشيخ عز الدين ما سبق نقله عن أبي سعد ، وما في أسباب

(١) القصيدتان على ما يظهر مصنوعتان متكلفتان ، وقد رواهما عن ابن إسحق - من رواية يونس بن بكير - الكلامي في الاكتفا ٢٠١/١ . وابن كثير في سيرته ٢٦٨/١ ، ٢٦٩ .

النزول للإمام الواحدى أن أبا بكر رضى الله عنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم فى سفره إلى الشام فنزلوا منزلاً فيه سِدْرَة ، فقعد النبي صلى الله عليه وسلم فى ظلّها وذهب أبو بكر يسأل عن الدّين ، فقال له الراهب : الرجل الذى فى ظل الشجرة من هو ؟ . قال : محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب . قال : هذا والله نبيّ ، ما استظل تحتها أحدٌ بعدَ عيسى بن مريم إلا محمد ابن عبد الله^(١) .

وذكر العلماء بالنبات أن الزيتون قد تُعَمَّر الشجرة منه ثلاث آلاف سنة وما يقارب ذلك والله تعالى أعلم .

الثانى : قال فى « النور » لم أرَ لميسرة ذُكِرَ فى كتب الصحابة ، والظاهر أنه توفى قبل البعثة ولو أدرك النبي صلى الله عليه وسلم لأسلم والله تعالى أعلم .

قلت : وذكره الحافظ فى الإصابة فى القسم الأول وقال : لم أقف على رواية صحيحة^(٢) بأنه بقى إلى البعثة فكتبته على الاحتمال .

الثالث : فى بيان غريب ما سبق .

نفيسة : صحابية رضى الله تعالى عنها . مُنية بيم مضمومة فنون ساكنة فمثناة تحتية فتاء تانيث .

أَلَحَّت علينا : أقبلت ودامت . مادة الشيء : ما يُمدّه ويقوّيه .

السُّنُون : القحوط .

عيراتها : جمع عير : الإبل التى تحمل الميرة .

المُضَارَبَة : والمقارضة والقِرَاض بمعنى واحد . سُمِّيت مُضَارَبَة لأن كل واحد منهما يَضْرَب فى الربح بسَهْم . وقيل غير ذلك .

تِجَار - بكسر المثناة الفوقية وتخفيف الجيم ويجوز ضم التاء وتشديد الجيم ، وهما

(١) أسباب النزول للواحدى صفحة ٢٥٤ (ط الحلبى) .

(٢) ت ، م صريحة .

لغتان : جمع تاجر . ويقال أيضا : تَجَّر كصاحب وصحب . والتجارة : تقليب المال وتصريفه لأجل النماء .

المحاورة : المجاذبة ، والتحاور : التجاذب .

نَسْطُورا - بنون مفتوحة فسين ساكنة فطاء مضمومة مهملتين . قال في النور : وألفه مقصورة كذا أحفظه .

مَرَّ الظَّهْران : بفتح الميم وتشديد الراء وطاء معجمة مُشَالَة بلفظ تشنية الظَّهْر : واد بين مكة والمدينة وتسميهِ العامة بطنَ مَرَّو .

في ساعة الظَّهيرة : هي شدة الحر نصفَ النهار ، ولا يقال في الشتاء ظهيرة . والجمع ظهانر .

إِضْمارك : إخفاؤك .

الْحَزَنَ : بفتح النون مفعول المصدر وهو إِضْمارك . فادح - بالفاء والdal والحاء المهملتين أى ثقيل وفي نسخة من الرُّوض والعيون : بالقاف . قال في الصُّحاح : القادح الصَّدع في العود .

نازح : بعيد . وأخبار : بفتح الهمزة وخفض الراء معطوف على فرقة وهو جمع خبر .

خَبَّرَتْ : بفتح الخاء المعجمة مبنى للفاعل : فَتَاكَ : أى غلامك مَيَسرة .

الغَوْر : المطمئن من الأرض . النَّجْد : المرتفع منها .

الصُّحاصح : بصادين وحائين مهملات : جمع صَحْصَح وهو المكان المستوى .

الرُّكَّاب : بكسر الراء المشددة : الإبل التي يسار عليها ، الواحدة راحلة لا واحد لها من لفظها ، والجمع الرُّكْب مثل الكُتْب .

دوالج : بالجيم جمع دالج : السائر أول الليل .

الأباطح : جمع أَبْطَح .

مَسِيل : مُتَّسِع فيه دِقَاق الحصى .

كما أُرْسِلَ : بالبناء للمفعول .

البهاء بالمد : الحسن . الأَشْيُبُون : بشين معجمة فمشناة تحتية فموحدة جمع أَشْيَب وهو المبيضُ الرأس .

الجَحَاجِح - بجيم فحاء مهملة فآلف فجيم مهملة جمع جَحْجَاج وهو السيد .

النَّشِيج - بنون مفتوحة فشين معجمة فمشناة تحتية فجيم : البكاء مع صوت .

القُس - بضم القاف - واحد القُسَّيسين وهم عُبَاد النصارى .

وقوله ببطن المكتين : ثنى مكة وهى واحدة لأن لها بِطَاحا وظواهر ، على أن للعرب مذهباً فى أشعارها فى ثنية البقعة الواحدة ، ومقصدهم فى هذه الإشارة إلى جانبى كل بلدة والإشارة إلى أعلى البلد وأسفله فيجعلونها اثنتين على هذا المغزى .

تموج : أى يضرب بعضها فى بعض .

الفلُّوج - بفاء فلام مضمومتين آخره جيم : الظهور على الخصم .

عَجَّت : ارتفعت أصواتها . العُروج : الصعود والعلو .

سَمَكَ - بفتحات : رَفَعَ .

يَضَجَّ - بمشناة تحتية فضاد معجمة فجيم : أى يصيح .

مَتَلَفَة - بيم مفتوحة فمشناة فوقية فلام ففاء مفتوحتين أى مهلكة .

الخُرُوج - بخاء معجمة مفتوحة : أى الكثيرة التصرف .

الباب الرابع عشر

في نكاحه صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وأرضاها

وسبب ذلك ما حدثها به غلامها ميسرة وما رآته من الآيات وما ذكره ابن إسحاق في المبتدأ قال : كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه في المسجد فاجتمعن يوماً فيه فجاءهن يهودى فقال : يا معشر نساء قريش إنه يوشك فيكن نبيّ فأيكن استطاعت أن تكون فراشاً له فلتفعل . فحصبه النساء وقبحنه وأغلظن له . وأغضت خديجة على قوله ولم تعرض فيما عرض فيه النساء ووقر ذلك في نفسها ، فلما أخبرها ميسرة بما رآه من الآيات وما رآته هي قالت : إن كان ما قاله اليهودى حقاً ما ذلك إلا هذا .

واختلفوا في سبب الخطبة . فعند أبي سعد النيسابورى في « الشرف » أن خديجة رضى الله تعالى عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : اذهب إلى عمك فقل له : عجل إلينا بالغداة . فلما جاء قالت له : يا أبا طالب ادخل على عمرو عمى فكلّمه يزوّجنى من ابن أخيك محمد بن عبد الله . فقال أبو طالب : يا خديجة لا تستهزئى . فقالت : هذا صنع الله . فقام أبو طالب مع عشرة من قومه . فذكر الحديث .

وعند الزهرى في سيرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة ليتحدث عندها فلما قام من عندها جاءت امرأة فقالت : خاطباً يا محمد ؟ فقال : كلا . فقالت : ولم ؟ فوالله ما فى قريش امرأة وإن كانت خديجة إلا تراك كُفُثاً لها . فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطباً لخديجة مستحياً منها .

وعند يعقوب بن سفيان في تاريخه عن عمار قال : مررت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بأخت خديجة فنادتني فأنصرفت إليها ووقف لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : أما لصاحبك هذا من حاجة فى تزويج خديجة ؟ فقال عمار : فأخبرته . فقال : بلى

لَعَمْرِي . فذكرت ذلك لها ، فقالت : اغدوا علينا إذا أصبحنا . فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرةً وألبسوا خديجة حُلَّةً . وذكر الحديث .

وعند ابن إسحاق في المبتدأ أنها قالت له : يا محمد ألا تتزوج ؟ قال : ومن ؟ قالت : أنا قال : ومن لي بك ، أنت أئيم قريش وأنا يتيم قريش . قالت : اخطبني . وذكر الحديث

وعنده في السيرة : فلما استقر عندها ذلك ، أي ما أخبرها به ميسرة وما رآته وكانت امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله تعالى بها من الكرامة والخير ، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالا ، وكل قومها حريص على نكاحها لو يقدر عليه ، عرضت نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له فيما يزعمون : إني رغبت فيك لقربانتك وسيطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك . فلما قالت له ذلك ذكره لأعمامه . وذكر الحديث .

وروى ابن سعد عن نفيسة بنت منية قالت : كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير ، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الأموال ، فأرسلتني دسيساً إلى محمد بعد أن رجع في غيرها من الشام فقلت : يا محمد ما يمنعك أن تتزوج ؟ فقال : ما بيدي ما أتزوج به . قلت : فإن كُفيت ذلك ودُعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تُجيب ؟ قال : فمن هي ؟ قلت : خديجة . قال : وكيف لي بذلك ؟ قالت : قلت : علي . قال : فأنا أفعل . فذهبت فأخبرتها فذكرت الحديث . قالت : فأرسلتُ إليه أن ائت ساعة كذا وكذا . فحضر وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها^(١) .

وعند ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مع عمه حمزة . وعند النيسابوري في الشرف أن أبا طالب خرج مع عشرة من قومه حتى دخلوا على عمها فخطبها فزوجها . فقال عمرو بن أسد : هذا الفحل لا يُقدَّع أنفه .

(١) طبقات ابن سعد ١/١٣١ (ط بيروت) .

قال ابن هشام : أَضَدَّهَا عَشْرِينَ بَكْرَةً . وقال البلاذريّ والدمياطى : اثنى عشرة أوقية ونشاً^(١) . قال المحب الطبرى : ذهباً .

وذكر أبو الحسين بن فارس وغيره رحمهم الله تعالى أن أبا طالب خطب يومئذ فقال : الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئى معدّ وعنصر مضر ، وجعلنا حصنة بيته وسؤاس حرمة وجعل لنا بيتاً مخجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا حكام الناس ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يؤزن به رجل إلا رجح به شرفاً ونُبلاً وفضلاً وعقلاً وإن كان فى المال قِلاً^(٢) فإن المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مُسترجعة ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ، وقد خطب إليكم رغبةً فى كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق حكمكم عاجله وآجله اثنتا عشرة أوقية ونشاً .

فقال عمرو بن أسد عمها : هو الفحل لا يُقَدِّع أنفه . وأنكحها منه . ويقال : إن ورقة هو الذى قاله .

قال ابن إسحاق فى المبتدأ : وكان تزويجه لها بعد مجيئه من الشام بشهرين وخمسة وعشرين يوماً عقب صفر سنة ست وعشرين .

قال الزهرى : وقال راجز من أهل مكة فى ذلك :

لاتزهدى خديجٌ فى محمد نجم يضىء كما أضاء الفرقد

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : ماتقدم من أن عمها هو الذى زوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره أكثر علماء أهل السير . قال السُّهيلي : وهو الصحيح ، لما رواه الطبرى عن جُبَيْر ابن مُطْعِم وابن عباس وعائشة كلهم قال : إن عمرو بن أسد هو الذى أنكح خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن خويلد كان قد هلك قبل الفجار . ورجّحه الواقدي وغلّط من قال بخلافه .

(١) أنساب الأشراف ٩٧/١ . قال : والأوقية أربعون درهما .

(٢) فى الأصول : قل . ولعله تحريف .

وقال عمر بن أبي بكر المؤملي : المجتمع عليه أن عمها عمرو بن أسد هو الذي زوجها منه .

وذكر الزهري في سيرته أن خويلداً أباهما الذي زوجها منه وكان قد سكر من خمر ، فألقت عليه خديجة حلةً وضممته بخلوق فلما صحا من سكره قال : ماهذه الحلة والطيب ؟ فقيل : إنك أنكحت محمداً خديجةً وقد ابتنى بها . فأنكر ذلك ثم رضىه وأمضاه . ووافقه ابن إسحاق على ذلك ، وذكر ابن إسحاق في آخر كتابه أن عمرو بن خويلد أخاها هو الذي زوجها . فالله أعلم^(١) .

الثاني : اختلف في قدر عمر خديجة وعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ فقيل : كان عمره صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة . قال في « الغرر » وهو الصحيح الذي عليه الجمهور . وقطع به أبو عمرو الحافظ عبد الغنى المقدسي . وقيل : إحدى وعشرين سنة . وقدمه في « الإشارة »^(٢) .

وقيل : تسعا وعشرين وقد راهق الثلاثين . قاله البرقي . وقيل ثلاثين . وقيل سبعا وثلاثين وقيل غير ذلك .

قال في « الغرر »^(٣) وهذه الأقوال الأربعة ضعيفة ليس لها حجة تقوم على ساق . وقيل : كان عمرها رضى الله عنها أربعين سنة . وصححه في « الغرر » وقيل خمسا وأربعين وقيل ثلاثين وقيل ثمانية وعشرين .

الثالث : ذكر الحافظ يعقوب بن سفيان في كتاب « ماروى أهل الكوفة مخالفاً لأهل المدينة » أن علياً ضمير المهر وقال : هذا غلط .

قال في « الزهر » قد وجدنا ما ينفي الغلط وهو ما ذكره ابن إسحاق في المبتدأ : أن علياً قال : أرسلني أبي أنه يضمن لكم المهر فزوجه . قال : فهذا يبين لك معنى ما أشكل على يعقوب ويوضحه .

(١) سيرة ابن كثير ٢٦٦/١ ، ٢٦٧ .

(٢) انظر المقدمة في الجزء الأول لمعرفة هذه الكتب ومؤلفيها .

وتعقبه الحافظ في الحاشية بأن عليا كان كما ولد أو لم يكن حينئذ ولد ، على جميع الأقوال في مقدار عمره . وتعقب في « الغرر » كلام « الزهر » أيضا بأن عليا لم يكن ولد كما سنذكر الخلاف في سنة حين أسلم . والصحيح أنه ثمانية وعند آخرين عشرة وعلى الأول يكون مولده سنة اثنتين وثلاثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الثاني يكون سنة ثلاثين . فيكون تزوج النبي صلى الله عليه وسلم قبل مولده بسبع سنين أو خمس . والله تعالى أعلم .

الرابع : في بيان غريب ما سبق .

جَلْدَة - بفتح الجيم وإسكان اللام وبالدال المهملة : الصُّلْبَة القوية .

الْحَزْم : ضَبَط الشخص أمره وأخذه بالثقة ، وقد حَزَم الرجل بالضم فهو حازم .

السُّطَة - بسين مكسورة وطاء مفتوحة مهملتين . قال السهيلي : هي من الوسط مصدر كالْعِدَّة والزَّئِنَة ، يعنى من الوعد والوزن . والكلمة أصلها الواو ، والهاء عوض عنها .

والوسط من أوصاف المدح والتفضيل ولكن في مقامين : في ذِكر النَّسَب وفي ذِكر الشهادة . أما النسب : فلأن أوسط القبيلة أعرقها وأولاهها بالصميم وأبعدها عن الأطراف وأجدر أن لاتضاف إليه الدعوى ، لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب فكان الوسط من أجل هذا مدحا في النسب لهذا السبب . وأما في الشهادة فنحو قوله تعالى : « قال أوسطهم »^(١) « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس »^(٢) وكان هذا مدحا في الشهادة لأن غاية العدالة في الشاهد أن يكون وسطا كالميزان لا يميل مع أحد بل يصمم على الحق تصميما ، لا يجذبه هوى ولا تميل به رغبة ولا رهبة من هاهنا ولا من هاهنا فكان وصفه بالوسط غاية في التزكية والتعديل وظن كثير من الناس أن معنى الوسط الأفضل على الإطلاق ، وقالوا معنى الصلاة الوسطى الفضلى ، وليس كذلك بل هو في جميع الأوصاف لامدح ولا ذم كما يقتضى لفظ التوسط فإذا كان وسطا في السَّمَن فهو بين المُمِخَّة^(٣) أى السمينة والعجفاء . والوسط في الجمال بين الحسناء

(١) سورة ن ٢٨ .

(٢) سورة البقرة ١٤٣ .

(٣) يقال : أخت الشاة إذا سمت .

والشَّوْهَاءُ إِلَى غير ذلك من الأوصاف لا يعطى مدحاً ولا ذمّاً . غير أنهم قد قالوا في المثل :
أثْقَلُ مِنْ مُغْنٍ وَسَطٍ عَلَى الذِّمِّ لِأَنَّ الْمَغْنَى إِنْ كَانَ مَجِيداً جِداً أَمْتَعَ وَأَطْرَبَ وَإِنْ كَانَ بَارِداً
جِداً أَضْحَكَ وَأَلْهَى وَذَلِكَ أَيْضاً مِمَّا يُمْتَنَعُ . قال الجاحظ : وَإِنَّمَا الْكَرْبُ الَّذِي يَجْتَمِعُ عَلَى
الْقُلُوبِ وَيَأْخُذُ بِالْأَنْفَاسِ الْغَنَاءُ الْفَاتِرُ الْوَسْطُ الَّذِي لَا يُمْتَنَعُ بِصَوْتٍ^(١) وَلَا يُضْحَكُ بِهِ .

وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال في رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أَوْسَطُ النَّاسِ .
أى أفضلهم ولا يوصف بأنه وسط في العلم ولا في الجود ولا في غير ذلك إلا في التَّسْبِ والشَّهَادَةِ .
دَسِيساً : بفتح الدال وسينين مهملتين الأولى مكسورة بينهما مشناة تحتية ساكنة
يقال دَسَسْتُ الشَّيْءَ فِي الشَّيْءِ إِذَا أَخْفَيْتَهُ فِيهِ . والدَّسِيسُ إخفاء المكر .

الضُّضْضُ بِكسر الضادين المعجمتين وبهمزتين الأولى ساكنة ويقال فيه ضِضْضِيءٌ بوزن
قنديل وضُوضُ بوزن هُدهُد ، وضُوضُوءٌ بوزن سُرسُور ، ويقال أيضاً بصادين وسينين
مهملتين ، وهو في الجميع : الأَصْلُ والمَعْدِنُ .

العنصر : بعين مهملة مضمومة فنون ساكنة وصاد مهملة مضمومة وقد تفتح : الأَصْلُ
الْفَحْلُ : بفاء فحاء مهملة : معروف .

لَا يُقْدَعُ : بمشناة تحتية مضمومة فحاق ساكنة فداد مفتوحة فعين مهملتين قال
في الصحاح : قَدَعْتُ فَرَسِي أَقْدَعُهُ قَدْعاً : كَبَحْتُهُ وَكَفَفْتُهُ ، فهو فرس قَدُوعٌ أى يحتاج
إلى القَدْعِ ليكفَّ بعضَ جَرِيهِ . وهذا فحل لَا يُقْدَعُ أى لَا يُضْرَبُ أَنْفُهُ ، وذلك إذا كان
كريماً . وفي النهاية : يقال : قَدَعْتُ الْفَحْلَ وهو أن يكون غير كريم فإذا أراد ركوب
الناقة الكريمة ضُربَ أَنْفُهُ بِالرَّمْحِ أو غيره حتى يرتدع وينكف . ويروى بالراء .

التَضْمُخُ : التلطخ .

الْخُلُوقُ : بفتح المعجمة طيب يُخْلَطُ بِزَعْفَرَانٍ .

النَّشْرُ : بنون مفتوحة فشين معجمة : نصف أوقية ، والأوقية أربعون درهماً ، فيكون
جملة الصداق خمسمائة درهم شرعى .

(١) غير ط : لا يمتنع بحسن .

الباب الخامس عشر

في بنيان قريش الكعبة

وكان بناؤهم لها لأمر :

الأول : توهينها من الحريق الذي أصابها ، وذلك أن امرأة جَمَرَت الكعبة فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت . .

الثاني : أن السيل دخلها وصدَّع جدرانها بعد توهينها .

الثالث : أن نفرا سرقوا حُلِيَّ الكعبة وغزالين من ذهب . وقيل غزال واحد مُرَّصع بدرّ وجوهر وكان في بشر في جوف الكعبة ، وكان الذي وجد عنده دُوَيْك مولى لبني مُلَيْح ابن عمرو من خُزَاعَة فقطعت قريش يده . وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيْك .

فأرادوا أن يشدُّوا بنيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاعوا ، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّة لرجل من تجار الروم اسمه باقوم - بباء موحدة ففاف مضمومة - وكان بانيا فتحطمت ، فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش إلى السفينة فابتاعوا خشبها وكلموا الرومي باقوم فقدم معهم فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيف الكعبة .

قال الأموي : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم تحمل له آلات البناء من الرخام والخشب والحديد ، سَرَّحها قيصر مع باقوم إلى الكنيسة التي أحرقها الفرس بالحبشة ، فلما بلغت مرساها من جُدَّة بعث الله تعالى عليها ريحا فحطمتها^(١).

قال ابن إسحاق : وكان بمكة رجل قبطي نجار ، فتهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها . وكانت حَيَّة عظيمة تخرج من بشر الكعبة التي كان يُطْرَح فيها ما يُهْدَى لها فتشْرِقُ على

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢٧٦/١ .

جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ذلك أنه لا يدنو منها أحدٌ إلا انخرألت^(١) وكشّت وفتحت
فأما فكانوا يهابونها .

وحكى السهيلي عن رزين أن سارقاً دخل الكعبة في أيام جرهم ليسرق كنزها فأنهار البشرُ
عليه حتى جاءوا فأخرجوه وأخذوا ما كان أخذه . ثم سكنت البشر حية كراأس الجدّي
وبطنها أبيض وظهرها أسود . فأقامت فيه خمسمائة سنة ، وهى التى ذكرها ابن إسحاق .

قال ابن عُقبة : وزعموا أنها إذا أحاطت بالبيت كان رأسها عند ذنبيها^(٢) .

فبينما هى ذات يوم تشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله تعالى طائراً
فاختطفها فذهب بها فقالت قريش عند ذلك إنا لندرجو أن يكون الله تعالى قد رضى ما أردنا ،
عندنا عامل رقيق وعندنا خشب ، وقد كفانا الله تعالى الحية .

فلما أجمعوا أمرهم فى أمرها^(٣) وبنيناها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ . قال ابن
إسحاق : بن عبد بن عمران . وقال ابن هشام : عائذ بن عمران ثم اتفقا فقالا : ابن
مخزوم . وهو خال أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شريفاً فتناول حجراً من الكعبة
فوثب من يده حتى رجع إلى مكانه فقال : يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنيناها من كسبكم
إلا طيباً لا يدخل فيها مهر بئى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس .

وبعض الناس ينحل هذا الكلام إلى الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .
ثم إن قريشاً تجزأت الكعبة فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة . وكان ما بين
الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم . وكان ظهر
الكعبة لبني جُمَح وبني سَهْم ، وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قُصَي ، ولبنى أسد بن
عبد العزى بن قُصَي ولبنى عدى بن كعب ، وهو الحَظِيم^(٤) . فأمروا بالحجارة تجمع وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم .

(١) كذا بالأصل ، بالغاء المعجمة ، وسيأتى فى التنبيهات ضبط الكلمة بالحروف ، بالغاء المعجمة أيضاً . وفى ابن
هشام : انخرألت . بالغاء . وكذا فى سيرة ابن كثير ٢٧٧/١ .

(٢) سيرة ابن كثير ٢٧٥/١ .

(٣) كذا بالأصل وفى ابن هشام : فى هدمها . وعند ابن كثير : لهدمها .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١٩٢/١ - ١٩٥ (ط الحلبي الثانية) .

روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : لَمَّا بُنِيتِ الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس ينقلون الحجارة فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل إزارك على رقبتك يقيك الحجارة . ففعل وكان ذلك قبل أن يُبعث فخرٌ إلى الأرض فطمحت عيناه إلى السماء فقال : إزارى . إزارى . فشدّه عليه . وفي رواية : فسقط مغشيا عليه فما رثى بعدُ عُرْيَانَا^(١) .

وروى عبد الرزاق والطبراني والحاكم عن أبي الطُّفَيْل رضى الله عنه قال : كانت الكعبة في الجاهلية مبنية بالرَّضْم ليس فيها مَدَر ، وكانت قَدْر ما تقتحمها العَنَاق ، وكانت ثيابها توضع عليها تُسَدِّل سَدَلًا ، وكانت ذات ركنين كهيئة هذه الحلقة فأقبلت سفينة من الروم حتى إذا كانوا قريباً من جُدة انكسرت فخرجت قريش لتأخذ خشبها فوجدوا الرومى الذى^(٢) فيها نَجَّارًا ، فقدموا به وبالخشب ليبنوا به البيت فكانوا كلما أرادوا القرب منه لَهْدَمه بدت لهم حَيَّة فاتحةٌ فاها ، فبعث الله تعالى طيراً أعظم من النَّسْر فغرز مخالبه فيها فألقاها نحو أَجْيَاد ، فهدمت قريش الكعبة وبنوها بحجارة الوادى فرفعوها في السماء عشرين ذراعاً ، فَبَيَّنَا النبي صلى الله عليه وسلم يحمل الحجارة من أَجْيَاد وعليه نَمْرَة فضاقت عليه النمرة فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته من صِغَرها فنودى : يا محمد خَمِّر عورتك . فلم يُرَ عُرْيَانَا بعد ذلك^(٣) .

قال ابن إسحاق : ثم إن الناس هابوا هدمها وَفَرَّقُوا منه . فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدوكم في هدمها . فأخذ المغول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم تُرْعَ . ويقال لم تُرْعَ ، اللهم لا نريد إلا الخير . ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربَّص الناس تلك الليلة وقالوا : ننتظر فإن أُصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شيء هدمنا فقد رضى الله تعالى ما صنعنا . فأصبح الوليد من ليلته غادياً إلى عمله فهدم وهدم الناس حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس أساس إبراهيم صلى الله عليه وسلم أَفْضَوْا إلى حجارة خُضِر كالأَسْمَةِ آخذ بعضها ببعض ، فأدخل رجل من كان يهدم عَتَلته بين حَجَرَيْنِ

(١) صحيح البخارى كتاب الحج باب ٤٣ .

وصحيح مسلم كتاب الحيض حديث رقم ٧٦ . ومسنَد أحمد ٢/٢٩٥ ، ٣٨٠ .

(٢) ص : الذى جاء بها .

(٣) دلائل النبوة للبيهق ١/٤٠٥ - ٤٠٦ . وأخبار مكة للأزرقي ١/٩٩ - ١٠١ .

منها ليقطع بها بعضها فلما تحرك الحجر تنقّضت مكة بأسرها وأبصر القوم بَرَقَة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف بصر الرجل فانتبهوا عن ذلك^(١) الأساس .

ووجدت قريش في الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود فإذا هو : أنا الله ذوبَكَة ، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر ، وحَفَفْتُها^(٢) بسبعة أملاك خُفَاء لا يزول أخشباها يبارك لأهلها في الماء واللبن .

ووجدوا في المقام كتابا فيه : مكة الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سُبُل ، لا يُحِلُّها أول من أهلها .

ووجدوا آخر مكتوب فيه : من يزرع خيرا يحصد غِبْطَة ومن يزرع شرا يحصد ندامة تعملون السيئات وتُجزون الحسنات أجل كما يجزني^(٣) من الشوك العنب .

* * *

ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاخصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال ، فقربت بنو عبد الدار جَفَنَة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عَدِيّ بن كعب على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسُمُوا لَعَقَة الدم .

فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خَمْسًا ثم إنهم اجتمعوا في المسجد - فتشاوروا وتناصفوا ، فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عامئذ أسن قريش كلها قال : يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم . فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآوه قالوا : هذا الأمين رضينا ، هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم إلى ثوباً . فأتى به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا . ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم . وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل الوحي : الأمين .

(١) ط : إلى ذلك الأساس . (٢) دلائل النبوة للبيهقي : وحففتها - يريد الجليلين ٤١٢/١ .

(٣) كذا بالأصل ، وفي ابن هشام ١٩٦/١ : كما لا يجزني من الشوك العنب .

قال في « الزهر » و « الإشارة » : وكان ذلك في يوم الاثنين .

وروى يعقوب بن سفيان عن ابن شهاب أن قريشا لما بنوا الكعبة فبلغوا موضع الركن اختصمت في الركن أي القبائل تلى رفعه فقالوا : نحكم أول من يطلع علينا . فطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام فحكّموه فأمر بالركن فوضع في ثوب ثم أخرج سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن فوضعه هو ، ثم طفق لا يزداد على السن إلا رضا حتى دعوه الأمين قبل أن ينزل عليه الوحي ، فطفقوا لا ينحرون جزورا إلا التمسوه^(١) فيدعو^(٢) لهم فيها .

وروى ابن سعد وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، قال : لما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن ذهب رجل من أهل نجد ليناول النبي صلى الله عليه وسلم حجرا يشد به الركن فقال العباس : لا . وناول العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرا فشده به الركن فغضب النجدي وقال : واعجبا لقوم أهل شرف وعقول وأموال عمدوا إلى رجل أصغرهم سنا وأقلهم مالا فرأسوه عليهم في مكرماتهم وحزّهم كأنهم خدم له ! أما والله ليفرقنهم شيئا وليقسمن بينهم حظوظا وجُدودا . فيقال إنه إبليس - زاد غيره : فكاد يثير شرا فيما بينهم ثم سكنوا^(٣) .

وقال هُبَيْرَةُ بن أَبِي وَهَبٍ المخزومي حين جعلت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حكما :

تَشَاجَرَتِ الْأَحْيَاءُ فِي فَضْلِ خَطَةٍ	جَرَتْ طَيْرُهُمْ بِالنَّخَسِ مِنْ بَعْدِ أَسْعَدِ
تَلَاقَوْا لَهَا بِالْبَغْضِ بَعْدَ مَوْدَةٍ	وَأَوْقَدُوا نَارًا بَيْنَهُمْ شَرُّ مُوقَدِ
فَلَمَّا رَأَيْنَا الْأَمْرَ قَدِ جَدَّ جِدُّهُ	وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ غَيْرَ سَلِّ الْمَهْنَدِ
رَضِينَا وَقَلْنَا الْعَدْلُ أَوَّلُ طَالِعِ	يَجِيءُ مِنَ الْبَطْحَاءِ عَنْ غَيْرِ مَوْعَدِ

(٢) ص : حتى يدعو .

(١) ت ، م : إلا التمسوه فيه .

(٣) طبقات ابن سعد ١/١٤٦ ، (ط بيروت) .

فلم يَفْجَأْ^(١) إلا الأَمِينُ مُحَمَّدٌ فقلنا رَضِينَا بِالْأَمِينِ مُحَمَّدٍ
 بخير قريش كلها أَمْرٌ دِيمَةٌ^(٢) وفي اليوم مع ما يُخْذُثُ اللهُ في الغد
 فجاء بِأَمْرٍ لم يرِ النَّاسُ مثله أَعَمَّ وَأَرْضِي فِي الْعَوَاقِبِ وَالْبَسْدِي
 أَخَذْنَا بِأَكْنَافِ الرِّدَاءِ وَكَلْنَا لَهُ حَقَصَةٌ مِنْ رَفْعِهِ قَبِضَةٌ الْيَدِ
 فقال ارفعوا حتى إذا ما عُلَّتْ بِهِ أَكْفٌ إِلَيْهِ قَسْرٌ فِي خَيْرٍ مُسْنَدٍ
 وكان رَضِينَا ذاك عنه بَعِينِهِ وَأَعْظَمَ بِهِ مَنْ رَأَى هَادٍ وَمُهْتَدٍ
 لَتَلِكْ يَدٌ مِنْهُ عَلَيْنَا عَظِيمَةٌ يَرُوحُ بِهَا رَكْبُ الْعِرَاقِ وَيَغْتَدِي

* * *

ولما بنت قريش الكعبة جعلت ارتفاعها من خارجها من أعلاها إلى الأرض ثمانية عشر ذراعاً ، منها تسعة أذرع زائدة على طولها حين عمرها الخليل صلى الله عليه وسلم واقتصروا من عرضها أذرعاً جعلتها في الحجر لتمصر النفقة الحلال التي أعدوها لعمارة الكعبة عن إدخال ذلك فيها ، ورفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ، وجعلوا في داخلها ستّ دعائم في صفين ، ثلاث في كل صف من الشق الذي يلي الحجر إلى الشق البائي وجعلوا في ركنها الشامي من داخلها درجة يصعد منها إلى سطحها وجعلوه مسطحاً وجعلوا فيه ميزاباً يصبّ في الجِجْر .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : اختلف في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ .

ف قيل : كان ابن خمس وثلاثين . وقدمه في « الإشارة » .

وحكى الأزرقي قولاً أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بنيت الكعبة كان غلاماً .

قال الحافظ : ولعل عمدته ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : لما بلغ

(١) لم يفجأنا : لم يفجأنا ، وسهلت الهزة لوزن الشعر

(٢) كذا في ت ، وفي ط : أمس شيمة . وفي ص : أمر أليمة .

والديمة في الأصل : مطر يدوم بغير رعد ولا برق . وفي الحديث : « كان عمله صلى الله عليه وسلم ديمة » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُلم أجمرت امرأة الكعبة فطارت شرارة من مِجرها في ثياب الكعبة فاحترقت فذكر القصة .

وروى عبد الرزاق عن ابن جرير عن مجاهد أن ذلك قبل المبعث بخمس عشرة سنة وكذا رواه ابن عبد البر من طريق محمد بن جبير وبه جزم موسى بن عقبة في مغازيه .
والذي جزم به ابن إسحاق أن بنيان قريش كان قبل المبعث بخمس سنين^(١) . قال الحافظ : وهو أشهر قال : ويمكن الجمع بينهما بأن يكون الحريق تقدّم وقته على الشروع في البناء .
وقيل : ابن خمس وعشرين . وغلط قائله .

الثاني : في بيان غريب ما سبق .

تُجَمَّرُها : بضم المثناة الفوقية وإسكان الجيم وكسر الميم يقال أجمَر وأجمَر لفتان ، أى تُبَخِّرُها .

شَرَّارة : واحدة الشَّرار وهو ما يتطاير من النار . وكذا واحدة الشَّرر : شَرَّة . المَجْمَرَة : بفتح : الميم الأولى .

دَوَيْك : تصغير ديك . مُلَيِّح : بضم الميم وفتح اللام وبالحاء المهملة .

بأقوم بباء موحدة فقاق فواو .

العتلة : الهراوة الغليظة . تنقّضت : بمثناة فوقية فنون مفتوحتين فقاق فضاء معجمة . ساقطة : أى اهتزت .

مرسى السفينة : مكان وقوفها بالبر .

الرَّضْم : الحجارة يجعل بعضها على بعض . تَشْرِق : بمثناة فوقية فشين معجمة فراء مفتوحات فقاق ، أى تبرز للشمس .

اخزألت بخاء معجمة^(٢) فزأى فهزمة مفتوحة فلام مشددة فتاء تأنيت أى رفعت ذنبها والمخزئل : المرتفع .

(١) سيرة ابن هشام ١٩٢/١ .

(٢) كذا بالأصول وهو خطأ . قال في القاموس : اخزال - بالحاء المهملة - البير في السير اخزألا : ارتفع . والجبل : ارتفع فوق السراب ، والشئ : اجتمع . وليس هناك مادة اخزأل . بالحاء المعجمة .

كشَّت : صَوَّتت . ويقال : الكشيش صوت جلدها .

البغى : الفاجرة .

الشَّق : هنا - بكسر الشين المعجمة الناحية والجانب . وأصل شَقَّ الشيء : نصفه يقال : هذا شَقَّ الشيء وشَقَّتْه ، بمعنى .

الحَظِيم : سُمِّيَ بذلك لأنَّ الناس يزدهمون فيه حتى يَحْطُم بعضهم بعضا . وقيل لأنَّ الثياب كانت تجرَّد فيه عند الطواف .

فَرَّقُوا : خافوا .

تجاوزوا : بمثناة فوقية فحاء مهملة فألف فواو فزاي : أى انحازت كلُّ قبيلة إلى جهة .
هلم : كلمة سُمي بها فعل^(١) . وفيها لغتان فلغة أهل الحجاز لا يُونثُونها ولا يجمعونها ولا يُونثونها ولغة غيرهم ضد ذلك . ومعناها : أقبل .

تَجَزَّأت : اقتسمت .

لم تُرْعَ : بمثناة فوقية فراء مفتوحة : أى لم تُفَزَّع ، أى الكعبة . فأَضَمَرها لتقدم ذكرها . ويروى : لم نَزِرْغُ بفتح النون وكسر الزاي وبالفين المعجمة أى لم نَعِلْ عن دينك ولاخرجنا عنه ، يقال زاغ عن كذا إذا خرج عنه .

الأسنمة : جمع سَنَام ، وهو أعلى الظهر . وأراد : أن الحجارة دخل بعضها فى بعض كما تدخل عظام السَّنام بعضها فى بعض ، فشَبَّهها بها . ومن رواه : كالأسِنَّة جمع سِنَان : الرمح ، شَبَّهها بالأسنة فى الخضرة .

حَفَفَتْهُا : بحاء مهملة ففاءين ثانيهما ساكنة فتاء التكلم أحاطت الملائكة بها .

أَخْشَبَا مكة : جبلاها : أبو قُبَيْس وقُعَيْقَعان .

السُّبُل : جمع سبيل الطريق .

الغبطة : تمتى حصول مثل الخيز الذى فيه غيرك

(١) كذا فى ط ، ص . وفى ت ، م : سُمي بها اسم فعل .

أَجَلٌ : كنتم وزنًا ومعنى .

الجَفْنَةُ : كالقصعة ، والجمع جِفَان بالكسر وجَفَنَات بالتحريك .

موضع الركن : أى الحجر الأسود ، سمي ركنًا لأنه مبنى فى الركن .

الأحياء : جمع حَيٍّ .

خُطَّة بالضم : الأمر والقصة .

طَبَرَهُم : حَطُّهُمْ وبَخْتَهُم .

مَوْقِد . بكسر القاف .

جَمَاعُ أَبْنَاءِ مَبْعَثِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الباب الأول

في بدء عبادة الأصنام والإشراك بالله تعالى

كان الناس قبل المبعث من زمن نوح صلى الله عليه وسلم إلى زمن المبعث عبادة أصنام إلا من استجاب للرسول منهم وهذه الضلالة اشترك فيها العرب والعجم، وعبد كثير من العجم النار وهم المجوس فاتخذوا بيوت نيران لا تزال تَقْدُ أبدأ ، وكانت إلى هذه النيران صلاتهم وقرايبهم ويعتقدون فيها النفع والضرر . وعلى هذه الضلالة كانت ملوك الأكاسرة .

وعبدت طائفة منهم كواكب معلومة ، وترى هذه الطوائف أن سائر ما في العالم السفلي المُعْبَر عنه بالحياة الدنيا ناشئ وصادر عن الكواكب وأن الشمس هي المُفِيضة على الكل ، واتخذت هذه الطائفة التماثيل من الجواهر والمعادن على أسماء الكواكب وعبدتها وصلّت إليها وقربت لها القرابين واعتقدت أنها تجلب النفع وتدفع الضرر ويقال لهذه الطائفة الصابئة .

وقد بسط أبو جعفر ابن جرير والمسعودي وغيرهما الكلام على ذلك ومبدئه ولا حاجة بنا إلى ذكره^(١) .

وأما العرب ، إلا القليل منهم ، فإنهم اتخذوا الأصنام وعبدوها من دون الله تعالى ويقال لهم : «الذين أشركوا» سِمَةً لهم واسماً لِرِمِّهم وإن كان غيرهم ممن تقدم شاركهم في عبادة غير الله تعالى فإن هذا الاسم لا يُطلق إلا على العرب .

وأول ما حدثت عبادة الأصنام في قوم نوح صلى الله عليه وسلم ، فأرسله الله تعالى إليهم ينهاهم عن ذلك فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً كما قص الله خبره في عدة آيات^(٢) واستمرت هذه الضلالة في زمن إبراهيم صلى الله عليه وسلم وقد قص الله تعالى نبأه مع قومه في عدة آيات^(٣) . واستمر هذا الأمر الشنيع إلى أن بعث الله سبحانه وتعالى فضلاً

(١) انظر في ذلك مروج الذهب للمسعودي ٢/٢٢٦ (ط بيروت) .

(٢) في سور كثيرة منها يونس وهود والشعراء والقمر .

(٣) في سور كثيرة منها الانعام وإبراهيم والأنبياء .

منه ورحمة - عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فدعا الناس إلى عبادة الله تعالى وحده
فأنكر المشركون ذلك كما حكاه الله تعالى عنهم في غير ما آية .

والسبب في عبادة الناس الأصنام ما رواه الفاكهي عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال :
أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح ، وكانت الأبناء تبرّ الآباء ، فمات رجل منهم فجزع
عليه ابنه فجعل لا يضبر عنه فاتخذ مثالا على صورته فكلما اشتاق إليه نظره ، فمات
ففعل به كما فعل حتى تتابعوا على ذلك فمات الآباء فقال الأبناء ما اتخذ هذه آباؤنا إلا
أنها كانت آلهتهم . فعبدوها .

وروى عبد بن حميد عن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى « وقالوا لا تدرن آلهتكم
ولا تدرن ودا ولا سواعا »^(١) قال : كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح فنشأ قوم بعدهم
يأخذون في العبادة فقال لهم إبليس : لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم . فصوروا ثم
ماتوا فنشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس : إن الذين كانوا من قبلكم كانوا يعبدونها فعبدوها^(٢)

وروى أبو الشيخ في العظمة عن محمد بن كعب القرظي قال كان لآدم خمسة بنين
ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسراً ، فكانوا عبّاداً ، فمات رجل منهم فحزنوا عليه حزنا
شديدا فجاءهم الشيطان فقال : حزنتم على صاحبكم هذا ؟ قالوا نعم . قال : هل لكم أن
أصور لكم مثله في قبلكم إذا نظرتم إليه ذكرتموه ؟ قالوا : نكره أن تجعل لنا في قبلكم
شيئا نصلّي إياه . قال فأجعله في مؤخر المسجد ؟ قالوا : نعم . فصوره لهم حتى مات خمستهم
فصور صورهم في مؤخر المسجد ، فتنقضت^(٣) الأشياء حتى تركوا عبادة الله تعالى وعبدوا
هؤلاء ، فبعث الله تعالى نوحا فقالوا « لا تدرن آلهتكم » إلى آخر الآية .

وروى عبد بن حميد عن أبي جعفر بن يزيد بن المهلب قال : كان ودّ رجلا مسلما وكان
محببا في قومه فلما مات عسكروا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه فلما رأى إبليس
جزعهم عليه تشبه في صورة إنسان ثم قال : أرى جزعكم على هذا فهل لكم أن أصور مثله
فيكون في ناديتكم فتذكرونه به ؟ قالوا : نعم . فصور لهم مثله فوضعوه في ناديتهم وجعلوا

(٢) الاكثفا ٩٥/١ .

(١) سورة نوح ٢٣ .

(٣) تنقضت : تبدلت واختلفت .

يذكرونه فلما رأى ما بهم من ذكركه قال : هل لكم أن أجعل في منزل كل رجل منكم تمثالا فيكون في بيته فيذكر به ؟ قالوا : نعم . فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله فجعلوا يذكرونه به وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به وتناسلوا ودرّس أمرُ ذكركم إياه حتى اتخذوه إلهاً يعبدونه من دون الله تعالى فكان أول من عبّد من دون الله ودّاً ، الصنم الذي سمّوا بـودّ .

وروى البخارى وابن المنذر وابن مَرَدَوَيْه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح تُعبّد ، أما ودّ فكانت لكلب بدوومة الجندل ، وأما سَوع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمُراد ، ثم لبني غَطِيفٍ عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهَمدان ، وأما نَسْر فكانت لِحَمِير لآل ذى كَلّاع ، أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسمّوها بأسمائهم . ففعلوا فلم تُعبّد ، حتى إذا هلك أولئك ونُسِخ^(١) العلم عبّدت فلما كان أيام الطوفان دفنها الطينُ والتراب والماء فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان إلى مُشركي^(٢) العرب^(٣) .

وكان أول من حمل العرب على عبادة الأصنام عمرو بن لُحَيّ - بضم اللام وفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية - ابن قَمَعة - بفتح القاف والميم وتخفيفها - وقيل غير ذلك ، ابن خِنْدَف - بكسر الخاء المعجمة والدال المهملة ويجوز كسر الخاء وفتح الدال وآخرها فاء .

روى ابن إسحاق عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأَنتُمْ بن الجَوْن الخزاعي : « يا أَكْثَم رأيت عمرو بن لُحَيّ بن قَمَعة ابن خِنْدَف يجرُ قُضْبَه في النار ، فما رأيت رجلاً أشَبَهه برجل منك به ولا بك منه » فقال أَكْثَم : عسى أن يضرّني شَبَهه يا نبي الله ؟ قال : « لا إناك مؤمن وهو كافر ، إنه كان أول من غيّر دين إسماعيل فنصب الأوثان » الحديث ويأتى^(٤) .

(١) ط : وتنسخ العلم .

(٢) ت ، م : لمشركي .

(٣) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة نوح) . ٣٨٠/٢ (ط الأميرية) .

(٤) سيرة ابن هشام ٧٦/١ .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لُحَيَّ خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآبَ من أرض البلقاء وبها يومئذ العماليق وهم ولد عَمَلِيق بن لاوذ بن سام بن نوح ، رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا : هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتُمطرنا ونستنصرها فتنصرنا . فقال لهم : أفلا تعطون منها صنما فأسير به إلى العرب فيعبدونه . فأعطوه منها صنما يقال له هُبَل ، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه^(١) .

وروى الفاكهي عن هشام بن السائب قال : كان لعمر بن ربيعة رثي من الجن فأتاه فذكر له شعراً يأمره فيه بإخراج الأصنام من ساحل جُدَّة فأتى عمرو ساحل جُدَّة فوجد بها وِداً وسُوعاً وَيَغُوث وَيَعُوق ونسراً وهي الأصنام التي عبدت زمن نوح وإدريس ثم إن الطوفان طرحها هناك ، فسقى عليها الرمل ، فاستخرجها عمرو وخرج بها إلى تهامة وحضر الموسم فدعا إلى عبادتها فأجيب .

وقال ابن إسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل : أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح^(٢) في البلاد إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سلخ ذلك منهم^(٣) إلى أن كانوا يعبدون ما استحسِنوا من الحجارة وأعجبهم حتى خلفت الخُلف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما وسلم غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به [والوقوف على عرفة والمزدلفة وهذِي البُدن والإِهلال]^(٤) بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه ، فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك . فيوحّدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده . يقول

(١) سيرة ابن هشام ٧٧/١ .

(٢) ص : الفتح .

(٣) كذا في ابن هشام : حتى سلخ ذلك بهم .

(٤) ليس في ابن هشام ، وهو من هامش ط .

الله تبارك لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون^(١) » ، أى ما يوحّدوننى بمعرفة حقّ إلا جعلوا معى شريكاً من خلقى .

قال ابن إسحاق : وكان لقوم نوح أصنامٌ قد عكفوا عليها ، فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل أو غيرهم وسمّوها بأسمائها حين فارقوا دين إسماعيل ، فاتخذ هُذَيْلُ بن مُدْرِكَة سُوَاعًا ، وكان لهم بِرْهَاط^(٢) ، واتخذ كَلْبُ بن وَبَرَة من قُضَاعَة وَدًّا بِلُؤْمَة الجَنْدَل ، واتخذ كَلْبُ بن وَبَرَة بن ثعلبة بن حُلوان بن عمران وأهل جُرَش من مَذْحِج اتخذوا يَغُوث .

واتخذ خِيَوَان ، بطن من هَمْدَان ، يَعُوقَ بَارِضَ هَمْدَان من الْيَمَن .

واتخذ ذُو الْكَلَّاع من حَمِيرٍ نَسْرًا بَارِضَ حَمِير ، واتخذ الْأَدِيم ، بطن من خَوْلَان ، صنماً يقال له عَمٌّ أَنَسٌ يَقْسُمُونَ له من أنعامهم وخروثهم قسماً بَيْنَهُ وبين الله تعالى بزعمهم ، فما دخل فى حق عم أَنَسٍ من حق الله تعالى الذى سَمَّوه له تركوه له ، وما دخل فى حق الله تعالى من حق عم أَنَسٍ ردّوه عليه ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى : « وَجَعَلُوا اللهُ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا اللهُ بَزَعْنَاهُمْ وَهَذَا لَشُرْكَائِنَا ، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون^(٣) » .

وكان لِبْنَى مِلْكَانَ بن كِنَانَة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة صنم يقال له سَعْد ، صخرة بفَلَاة من أَرْضِهِمْ طَوِيلَة ، فَأَقْبَلَ رجل من بَنَى مِلْكَانَ بِإِبِلٍ له مُؤَبَّلَة^(٤) ليقفها عليه التماس بركته فيما يزعم ، فلما رآته الإبل وكانت مرعية لا تُرْكَب وكان يُهْرَاق عليه الدماء نفرت منه فذهبت فى كل وجه ، وغضب ربُّها المِلْكَانِي فَأَخَذَ حَجْرًا فرماه به ثم قال : لا بارك الله فيك ! نفرت على إِبِلٍ . ثم خرج فى طلبها حتى جمعها فلما اجتمعت له قال :

أَتَيْنَا إِلَى سَعْدٍ لِيَجْمَعَ شَمْلَنَا فَشَتَّتْنَا سَعْدٌ فَلَا نَحْنُ مِنْ سَعْدٍ

(١) سورة يوسف ١٠٦ .

(٢) رهاط : موضع على ثلاث ليال من مكة ، وقال قوم : وادى رهاط فى بلاد هذيل . وانظر معجم البلدان

٨٧٨/٢ (ط أوربا) .

(٤) الإبل المؤبلة : التى تتخذ للقتية . اللسان « إبل » .

(٣) سورة الأنعام ١٣٦ .

وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا يُدعى^(١) لغى ولا رُشدٍ

واتخذت قريش صنماً على بشرٍ في جوف الكعبة يقال له هُبَل ، واتخذوا إسافاً ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما ، وكان إساف ونائلة رجلاً وامراًة من جرهم وهو إساف بن بغي^(٢) . قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : ما زلنا نسمع أن إسافاً ونائلة كانا رجلاً وامراًة من جرهم أخذنا في جوف الكعبة^(٣) فمسخهما الله حجرين .
رواه ابن إسحاق^(٤) .

قال ابن إسحاق : واتخذ أهل كل دارٍ في دارهم صنماً يعبدونه من دون الله فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، فإذا قديم من سفره تمسح به فكان أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله ، فلما بعث الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش : « أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب^(٥) » .

وذكر ابن إسحاق وغيره كثيراً من أسماء أصنام العرب . ولم أذكر ذلك إذ لا فائدة في ذكرها وذكرت منها ما سمي في القرآن العزيز^(٦) مع زيادة .

لقبيته : قال الواقدي : كان ودّ على صورة رجل ، وسواع على صورة امرأة ، ويغوث على صورة أسد ، ويعوق على صورة فرس ، ونسر على صورة طائر .

قال في الفتح : وهذا شاذ ، والمشهور أنهم كانوا على صورة البشر ، وهو مقتضى الآثار في سبب عبادتها .

وقال المسعودي في مروج الذهب . كان كثير من أهل الهند والصين وغيرهم من الطوائف يعتقدون أن الله تعالى جِسْم وأن الملائكة أجسام لها تمام^(٧) وأن الله تعالى احتجب بالسماء

(١) ابن هشام : لا يدعو . (٢) ص : وهم أول من بغي . ولعله تحريف .

(٣) غير ط : أخذنا في الكعبة . (٤) سيرة ابن هشام ٨٣/١ .

(٥) سورة ص ٥ .

(٦) لم يذكر العزى ولا مناة ، مع ذكرهما في القرآن العزيز .

(٧) كذا بالأصول ولعل المراد : أن الملائكة لها أجسام متفاوتة ولها حد ينتهي عنده تمامها .

فدعاهم ذلك إلى أن اتخذوا تماثيل وأصناماً على صورة البارى تعالى وبعضها على صورة الملائكة مختلفة القُذور والأشكال فى الصور ، فمنها على صورة الإنسان ومنها على صورة غيره فى الصور ، فعبدوها وقربوا لها القرابين ونذروا لها النذور لشبهها عندهم بالبارى تعالى وقربها منه ، فأقاموا على ذلك برهة من الزمان وكثيراً من الأعصار حتى نبههم بعض ضلَّالهم على أن الأفلاك والكواكب أقرب الأجسام إلى البارى - تعالى عما يقول الجاهلون علواً كبيراً ، وأنها حيّة ناطقة وأن كل ما يَخُذ فى هذا العالم فإنما هو على قدر ما تجرى به الكواكب عن أمر الله تعالى فعظَّموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم ، ومكثوا على ذلك دهرًا فلما رأوا الكواكب تَخْفى بالنهار وفى بعض أوقات الليل بما يَغْرُض فى الجوّ من السواتر ، أمرهم بعض من كان فيهم من ضلَّالهم أن يجعلوا أصناماً وتماثيل على صورها وأشكالها وهيئاتها ، فجعلوا لها أصناماً بعدد الكواكب المشهورة المتحيّرة ، فكل صنف منهم يعظم كوكباً منها ويقرب له نوعاً من القربان . ولما طال عليهم العهدُ عبدوا الأصنامَ وألغوا عبادة الكواكب ، فلم يزالوا كذلك حتى ظهر بعض ضلَّالهم بأرض الهند وكان هنديةً خرج من أرض الهند إلى السند ثم دخل بلاد العجم ، وهو أول من أظهر مذهب الصابئة وجوّز للناس عبادة الأصنام والسجود لها لشُبْهة ذكرها وقرب إلى عقولهم عبادتها بضرب من الحيل .

قال المسعودى : وذكر ذوو الخبرة بشأن هذا العالم وأخبار ملوكه أن « جم » الملك أول من عظَّم النار ودعا الناس إلى تعظيمها وقال إنها تشبه ضوء الشمس والكواكب وجعل للنور مراتب ، ثم تنازع هؤلاء بعده فعظَّم كل فريق منهم ما يرون تعظيمه من الأشياء .

ثم ذكر المسعودى بعض ما تقدم من خبر عمرو بن لُحَيّ . ثم ذكر المسعودى عبادة الفُرس للنار وبيوت النيران فى كلِّ بلد وأطال النفس فى ذلك^(١)

(١) مروج الذهب ٢/٢٣٦ (ط محي الدين) .

الباب الثاني

في إخبار الأحبار والرهبان والكهّان بمبعث حبيب الرحمن صلى الله عليه وسلم
قد تقدم في الباب التاسع أوائل الكتاب كثير من ذلك^(١) . وأذكر هنا ما لم أذكره
هناك .

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : وكانت الأخبار من يهود والرهبان من النصارى
والكهّان من العرب قد تحدّثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، لما تقارب
زمانه . أما الأحبار والرهبان فعَمَّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان عهد
إليهم أنبيأؤهم فيه . وأما الكهّان فأتتهم به الشياطين من الجن ، فيما يسترقون من السمع
إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع
منهما ذكر بعض أمور ولا تُلقَى العربُ لذلك بالأحاديث بعثه الله تعالى ووقعت تلك الأمور
التي كانوا يذكرون فعرفوها^(٢) .

ذكر خير زيد بن عمرو بن نفيل

ابن عبد العزى [ابن عبد الله^(٣)] بن قُرْط بن رباح بن رزّاح بن عدى بن كعب بن
لؤى ، وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قُصَيّ بن كِلَاب بن مُرّة بن كعب بن
لؤى ، وعُبَيْد الله بن جحش بن رثاب بن يغمر بن صبرة بن مُرّة بن كبير بن غَدّ بن
دودان بن أنس بن خزيمة ، وكانت أمّه أميمة بنت عبد المطلب ، وعثمان بن الحُوَيْرِث
ابن أسد بن عبد العزى بن قُرْط بن رباح .

قال ابن إسحاق :

واجتمعت قريش في عيد لهم عند صنم من أصنامهم . قال محمد بن عمر الأسلمي :

(١) انظر ص ١٢٢ من الجزء الأول من هذا الكتاب . (٢) سيرة ابن هشام ٢٠٤/١ .

(٣) من ابن هشام ٢٢٣/١ .

وهو بُؤَانَةٌ ، كانوا يعظّمونه وَيَنَحِرُونَ له وَيَعْكفُونَ عنده يُؤَدِّبُونَ به ، وكان ذلك عيداً لهم في كل سَنَةٍ يوماً ، فخلَصَ منهم هؤلاء الأربعة نجياً ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكنتم بعضهم - على بعض . قالوا : أَجَلٌ . فقال بعضهم لبعض : تعلّموا والله ما قومكم على شيء ، لقد أخطأوا دينَ أبيهم إبراهيم ، ما حَجَرَ نُطِيفَ به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ؟ يا قوم التمسوا لأنفسكم فإنكم والله ما أنتم على شيء .

فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحَنيفِيَّةَ دين إبراهيم .

فأما وَرَقَةُ بن نوفل فاستحکم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علّم علماً من أهل الكتاب .

وأما عُبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة ابنة أبي سفيان مُسلمةً فلما قدّمها تنصّر وفارق الإسلام حتى هلك نصرانياً ، وكان يمرّ بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم بالحبشة فيقول : فقّحنا وصأصأتم . أي أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر لم^(١) تُبْصِرُوا بعدُ . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ لينظر .

وأما عثمان بن الحُوَيْرِث فقَدِمَ على قيصر ملك الروم فتنصّر وحسنت منزلته عنده .

وأما زيد بن عمرو بن نُفَيْل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الأوثانَ والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان ونهى عن قتل الموعودة وقال : أعبد ربَّ إبراهيم وبأدى قومه بعَيْب ما هم عليه^(٢) .

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت : رأيت زيد بن عمرو شيخاً كبيراً مُسنّداً ظهره إلى الكعبة وهو يقول : يا معشر قريش والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيم غَيْرِي . ثم يقول : اللهم لو أني أعلم أيّ الوجوه أحبُّ إليك عبدُك به ولكني لا أعلمه . ثم يسجد على راحلته^(٣) . وكان يحيي الموعودة ، يقول للرجل

(١) ط : فلم تبصروا . وفي ابن هشام : ولم تبصروا . (٢) سيرة ابن هشام ١/٢٢٤ .

(٣) إلى هنا رواية ابن هشام ١/٢٢٥ .

إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤنتها .

رواه ابن إسحاق والنسائي وأبو بكر بن أبي داود وعلقه البخاري جازما به^(١) .

وروى البخاري والبيهقي من طريق موسى بن عتبة عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي زيدا بن عمرو بن نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلَدِ^(٢) قبل أن ينزل عليه الوحي فقدّمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سُفْرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها ثم قال لزيد : إني است آكل مما تذبحون على أنصابكم^(٣) ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه . وإن زيدا بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله تعالى وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله تعالى ! إنكارا لذلك وإعظاما له^(٤) .

وروى البخاري في المناقب وفي الذبائح من صحيحه والإسماعيلي والزبير بن بكار والفاكهى عن ابن عمر ، أن زيدا بن عمرو بن نُفَيْلٍ خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويبتغيه . وفي لفظ : ويتبعه . فلقى عالما من اليهود فسأله عن دينهم فقال : إني لَعَلَى أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ . فأخبرني . فقال : لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله . فقال زيد : ما أفرّ إلا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئا أبدا وأنا^(٥) أستطيعه ، فهل تدلّني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن تكون حنيفا . قال زيد : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله ، فخرج فلقى عالما من النصارى . فذكر مثله . فقال : لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله . قال : ما أفرّ إلا من لعنة الله ولا أحمل من لعنته ولا من غضبه شيئا وأنا أستطيعه . فهل تدلّني على غيره ؟ فقال : ما أعلمه إلا أن تكون حنيفا . قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهوديا

(١) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب ٢٤ .

(٢) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب . معجم البلدان ١/٧١٤ (ط أوربا) .

(٣) ص : على أصنامكم .

(٤) صحيح البخاري كتاب المناقب ٢/١٧٨ (ط الأميرية بتصحيح الهوريني) .

(٥) سيرة ابن كثير : ولا أستطيعه .

ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله . فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج فلما برز رفع يديه فقال : اللهم اشهد أني على دين إبراهيم^(١) .

وفي لفظ : فانطلق وهو يقول : لبّيك حقاً حقاً تعبداً ورقاً . ثم يخرّ ويسجد للكعبة .

قال ابن إسحاق : إن زيد بن عمرو بن نفيل خرج يطلب دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم ويسأل الرهبان حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل إلى الشام حتى انتهى إلى راهب بميمنة من أرض البلقاء وكان ينتهي إليه علم النصرانية ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم فقال : إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجدٍ من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فالحق فإنه مبعوث الآن فهذا زمانه . وكان قد شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئاً منها ، فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة حتى إذا توسط بلاد لخم عدواً عليه فقتلوه ، فقال ورقة بن نوفل يرثيه :

رَشَدَتْ وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو وَلِغَمَا	تَجَنَّبْتَ تَنْوَرًا مِنَ النَّسَارِ حَامِيَا
بَدِينِكَ رَبًّا لَيْسَ رَبُّ كَمَثَلِهِ	وَتَرَكَّ أَوْثَانَ الطَّوَاغِي ^(٢) كَمَا هِيَا
وِلْدَارَكَ الدِّينَ الَّذِي قَدْ طَلَبْتَهُ	وَلَمْ تَكْ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّكَ صَاهِيَا
فَأَصْبَحْتَ فِي دَارٍ كَرِيمٍ مُقَامَهَا	تُعَلِّلُ فِيهَا بِالْكَرَامَةِ لَاهِيَا
تُلَاقِي خَلِيلَ اللَّهِ فِيهَا وَلَمْ تَسْكُنْ	مِنَ النَّاسِ جَبَّارًا إِلَى النَّارِ هَاوِيَا
وَقَدْ تُذَكِّرُ الْإِنْسَانَ رَحْمَةً رَبِّهِ	وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ سَبْعِينَ وَادِيَا ^(٣)

ولزيد عدة قصائد في التوحيد منها :

أَرَبًا وَاحِدًا أَمْ أَلْفَ رَبٍّ	أَدِينُ إِذَا ^(٤) تَقَسَّمَتِ الْأُمُورُ
عَزَلْتُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى جَمِيعًا	كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَلْسُدُ الصَّبُورُ

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب ١٧٨/٢ (ط الأميرية)

وسيرة ابن كثير ١٦٠/١ .

(٢) سيرة ابن كثير : وتركك جنات الجبال كاهيا .

(٣) نصب سبعين على تقدير فعل ، مثل تبع سبعين وادياً . (٤) غير ص : إذن تقست .

فلا عَزَى أدين ولا ابْتِنِهَا ولا صَنَمِي بني عمرو أزور
ولا غَنَمَا أدين وكان رَبًّا لنا في الدهر إذ حُلِمِي يسير
عجبت وفي الليالي مُعْجَبَات وفي الأيام يَعْرِفُهَا البصير
بأنَّ الله قد أَفْنَى رجالا كثيرا كان شأنهم الفجور
وأبقى آخِرينَ بيسرٍ قسومٍ فيزُبِّلُ منهم الطفل الصغير
وبَيْنَا المرءُ يعثرُ ثاب يوما كما يتروَّجُ الغصنُ النَّضِيرُ
ولكن أعبد الرحمنَ رَبِّي ليغفرَ ذنبيَ الربُّ الغفورُ
فتقوى الله ربُّكم احفظوها متى ما تحفظوها لا تَبُورُوا
تَرَى الأبْرَارَ دارهمُ جَنَانُ وللْكَفَّارِ حَامِيَةٌ سَعِيرُ
وخِزْيٌ في الحياة وإنْ يموتُوا يلاقوا ما تضيق به الصدورُ^(١)

وروى أبو يعلى والطبراني والبخاري بسند حسن^(٢) عن زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه قال : إن زيد بن عمرو بن نفيل مات ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنه يُبعث يوم القيامة أمة واحدة^(٣) » .

وروى أبو يعلى بسند حسن ، عن سعيد بن زيد قال : سألت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد بن عمرو ، فقال : « يأتي القيامة أمة واحدة^(٤) » .

وروى الباغندي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلت الجنة فوجدت ليزيد بن عمرو دَوَحَتَيْنِ »

قال الحافظ ابن كثير : إسناده جيد قوى^(٥) .

وروى محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن زيد بن عمرو فقال : « يُخْشَرُ ذلك أمة واحدة وَحْدَهُ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ » .

(٢) ط : بسند جيد .

(١) سيرة ابن هشام ٢٢٦/١ .

(٤) المصدر السابق .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ١٥٦/١ ، ١٦١ .

(٥) سيرة ابن كثير ١٦٢/١ ونصه : « وهذا إسناده جيد ، وليس هو في شيء من الكتب » .

قال ابن كثير لإسناده جيد قوى^(١) .

تفسيه : توفي زيد قبل المبعث بخمس سنين وقریش تبني الكعبة .

[تفسير الغريب]

قُرْط : بضم القاف وإسكان الراء وبالطاء المهملة .

رياح : بالمشنة التحتية .

رَزَاح : روى بكسر الراء وبفتحتها ، وبه جزم الدارقطني .

النَّجِي : الجماعة يتحدثون سرًا عن غيرهم ، ويقع للثنين والجماعة بلفظ واحد .

فَقَحْنَا : بفاء فقاء مفتوحتين مشددة فحاء مهملة يقال فقح إذا فتح عينيه .

الموعدة : شيء كان يفعله بعض العرب ، كان إذا ولد له بنت دفنها في التراب أو في

الرمْل حَيَّة ، وأصل وَّاد : أثقل فسميت الموعدة لأنها أثقلت بالتراب .

بادى : بغير همز أى ظهر ، وبه : ابتداء .

مَيْفَعَة : بمثناة تحتية وزن منفعة ، قرية من أرض البلقاء من الشام ، وهى بفتح

الموحدة ثم لام ساكنة ثم قاف مملودة .

شام اليهودية : اسم فاعل من الشم ومعناه أنه استخبر ، فاستعاره من الشم فنصب

اليهودية نصب المفعول به . ومن خفض جعل شام اسم فاعل من شمت ، والفعل أولى

بهذا الموضع .

غَنَمًا : بفتح الغين المعجمة وسكون النون صنم كانوا يعبدونه .

يَرْبُل : بمثناة تحتية مفتوحة فراء ساكنة فموحدة مضمومة فلام ، يقال ربّل الطفل

يَرْبُل إذا شَبَّ وعَظُم .

ثاب : رجع .

يتروّح الفصن : يهتز .

(١) سيرة ابن كثير ١/١٦١ ، ونصه : إسناده جيد حسن .

لاتبوروا : لاتهلكوا .

يبعث أمة وحده : الأمة : الشخص المنفرد بدين ، أى يقوم مقام جماعة^(١)

خبر قس بن ساعدة

هو ابن ساعدة بن جذامة^(٢) بن زفر بن زياد بن نزار الإيادي .

قال المرزباني : عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة . وكثير من أهل العلم يذكر أنه عاش مائة سنة . وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم حكمته . وهو أول من آمن بالبعثة من أهل الجاهلية ، وأول من اتكأ على عصا في الخطبة ، وأول من قال أما بعد . وأول من كتب : من فلان إلى فلان . وقد جاء أنه خطب الناس بعكاظ وبشرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وحشهم على اتباعه وذلك قبل البعثة .

روى الإمام محمد بن داود بن علي الظاهري في كتاب « الزهرة » حدثنا أحمد بن عبيد النحوي ، حدثنا علي^(٣) بن محمد المدائني حدثنا محمد بن عبد الله^(٤) بن أخي الزهري ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن سعد بن أبي وقاص . والطبراني والبخاري من طريق محمد بن الحجاج ، وهو متروك^(٥) ، والبيهقي من طريق سعيد بن هبيرة وهو متروك ، والبيهقي من طريق أحمد بن سعيد بن فرسخ الإخميمي ، عن شيخه القاسم بن عبد الله بن مهدي ، وهما متهمان ، عن ابن عباس . والبيهقي عن أنس وفي سنده من اتهم ، وأبو نعيم والخرائطي عن عبادة بن الصامت ، والأزدي عن أبي هريرة ، وخلف ابن أعين ، رواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ، والحسن البصري ، رواه أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درشويه : أن وفد إتياد لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قس بن ساعدة فقالوا : يا رسول الله مات . قال : كأن أنظر إليه في سوق عكاظ على جمل أحمر أوزق وهو يخطب الناس وهو يقول كلاماً ما أراي أحفظه .

(١) ط : الجماعة .

(٢) ص : ابن زفر بن جذامة .

(٣) ط : حدثنا محمد بن علي بن محمد .

(٤) ط : محمد بن علي .

(٥) كان محمد بن الحجاج هذا يصنع الهريسة ووضع حديثاً في شأنها ، ويعرف بصاحب الهريسة . ميزان الاعتدال

٤٠/٣ وسيرة ابن كثير ١٤٣/١ .

فقال بعض القوم : نحن نحفظه يا رسول الله . فقال : هاتوا . فقال : قائلهم إنه قال :
أياها الناس اسمعوا وَاَعْمُوا وإذا وعيتم فانتفِعُوا ، إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل
ما هو آتٍ آتٍ ، مطرٌ ونبات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات ،
جميع وأشتات ، وآيات بعد آيات ، إن في السماء لَخبراً وإن في الأرض لَعبراً ، ليلٌ داجٍ
وسماء ذات فجاجٍ وبحار ذات أمواج ، مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أَرَضُوا
بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا ، أقسم قُسٍ قسماً حقاً لا حائثاً فيه ولا آثماً ،
إن لله ديناً هو أحبُّ إليهِ من دينكم الذى أنتم عليه ونبيا خاتِماً^(١) حانَ حينُهُ وأظلكم
أوانه وأدرككم إِيَّانهُ ، فطُوبى لمن آمن به فهده ، وويلٌ لمن خالَفه وعصاه .

ثم قال : تَبّاً لأرباب الغفلة من الأمم الخالية والقرون الماضية ، يامعشر إِيَّادِ أَيْنِ
الآباء والأجداد وأَيْنِ المريض والعُود ، وأَيْنِ الفراعنة الشداد ، أَيْنِ من بنى وشيد ، وزخرف
ونجّد وغرّه المسالُ والولد ، أَيْنِ من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال : أنا ربكم الأعلى ،
ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً وأولاداً وأبعد منكم آمالاً وأطول منكم أجالاً طحنهم
الشرى بكلّ كلكله ومزقهم الدهرُ بتطاولة ، فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خالية عمرتها
الذئاب العاوية كلاً بل هو الله الواحد المعبود ، ليس بوالد ولا مولود .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأَيُّكُمْ يَرَوِى شِعْرهُ؟ قال فأنشده أبو بكر الصديق رضى
الله تعالى عنه وقال :

في الزاهبين الأولي ن من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر
ورأيت قوى نحوها تمضى الأصغرُ والأكابر
لا يرجع الماضى إلى ولا من الباقين غابر
أيقنت أننى لا محالة حيث صار القوم صائر

هذا حاصل الطرق السابقة .

قال البيهقى بعد أن أورد بعضها : إذا ورد الحديث من أوجه وإن كان بعضها ضعيفاً
دل على أن للحديث أصلاً .

(١) ص ، ث ، م : ونبيا كان حينه . وما أثبتته من ط .

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير : هذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة^(١) .

وقال الحافظ في الإصابة طرقه كلها ضعيفة . وقال الشيخ رحمه الله تعالى في تهذيب موضوعات ابن الجوزي : أمثل طرقه الأول ، فإن ابن أخي الزهري ومن فوقه من رجال البخاري ومسلم ، وعلى بن محمد المدائني ثقة . وأحمد بن عبيد قال ابن عدي : صدوق له مناكير .

قلت : وقال الذهبي : صويلح . قال الحافظ : لئن الحديث . انتهى .
قال الشيخ رحمه الله تعالى : فإذا ضُمَّ طريقُ خلف بن أعين إليه حكم بحسنه بلا توقف . انتهى .

إذا علمت ذلك فالحديث ضعيف لا موضوع ، خلافا لابن الجوزي ومن تبعه .
وقد رواه البيهقي من وجه آخر عن ابن عباس . فذكر حديثا طويلا مُسَجَّعا فيه أشعار كثيرة .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وآثار الوضع ظاهرة عليه^(٢) .
وروى أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قس بن ساعدة كان يخطب قومه في سوق عُكَاظ فقال : سيعمُّكم حقٌّ من هذا الوجه . وأشار بيده إلى نحو مكة . قالوا له : وما هذا الحق ؟ قال : رجل أبلجٌ أخور من ولد لؤي بن غالب يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ونعيم لا ينفد ، فإن دعاكم فأجيبوه ولو علمت أني أعيش إلى مبعثه لكننت أول من سعى إليه .

(١) نص كلام ابن كثير : « ثم قال البيهقي : وإذا روى الحديث من أوجه أخر وإن كان بعضها ضعيفا دل على أن الحديث أصلا » وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٤٦٦/١ ونصه : « وإذا روى حديث ... الخ » .
(٢) حديث قس ذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة واستعرض طرقه كلها وذكر علل الطرق جميعا ونقل عن ابن حجر قوله : « قد أفرد بعض الرواة طرق حديث قس بن ساعدة ، وهو في الطوالاة الطهراني وغيرها ، وطرقه كلها ضعيفة » اللآلئ ١/١٨٣ - ١٩٢ .

[تفسير الغريب]

أَوْزَقَ : الوُرْقَة في الإبل : لون يضرب إلى الخضرة كلون الرماد . وقيل إلى السواد .

داج : مظلم .

رتاج : براء مكسورة ثم مشناة فوقية مخففة فألف فجيم : الباب .

المُقَام : بضم الميم وفتحها . قال في النور لكن هنا يتعين الضم لأن بعده قافا فهو من

الرباعى .

أظلكم : أقبل عليكم ودنا منكم كأنه ألقى ظله عليكم .

تباً : خسرانا .

شيد : بفتح الشين المعجمة والمثناة التحتمة المشددة : والشيد : كل ما طلى به الحائط من

جص وغيره .

نجد : زين .

الكلكل والكلكال : الصدر .

خبر العباس عن بعض أخبار اليمن

روى أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال العباس خرجت في تجارة إلى اليمن في ركب فيهم أبو سفيان بن حرب ، فورد كتابُ حنظلة بن أبي سفيان أن محمداً قائم بالأبطح يقول : أنا رسول الله أدعوكم إلى الله . ففشاً ذلك في مجالس أهل اليمن فجاءنا خبر من اليهود فقال : بلغنى أن فيكم عمٌ هذا الرجل الذى قال ما قال . قال العباس : فقلت نعم . قال : نشدتك هل كانت لابن أخيك صَبُوة ؟ فقلت : لا والله ولا كذب ولا خان ، وإن كان اسمه عند قريش إلا الأمين قال : فهل كتب بيده ؟ فأردت أن أقول نعم ، فخشيت من أبي سفيان أن يكذبني ويرد عليّ فقلت : لا يكتب . فوثب الخبر وترك رداءه وقال : دُبِحت يهود وقتلت يهود .

قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا الفضل إن يهود تفرع من ابن أخيك . قلت : قد رأيت ، فهل لك أن تؤمن به . قال لا أؤمن به حتى أرى الخيل في

كَدَاء . قلت : ما تقول ؟ ! قال : كلمة جاءت على فمى ، إلا أنى أعلم أن الله لا يترك خيلاً تَطْلُع على كدَاء .

قال العباس : فلما فتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظرنا إلى الخيل قد طلعت من كدَاء قلت : يا أبا سفيان تَذَكُر تلك الكلمة ؟ قال : إى والله إنى لأذكرها^(١) .

كَدَاء : كسحاب : الثنية العليا بأعلى مكة عند المقبرة ، لا تنصرف . وقال النووي : ويجوز الصرف على إرادة الموضع .

خبر أمية عن بعض أخبار الشام

روى البيهقي وأبو نعيم واللفظ له عن أبي سفيان ابن حرب قال : خرجت أنا وأميه بن أبي الصلت تجارا إلى الشام فقال : هل لك في عالم من علماء النصارى إليه انتهى علم الكتاب نسأله . قلت له : لا أَرَب لى فيه . فذهب ثم رجع فقال : إنى جئت هذا العالم فسألته عن أشياء ثم قلت : أخبرنى عن هذا النبي الذى يُنتظر . فقال : هو رجل من العرب قلت : من أى العرب ؟ قال : من أهل بيت يحجُّه العرب من إخوانكم من قريش . قلت : صفه لى . قال : رجل شابٌ حين دخل فى الكهولة ، بَدء أمره يجتنب المظالم والمحارم ويصل الرِّجَم ويأمر بصلتها ، وهو مُخَوِّج كريم الطرفين متوسط فى العشيرة أكثر جنده الملائكة . قلت ما آية ذلك ؟ قال : قد رجفت الشام بعد عيسى بن مريم صلى الله عليهما وسلم ثلاثين رَجْفَةً كلها مصيبة ، وبقيت رجفة عامة فيها مصائب . قال أبو سفيان : فقلت هذا والله الباطل . فقال أميه : والذى حلقتُ به إن هذا لهكذا .

ثم خرجنا فإذا راكب من خَلْفنا يقول : أصاب أهل الشام بعدكم رَجْفَةٌ دَمَرَتْ أهلها وأصابتهم فيها مصائب عامة . قال أبو سفيان : فأقبل على أميه فقال : كيف ترى قول النصارى ؟ قلت : أرى والله إنه حق .

وقد علمت مكة فقضيت ما معى ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجرا فمكثت بها خمسة

(١) ذكره ابن كثير فى سيرته ٣١١/١ عن أبي نعيم بسياق مطول ، ثم قال : وهذا سياق حسن عليه البهاء والنور وضياء الصدق ، وإن كان فى رجاله من هو متكلم فيه .

أشهر ، ثم قدمت مكة فجاء الناس يسلمون عليّ ويسألون عن بضائعهم ثم جاعني محمد صلى الله عليه وسلم فسلم عليّ ورحب بي وسألني عن سفري ومقامي ولم يسألني عن بضاعته ، ثم قال : فقلت لهند : والله إن هذا ليعجبني ! ما من أحد من قريش له معي بضاعة إلا وقد سألني عنها وما سألني هذا عن بضاعته . قالت : وما علمت بشأنه ؟ إنه يزعم أنه رسول الله . فوقدنتني^(١) ، وذكرت قول النصراني . قلت : هو أعقل من أن يقول هذا . قالت : بلى والله إنه يقول ذلك^(٢) .

خبر أبي سفيان عن أمية

روى الطبراني وأبو نعيم عن معاوية بن أبي سفيان عن أبيه قال : كنا بغزة أو بإيلياء فقال لي أمية بن أبي الصلت : يا أبا سفيان إيه عن عتبة بن ربيعة ؟ قلت : إيه عن عتبة ابن ربيعة . قال : كريم الطرفين ويجتنب المحارم والمظالم ؟ قلت : نعم وشريف مسين . قال : السن أزرى به . قلت : كذبت بل ما ازداد سنا إلا ازداد شرفا . قال : لا تعجل عليّ حتى أخبرك . فقال : إني أجد في كتبي نبيا يُبعث من حرّتنا هذه فكنت أظن أني هو ، فلما دارست أهل العلم إذا هو من بني عبد مناف ، فنظرت في بني عبد مناف فلم أجد أحدا يصلح لهذا الأمر غير عتبة بن ربيعة ، فلما أخبرتني بسنه عرفت أنه ليس به حين جاوز الأربعين ولم يوح إليه .

قال أبو سفيان : فرجعت وقد أوحى الله إليّ رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فخرجت في ركب في تجارة فمررت بأمية فقلت له كالمستهزئ به : خرج النبي الذي كنت تنعته . قال : أما إنه حق فاتبعه وكأني بك يا أبا سفيان إن خالفته ربطت كما يربط الجنى حتى يؤتى بك فيحكم فيك^(٣) .

والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) في القاموس : وقذه : صرعه وغلبه . وفي أساس البلاغة : وشاة موقوذة ووقيد : وقذت بالعصا حتى ماتت . ومن المجاز : وقذته العباد ، ووقدنتي كلمة سمعتها .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي - مختصراً - ٤٦٩/١ ، وقد أورده ابن كثير بسياقه هنا مطولاً عن الطبراني ، سيرة ابن

كثير ١٢٣/١ .

(٣) سيرة ابن كثير ١٢٩/١ ، عن الطبراني .

خبر عبد الرحمن بن عوف عن عثكلان الحَبَر

روى ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال : سافرت إلى اليمن قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنة ، فنزلت على عثكلان بن عواكن الحميري ، وكان شيخا كبيرا وكنت لا أزال إذا قلدتُ اليمنَ أنزل عليه فيسألني عن مكة وعن الكعبة وزمزم ويقول : هل ظهر فيكم رجل له نبي له ذكر ؟ هل خالف أحد منكم عليكم في دينكم ؟ فأقول : لا . حتى قدمت القدمة التي بُعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافيته قد ضَعُف وثقل سمعه فنزلتُ عليه فاجتمع عليه ولده وولد ولده فأخبروه بمكاني فشُدَّت عصابة على عينيه وأُسند فقعد فقال لي : انتسبْ يا أخا قريش . فقلت : أنا عبد الرحمن بن عوف ابن عبد عوف بن عثي بن الحارث بن زُهرة . قال : حسبك يا أخا زُهرة ألا أبشرك ببشارة هي خير لك من التجارة ؟ قلت : بلى . قال : أنبئك بالمعجزة وأبشرك بالمرغبة ، إن الله تعالى بعث في الشهر الأول من قومك نبيا ارتضاه صفيا وأنزل عليه كتابا وجعل له ثوبا ، ينهى عن الأصنام ويدعو إلى الإسلام يأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويُبطله فقلت : ممن هو ؟ قال : لا من الأزد ولا ثمالة ، ولا من سرّو ولا تباله ، هو من بني هاشم وأنتم أخواله ، يا عبد الرحمن أحسن الوقعة وعجل الرجعة ثم امض وآزره وصدقه واحمل إليه هذه الأبيات :

أشهد بالله ذى المعالى	وفالق الليل والصباح
إنسك في السر من قريش	يا ابن المصدى من الذبّاح
أرسلت تدعو إلى يقين	يرشد للحق والفلاح
أشهد بالله رب موسى	أنك أرسلت بالبطّاح
فكن شفيعى إلى ملىسك	يسدعو البرايا إلى النجّاح

قال عبد الرحمن : فحفظت الأبيات وأسرعت في تقضى حوائجى وانصرفت فقدمت مكة فلقيت أبا بكر فأخبرته الخبر فقال : هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله رسولا إلى خلقه . فأتيته في نفر في بيت خديجة فلما رآنى ضحك وقال : أرى وجهها خليقا أرجو أخيرا ما وراءك ؟ قلت : وماذاك يا محمد ؟ قال : حملت إلى وديعة أم أرسلك مرسل إلى

برسالة هاتها . فأخبرته وأسلمت فقال : أما إن أخى حمير من خواص المسلمين ثم قال :
«رُبُّ مؤمن بي ولم يرني ومصدق بي وما شاهدني أولئك إخواني حقا .»^(١)

خبر عروة بن مسعود الثقفي عن بعض الكهان والكواهن

ذكر أبو هاشم بن ظفر في «خبر البشر» أن عروة بن مسعود الثقفي رضى الله تعالى عنه
قال : خرجت في تجارة لنجران قبل أن يظهر أمر محمد فجلست تحت مِرْحَة منتبذا
من أصحابي فإذا جاريتان تسوقان بُهْمًا إلى السَّرْحَة ، فجلستا وأنا مضطجع فتناومت ، فقالت
إحداهما للأخرى : من هذا فيما تظنين يا ابنة الأكرمين ؟ قالت الأخرى : هذا عروة
ابن مسعود سيد غير مَسُود ، جَوْدٌ وَعَصْرٌ منجود . قالت : صدقت فمن أين هو وإلى أين ؟
فقالت الأخرى : أتى من المَعْقِلِ المنيف ، طائف ثقيف ينوى نجران ذات المخاليف
فقالت : صدقت فما هو مصيب في سفره هذا ؟ فقالت : يَسْهَلُ طريقه وَيَنْفَقُ سُوقَهُ ويعلو
فُوقَهُ . قالت : صدقت فما عاقبة أمره ؟ قالت : يعيش زعيمًا ويتبع نبيًا كريمًا ويتعاطى أمرًا
جسيمًا . فقالت : صدقت وما هذا النبي ؟ فقالت : داع مجاب ، له أمر عَجَاب ، يأتيه من السماء
كتاب يَبْهَرُ الأبواب ويقهر الأرباب . قال عروة : ثم أمسكنا فغشينا النعاس ، فلما استيقظت
لم أَرْ لهما أثرًا فلما بلغت نجران قال أسقفُها - وكان لي صديقًا - : يا أبا يعفور هذا حينُ خروج
نبيٍّ من أهل حَرَمِكم يهدئ إلى الحق ، وحق المسيح إنه لخير الأنبياء وآخرهم فإن ظهر فكن
أول من يؤمن به .

[تفسير الغريب]

السَّرْحَة - بسين مفتوحة فراء سا كنة فحاء مهملات : الشجرة العظيمة .

منتبذا : منفردا .

البُهْم - بضم الباء الموحدة : صغار الغنم .

العَصْر - بعين وصاد مهملتين مفتوحتين - الملجأ .

المنجود : المكروب .

(١) ليس في تهذيب ابن عساكر .

هوى : قصد أرضاً غوراً وأصله أن يخبر من علو إلى سُفل .

نوى : قصد

المنيف : المرتفع .

المخاليف : قرى تخلف القرية العظيمة في المرافق وتنوب منابها ، واحداً مِخْلَاف .

يعلو فوقه - بضم الفاء وسكون الواو وضم القاف - هذا مثل يضرب للظفر والعلو والجدد وأصله فوق السَّهم .

زعياً : سيّداً .

خبر عمرو بن معدى كرب عن بعض الكهان

ذكر ابن ظفر أيضاً أن أبا ثور عمرو بن معدى كرب رضى الله تعالى عنه قال : والله لقد علمت أن محمداً رسول الله قبل أن يُبعث . فقليل له : وكيف ذاك ؟ قال : فزعنا إلى كاهن لنا في أمر نزل بنا ، فقال الكاهن : أقسم بالسماوات الأبراج والأرض ذات الأدراج والرياح ذات العجاج إن هذا لإمّراج^(١) ولِقَاح^(٢) ذى نتاج . قالوا : وما نتاجه ؟ قال : ظهور نبيٍّ صادق بكتاب ناطق وحُسام ذائق^(٣) . قالوا : أين يظهر وإلّا مَ يدعو ؟ قال : يظهر بصلاح ويدعو إلى فلاح وبُعْطَل الأقداح ، وينهى عن الراح والسّفاح وعن كلّ أمر قَبَاح . قالوا : ممن هو ؟ قال من ولد الشيخ الأكرم حافر زمزم ومُطْعَم الطير المحوّم والسباع الضرم . قالوا : وما اسمه ؟ قال : محمد ، وعزّه سرّمد ، وخصمه مكمد .

صلاح : من أسما مكة . وتقدم ضبطه^(٤) .

خبر ابن الهيثبان

روى البيهقي عن عاصم بن عمرو بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال : هل تدري عما كان لإسلام أُسَيْد وثعلبة ابني سَعِيّة وأسيد بن عبيد ، نفر من هُذَل لم يكونوا من بني قريظة ولا النضير ، كانوا فوق ذلك . فقلت : لا .

(١) الإمراج : أن تلقى الناقة الولد غرساً ، أى على وجه جليدة ساعة يولد فإن تركت عليه قتلته .

(٢) غير ط : ونفاج - واللحاق : الإبل . (٣) الذائق : الحديد الماضى .

(٤) انظر ص ٢٢٧ من الجزء الأول من هذا الكتاب .

قال : فإنه قديم علينا رجل من الشام . من يهود يقال له ابن الهيَّبان فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس خيراً منه ، فقدم علينا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنين ، فكنا إذا قُحِطْنَا وقلَّ علينا المطر نقول : يا ابن الهيَّبان اخرج فاستق لنا . فيقول : لا والله حتى تقدّموا أمام مخرجكم صدقة . فنقول : كم ؟ فيقول : صاع من تمر أو مُدَّين من شعير . فنخرجه . ثم يخرج إلى ظاهر حرَّتنا ونحن معه فيستقي فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمر السحاب . قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة . فحضرته الوفاة فاجتمعنا إليه فقال : يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قالوا : أنت أعلم . قال : فإنه إنما أقدمني هذه البلدة أتوكّف خروج نبي قد أظلَّ زمانه هذه البلاد مهاجرة فأتبعه فلا تُسبَقَنَّ إليه إذا خرج يا معشر يهود ، فإنه يُبعث بسفك الدماء وسبى النساء والذَّرائ من يخالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه . ثم مات . فلما كانت الليلة التي فتحت فيها قريظة قال أولئك الفتية - وكانوا شباباً أحداثاً - : يا معشر يهود والله إنه الذي ذكر لكم ابن الهيَّبان . فقالوا : ما هو به . قالوا : بلى والله إنها لصفته . ثم نزلوا فأسلموا وخلّوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم في حصن مع المشركين ، فلما فتح ردُّ ذلك عليهم^(١) .

أسيد : وقع في الرواية بضم الهمزة وفتحها وصوبه الدارقطني وعبد الغنى .
سعية - بسين مفتوحة فعين ساكنة مهملتين فمشناة تحتية ويقال بالنون بكلاً .
أتوكّف : أنتظر وأستشعر .
أظلَّ زمانه : أشرف عليكم وقرب .

خبر الجبر من جرهم

روى ابن أبي خيثمة عن عكرمة أن نفرًا من قريش مرّوا بجزيرة من جزائر البحر فإذا هم بشيخ من جرهم ، فقال : ممن أنتم ؟ قالوا : من أهل مكة من قريش . فقال الشيخ ذات يوم : لقد طلع الليلة نجمٌ لقد بُعث فيكم نبيّ . فنظروا فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قد بُعث تلك الليلة .

(١) خبر ابن الهيَّبان هذا في سيرة ابن هشام ٢١٣/١ وطبقات ابن سعد ١٦٠/١ ودلائل النبوة للبيهقي ٤٣١/١ .
والاكتفا للكلاعي ٢٣٤/١ . وسيرة ابن كثير ٢٩٤/١ .

خبر الحبر من أهل بَصْرَى

روى ابن سعد والبيهقي عن طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه . قال : حضرت سوق بصرى فإذا راهب في صومعته يقول : سَلُّوا أهل هذا الموسم : هل فيهم أحد من أهل الحرم ؟ فقلت : نعم أنا . قال : هل ظهر أحمد ؟ قلت : ومن أحمد ؟ قال : ابن عبد الله ابن عبد المطلب ، هذا شهره الذى يخرج فيه وهو آخر الأنبياء مَخْرَجَه من الحرم ومُهَاجَرَه إلى نخل وحرّة وسِباخ ، فأياك أن تُسَبِّقَ إليه . قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال . فقدمت مكة فقلت : هل كان من حدث ؟ قالوا : نعم محمد بن عبد الله الأمين تنبأ وقد تبعه ابن أبي قحافة . فخرجت سريعا حتى قدمت على أبي بكر فأخبرته بما قال الراهب ، فخرج أبو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فسُرَّ بذلك وأسلم طلحة فأخذ نوفل بن العديوة أبا بكر وطلحة فشدهما في جبل واحد فلذلك سميا القرينين^(١) .

خبر رئيس نجران

قال ابن هشام : وبلغني أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم ، فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرئاسة إلى غيره حتّم على تلك الكتب خاتما مع الخواتم التي قبله ولم يكسرها ، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يمشى فعثر ، فقال ابنه : تعس الأبعد . يريد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبوه : لا تفعل فإنه نبيّ واسمه في الوضائع - يعنى الكتب . فلما مات لم يكن همّه إلا أن شدّ فكسر الخواتم فوجد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه فحج وهو الذى يقول :

إليك تغدو قلقاً وضيئها مُعْتَرِضاً في بطنها جنيئها

مخالفاً دينَ النصراني دينها^(٢)

[تفسير الغريب]

نَجْران : بفتح النون وإسكان الجيم .

عَثَر : بفتح المثلثة ، والعَثرة : الزلّة .

(١) الوفالبن الجوزى ٥٦/١ .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٧٤/١ .

تَعَس : - بفتح العين وكسرها - ومعناه : عشر وانكب لوجهه .

الوضائع - بفتح الواو وبالفصاد المعجمة وبعد الألف مثناة تحتية ثم عين مهملة :

يعنى الكتب . زاد فى النهاية : التى تكتب فيها الحكمة .

الوَضِيع - بفتح الواو وكسر الفصاد المعجمة وسكون المثناة التحتية : بطان : منسوج

بعضه على بعض يُشَدُّ به الرَّحْلُ على البعير كالحِزَامِ للمسرج ، أراد أنها قد هَزُلَتْ ودَقَّتْ

للسير عليها .

الباب الثالث

في حدوث الرجوم وحجب الشياطين من استراق

السمع ، عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم

قال الله سبحانه وتعالى : « قُلْ » يا محمد للناس : « أَوْحِيَ » أخبرت بالوحي « إِلَى أَنَّهُ »
الضمير للشأن « اسْمِعْ » لقرآني « نَفَرٌ مِنَ الْجَنِّ » جن نصيبين أو نينوى ، وكانوا سبعة
أو تسعة وذلك في صلاة الصبح ببطن نخلة موضع بين مكة والطائف وهم الذين ذكروا في
قوله تعالى : « وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجَنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصَتُوا
فَلَمَّا قُضِيَ وَلُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مَنْذَرِينَ^(١) » والنفر ما بين الثلاثة والعشرة .

« فَقَالُوا » لقومهم لما رجعوا إليهم : « إِنَّا سَمِعْنَا قِرَاءَتَا عَجَبًا » وصف بالمصدر على سبيل
المبالغة أى هو عجب في نفسه لفصاحة لفظه وحسن مبانيه ودقة معانيه وغرابة أسلوبه
وبلاغة مواعظه وكونه مبيناً لسائر الكتب ، والعجب ما خرج عن أشكاله ونظائره .

« يَهْدِي » يدعو « إِلَى الرُّشْدِ » الإيمان والصواب « فَأَمَّا بِهِ » أى القرآن .

ولمّا كان الإيمان^(٢) به متضمناً الإيمان بالله تعالى وبوحدانيته وبرأته من الشرك . قالوا :
« وَلَنْ نُشْرِكَ » بعد اليوم « بِرَبِّنَا أَحَدًا » . وأنه « الضمير للشأن فيه وفي الموضعين بعده
« تَعَالَى » تعاضل « جَدُّ رَبِّنَا » جلاله وعظمته عما نسب إليه « مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً » زوجة « وَلَا
وَلَدًا » . بيان ذلك كأنهم سمعوا من القرآن ما نبههم^(٣) على خطأ ما اعتقدوه من الشرك
واتخاذ الصاحبة والولد .

« وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا » جاهلنا إبليس أو مردة الجن . « عَلَى اللَّهِ شَطَطًا » غلوا
في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد .

(١) سورة الأحقاف ٢٩ .

(٢) ط : ولما كان القرآن متضمناً الإيمان بالله . (٣) ط : ما نبههم . وص : ما نبأهم .

ثم أخذوا يعتذرون عن اتباعهم للسفيه في ذلك : « وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ » مخففة أنه « لن تقول الإنس والجن على الله كذباً » بوصفه بذلك ، حتى تبيننا كذبهم بذلك .

« وأنه كان رجال من الإنس يعوذون » يستعيذون . « برجال من الجن » حين ينزلون في أسفارهم بمكان مخوف فيقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه . « فزادوهم » يعوذهم بهم « رَهَقًا » طغيانا ، فقالوا : سُذْنَا الجن والإنس « وَأَنْتُمْ » أى الجن : « ظَنُّوْكُمْ » ظَنَنْتُمْ « يا إنس أو بالعكس . والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض ، أو استئناف من كلام الله تعالى وَمَنْ فَتَحَ « أَنْ » فيها جعلهما من الموحى به أى أنه « لن يبعث الله أحدا » بعد موته ، أو رسولا .

قال الجن : « وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ » طلبنا استراق السمع منها . واللمس مستعار من المس للطلب : « فوجَدْنَاهَا » صادفناها « مُلئت حُرْسًا » حُرَّاسًا اسم جمع كخَدَم : « شَدِيدًا » قويًا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها « وشُهبا » جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار : « وَأَنَا كُنَّا » قبل مبعثه « نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ » خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للرصد والاستماع « للسمع » صلة نقعد أو صفة لمقاعد . وفسر النبي صلى الله عليه وسلم كيفية قعود الجن أنهم كانوا واحدا فوق واحد فمضى احترق الأعلى طلع الذى تحته مكانه وكانوا يَسْتَرْقُونَ الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون فيها ويزيد الكاهن مائة كذبة . « فَمَنْ يَسْتَمِعُ الْآنَ » ظرف للحال ويستمع ظرف مستقبل فاتسع في الظرف واستعمل للاستقبال « يَجِدْهُ شِهَابًا رَصَدًا » أى أرصد له ليرمى به . هذا لمن استمع وأما السمع فقد انقطع كما قال الله تعالى : « لَئِنْهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعُزُولُونَ ^(١) » .

ولما رأوا ما حدث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قالوا : « وَأَنَا لَا نَذْرَى أَشْرَ أُرِيدَ » بعدم استراق السمع « بَمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا » خيرا .

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها مُنعت من السمع قبل ذلك لثلاثي أشكال الوحي بشيء من خبر السماء فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه لوقوع الحجة وقطع الشبهة ^(٢) .

(١) سورة الشعراء ٢١٢ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢٠٥/١ .

فآمنوا وصدقوا « ثم ولّوا » رجعوا إلى قومهم « مُنذرين » مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا وكانوا يهودا . « قالوا يا قومنا إنا سَمِعْنَا كتاباً » هذا القرآن « أنزل من بعد موسى ، مصدّقاً لما بين يديه يهدى إلى الحقّ » الإسلام « وإلى طريقٍ مستقيم » أى طريقة « يا قومنا أجبوا داعيَ الله » محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان « وآمنوا به يَغْفِرَ لكم من ذُنُوبِكُمْ » أى بعضها وهو ما يكون فى خالص حق الله ، فإن المظالم لا تُغْفَرُ بالإيمان ويُجْزَكُم من عذاب أليم » مؤلم .

« ومن لا يُجِبْ داعيَ الله فليس بمعجزٍ فى الأرض » أى لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته « وليس له » لمن لا يجِبْ « من دونه » أى الله « أولياء » أنصارا يدفعون عنه العذاب « أولئك » الذين لم يجيبوا « فى ضلالٍ مبين » بين ظاهر .



لطيفة : مناسبة سورة الجن لما قبلها أنه لما حكى تَمَادَى قوم نوح صلى الله عليه وسلم - فى الكفر وعكوفهم على عبادة الأصنام ، وكان أولَ رسولٍ إلى أهل الأرض ، كما أن محمداً صلى الله عليه وسلم آخر رسولٍ إلى أهل الأرض ، والعرب الذين هو منهم كانوا عُبَادَ أصنام كقوم نوح حتى أنهم عبدوا أصناماً مثل أصنام أولئك فى الأساء ، وكان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن هادياً إلى الرشد وقد سمعته العرب وتوقّف عن الإيمان به أكثرهم ، أنزل الله سبحانه وتعالى سورة الجن إثر سورة نوح تبكيّناً لقريش والعرب فى كونهم تباطأوا عن الإيمان ، إذ كانت الجن خيراً منهم وأقبل إلى الإيمان ، هذا وهم من غير جنس رسول الله صلى الله عليه وسلم - ومع ذلك فعندما سمعوا القرآن استعظموا وآمنوا به للوقت وعرفوا كونه مُعْجِزاً ، وهم مع ذلك مكذّبون له ولن جاء به بغيّاً وحسداً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده .

وروى الإمام أحمد والبيهقى عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس قال : إن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء فيستمعون الكلمة من الوحي فيهبطون إلى الأرض فيزيلون فلم يزلوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم - فمَنَعُوا تلك المقاعد ، فذكروا ذلك لإبليس فقال : لقد حدث فى الأرض حَدَثٌ ، فبعثهم فوجدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم - يتلو القرآن قالوا : هذا والله الحدث . وإنيهم ليرْمَوْنَ فإذا توارى النجم عنكم فقد أدركه

لا يخطئ أبدا ولكنه لا يقتله ، يحرق جَنْبَهُ وجهة يده^(١) :

وروى ابن سعد والبيهقي وأبو نعيم من وجه آخر عن سعيد عنه قال : كان لكل قَبِيل من الجن مقعاً من السماء يستمعون منه الوحي فيخبرون به الكهنة فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم - دُجِرُوا منه ، فقالت العرب حين لم تخبرهم الجن : هلك أهل السماء . فجعل صاحب الإبل ينحر كل يوم بعيراً وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم ينحر كل يوم شاة ، وقال إبليس : لقد حدث في الأرض حدث فأتوني من تربة كل أرض . فأتوه بها فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال : من هاهنا الحدث فنصتوا فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بُعث^(٢) .

وروى البيهقي من طريق العوفي عنه قال : لم تكن السماء تُخرَس في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وكان يقعدون منها مقاعد للسمع ، فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم - حُرست السماء حرساً شديداً ورُجمت الشياطين .

وروى محمد بن عمر الأسلمي وأبو نعيم عن ابن عمرو قال : لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم - مُنعت الشياطين من خبر السماء ورُموا بالشهب فذكروا ذلك لإبليس فقال : بعث نبيٌ عليكم بالأرض المقدسة . فذهبوا ثم رجعوا فقالوا : ليس بها أحد . فخرج إبليس يطلبه بمكة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم - بحراء منحدرًا معه جبريل فرجع إلى أصحابه فقال : قد بُعث أحمد ومعه جبريل^(٣) .

ورويًا أيضًا عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال : لم يُرَمَ بنجم منذ رُفع عيسى حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رى بها ، فلما رأت قريش أمراً لم تكن تراه فجعلوا يُسيَّبون أنعامهم ويعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء وفلمت ثقيف مثل ذلك ، فبلغ عبد ياليل فقال : لاتعجلوا وانظروا فإن تكن نجوما تُعرف فهو عند فناء من الناس ، وإن كانت نجوما لاتُعرف فهو عند أمر قد حدث . فنظروا فإذا هي لاتُعرف فأخبروه فقال : هذا عند ظهور نبي فما مكثوا إلا يسيراً حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب فقال : ظهر محمد بن عبد الله يدعى أنه نبي مُرسل . فقال عبد ياليل : فعند ذلك رُمي بها^(٤) .

(١) ذكره نحوه ابن كثير في سيرته ٤١٥/١ عن ابن عباس من طريق أبي نعيم .

(٢) سيرة ابن كثير ٤١٦/١ .

(٣) سيرة ابن كثير ٤١٧/١ .

(٤) سيرة ابن كثير ٤٢٠/١ عن الواقدي .

عبد ياليل - بمثنائين تحتيتين وكسر اللام الأولى ، وذكره ابن إسحاق فيمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم - في وفد ثقيف .

وروى سعيد بن منصور والبيهقي عن الشعبي قال : كانت النجوم لا يُرمى بها حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فرمى بها فسيبوا أنعامهم وأعتقوا رقيقهم ، فقال عبد ياليل : انظروا . وذكر مثله .

وروى ابن إسحاق وابن سعد عن يعقوب بن المغيرة بن الأخنس قال : إن أول العرب فزع لرمى النجوم ثقيف فأتوا عمرو بن أمية أحد بني عِلاج فقالوا : ألم تر ما حدث ؟ قال : بلى ، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يُهتدى بها ويُعرف بها أنواء الصيف والشتاء انتشرت فهو طي الدنيا وذهب هذا الخلق ، وإن كانت نجوما غيرها فأمر أراد الله تعالى ، ونبي يبعث في العرب . فقد تحدث بذلك عمرو بن أمية هذا^(١)

وروى ابن سعد وأبو نعيم عن الزهري قال : كان الوحي يُستمع فلما كان الإسلام منعوا وكانت امرأة من بني أسد يقال لها سكير لها تابع من الجن فلما رأى الوحي لا يستطيع أتاها فدخل في صدرها وجعل يصيح : وضع العنق ورُفع الشقاق وجاء أمر لا يطاق ، أحمد حرم الزنا^(٢)

وروى محمد بن عمر الأسلمي وأبو نعيم عن نافع بن جبير قال : كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا تُرمى فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم رميت بالشهب .

وروي أيضا عن عطاء عن ابن عباس وعن مجاهد . وأبو نعيم عن حجاج الصواف ، عن ثابت عن أنس . وأبو الشيخ عن عثمان بن مطر عن ثابت عن أنس قال ابن عباس : كانت الشياطين يستمعون الوحي قالوا : فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم مُنعوا فشكّوا ذلك إلى إبليس فقال : لقد حدث أمر . فرقى فوق أبي قُبَيْس فرأى رسول الله صلى الله

(١) سيرة ابن هشام ٢٠٦/١ . وطبقات ابن سعد ١٦٣/١ (ط بيروت) ونصه : فقد تحدث بذلك .

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٧ بروايات تشبهه . وطبقات ابن سعد ١٦٧/١ باختلاف أيضا .

عليه وسلم يصلي خلف المقام فقال : أذهب فأكسر عنقه . فجاء وعنده جبريل فركضه
برجله فألقاه بوادي الأردن^(١) .

وروى الخرائطي في الهواتف^(٢) عن سعيد بن جبير أن رجلاً من بني تميم حدث عن بدء
إسلامه فقال : إني لأسير برمل عالج ذات ليلة إذ غلبني النوم ونمت فنزلت عن راحلتي
وأنختها ونمت وقد تعوذت قبل نومي . فقلت أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن . فرأيت
في منامي رجلاً بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي ، فانتبهت فزعا فنظرت يمينا
وشمالا فلم أر شيئا فقلت . هذا حلم . ثم عدت ففقت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فدرت
حول ناقتي فلم أر شيئا وإذا ناقتي ترعد ، ثم غصت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت
ناقتي تضطرب والتفت فإذا أنا برجل شاب كالذي رأيته في منامي وبيده حربة ورجل
شيخ ممسك بيده يردّه عنها ، فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش
فقال الشيخ للفتي : قم فخذ أيها شئت فداء لناقة جاري الإنسي . فقام الفتى فأخذ
منها ثورا وانصرف ثم التفت إلى الشيخ وقال : يا فتى إذا نزلت وادياً من الأودية فخفت
هولك فقل : أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي . ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل
أمرها . فقلت له : ومن محمد ؟ قال : نبي عربي لا شرقي ولا غربي ، بُعث يوم الاثنين .
قلت : أين مسكنه ؟ قال : يشرب . ذات النخل . فركبت راحلتي حين برق لي الصبح
وجددت السير حتى أتيت المدينة فرآني رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني قبل أن أذكر
له شيئا ودعاني إلى الإسلام فأسلمت .

وروى مسلم وابن إسحاق عن ابن عباس عن نفر من الأنصار ، أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم - قال لهم : « ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يُرمَى به في الجاهلية ؟ قالوا :
يانبي الله كنا نقول حين رأيناها يُرمَى بها : مات ملك ، ملك ملك ، وليد مولود مات
مولود . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : « ليس ذلك كذلك ، ولكن الله سبحانه وتعالى
كان إذا قضى في خلقه أمراً سمعه^(٣) حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم لتسبيحهم ،

(١) سيرة ابن كثير ٤٢٠/١ عن الواقدي وفيه : فركضه جبريل ركضة طرحه في كذا وكذا .

(٢) يريد كتابه « هواتف الجان » وهو مخطوط .

(٣) ص : يسمعه .

فسبح من تحت ذلك ، فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيسبحوا .
ثم يقول بعضهم لبعض : ممّ سبحتم ؟ فيقولون : سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم .
فيقولون : ألا تسألون من فوقكم ممّ سبحوا ؟ فيقولون مثل ذلك حتى ينتهوا إلى حمة
العرش فيقال لهم : ممّ سبحتم ؟ فيقولون : قضى الله تعالى في خلقه كذا وكذا لإمر الذي
كان فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيتحدثون به ، فتسرقه فتسرقه
الشياطين بالسمع على توهم واختلاف ، ثم يأتون به الكهان فيحدثونهم فيخطئون بعضاً
ثم إن الله تعالى حجب الشياطين بهذه النجوم التي يُقذّفون بها فانقطعت الكهانة اليوم
فلا كهانة^(١) .

ويروى عن لُهيّب^(٢) بن مالك اللّهيّ قال : حَضَرْتُ عند النبي صلى الله فقلت : بأبي
أنت وأمي نحن أول من عرف حراسة السماء والشياطين ومنهم من استراق السمع عند قذف
النجوم ، وذلك أنّا اجتمعنا إلى كاهن يقال له خَطَر بن مالك ، وكان شيخاً كبيراً قد أتت
عليه مائتا سنة وثمانون سنة فقلنا : يا خطر هل عندك عِلْم من علم هذه النجوم^(٣) التي يُرمى
بها فإننا قد فرغنا لها وخِفْنَا سوء عاقبتها . فقال : اتنوني بسحر ، أخبركم الخبر ، الخير أم
الضرر والأمن أم الحذر^(٤) ؟

قال : فانصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد في وجه السحر أتيناها فإذا هو قائم
على قدميه شاخص ببصره إلى السماء ، فناديناه : يا خطر يا خطر . فأوماً إلينا أن أمسكوا
فأمسكنا ، فانقض نجم عظيم من السماء ، فصرخ الكاهن رافعا صوته .

أصابه أصابه خامسه عقابه

عاجله عذابه أحرقه شهابه

زايلاه جوابه

يا ويحه ماحاله بلبكه بلباله

(١) سيرة ابن هشام ٢٠٧/١ والاكتفا للكلاعي ٢١٥/١ .

(٢) ص : عن كعب بن مالك . وما أثبتته عن بقية النسخ موافقاً للاكتفا للكلاعي .

(٣) الاكتفا : هل عندك علم بهذه النجوم . (٤) الاكتفا : أخير أم ضرر ، أو أن أو حذر .

عَاوَدَهُ خَبَالُهُ تَقَطَّعَتْ حِيَالُهُ
وغيرت أحواله

ثم أمسك طويلا وقال :

يا معشر بنى قحطان أخبركم بالحق والعيان
أقسمت بالكعبة ذات الأركان والبلد^(١) المؤمن السدان
لقد منع السمع عناة الجان بثاقب بكف ذى سلطان
من أجل مبعوث عظيم الشأن . . . يُبْعَثُ بالتنزِيلِ والقِرْآنِ
وبالهدى وفاضل الفرقان تبطل به^(٢) عبادة الأوثان

فقلنا : يا خطر ما ترى لقومك ؟ قال :

أرى لقومى ما أرى لنفسى أن يتبعوا خيسر بنى الإنس
برهانه مثل شعاع الشمس يُبْعَثُ فى مكة دار الحمس
بمحكم التنزيل غير اللبس .

فقلنا : يا خطر ومن هو ؟ فقال : والحياة والعيش ، إنه لمن قريش ، ما فى حكمه^(٣)
طيش ، ولا فى خلقه هيش^(٤) ، يكون فى جيش وأى جيش ، من آل قحطان وآل أيش .

فقلنا : بين لنا من أى قريش هو ؟

فقال : والبيت ذى الدعائم ، إنه لمن نجل هاشم ، من معشر أكارم ، يُبْعَثُ بالملاحم ،
وقتل كل ظالم .

ثم قال : هذا هو البيان أخبرنى به رئيس الجان . ثم قال : الله أكبر جاء الحق وظهر ،

(١) الأصل : والبيت . وما أثبتته من الاكتفا للكلاعى ٢١٧/١ ، وبه يستقيم الوزن ، وقد كنت أثبتته هناك على أنه

سمع ، ولكنه يندرج فى الرجز .

(٢) الأصل : يبطل عبادة الأوثان - وما أثبتته من الاكتفا ، وبه يستقيم الوزن .

(٣) الاكتفا : ما فى حله .

(٤) الهيش : الإفساد .

وانقطع عن الجن الخبر ، ثم مسكت وأغمى عليه فما أفاق إلا بعد ثالثة فقال :
لا إله إلا الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة وإنه يبعث
يوم القيامة أمة واحدة » .

رواه أبو جعفر العُقَيْلِي في كتاب الصحابة ^(١) .

والآثار في هذا كثيرة وفيما ذكر كفاية .

تَنْبِيْهَات

الأول : قال القرطبي : اختلف في الشُّهاب هل يَقْتُل أم لا ؟ فقال ابن عباس : إنه
لا يخطئ ولكن يجرح ويُحرق وَيُخْبِل ^(٢) ولا يَقْتُل .

وقال الحسن وطائفة : يقتل .

فعلى هذا القول في قتلهم بالشهب قبل إلقاءهم السمع إلى الجن قولان .

أحدهما أنهم يُقْتَلون قبل إلقاءهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم . فعلى هذا لا تصل
أخبار السماء إلى غير الأنبياء وبذلك انقطعت الكهانة .

والثاني : أنهم يُقْتَلون بعد إلقاءهم ما استرقوا من السمع إلى غيرهم من الجن ولذلك
ما يعودون إلى استراقه ولو لم يصل لانقطع الاستراق وانقطع الإحراق ^(٣) . ذكره الماوردي .
قال القرطبي : والأول أصح .

قلت : روى سعيد بن منصور والبخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم عن أبي هريرة
رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء
ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك فإذا فزع

(١) الاكتفا ٢١٦/١ - ٢١٨ .

(٢) يخبل : يمنع ، يقال خبله عنه يخبله : منعه . (٣) ت ، م : الاحتراق .

عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الذى قال الحق وهو العلى الكبير . فيسمعها مُسْتَرْقُوا السمع ومُسْتَرْقُوا السمع هكذا واحداً فوق آخر - وَصَفَ^(١) سفيان بيده وفرج بين أصابعه نصّبها بعضها فوق بعض - فيسمع الكلمة فيلقبها إلى من تحته ثم يلقبها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقبها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقبها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا . فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء^(٢) . انتهى .

ففي قوله « فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقبها وربما ألقاها قبل أن يدركه » إلى آخره ، ما يجمع بين القولين السابقين .

وأما قول السهيلي رحمه الله تعالى : لولا . أن الشهاب قد يُخطئ الشيطان لم يتعرض له ، أى الاستماع ، مرة أخرى . فجوابه - كما أشار إليه الحافظ في الفتح - : أنه يجوز أن يقع التعرض مع تحقق الإصابة لرجاء اختطاف الكلمة وإلقائها قبل إصابة الشهاب ثم لا يبالى المختطف بالإصابة لِمَا طُبِعَ عليه من الشر .

وقال أبو عثمان الجاحظ^(٣) : فإن قيل كيف تعرض الجن لإحراق أنفسها^(٤) بسبب سماع خبر بعد أن صار ذلك معلوما لهم ؟ فالجواب : أن الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة^(٥) .

الثاني : قال بعضهم : ظاهر القرآن والأحاديث يقتضي أن الرجم^(٦) بالنجوم نفسها . وقال القرطبي : ليست الشهب التي يُرجم بها من الكواكب الثوابت يدل على ذلك رؤية حركاتها ، والثابتة لا تجرى ولا تُرى حركاتها لبعدها . وقال في موضع آخر : قال العلماء : نحن نرى

(١) ط : وجنب .

(٢) صحيح البخارى كتاب التوحيد باب ٣٢ وكتاب التفسير سورة الحجر وسورة سبأ وسنن الترمذى كتاب التفسير سورة سبأ . وسنن ابن ماجه المقدمة باب ١٣ .

(٣) الأصل : الحافظ . وهو تحريف .

(٤) ص : أنفسهم . وط : نفسها .

(٥) انظر رأى الجاحظ في ذلك ، في كتابه الحيوان ٢٦٨/٦ ، ٢٧١ .

(٦) غير ط : أن الرمي .

انقضاَص الكواكب فيجوز أن يكون ذلك كما نرى ثم يصير نارا إذا أدرك الشيطان ، ويجوز أن يقال يُرْمَوْنَ بشعلة من نار من الهواء فيخيل إلينا أنه نجم يُرى .

وقال في موضع آخر : الكواكب الراجعة هي التي يراها الناس تنقُص . قال النقاش ومكى : وليست بالكواكب الجارية في السماء لأن تلك لا تُرى حركتها ، وهذه الراجعة تُرى حركتها لأنها قريبة منا .

وقال الإمام أبو عبد الله الحلي في منهاجه : ليس فيما نتلوه من كلام ربنا عز وجل أن الشيطان يُرمى بالكواكب أو النجوم . ثم أطل الكلام في تقرير أن الرمي إنما هو بالشهب وهي شُعَلُ النار ، وجعل المصاييح كناية عن الشعل لا النجوم .

وقال الإمام شهاب الدين أبو شامة رحمه الله تعالى : الشهابُ في اللغة اسم للشعلة الساطعة^(١) من النار ثم أطلق على النجم المرصد لرجم الشياطين المسترقين للسمع لأنها لما عيّنت لرجم الشياطين وهي الشعل من النار ، أطلق عليها لفظ الشهب لهذه الملايسة والمجاورة مجازا .

وهذا ظاهر كلام الشفَرَاطِيسِي فإنه^(٢) لما جعل ثواقب الشهب رامية بالشعل دلّ على أن الشهب عنده هي النجوم المرصدة لذلك . ثم قال : والمصاييح هي النجوم التي جعلها الله تعالى راجمة للشياطين بالشهب ، لا أنّ النجوم تنقُص بأنفسها خلف الشياطين . ثم نقل كلام الحلي ثم قال : لا خفاء أنه قد جاء الرمي بالنجوم مصرّحا في الأحاديث وفي شعر العرب القديم : ففي صحيح مسلم عن ابن عباس قال : أخبرني رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار قالوا : بينا هم جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بنجم فاستنار^(٣) . الحديث .

وذكر عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن الزهري أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم أكان في الجاهلية قال : نعم ولكنه إذا جاء الإسلام غلظ وشدّد .

ثم ذكر أبو شامة شاهدين من كلام العرب القدماء ثم قال : ففي الجمع بين هذين

(١) ت ، م : الساطعة . (٢) انظر ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٣٠ .

(٣) صحيح مسلم كتاب السلام حديث رقم ١٢٤ ، وسنن الترمذي كتاب التفسير سورة سبأ ، وسند أحمد ٣٨٩/٦ .

وما تقدم وجهان : أحدهما أن هذا جاء على حذف المضاف للعلم به وتقديره : رمى بنار نجم وانقضَّ انقضا^(١) نار الكواكب وهى الشُّعْلُ المعبر عنها بالشهب . فقد أخبر الله تعالى في كتابه أن الذى يتَّبَع مُسْتَرْق السَّمْع « شهابٌ مُبِينٌ »^(٢) وقال في موضع آخر : شهابٌ ثاقِبٌ^(٣) والشهاب عبارة عن شعلة نار وبها يحصل إحراق الجنى .

الوجه الثانى : أن يكونوا أطلقوا لفظ النجوم على الشهب تجوزاً ، كما أطلقوا لفظ الشهب على النجوم للملاسة كل واحد منهما الآخر^(٤) على ما قدرناه من أن النجوم ترمى الجن بشُعْل النار .

وقال شيخه الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى أماليه : إن الذى يرمى به شُهب تُخْلَق عند الرَّجْم . ولذا قال أبو على فى قوله تعالى « وجعلناها رُجوماً للشياطين »^(٥) : الهاء عائدة على السماء ، التقدير : وجعلناها شهبها . على حذف المضاف ، فصار الضمير للمضاف إليه . انتهى .

الثالث : قال الإمام أبو عبد الله الحليمي رحمه الله تعالى : فإن قيل هذا القذف كان لأجل النبوة ، فلم دام بعد النبي صلى الله عليه وسلم ؟

فالجواب : أنه دام بدوام النبوة فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر ببطلان الكهانة ، فلو لم تُحرس السماء بعد موته لعادت الجنُّ إلى تسمُّعها وعادت الكهانة ، ولا يجوز ذلك بعد أن بطل لأن قطع الحراسة عن السماء إذا وقع لأجل النبوة فعادت الكهانة دخلت الشبهة فى ضعفاء المسلمين ولم يؤمن أن يظنوا أن الكهانة إنما عادت لتناهى النبوة ، فصَحَّ أن الحكمة تقتضى دوام الحراسة فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته .

وقال الحافظ رحمه الله تعالى : فإن قيل : إذا كان الرمي بها غُلْظاً وشُدُّد بسبب نزول الوحي ، فهلا انقطع بانقطاع الوحي بموت النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نشاهدها الآن يُرمى بها ؟

(٢) سورة الحجر ١٨ .

(٤) ط : بالآخر .

(١) ط : انتقاض .

(٣) سورة الصافات ١٠ .

(٥) سورة الملك ٥ .

فالجواب : يؤخذ من حديث الزُّهْرَى المتقدم ، ففيه عند مسلم قالوا : كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنها لا تُرْمَى لموت أحد ولا حياته ، ولكن ربنا إذا قضى أمراً أخبر أهل السموات بعضهم بعضاً حتى يبلغ الخبر السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفون به إلى أوليائهم . فيؤخذ من ذلك أن سبب التغليظ والحفظ لم ينقطع لِمَا يتجدد من الحوادث التي تُلقَى بأمره إلى الملائكة ، وأن الشياطين مع شدة التغليظ عليهم في ذلك بعد المبعث لم ينقطع طمعهم من استراق السمع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، فكيف بما بعده ؟ . وقد قال عمر لعُيْلَان لما طُلِّق نساءه : إني أحسب أن الشياطين فيما تَسْتُرُق من السَّمْع سمعت بأنك ستموت فألقت إليك ذلك الحديث . رواه عبد الرزاق وغيره . فهذا ظاهر في أن استراقهم للسمع استمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يقصدون استماع الشيء مما يحدث فلا يصلون إلى ذلك إلا أن يخطف أحدهم بخفة حركته خطفة فيتبعه الشهاب فإن^(١) أصابه قبل أن يلقيها لأصحابه مات وإلا سمعوها وتداولوها .

• • •

الرابع : هل كانت الشياطين تُقَذَف بالشهب قبل المبعث أم حدث القذف بها بعده ؟

اختلف العلماء رضى الله تعالى عنهم في ذلك على قولين :

نقل أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره عن الأكثرين الأول . وبه جزم السُّهَيْلِي والشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى في أماليه وتلميذه الشيخ أبو شامة في شرح الشُّقْرَاطِيْسِيَّة^(٢) وغيرهم وصححه غير واحد واحتجوا بقوله تعالى : « إِنَّا زَيْنَا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^(٣) » ويقولون تبارك وتعالى : « وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ^(٤) » .

(٢) سبق التعريف بها في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٣٠ .

(٤) سورة الحجر ١٧ ، ١٨ .

(١) غير ط : فإذا .

(٣) سورة الصافات ٦ ، ٧ ، ٨ .

قال الزركشي في شرح البردة فهذه الآيات تدل على وجود الرجم قبل المبعث ، لأنها خلقت لذلك . وكذا قوله تعالى « وَأَنَا لَمُسْنَا السَّمَاءِ فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشُهَباً^(١) » وهذا إخبار عن الجن أنه كان الرجم موجوداً لكنه ليس يستأصل وأنه زيد في حرس السماء حتى امتلأت .

وقال الإمام العلامة شمس الدين الهروي في شرح مسلم : وفي هذه الآية دليل على أن الحادث هو الملاء والكثرة ، وأنهم كانوا في الأول يقعدون من السماء مقاعد لاستراق السمع ويجدون بعض المقاعد غير خالية من الحرس والشهب ، والآن ملئت المقاعد كلها ولم يبق مقعد من المقاعد خالياً . وأيضاً فإن الله سبحانه وتعالى ذكر فائدتين في خلق الكواكب في قوله : « ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين »^(٢) وفي قوله تعالى : « إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد » .

وروى عبد الرزاق في تفسيره عن معمر قال : قلت للزهري : أو كان يرى به - أي النجم - في الجاهلية ؟ قال نعم . قلت : يقول الله عز وجل « وَأَنَا كُنَّا نَقْعِدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلْسمع فَمَنْ يَسْتَمِعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً » قال : غلظت وشدد أمرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال البيهقي : وهذا يوافق ظاهر القرآن لأنه قال خبراً عن الجن : « وَأَنَا لَمُسْنَا السَّمَاءِ فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشُهَباً » : وأخبرت الجن أنه زيد في حراسة السماء وشهبها حتى امتلأت منها ومنهم . وفي ذلك دليل على أنه كان قبل ذلك فيها حُرَّاس وشهب مُعَدَّة معهم .

واستدلوا أيضاً بما رواه مسلم عن ابن عباس قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الأنصار إذ رمى بنجم فاستنار ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه ؟ الحديث . وتقدم بآمه .

واستدلوا أيضاً بما جاء في أشعار العرب القديمة من ذكر ذلك ، كماؤس بن حَجَر وعوف ابن الجذع وبشر بن أبي خازم .

(١) سورة الجن ٨ .

(٢) سورة الملك ٥ .

ورُجِّعَ جماعةُ الثاني^(١) وهو الذى صَحَّ عن ابن عباس وبه قال أُبَيُّ بن كعب والشَّعْبِيُّ ونافع بن جُبَيْرٍ وصححه أبو عثمان الجاحظ ومال إليه ابنُ الجَوْزَى وغيره ، واشتدُّوا بأن ذلك ظاهر الأخبار لأنكار الشياطين للرمي وطلبهم سببه^(٢) . ولهذا كانت الكهانة فاشيةً في العرب ومرجوعاً إليها حُكْمُهُمْ ، حتى قُطِعَ سببها بأن حِيلَ بين الشياطين وبين استراق السمع .

وجمع المحققون بين الأخبار فقال القرطبي : يُجْمَعُ بأنَّها لم يكن يُرْمَى بها قبل المبعث رَمِيًّا يقطع الشياطين عن استراق السمع ، ولكن تُرْمَى نارةً ولا تُرْمَى أخرى ، وتُرمى من جانب ولا تُرمى من جانب ، ولا تُرمى من جميع الجوانب . ولعل الإشارة إلى ذلك بقوله تعالى « وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُخُورًا » .

وقال في موضع آخر : لا يبعد أن يقال : انقضاء الكواكب كان في قديم الزمان ، ولكنه لم يكن رُجُوماً للشياطين ثم صار رُجُوماً حين وُلِدَ النبي صلى الله عليه وسلم^(٣) . انتهى . وفي هذا نظر .

وقال الحافظ : قد وجدت عن وهب بن مُنْبَهٍ ما يرفع الإشكال ويجمع بين مختلف الأخبار . قال : كان إبليس يصعد إلى السموات كلهن يتقلب فيهن كيف شاء لا يُمنع منذ أُخرج آدم إلى أن رُفِعَ عيسى عليه الصلاة والسلام فحُجِبَ من أربع سموات ، فلما بُعث نبينا صلى الله عليه وسلم حُجِبَ من ثلاث ، فصار يَسْتَرِقُ السمع هو وجنوده ويُقَذَّفُونَ بالكواكب .

ويؤيده ما روى الطَّبْرِيُّ من طريق العَوْفِيِّ عن ابن عباس قال : لم تكن السماء تُحرس في الفترة بين عيسى ومحمد ، فلما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم حُرست حرساً شديداً ورُجِمَت الشياطين فأنكروا ذلك .

ومن طريق السُّدِّي قال : إن السماء لم تكن تُحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين

(١) يريد الرأى الثاني في قوله قبل : هل كانت الشياطين تقذف بالشهب قبل المبعث أم حدث القذف بها بعده .

(٢) غير ط : بسببه . (٣) انظر تفسير القرطبي في سورة الحجر الصفات والجن

ظاهر ، وكانت الشياطين قد اتخذت مقاعد يستمعون فيها ما يحدث ، فلما بُعث محمد وجنّوا .

وقال الإمام زين الدين بن المنير رحمه الله تعالى : ظاهر الخبر أن الشهب كانت يُرمى بها ، وليس كذلك لما دل عليه حديث مسلم . وأما قوله تعالى : « فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رَصَداً » فمعناه أن الشهب كانت يرمى بها فتصيب تارة ولا تصيب أخرى وبعد البعثة أصابتهم إصابة مستمرة فوصفوها لذلك بالرصد ، فإن الـدى يرصد الشيء لا يخطئه ، فيكون المتجدد دوام الإصابة لا أصلها^(١) .

* * *

الخامس : فى بيان غريب ما سبق :

الشهاب : تقدم بيانه .

علاج : بكسر العين المهملة وبالجيم . أنكرها : يروى بالنون وبالباء الموحدة ، فمن رواه بالنون فمعناه : أذهابها رأياً من النكر بفتح النون وهو الدهاء . ومن رواه بالباء فمعناه : أشدهم ابتداء لرأى لم يسبق إليه ، من البكور فى الشيء .

معالم النجوم : يعنى النجوم المشهورة .

الأنواء : جمع نوء وهو بفتح النون مهموز الآخر ، وهو سقوط نجم من المنازل فى المغرب من الفجر وطلوع رقيب من المشرق يقابله من ساعته فى كل ثلاثة عشر يوماً . قال أبو عبيد : وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة ما خلا الجهة فإن لها أربعة عشر يوماً . قال أبو عبيد : ولم يُسمع فى الأنواء أنه السقوط إلا فى هذا الموضع ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحرّ والبرّد إلى الساقط منها . وقال الأصمعى : إلى الطالع منها فى سلطانه ، فيقولون مُطرنا بنوء كذا ونهى الشارع عن قول هذا اللفظ .

خطر : بخاء معجمة فطاء مهملة .

(١) تفسير الطبرى ٥٦/٢٩ (ط الميمنية) والخصائص الكبرى ٢٧٥/١ .

الباب الرابع

في بعض ما سمع من الهواتف وتنگس الأصنام

روى ابن سعد عن تميم الدريّ قال : كنت بالشام حين بُعث النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت إلى بعض حاجتي فأدركني الليل فقلت : أنا في جوار عظيم هذا الوادي فلما أخذت مضجعي إذا مناد يناديني لا أراه : عُدْ بالله فإن الجن لا تُجير أحداً على الله . فقلت : أيّم تقول ؟ فقال : قد خرج رسولُ الأميين رسول الله وصليّنا خلفه بالحجّون وأسلمنا واتبعناه ، وذهب كيدُ الجن ورُميت بالشهب فانطلق إلى محمد وأسلم

فلما أصبحت ذهبت إلى دَيْرِ أيوب فسألت راهباً وأخبرته الخبر فقال : صدّق ، نَجده يخرج من الحرم ومهاجره الحرم ، وهو خير الأنبياء فلا تُسبّقْ إليه .

قال تميم : فتكلّفت الشُّخص حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١)

[تفسير الغريب]

مَضْجَعِي : بفتح الجيم ، وحكى الكسر .

أيّم : قال في الثور : وجدته بخط ابن قُرْقول^(٢) مضبوطاً بفتح الياء وإسكان الميم وأظنه وهماً ، والصواب بفتح همزة وتشديد الياء وإسكانها وهما لغتان . والميم مفتوحة . قال في النهاية : أصله أيّ ما . أي : أيّ شيء هو ، فخفف الياء وحذف ألف ما .

الحَجّون : بفتح الحاء وضم الجيم : جبل بمكة .

دَيْرِ أيوب : قرية بحوران .

تُسبّقُ : بضم أوله وفتح الموحدة مبنى للمفعول .

(١) سيرة ابن كثير ٢٧٣/١ . والخصائص الكبرى ٢٦٦/١ ، كلاهما عن أبي نعيم .

(٢) ابن قُرْقول : إبراهيم بن يوسف بن آدم الهمداني الخصري عالم بالحديث من أدباء الأندلس . الإعلام ٧٦/١ .

الشُّخُوص : بضم الشين والخاء المعجمتين فواو ساكنة فصاد مهملة : يقال شخص من البلد شخصاً إذا ذهب . وأشخصه غيره : أزعجه .

* * *

وروى البخارى^(١) عن عبد الله بن عمر مختصراً ، وابن إسحاق عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان ، وابن الجوزى عن محمد بن كعب القرظى ، وأبو يعلى ، والبيهقى والخرائطى عن سواد بن قارب مطولاً قال ابن عمر ومحمد : إن عمر بينما هو جالس فى الناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل من العرب ، قال الخُشْنى : وهو سواد بن قارب . انتهى . داخل المسجد يريد عمر بن الخطاب ، فلما نظر عمر إليه قال : إن الرجل لعلى شريكه ما فارقه بعد أو لقد كان كاهناً فى الجاهلية . فسلم الرجل^(٢) ثم جلس فقال له عمر : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فهل كنت كاهناً فى الجاهلية ؟ فقال له الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! لقد خِلْتُ فى واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وليت ما وليت .

فقال عمر : اللهم غفراً قد كنا فى الجاهلية على شر من هذا ، نعبد الأصنام والأوثان حتى أكرمنا الله تعالى برسوله وبالإسلام . قال : نعم يا أمير المؤمنين كنت كاهناً فى الجاهلية . قال : فأخبرني ما جاءك به صاحبك .

قال : جاءني قبيل الإسلام بشهر أو شيعه^(٣) . انتهى .

وقال سواد بن قارب : بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني ربي^(٤) فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب أتاك رسول من لوى بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته . فرفعت رأسي وجلست فأدبر وهو يقول :

عجبتُ للجنِّ وتطلَّ بها	وشدَّها العيسَ بأقنابها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى	ما صادق ^(٥) الجنِّ ككذابها
فارخل إلى الصفوة من هاشم	ليس قدامها كأدبارها ^(٦)

(١) ط : وروى عن عبد الله بن عمر .

(٢) فى القاموس : « يقال : آتاك غدا أو شيعه أى بعده » .

(٣) ت ، م : إذ أتاني آت .

(٤) ط : كأدبارها .

(٢) ط : فلما سلم الرجل .

(٥) ص : ما مؤمنوا الجن .

قال : فقلت دعني أنام فلاني أمسيت ناعسا .

قال : فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وأخبارها ورخلها العيس بأخبارها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى ليس ذوو الشر كأخبارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ما مؤمنوا الجن ككفارها

قال : قلت دعني أنام فلاني أمسيت ناعسا . فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتجناسها وشدها العيس بأخلاسها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى ما خير الجن كأتجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم وارم بعيبك إلى رأسها

فقممت وقلت : قد امتحن الله قلبي . فرحلتُ ناقتي ثم أتيت المدينة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله فدنوت منه فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله . قال : هات . فأنشأت أقول :

أتاني ربي بعد هدوء ورقدة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليالٍ قوله كل ليلة أذاك رسول من لؤي بن غالب
فشممت عن ذيل الإزار ووسطت بي الذئلب الوجناء بين السباسب
فأشهد أن الله لا رب غيره وأنت مأمون على كل غائب
وأنت أذنَى المرسلين وسيلة إلى الله يا بن الأكرمين الأطائب
فمرنا بما يأنيك من وحي ربنا وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا حين لا ذو قرابة بمغن فتيلنا عن سواد بن قارب

قال : ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمقاتلي فرحا شديدا حتى رثى الفرخ في وجوههم .

قال عبد الله : فقال عمر عند ذلك يحدث الناس : والله إني لَعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش يقال لهم آل ذَرِيح قد ذبح لهم رجل من العرب عَجْلا فتحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت قط أنفذ منه وذلك قبل الإسلام بشهر أو شيعه وهو يقول يا آل ذَرِيح . وفي لفظ . يا جَلِيع ، أمرُ نَجِيع ، رجل فصيح يقول . لا إله إلا الله^(١)

وروى هشام بن محمد بن السائب عن عدي بن حاتم قال : كان لي عسيف من كلب يقال له حابس بن دُعْنَة فبينما أنا ذات يوم إذا به مروء الفواد فقال : دونك إبلتك . فقلت : ما هاجك ؟ قال بينا أنا بالوادي إذا أنا بشيخ من شُعب جبل تَجَاهِي كأن رأسه رَخْمَة^(٢) فأنحدر عما تَزَلُّ عنه العُقَابُ وهو مترسل غير منزعج حتى استقرت قدماه في الحضيض وأنا أعظم ما أرى فقال :

يا حابس بن دُعْنَة يا حابس لا تَغْرَضْنِ لِفِعْلِكَ^(٣) الوسائس

هذا سَنَا النُور بكف قَابِس^(٤) فاجنح إلى التُور وَلَا تُغَابِس^(٥)

قال : ثم غاب فروحت إبلتي وسرحتها إلى غير ذلك الوادي ، ثم اضطجعت فإذا راكب قد ركضني فاستيقظت فإذا هو صاحبي وهو يقول :

يا حابس اسمع ما أقول تَرُشِدِ ليس ضَلُولٌ حائرٌ كَمُتَدِ

لا تتركَن نهج الطريق الأَقْصَدِ قد نُسخ الدين بدين أحمد

(١) سيرة ابن هشام ٢٠٩/١ ، والاكتفا للكلاعي ٢١٩/١ ، والوفال ابن الجوزي ص ١٥١ ، والخصائص الكبرى ٢٥٣/١ عن البيهقي ، ثم قال السيوطي : هذا الحديث له عدة طرق ، فأخرجه ابن شاهين في الصحابة من طريق الفضل بن عيسى القرشي عن العلاء بن زيد عن أنس بن مالك قال : دخل سواد بن قارب على النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر القصة بطولها . وأخرجه الحسن بن سفيان في مسنده ، وأخرجه البخاري في تاريخه ، والبيهقي ، والطبراني من طريق عباد بن عبد الصمد . إلى آخر ما قال .

(٢) الرخمة : واحدة الرخم ، وهو طائر .

(٣) غير ص : لا تغرضن إليك الوسائس ، موافقا لخصائص الكبرى . وما في ص هو الصواب .

(٤) الخصائص : بكف القابِس . (٥) الخصائص : فاجنح إلى الحق ولا توالس .

قال : فاعمى على ثم أفقت^(١) .

وروى ابن دُرَيْدٍ في الأخبار المنشورة عن ابن الكلبي قال : كان خُنافر بن التوأم كاهنًا ، فقتل وادبًا مُخصبًا وكان له رُئي في الجاهلية ففقدته في الإسلام قال : فبينما أنا ليلة في الوادي إذ هوى على هوى العُقَاب قال خُنافر : فقلت : شصار ؟ قال : اسمع أفل . قلت : قل أسمع . قال : عِ تَغْم لكل ذي أَمَدٍ نهاية ، وكل ذي ابتداء إلى غاية . قلت : أجل . قال : كل دولة إلى أجل ، ثم يتاح لها حَوْل ، وقد انتُسخت النُحل ورجعت إلى حقائقها الملل ، إني آنست بالشام نفرا من آل العوام^(٢) ، حُكَّاما على الحكام ، يرددون ذا رُونَقٍ من الكلام ، ليس بالشعر المؤلف . ولا السَّجْع المتكلف ، فأصغيت فزُجرت ، فعادت فظلمت ، فقلت : بسم تُهَيِّنُمون ، وإلام تَعْتَرُون ، فقالوا خِطَاب كبار . جاء من عند الملك الجبار ، فاسمع يا شصار ، لأُصدق الأخبار ، واسلك واضِغ الأُخيار^(٣) ، تَنْجُ من أوار النار . فقلت : وما هذا الكلام ؟ قالوا : فُرقان بين الكفر والإيمان . أتى به رسولٌ من مُضَر ، ثم من أهل المدَر ، ابتعث فظهر . فجاء بقولٍ قد بَهر ، وأوضح نَهجًا قد دَثِر ، فيه مواظ لمن اعتبر .

قلت : ومن هذا المبعوث بالآي الكُبر . قال : أحمد خير البشر ، فإن آمنت أُعطيَت الشَّبر ، وإن خالفت أُضليت سقر ، فأمنتُ يا خُنافر وأقبلت إليك أبادر فجانب كل نَجس كافر ، وشايخ كل مؤمن طاهر ، وإلا فهو الفراق . قال : فاحتملت حتى أتيت معاذ بن جبل بصنعاء فبايعته على الإسلام وفي ذلك أقول :

ألم تر أن الله عَادَ بفضله وأنقذ من لَفَح الجحيم^(٤) خُنافرًا
دعاني شِصار للتي لو دفعتها لأضليت جَمْرًا من لَفَى الهول جائرا^(٥)

• • •

(١) الخصائص ٢٦٣/١ . وزاد بعده : وقد امتحن الله قلبي للإسلام .

(٢) كذا بالأصول وفي الاكتفا للكلاعي والأمال للقال : من أهل الغزام ، والغزام : قبيلة باليمن .

(٣) كذا ، ورواية الاكتفا والأمال : واسلك أوضح الآثار .

(٤) الأمال والاكتفا : من لفح الرخيخ . والزخيخ : النار بلغة أهل اليمن .

(٥) الأمال والاكتفا : من لفى الهوب واهراً . والهوب : النار بلغة اليمن . والواهر : الساكن مع شدة الحر .

هذا ورواية الخبر بأبسط من هذا في الأمال للقال ١٣٢/١ - ١٣٤ والاكتفا للكلاعي ٢٢٨/١ - ٢٣١ .

وروى محمد بن عمر الأسلمي وأبو نعيم وإبن عساكر عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن قوما من ختعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكون إلى أصنامهم، فبينما هم عند صنمهم إذ سمعوا هاتفا يقول :

يا أيها الناس ذوو الأجسام	وَمُسْنِدُوا الْحُكْمِ إِلَى الْأَصْنَامِ
أَكَلَكُمْ أَوْزُهُ كَالنَّمَامِ ^(١)	أَلَا تَرَوْنَ مَا أَرَى أَمْسَامِي
من ساطعٍ يَجْلُو دُجَى الظلام	ذَاكَ نَبِيٌّ سَيِّدُ الْأَنْسَامِ
أَعْدَلُ ذِي حَكَمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ ^(٢)	يَضْدَعُ بِالنُّورِ وَبِالْإِسْلَامِ
من هاشمٍ في ذِرْوَةِ السَّنَامِ	مُسْتَعْلَنٌ بِالْبَسَلِ الْحَسْرَامِ
جاءَ بِهِمْ الكُفْرُ بِالْإِسْلَامِ	أَكْرَمَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ إِمْسَامِ

قال أبو هريرة : فَأَمْسَكُوا سَاعَةً حَتَّى حَفَظُوا ذَلِكَ تَمَّ تَفَرَّقُوا ، فلم يمض بهم ثلاثٌ حتى فَجَّاهُمْ خَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ بِمَكَّةَ^(٣) .

وروى ابن شاهين عن أبي خَيْثَمَةَ عبد الرحمن بن أبي سَبْرَةَ قال : كان لَسَعْدِ الْعَشِيرَةِ صنم يقال له قَرَأُص يَعْظُمُونَهُ وَكَانَ سَادَتُهُ رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ ابْنُ وَقْشَةَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَحَدَّثَنِي ذُبَابُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ : كَانَ لِابْنِ وَقْشَةَ رَتِيٌّ مِنَ الْجِنِّ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فَأَتَاهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَخْبِرَهُ بِشَيْءٍ فَنَظَرَ إِلَى فَقَالَ : يَا ذُبَابُ اسْمِعِ الْعَجَبَ الْعَجَابَ ، بُعِثَ مُحَمَّدٌ بِالْكِتَابِ يَدْعُو بِمَكَّةَ فَلَا يَجَابُ . فَقُلْتُ لَهُ مَا هَذَا ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي كَذَا قِيلَ لِي . فلم يكن إلا قليل حتى سمعنا بِمَخْرَجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمْتُ وَثُرْتُ إِلَى الصَّنَمِ فَكَسَرْتُهُ ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمْتُ وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ :

تَبِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى	وَخَلَّفْتُ قَرَأُصًا بَدَارِ هِسْوَانِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ	أَجَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ دَعَانِي ^(٤)

(١) الاكتفا : كالكهام .

(٢) كذا وفي تهذيب ابن عساكر : من الحكام .

(٣) الاكتفا ٢٢٣/١ ، عن الواقدي ، وتهذيب ابن عساكر ٣٦٥/١ ، عن ابن إسحق .

(٤) الخصائص ٢٥٨/١ ولم يذكر الشعر .

وروى الخرائطي عن سفيان الهذلي قال : خرجنا في غير لنا إلى الشام ، فلما كنا بين الزرقاء ومعان وقد عَرَّسنا إذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض : أيها النيام هُبُوا فليس هذا بحين رقاد ، وقد خرج أحمد وطُردت الجن كلَّ مَطْرَد . ففرعنا ونحن رُفْقَة حَزَاوَرَة كلهم قد سمع بهذا ، فرجعنا إلى أهلنا فإذا هم يذكرون خروج النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى الطبراني وأبو نعيم والبيهقي عن عبد الله العُماني أن مازنًا الطائي كان بأرض عُمان ، وكان يَسْنِدُ الأصنامَ لأَهْلِهِ ، وكان له صنم يقال له بادر^(١) . قال مازن : فَعَتَرْتُ ذات يوم عَتِيرَةً ، وهى الذبيحة ، فسمعت صوتا من الصنم يقول : يا مازن أَقْبِلْ إِلَى أَقْبِلْ ، تَسْمَعُ مَا لَا يُجْهَلُ ، هذا نبي مُرْسَلٌ ، جاء بحق مُنْزَلٌ ، فأمن به كي تَعْدِلَ^(٢) ، عن حر نارٍ تُشْعَلُ ، وقودها بالجندل .

قال مازن : فقلت والله إن هذا لعجب . ثم عَتَرْتُ بعد أيام عَتِيرَةً أُخْرَى فسمعت صوتا أَتَيْنِ مِنَ الْأَوَّلِ وهو يقول :

يا مازن اسمع تُسَرِّ ، ظهرَ خيرٌ وبطنَ شَرٍّ
بُعثَ نبي من مُضَرٍّ ، بدين الله الْكُبَرِ^(٣)
فدع نَحِيَّتًا من حَجَرٍ ، تَسْلَمُ من حَرٍّ سَقَرٍ

قال مازن : فقلت والله إن لهذا لعجب ولأنه لخيرٌ يراد بي . وقديم علينا رجل من الحجاز فقلت : ما الخبر وراءك ؟ قال : خرج رجل بتهامة يقول لمن أتاه : أجيئوا داعي الله يقال له أحمد . فقلت : هذا والله نبأ ما سمعتُ . فرحلت حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الإسلام فأسلمت وقلت :

(١) كذا في ط ، ص . وفي ت ، م : بارد . وفي الاكتفا للكلاعي :- ياجر . وفي دلائل النبوة لأبي نعيم : باحر .
وفي دلائل النبوة للبيهقي : ياجر .
(٢) الاكتفا : كي تنزل .
(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم : بدين الله الأكبر ، وهى كذلك في نسخة من الاكتفا .

كسرتُ بادر^(١) أجدادَ أوكان لنا ربًّا نطيف به ضلًّا بتضلال
بالمشامي همدانا من ضلالتنا ولم يكن دينه مني على بال
يا راكبًا بلغنَ عمرا وإخوتها أني لمن قال ربى بادر قسالى

قال مازن : فقلت : يا رسول الله إني امرؤ مولى بالشراب والطرب وشرب الخمر والهلوک من النساء وألحت علينا السنون فأذهبن الأموال وأهزلن الذراري والرجال وليس لى ولد ، فادع الله أن يذهب عني ما أجد ويأتيني بالحيا ويهب لى ولدا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وأنه بالحيا ، وهب له ولدا . قال مازن : فأذهب الله عني كل ما كنت أجد ، وأخصب عمن وتزوجت أربع حرائر ووهب لى حيان بن مازن وأنشأت أقول :

إليك رسول الله سقت مطيتي تجوب الفيافي من عمان إلى العرج
لتشفع لى يا خير من وطئ الثرى فيغفر لى ربى فأرجع بالفلسج
إلى معشر خالف في الله دينهم فلا رأيهم رأى ولا شرجهم شرجى
وكنتم امرأة بالزغب^(٢) والخمر مولعا شبابى حتى آذن الجسم بالنهج
فبدلنى بالخمير خوفا وخشية وبالعهر إحصانا فحصن لى فرجى
فأصبحت همى فى الجهاد ونيتى فليله ما صومى ولله ما حجى^(٣)

* * *

وروى ابن سعد وأبو نعيم عن نفيل^(٤) بن عمرو الهذلى قال : ذبحت ذبيحة على صنم فسمعت من جوفه : العجب كل العجب ، خرج نبي من بنى عبد المطلب ، يحرم الزنا ويحرم الذبح للأصنام ، وحُرست السماء ورُمينا بالشهب . فتفرقنا فقدمنا مكة فلم نجد من يخبرنا بخروج محمد^(٥) صلى الله عليه وسلم ، حتى لقينا أبا بكر الصديق فقلنا يا أبا بكر

(١) المراجع : ياجر .

(٢) الاكتفا باللهو . وانظر تفسير هذه الكلمات فى التنبيهات آخر هذا الباب .

(٣) الاكتفا ٢٢٦/١ ، عن ابن الكلبي . والوفالابن الجوزى مختصرا ص ١٥٥ ودلائل النبوة لأبى نعيم ص ٧٦

والخصائص ٢٥٦/١ .

(٥) ط : بخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

(٤) ابن سعد : عن سعيد بن عمرو الهذلى .

خرج بمكة أحد يدعو إلى الله تعالى يقال له أحمد ؟ قال : وماذاك ؟ فأخبرته الخبر .
قال : نعم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وهو رسول الله (١) .

وروى أبو سعد النيسابوري في الشرف عن جندل بن نضلة (٢) أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان لي صاحب من الجن فأتاني فدهمني وقال :

هُبَّ فَقَدْ لَاحَ سِرَاجُ الدِّينِ بِصَادِقٍ مَهْذَبٍ أَمِينٍ
فَارْحَلْ عَلَى نَاجِيَةِ أُمِّسُونَ تَمْشِي عَلَى الصَّخْصِخِ وَالْحَزُونِ

فانتبهت مذعورا فقلت : ماذا ؟ فقال : وساطح الأرض ، وفارض الفرض لقد بعث محمد في الطول والعرض ، نشأ في الحرمات العظام ، وهاجر إلى طيبة الأمانة . فسيرت وإذا بهاتف يقول :

يا أيها الراكب المزجي مطيته نحو الرسول لقد وفقت للرشد (٣)

* * *

وروى البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس أن رجلا قال : يا رسول الله خرجت في الجاهلية أطلب بعيرا لي شرد فهتف لي هاتف في الصبح يقول :

يا أيها الراقد في الليل الأجم قد بعث الله نبيا في الحرم
من هاشم أهل الوفاء والكرم يجلو دجسات الدياجي والظلم

فأدزت طرفي فما رأيت له شخصا فقلت :

يا أيها الهاتف في داجي الظلم أهلا وسهلا بك من طيف الألم
بين هداك الله في لحن الكلام ماذا الذي تدعو إليه تغتم

وإذا أنا بنحنة قائل يقول : ظهر النور وبطل الزور وبعث محمد بالحبور ثم أنشأ يقول :

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث
أرسل فينا آمدا خير نبي قد بعث

(٢) ط : ابن نفلة .

(١) طبقات ابن سعد ١/١٦٧ .

(٣) الخصائص ١/٢٦٢ .

صلى عليه الله ما حج له ركب وحث

ثم لاح الصباح فوجدت البعير^(١) .

* * *

وروى أبو سعد النيسابورى فى الشرف عن الجعد بن قيس قال : خرجنا أربعة أنفس نريد الحج فى الجاهلية ، فمررنا بواد من أودية اليمن ، فلما أقبل الليل استعذنا بعظيم الوادى وعقلنا رواحلنا فلما هدأ الليل ونام أصحابى إذا هاتف من بعض أرجاء الوادى يقول :

ألا أيها الركبُ المعرَّسُ بلِّغوا إذا ما وقفتم بالحطيم وزمَما

محمدًا المبعوثَ منا تحيةً تشيعه من حيث سار ويمما

وقولوا له إنا لدينك شيعَةٌ بذلك أوصانا المسيحُ ابنُ مريمَا^(٢)

وروى أبو نعيم عن خُوَيْلِدِ الضَّمَرى قال : كنا عند صنم جلوسا إذ سمعنا من جوفه صائحا يصيح : ذهب استراقى السمع ورُمى بالشُّهب لنبي بمكة اسمه أحمد ومُهَاجِرُهُ إِلَى يَثْرِبَ يأمر بالصلاة والصيام والبرِّ وصلة الأرحام فقمنا من عند الصنم فسألنا فقالوا : خرج نبي بمكة اسمه أحمد^(٣) .

وروى ابن جرير والطبرانى وابن أبى الدنيا وأبو نعيم والخرائطى عن العباس بن مرداس السُّلَمى رضى الله تعالى عنه قال : كان أول إسلامى أن أبى لما حضرته الوفاة أوصانى بصنم له يقال له ضَمَارُ فجعلته فى بيت وجعلت آتية كلِّ يوم ، فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم كنت فى لِقَاح لى نصفَ النهار إذ طلعت على نعمة بيضاء مثل القُطْن عليها راكب أبيض عليه ثياب بيض فقال : يا عباس بن مرداس ألم تر أن السماء كفت^(٤) حُرَّاسَهَا ، وأن الحرب جَرَعَتْ أنفاسَهَا ، وأن الخيل وضعت أحلاسَهَا ، وأن الذى جاء بالبرِّ والتقى يوم الاثنين فى ليلة الثلاثاء صاحب الناقة القَصْواء .

(١) تهذيب ابن عساكر ٣٥٧/١ ، فى خبر طويل ثم قال آخره : هذا حديث غريب . والخصائص الكبرى ٢٧٠/١ .

(٢) الخصائص الكبرى ٢٧٠/١ . (٣) الخصائص الكبرى ٢٦٧/١ .

(٤) الخصائص : حفت حراسها .

فخرجت مَرْعُوبًا قد راعني ما سمعتُ وما رأيتُ ، حتى جئتُ وثننا ضِمَارَ وكنا نعبده
ونكَلِّمُ من جوفه ، فدخلتُ فكُنِسْتُ ما حوله ثم تمسحتُ به وقبلته فإذا صائح من جوف
الصنم بالليل وهو يقول :

قل للقبائل من سُلَّيْمٍ كلها هَلَكُ الأَنْبِيُسُ وعاش أهلُ المسجدِ
أَوْدَى ضِمَارَ وكان يُعْبَدُ مرةً قَبْلَ الْكِتَابِ إلى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
إن الذي ورث النبوةَ والهَدْيَ بعد ابنِ مريمَ من قريشٍ مُهْتَدِي

قال : فكتمته النَّاسُ فلم أَحَدِّثْ به أَحَدًا فلما رجع النَّاسُ من غزوةِ الأحزابِ ، فبينما
أنا في إِبِلِي بطريقِ الْعَقِيقِ من ذاتِ عِرْقٍ راقِدٌ سمعتُ صوتًا شديدًا فرفعتُ رأسي فإذا رجل
على جناحِ نعامٍ وهو يقول : النور الذي وقع يومَ الاثنين ليلةَ الثلاثاءِ مع صاحبِ الناقةِ
الغَضْبَاءِ في دارِ بني أَخِي العنقاءِ . فَأَجابه هاتفٌ على شماله أَبْصَره :

بَشْرُ الْجَنِّ وَأَبْلَاسُهَا ، أَنِ الْمَطْيُ قد وضعتُ أحلاسها ، وكَلَّاتِ السَّمَاءُ حُرَّاسُهَا .

قال : فوثبتُ مذعورًا وعلمتُ أَن محمداً مرسل .

وقدِمتُ على النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمْتُ وَأَنشَدْتُهُ شعرا قلته وهو :

لَعَنُوكَ إني يومَ أَجْعَلُ جَاهِلًا ضَمَارًا لربِّ الْعَالَمِينَ مشاركا
وتَرَكِي رسولَ اللَّهِ والأَوْسَ حَوْلَهُ أُولِيكَ أَنْصَارٌ له مسا أولائكَا
كثارك سَهْلُ الأَرْضِ والحَزَنُ يبتغي لِيَهْلِكَ في كلِّ الأُمُورِ المهالكَا
فَأَمَنْتُ بِاللَّهِ الذي أَنَا عَبْدُهُ وخالفتُ من أَمْسَى يريدهُ المهالكَا
ووجهتُ وجهي نحو مكة قاصدا أَبَايَعِ بَيْنَ الْأَخْشَبِيِّينَ الْمُبَارَكَا
نَبِيٌّ أَتَى من بعد عيسى بناطقي من الحق فيه الفضل فيه كذلكَا
أَمْسِينُ على الفرقانِ أولُ شافعٍ وأولُ مَبْعُوثٍ يجيبُ المسالكَا
تَلَاقِي عُرَى الإِيمَانِ بعد انتقاضها فَأَحْكُمُهَا حتى أقامَ الْمَنَاسِكَا^(١)

* * *

(١) خبر العباس بن مرداس هذا في الاكثنا ٢٣٢/١ مختصراً ، ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٧٩ ، والوفاء لابن الجوزي
١٤٧/١ مختصراً ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣٥٨/١ عن الخرائطي وأبي نعيم ، والخصائص الكبرى ٢٦٨/١ .

وروى أبو نعيم عن راشد بن عبد ربه قال : كان الصنم الذى يقال له سُوَاع بالمعلاة تدين له هَذِيل وبنو ظَفَر من سُلَيْم فَأَرْسَلَتْ بَنُو ظَفَر رَاشِدَ بْنَ عَبْدِ رَبِّهِ بِهَدِيَّةٍ بَنَى سُلَيْمَ إِلَى سُوَاع ، قَالَ : فَأَتَيْتُهُ فَأَلْفَيْتُ مَعَ الْفَجْرِ إِلَى صَنْمٍ قَبْلَ سُوَاعَ فَإِذَا صَارَخَ بِصَرَخٍ مِنْ جَوْفِهِ : الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ ، خَرُوجُ نَبِيٍّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ يَحْرُمُ الزَّنا وَالرِّبَا وَالذَّبْحَ لِلْأَصْنَامِ ، وَحُرْسَتِ السَّمَاءِ وَرُمِينَا بِالشُّهْبِ ثُمَّ هَتَفَ صَنْمٌ آخَرَ مِنْ جَوْفِهِ : تَرَكْتُ الضَّمَارَ وَكَانَ يُعْبَدُ ، وَخَرَجَ نَبِيٌّ اسْمُهُ أَحْمَدُ ، نَبِيٌّ يَصَلِي الصَّلَاةَ وَيَأْمُرُ بِالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ لِلْأَرْحَامِ . ثُمَّ هَتَفَ مِنْ جَوْفِ صَنْمٍ آخَرَ هَاتِفٌ :

إِنَّ السَّيِّئَ وَرَثَ النَّبِيسَةِ وَالْمَسْدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قَرِيشٍ مُهْتَسِدَى
قَالَ رَاشِدٌ : فَأَلْفَيْتُ عِنْدَ سُوَاعَ مَعَ الْفَجْرِ ثَعْلَبَيْنِ يَلْحَسَانِ مَاحُولِهِ وَيَأْكُلَانِ مَا يُهْدَى
إِلَيْهِ ثُمَّ يَعْرِجَانِ عَلَيْهِ بِبَوْلِهِمَا فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ رَاشِدٌ :
أَرْبُ يُبُولُ الثَّعْلَبَانِ بِرَأْسِهِ لَقَدْ ذَلَّ مِنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ
وَذَلِكَ عِنْدَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) .

* * *

وروى ابن الجوزى عن بشير الهذلى قال : خرجنا فى عيرتنا إلى الشام فلما كنا بين الزرقاء ومَمان وقد عرَّسنا من الليل إذا نحن بفارس يقول : أيها الناس هُبُوا فليس هذا بحين رقاد ، قد خرج أحمد وطُرد الجن كلُّ مَطْرَد . ففزعنا ونحن رُفْقَةٌ [حَزَاوِرَةٌ]^(٢) كلهم قد سمع هذا فرجعنا إلى أهلينا فإذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قريش بسبب نبيٍّ قد خرج من بنى عبد المطلب اسمه أحمد^(٣) .

وروى الرويانى وابن عساكر عن خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ ، والطبرانى وابن عساكر من طريق آخر عنه ، قال : بينا أنا فى طلب نَعَمَ لى إِذْ جَنَّتْنِى اللَّيْلُ بِأَبْرِقِ الْعَذِيبِ فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي : أَعُوذُ بِعَزِيزِ هَذَا الْوَادِى مِنْ شَرِّ سَفْهَائِهِ . وَإِذَا هَاتِفٌ يَقُولُ :

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٨١ ، والوفاء ص ١٥٧ .

(٢) من دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٧٠ . والحزاورة جمع حزور وهو الرجل القوى .

(٣) الوفاء ص ١٥١ ، ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٧٠ . والخصائص ٢٥٩/١ .

وَيَحْكُ عُنْدَ اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ مَنْزِلَ الْحَرَامِ وَالْحَلَالِ
وَوَحَّدَ اللَّهَ وَلَا تُبَالِي مَا كَيْدَ ذِي الْجَنِّ مِنَ الْأَهْوَالِ
إِنْ تَذَكَّرَ اللَّهُ عَلَى الْأَمِيَالِ وَفِي سُهُولِ الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ
قَدْ صَارَ كَيْدَ الْجَنِّ فِي سَفَالِ إِلَّا التَّقَى وَصَالِحَ الْأَعْمَالِ

فقلت له :

يَا أَيُّهَا الْمُهَاتِفُ مَا تَقُولُ أَرَشِدُ عِنْدَكَ أَمْ تَضْلِيلُ

فقال :

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ذُو الْخَيْرَاتِ جَاءَ بِيَّاسِينَ وَحَامِيَاتِ
وَسُورَ بَعْدُ مَفْصَّلاتِ يَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ
وَيُزَجِرُ الْأَقْوَامَ عَنْ هِنَاتِ قَدْ كُنَّ فِي الْأَنَامِ مُنْكَرَاتِ

[فقلت : من أنت ؟]

فقال : أَنَا مَالِكُ بْنُ مَالِكِ الْجَنِّي .

وفي رواية الروياني [عن^(١)] عمرو بن أثال [قال^(٢)] : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم على جن نجد فانبعثت راحلتي فقلت :

أَرَشِدْنِي رَاشِدَ هُدَيْتَ لَا جُعْتَ وَلَا عَرَيْتَ
وَلَا بَرَحْتَ سَيِّدَا مُقَيِّنَا

قال فاتبعني وهو يقول :

صَاحِبِكَ اللَّهُ وَسَلَّمَ نَفْسَكَ وَبَلَغَ الْأَهْلَ وَأَدَى حِلَّكَ^(٣)
آمَنَ بِهِ أَفْلَحَ رَبِّي حَقَّكَ وَانصَرَهُ أَعَزَّ رَبِّي نَصْرَكَ

فقلت : لو كان لي من يكفيني إلى هذه لأتيته حتى أؤمن به . قال : أَنَا أَكْفِيكَهَا حَتَّى أُؤْدِيَهَا إِلَى أَهْلِكَ سَالِمَةً . فاعتقلتُ بعيراً منها ثم أتيت المدينة فوافيتُ النَّاسَ يوم الجمعة وهم في الصلاة فقلت : يَقْضُونَ الصَّلَاةَ ثُمَّ أَدْخَلَ ، فبينما أَنَا أَنِيخُ رَاحِلَتِي إِذْ خَرَجَ إِلَى أَبِي

(١) زيادة متينة .

(٢) في سيرة ابن كثير : صاحبك الله وأدى رحلكا وعظم الأجر وعافى نفسك

ذَرَّ. وعند الروياني : أبو بكر الصديق - فقال : ادخل فقد بلغنا إسلامك . قلت : لا أحسن الطهور فعلمني فدخلت المسبدة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر كأنه البذر وهو يقول : « ما من مسلم توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى صلاة يحفظها ويغفلها إلا دخل الجنة » .

فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما فعل الشيخ الذي ضمن لك أن يؤدي إليك إلى أهلك سالمة ؟ أما إنه قد أداها إلى أهلك سالمة . قلت : رحمه الله . قال : أجل رحمه الله تعالى (١) .

* * *

وروى الأموي والفاكهي وأبو نعيم عن ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما قالا : لما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قام رجل من الجن على أبي قُبَيْس فقال :

قُبِحَ اللهُ رَأَى كَعْبَ بْنَ فِهْرٍ (٢)	مَا أَرَقَّ الْعُقُولَ وَالْأَحْلَامَ
دِينَهَا أَنَهَا تَعَنَّفَ فِيهَا (٣)	دِينَ آبَائِهَا الْحِمَاةَ الْكِرَامَ
حَالَفَ الْجَنَّ جَنَّ بُضْرَى عَلَيْكُمْ	وَرَجَالَ النَّخِيلِ وَالْأَطْطَامَ
تَوَشَّكَ الْخَيْلُ أَنْ تَرَوْهَا تَهَادَى	تَقْتُلُ الْقَوْمَ فِي حَرَامٍ بِهِمَ
هَلْ كَرِيمٌ مِنْكُمْ لَهُ نَفْسٌ حُرٌّ	مَاجِدَ الْوَالِدِينَ وَالْأَعْمَامَ
ضَارِبَ ضَرْبَةٍ تَكُونُ نَكَالًا	وَرَوَّاحًا مِنْ كُرْبَةٍ وَاعْتِمَامَ

فأصبح هذا الحديث قد شاع بمكة ، وأصبح المشركون يتناشدونه بينهم وقالوا : توانيتم حتى حرصتكم الجن وهموا بالمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا شيطان يكلم الناس يقال له مسعر ولم يُعلن شيطان بتحريض نبي إلا قتله الله تعالى . فمكثوا ثلاثة أيام فإذا هاتف على الجبل يقول :

(١) الوفاص ١٥٤ ، وسيرة ابن كثير ٣٧٩/١ ، ٣٨١ عن الأموي والطبراني ، ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٧٢ .

(٢) ابن كثير عن الأموي : قبح الله رأيكم آل فهر .

(٣) ابن كثير عن الأموي : حين تغضى لمن يعيب عليها . دين آبائها

نحن قتلنا وسعرا لمسا طغى واستكبرا
وسفه الحق وسن المنكسرا بشتمه نبيينا المطهرا
قنعتة سيفنا جسروفا أبغرا^(١) إنا نذود من أراد البطرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاكم عفرت من الجن يقال له سمحج وقد سميت
عبد الله آمن بي فأخبرني أنه في طلبه منذ أيام حتى قتله^(٢)

* * *

وروى ابن عساكر عن زميل ويقال زمّل بن عمرو العذري ، قال : كان
لبنى عذرة صنم يقال له خمام^(٣) ، وكانوا يعظمونه وكان سادته يقال له طارق وكانوا
يعتبرون عنده ، فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول : يا طارق ياتارق ،
بعث النبي الصادق ، بوحى ناطق ، صدع صدعته بأرض تهامة ، لناصريه السلامة ولخاذليه
الندامة ، هذا الوداع منى إلى يوم القيامة .

قال زمّل : فوقع الصنم لوجهه . قال زمّل : فابتعت راحلة ورحلت عليها حتى أتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومي فأنشدته شعرا قلته :

إليك رسول الله أعلمت نصّها أكلفها نصّا وقوزا^(٤) من الرّملي
لأنصر خير الخلق نصرا مؤزرا وأعقد حبلا من جبالك في حبلى
وأشهد أن الله لا شى غيره أدين له ما أثقلت قدمي نعلي^(٥)

وروى أبو نعيم عن أبي هريرة قال : لما بعث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
أصبح كل صنم منكسا فأتت الشياطين إبليس فأخبروه فقال : هذا نبي قد بعث فالتمسوه .
فقالوا : لم نجده فقال : أنا صاحبه . فخرج إبليس فوجده بمكة فرجع إلى الشياطين
فقال : قد وجد ومعه جبريل^(٦) .

(١) ابن كثير : قنعتة سيفاً حساماً شهراً .

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٧١ ، وسيرة ابن كثير ٣٧٠/١ ، والخصائص الكبرى ٢٦٠/١ .

(٣) ابن كثير : خمام .

(٤) ابن كثير : وغورا .

(٥) سيرة ابن كثير ٣٦٨/١ .

(٦) الخصائص الكبرى ٢٧٣/١ .

وروى ايضا عن مجاهد قال : رَنَّ إبليس أربع مرات : حين لَعَن وحين أَهْبَط وحين
بُعِثَ النبي صلى الله عليه وسلم وحين أنزلت الحمد لله رب العالمين^(١) .
والآثار في هذا الباب كثيرة^(٢) .

[تفسير الغريب]

سَوَاد : بفتح السين المهملة وواو مخففة فألف فдал مهملة .
قَارِب : بقفاف فألف فراء مكسورة فموحدة .
الكاهن : الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الأسرار .
شهر أو شَيْعَه : بشين معجمة مفتوحة فمشناة تحتية ساكنة . فعين مهملة مكسورة
يعنى أو دُونَه بقليل .

يا سواد بن قارب : يجوز فتح سواد وضمه ونصب ابن وضمه وهو قليل .
تَطَّلَاها : بفتح المثناة الفوقية :
العيس : بعين مهملة مكسورة فمشناة تحتية ساكنة فسين مهملة ، وهى الإبل البيض
مع شُقْرَة واحدتها أَغْيَسٌ وَعَيْسَاء وهى منصوبة على أنها مفعول المصدر وهو الشد .
الصفوة : بتثنية الصاد ، وهو خلاصة الشيء ، وخياره ، والمراد النبي صلى الله عليه وسلم .
أَنَام : هذا جائز فى جواب الأمر والأكثر أَنَم وكذا التى بعدها .
اعْقِل : بكسر القاف ، وكذا يعقل الثانية ، والوصل^(٣) .
لؤى : بالهمز وتركه .
تَخْبَارُها : بمشناة فوقية مفتوحة .

(١) الخصائص الكبرى ٢٧٣/١ .
(٢) وأكثرها بعيد عن الصحة . وإن الإسلام الذى يعتمد على دلائل العقل وشواهد التاريخ ، لا يحتاج فى إثبات
صدق رسوله إلى هتاف جان أو سجع كهان ، وخاصة أن الإسلام أبطل الكهانة وقضى على عبادة الأوثان فكيف يستشهد بأقوال
الكهان على صدقه أو تنطق الأوثان بصحته ؟ !
(٣) يريد أن الهمزة فى قوله : « اعقل » همزة وصل .

ككفأرها : بضم الكاف .

تجسأها : بقاء مفتوحة فوقية فجيم فسين فألف فسين أخرى مهملتين والتجسأ :
التفتيش عن بواطن الأمور .

الأخلاس : بحاء وسين مهملتين جمع جلس وهو الكساء الذى يلي ظهر البعير تحت
القتب .

ماخير : بتشديد الياء وتخفيفها ، ولا يجوز هنا للوزن .

رحلت ناقتى : بتخفيف الحاء أى جعلت عليها رحلها .

ثم أتيت المدينة : كذا فى رواية . وفى رواية : حتى أتيت مكة . قال البيهقى : وهذه
الثانية أقرب إلى الصحة من الأولى .

هات بكسر التاء أى أعطنى .

أنشأت : ابتدأت .

هذى : بهاء مفتوحة فذال مهملة ساكنة فهزمة . والهذى والهدأة : بمعنى ، تقول :
جاءنى بعد هذى وبعد هدأة . أى بعد ثلث من الليل أو رُبْعِه وبعد ما هدا الناس أى ناموا .

بلوت : اختبرت . الذُغلب : بذال معجمة مكسورة فعين مهملة ساكنة فلام مكسورة
فموحدة وهى الناقة السريعة وكذا الذُعلبة .

الوجناء : بواو مفتوحة فجيم ساكنة فنون فألف ممدودة وهى الغليظة الصلبة وقيل
العظيمة الوجنتين .

السباسب : بسينين مهملتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة وبعد كل سين باء
موحدة وهى المفازة أو الأرض المستوية .

أذنى : أقرب .

الوسيلة : ما يتقرب به إلى الغير .

آل ذريح : بذال معجمة مفتوحة فراء مكسورة فمثناة تحتية فحاء مهملة . قال
السهيلى : وكأنه نداء للعجل المذبوح كقولهم : أَحْمَرُ ذَرِيحَى أى شديد الحمرة فصار

وصفاً للعجل الذبيح من أجل الدم . ومن رواه : « يا جليح ، فمآله إلى هذا المعنى لأن العجل قد جُليح أى كشف عنه الجلد .

وذكر قبله ^(١) : يا جليح ونقل عن بعض أشياخنا أنه اسم شيطان ، والجليح في اللغة : ما تطاير من رموس النبات وخف ، كالقطن وشبهه ، الواحدة حلحة ، ثم ذكرنا تقدم ^(٢) وقال ابن الأثير في النهاية : جليح اسم رجل قد ناداه ^(٣) .

العسيف : الأجير .

دُغنة : بدال مهملة فغين معجمة فنون فهاء

مُرَّوع الفؤاد : خائف القلب . .

هاجك : فزعك وأثارك من مكانك .

الحضيض : القرار . من الأرض عند منقطع الجبل .

القابس : طالب النار .

خُنافر : بخاء معجمة فنون فألف ففاء فراء .

شِصار : بشين معجمة فصاد مهملة مخففة .

يتاح : يقدر .

حوّل : تحوّل .

انتُسخت : زالت .

النَّخْل : بكسر النون وفتح الحاء : الملل .

آنتست : بمد الهمزة . أبصرت .

العدام ^(٤) الخفى ^(٤) .

(١) يريد السبيل في الروض الأنف .

(٢) الروض الأنف ١/١٣٩ (ط البجالية)

(٣) النهاية لابن الأثير « جليح » ١/٢٨٤ (تحقيق الطناحي) .

(٤) كذا بالأصل وبعدها بياض وقد سبق في النص : العوام ، وذكرنا هناك أن رواية ابن دريد : الزام . أما قوله :

الخفى . فقد يكون تفسيراً لقوله « تهنمون » الآتي بعد وفيه : الهيمنة : الصوت الخفى .

الرُّونق : الحسن .

أَصْغَيْت : استمعت .

زُجِرَتْ : بضم أوله من الزجر . تُهَيِّنُمُونَ : الهينة : الصوت الخفى .

إِلَامُ تَغْتَزُونَ : تنتسبون .

كُبَّار : بضم الكاف يقال كبير وكُبَّارٌ بالتخفيف أى عظيم ، فإذا أفرط فى العظم قيل : كُبَّار . بالتشديد .

أَوَّارِ النَّار : بضم الهمزة : حرَّها . المَدَّرُ هنا : القرى والأمصار .

ابْتُئِثَ : بباء موحدة ساكنة فمشناة فوقية مضمومة من البعث .

بَهَرَ : غلب غيره وفضله .

النَّهَج : الطريق الواضح .

دَثَّر : درس . الشَّبَر : بشين معجمة فباء موحدة مفتوحات فراء : العطية .

شَايَعَ : فعل أمر : تابع وانصر .

الأَوْرَه : بهمزة مفتوحة فواو ساكنة فراء مفتوحة فهاء لاء : هو الحَقِيقُ^(١) وقيل الخَرْقُ ورجل أَوْرَه وامرأة وَرْهَاء ، وقد وَرَهَتْ تَوْرَه .

الكَهَام : بكاف مفتوحة فهاء مخففة : السيف الكليل . ولسان كهام أى عَيَّى أو كليل لم يُغْنِ شيئاً . وفرس كهام : أى بطيء - وكأنَّ ذا فى الأصل - والله تعالى أعلم - مأخوذ من هذا ، فيكون معنى الكلام : أَكُلُّكُمْ أَحَقُّ أو أَخْرَقَ عَيَّى أو كليل لم يُغْنِ شيئاً ، أو بطيء عن الحق .

الدُّجَا : بدال مهملة مضمومة فجيم فالألف الليل المظلم .

الدُّرُوءة : بضم الدال المعجمة وكسرها أعلى الشئ .

بِهَدَّ^(٢) : بفتح الهاء وتشديد الدال .

(١) فى كتب اللغة أن الأورَه هو الأحمق ، وأن الورَه ، كالفرح ، هو الحق . قال فى القاموس : ورد كفرح : حق ، والنمت أورَه ورهَاء .

(٢) كذا والنسب : المهدم .

فجَاهُم بَغْتَةً : بجيم مكسورة^(١) فهزمة مفتوحة أى جاءهم بَغْتَةً .

قَرَأَ : بقاف فراء مشددة فألف فصاد معجمة ساقطة .

ذُبَابٌ : بلفظ الطائر المعروف .

مَازَنٌ : بميم فألف فزاي فنون .

الغَضُوبَةُ : بغين مفتوحة فصاد معجمة فواو ساكنة فموحدة مفتوحة فتاء تأنيث .

السَّادَنُ : الخادم .

العَتِيرَةُ : بعين مهملة منزوحة فمشناة فوقية فتحتية ساكنة فراء فتاء تأنيث وهى شاة كانوا يذبحونها فى رجب لأصنامهم .

تُسَرُّ : بضم المشناة الفوقية وفتح السين المهملة مبنى المفعول .

الكُبَّرُ : بضم الكاف وفتح الموحدة جمع كُبْرَى ، وفى الكلام حذف مضاف محذوف تقديره شرائع دين الله الكُبَر .

أَقْبَلْ إِلَى أَقْبَلْ : بفتح الهزمة وكسر الموحدة فيهما .

ما لَا يُجْهَلُ : بالبناء للمفعول .

فَأَمَّنْ بِهِ : بمد الهزمة وكسر الميم ، من الإيمان .

يُعَدِّلُ : بالبناء للمفعول . وكذا تُشْعَلُ .

وَقُودَهَا : يفتح الواو ما توقد به النار كالحطب .

الجَنْدَلُ : بجيم مفتوحة فنون ساكنة فذال مهملة : الحجارة .

الجُذَاذُ^(٢) : بجيم مضمومة وتكسر وذالين معجمتين : أى قطعاً وكِسْراً .

بَادِرٌ : بباء موحدة وبعد الألف دال مهملة مكسورة ثم راء . قال فى النور : كذا أحفظه .

ضُلًّا : بضم الضاد المعجمة الساقطة . يقال للباطل ضلُّ بتضلال .

(١) وفيه فتح الجيم أيضاً ، كسمعه ومنعه .

(٢) الذى سبق فى الشعر الوارد فى خبر مازن الطائى : كسرت بادر أجذاذا . وليس جذاذا . والأجذاذ : جمع الجذ

بكسر الجيم وهو الجزء المقطوع .

عَمَرَا : أَرَادَ بِهِ بَنَى الصَّامِتَ وَإِخْوَتَهَا .
 قَالَ : مُبْغِضٌ وَإِثْبَاتُ الْيَاءِ فِيهِ لِلْوِزْنِ .
 مُوَلِّعٌ : بَفَتْحِ اللَّامِ أَى مُقَرِّى بِهِ .
 الْهَلُوكُ : بَفَتْحِ الْهَاءِ وَضَمِ اللَّامِ الْمَخْفِيفَةِ وَآخِرُهُ كَافٌ . قَالَ فِي الصَّحَاحِ : الْهَلُوكُ مِنَ
 النِّسَاءِ الْفَاجِرَةِ الْمَتَسَاقِطَةِ عَلَى الرِّجَالِ فَلَا يُقَالُ رَجُلٌ هَلُوكٌ .
 أَلَحَّتْ عَلَيْنَا السُّنُونُ : أَى دَامَتْ أَيَّامُ الْجَدْبِ .
 الدَّرَارَى : بَفَتْحِ الْيَاءِ وَتَشْدِيدِهَا .
 الْحَيَا : بَفَتْحِ الْحَاءِ وَالْقَصْرِ : الْمَطَرُ وَالْخَضْبُ . رِيًّا^(١) . بِكَسْرِ الرَّاءِ وَتَفَتْحِ .
 الْعَهْرُ : بَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَإِسْكَانِ الْهَاءِ : الزَّوْنُ .
 حَيَّانٌ : بَفَتْحِ الْهَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ الْمَثْنَاءِ التَّخْتِيَةِ .
 خَبَّتْ^(٢) : بِخَاءٍ مَعْجَمَةٍ مَفْتُوحَةٍ فَبَاءَ مَوْحِدَةٍ مُشَدَّدَةٍ فَمَثْنَاءَ فَوْقِيَةٍ كَمَا فِي عِدَّةِ نَسَخٍ
 مِنَ الْعُمُيُونِ : مِنَ السَّيْرِ الْخَبِّ وَهُوَ دُونَ الْإِسْرَاعِ .
 تَجُوبٌ : بِالْجِيمِ وَالْمَوْحِدَةِ : تَقْطَعُ .
 الْفَيَافَى بَفَتْحِ الْفَاءِ الْأَوَّلَى وَكَسْرِ الثَّانِيَةِ : الصَّحَارَى الْمَلْسُ وَاحِدُهَا فَيَفَاءٌ .
 الْفُلُجُ بِضَمِ الْفَاءِ^(٣) وَإِسْكَانِ اللَّامِ وَهُوَ الْفَوْزُ وَالظَّفَرُ .
 الشَّرْجُ : بِشَيْنٍ مَعْجَمَةٍ فَرَاءَ سَاكِنَةٍ فَجِيمٌ ، يُقَالُ لَيْسَ هُوَ مِنْ شَرْجِهِ : أَى لَيْسَ مِنْ
 طَبِيعَتِهِ وَشَكْلِهِ .
 الرُّغْبُ : بِضَمِ الرَّاءِ وَإِسْكَانِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ ثُمَّ مَوْحِدَةٍ سَعَةِ الْبَطْنِ وَكَثْرَةِ الْأَكْلِ ،
 وَيُرْوَى بِالزَّيِّ الْمَفْتُوحَةِ فَعَيْنٌ مَهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ فَمَوْحِدَةٌ : يَعْنَى الْجَمَاعَ : قَالَ فِي النِّهَايَةِ :
 وَفِيهِ نَظَرٌ . يُقَالُ زَغَبَ الْمَرْأَةُ إِذَا جَامَعَهَا فَمَلَّأَهَا مَنِيًّا ، يَزْغَبُهَا كَمَنْعَ يَمْنَعُ^١ .

(١) كَذَا وَلَمْ تَرُدْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْخَبَرِ الَّذِي يَشْرَحُ الْمُؤَلَّفُ أَلْفَاظَهُ .

(٢) كَذَا ، وَالَّذِي وَرَدَ فِي الْخَبَرِ : سَقَتْ مَطْيَى . وَلَيْسَ خَبَّتْ مَطْيَى ، وَهِيَ زَوَايَةُ أُخْرَى .

(٣) الَّذِي فِي الْقَامُوسِ : الْفُلُجُ - بَفَتْحِ الْفَاءِ - الظَّفَرُ وَالْفَوْزُ كَالْإِفْلَاجِ ، وَالْإِسْمُ بِالضَّمِّ كَالْفُلُجَةِ .

آذَن : بحد الهمزة : أَعْلَم .

النَّهْجُ : بفتح النون وإسكان الهاء وبالجيم : قال في النُّور : أى البلاء .

فلله ماصوى : ما فى البيت مكررة زائدة فى الموضعين ، وتقديره فلله صوى وحجى .
ناجية : سريعة .

أُمُون : أى مأمون .

الحُزُون جمع حَزَن : ما غلظ من الأرض .

المُزَجى : السائق .

المطية : البعير ، فعيلة بمعنى مفعولة لأنه يركب مطاه أى ظهره ، ذكرى كان أو أنثى .

الليل الأَجَمَّ : الطويل .

دُجَنَاتُ الظُّلَم : بضم الدال المهملة والجيم وتشديد النون جمع دُجَنَة ، وهى الظلمة .
والدياجى : الليالى المظلمة .

الخبور : السرور .

السُّلَمَى : بضم السين المهملة .

ضِمَار : بضاد ساقطة معجمة مكسورة فميم مخففة فألف فراء مكسورة ، ووقع فى بعض نسخ
السيرة بضم الضاد .

أَوْدَى : ببدال مهملة : هلك .

زُمَيْل بالتصغير ويقال زُمِل بكسر^(١) الزاى وإسكان الميم وباللام .

العُدْرَى : بعين مهملة مضمومة فذال معجمة فراء فياء نسب .

خُمَام : بخاء معجمة مضمومة فميم مخففة .

الشُّرك بالنصب مفعول والإسلام فاعل .

هَالَنَا : أفزعنا .

(١) الذى فى القاموس : وزمل - مضبوطا بفتح الزاى بالقلم - أوزمىل - مصفرا - ابن ربيعة أو ابن عمرو بن
أبي العز بن خشاف ، صحابى .

أَعْمَلِ النَّاقَةَ : حَثَّهَا وَسَاقَهَا .

نَصَّهَا : بَنَوْنَ مَفْتُوحَةً وَصَادَ مَهْمَلَةٌ مُشَدَّدَةٌ يَقَالُ نَصٌّ فِي سِيرِهِ : دَفَعَ وَأَسْرَعَ . وَالنَّصَّ مِنْتَهَى الْغَايَةَ .

الْحَزَنُ : بِحَاءٍ مَهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ فَزَايُ سَا كُنَّةٌ فَنَوْنَ وَهُوَ مَا غَلِظَ مِنَ الْأَرْضِ .

قَوَزًا بِقَافٍ مَفْتُوحَةٍ فَوَاوُ سَا كُنَّةٌ فَزَايُ وَهُوَ الْكُثِيبُ الصَّغِيرُ ، عِنْدَ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَالْجَمْعُ أَقْوَازٌ وَقِيزَانٌ . وَفِي النِّهَايَةِ : الْقَوَزُ بِالْفَتْحِ : الْعَالِي مِنَ الرَّمْلِ كَأَنَّهُ جَبَلٌ .

جَبَلًا : بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَاحِدَ الْجِبَالِ قَالَ فِي النُّورِ : وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَرَادَهُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ فَإِنَّهُمَا يَقَالُ لِهَذَا جَبَلٌ^(١) .

أَدِينْ لَهُ : بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الدَّالِ : أَطِيعْ وَأَخْضِعْ .

(١) وَذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا » .

الباب الخامس

في قدر عُمر النبي صلى الله عليه وسلم وقت بعثته وتاريخها
قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم : الصواب أنه صلى الله عليه وسلم بُعث
على رأس الأربعين سنة ، هذا هو المشهور الذي أطبق عليه العلماء^(١) .
وقال السهيلي رحمه الله تعالى : إنه الصحيح عند أهل السير والعلم بالأثر^(٢) .
وحكى القاضي عن ابن عباس وسعيد بن المسيب رواية شاذة أنه بعث على رأس ثلاث
وأربعين . والصواب الأول .
وقال شيخ الإسلام البُلُقِينِي رحمه الله تعالى : كان سن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين جاءه جبريل في غار حراء أربعين سنة على المشهور . وقيل ويوماً . وقيل عشرة أيام .
وقيل وشهرين وقيل وستين وقيل وثلاثة . وقيل وخمس .
قال : وكان ذلك يوم الإثنين نهاراً .
واختلف في الشهر . فقيل شهر رمضان في سابع عشره وقيل سابعه . وقيل رابع عشره .
وقال الحافظ : ورمضان هو الراجح لما سيأتى من أنه الشهر الذي جاور فيه في حراء فجاءه
المَلَك . وعلى هذا يكون سنّه حينئذ أربعين سنة وستة أشهر .
وقيل في سابع عشر شهر رجب . وقيل في أول شهر ربيع الأول . وقيل في ثامنه .
وعند أبي داود الطيالسي ما يقتضى أنّ مجيء جبريل لرسول الله عليهما الصلاة والسلام
في حراء كان في آخر شهر رمضان . قال الحافظ : ولعله الراجح .
وروى الإمام أحمد والشيخان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : أنزل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة^(٣) .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٥ ص ٩٩ (ط المصرية)

(٢) الروض الأنف ١٦١/١ . (ط الجمالية) .

(٣) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ وسنن الترمذى كتاب المناقب باب رقم ٤ .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : قال العلامة ابن القيم في زاد المعاد : بعثه الله تعالى على رأس الأربعين وهي سن الكمال . قيل : ولها تُبعث الرسل . وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وله ثلاث وثلاثون فهذا لا يُعرف به أثر متصل يجب المصير إليه^(١) . انتهى .

والأمر كما قال ، فإن ذلك يُروى عن وهب بن منبه قال : إن النصارى تزعم . فذكر الحديث إلى أن قال : وأنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة رواه الحاكم . وفي سنده عبد المنعم بن إدريس كذبوه ، ولو صح سنده فإنه عن النصارى كما ترى . وعن^(٢) الحسن رواه ابن عساكر من طريق إسحاق بن بشر وهو كذاب يضع^(٣) ، لكنه قال ابن أربع وثلاثين .

ورواه الحاكم عن سعيد بن المسيّب وفي سنده علي بن زيد وهو ضعيف . ويأتي في الوفاة النبوية أحاديث صحيحة تدل على أنه رُفِع وهو ابن مائة وعشرين سنة .

الثاني : قال ابن الجوزي : حديث « ما من نبي نُبِّي إلا بعد الأربعين » موضوع . لأن عيسى عليه الصلاة والسلام نُبِّي ورفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فاشترط الأربعين في حق الأنبياء ليس بشيء . انتهى .

وما ذكره في قَدْر عمر عيسى لما رفع يردّه ما سبق عن ابن القيم وسيأتي في أبواب الوفاة حديث عائشة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه لفاطمة إن جبريل كان يُعارضني القرآن في كل عام مرة ، وإنه عارضني بالقرآن العام مرتين

(١) زاد الماد ١٨/١ (ط الحسينية) .

(٢) أي ويروى عن الحسن أيضا .

(٣) إسحق بن بشر بن مقاتل ، أبو يعقوب الكاهل الكوفي ، قال مطين : ما سمعت أبا بكر بن أبي شيبة كذب أحدا إلا إسحق بن بشر الكاهل . وقال الفلاس : متروك . قال الدارقطني : هو في عداد من يضع الحديث . انظر ميزان الاعتدال ١٨٦/١ (تحقيق البجاوي)

وأخبرني أنه لم يكن نبي إلا عاش نصف عمر الذي كان قبله وأخبرني أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا أراي إلا ذاهبا على رأس الستين . رواه الطبراني ورجاله ثقات وله طرق تأتي في الوفاة .

* * *

والمشهور عند الجمهور كما قال الحافظان ابن كثير وابن حجر أنه صلى الله عليه وسلم بُعث في شهر رمضان^(١) . وصححه الإمام علاء الدين علي بن محمد الخازن . زاد الحافظ : لِمَا تقدم أنه الشهر الذي جاء فيه إلى حراء فجاءه الملك .

وعكس ابن القيم فقال في زاد المعاد : قيل إنه بعث لثمان مضي من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل . وهذا قول الأكثرين .

ثم حكى أنه كان في رمضان .

وجمع بعضهم بين القولين بأنه صلى الله عليه وسلم نبي بالرويا في شهر مولده ثم كانت مدتها ستة أشهر ثم أوحى إليه في اليقظة . ولهذا مزيد بيان في التنبيه السابع من الباب الثامن .

* * *

وكان ذلك^(٢) يوم الاثنين .

وروى مسلم عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن صوم يوم الاثنين فقال : « ذاك يومٌ ولدْتُ فيه وفيه بعثتُ أو قال أنزل عليّ فيه^(٣) » .

وروى محمد بن عمر الأسكلميّ ، عن أبي جعفر الباقر قال : كان ابتداء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان .

وروى الإمام أحمد وابن جرير والطبراني والبيهقي في الشعب عن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضي من رمضان وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان^(٤) » .

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣٩٢/١ . (٢) أي البعث .

(٣) صحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٩٧ . ومسنّد أحمد ٢٩٧/٥ ، ٢٩٩ .

(٤) مسنّد أحمد ١٠٧/٤ . وسيرة ابن كثير ٣٩٣/١ .

الباب السادس

في ابتدائه صلى الله عليه وسلم بالرؤيا الصادقة وسلام الحجر
والشجر عليه ، زاده الله فضلاً وشرقاً لديه

قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الوحي الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .
رواه البخارى (١) .

وروى أبو نعيم عن علي بن الحسين رضى الله عنه وعن آبائه قال : إن أول ما أتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى شيئاً في المنام إلا كان كما رأى .
وروى أيضاً عن علقمة بن قيس قال إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهتأ
قلوبهم ثم ينزل الوحي (٢) .

وروى أيضاً البيهقي عن الزهري رحمه الله تعالى قال : بلغنا أن أول ما رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أراه رؤياً فشق ذلك عليه فذكرها لخديجة فقالت
أبشّر فإن الله لن يصنع بك إلا خيراً (٣) .

* * *

وروى ابن سعد عن برة بنت أبي تجرة - بكسر الفوقانية وسكون الجيم - قالت : إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته
أبعد حتى لا يرى بيتاً ويُفَضَّى إلى الشعاب وبطون الأودية فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال :
السلام عليك يا رسول الله . وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً (٤) .

(١) صحيح البخارى كتاب بدء الوحي .

(٢) سيرة ابن كثير ٣٨٨/١ . قال ابن كثير : وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه ، وهو كلام حسن ، يؤيد
ما قبله ويؤيده ما بعده . والخصائص الكبرى ٢٣١/١ .

(٣) الخصائص الكبرى ٢٣١/١ ، بسياق مطول ، عن البيهقي وأبي نعيم من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري .
هذا ويظهر أن المؤلف كان يعتمد على الخصائص الكبرى للسيوطي فينقل عنها ناسبا الرواية إلى مصدرها .

(٤) طبقات ابن سعد ١٥٧/١ (ط بيروت) .

وروى الإمام أحمد ومسلم عن جابر بن سَمُرَةَ رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا كَانَ يَسْلُمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ » (١) .

وقال عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان العلاء بن جارية - بجيم وراء - الثقفى ، وكان واعيةً ، عن بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله تعالى كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تُحَسَّرَ عنه البيوت ويفضى إلى شعاب مكة وأوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة وهى تحييه بتحية النبوة : السلام عليك يا رسول الله .

رواه ابن إسحاق (٢) .

وروى ابن سعد عن هشام بن عروة عن أبيه رحمهما الله تعالى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا خديجة إِنِّي أَرَى ضَوْءًا وَأَسْمَعُ صَوْتًا لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ كَاهِنًا . قالت : إن الله تعالى لا يفعل ذلك بك إِنَّكَ تَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتُودَى الْأَمَانَةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ (٣) .

وروى ابن الجوزى عن ابن عباس قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة : سبعا يرى الضوء والنور ويسمع الصوت ، وثمانى سنين يوحى إليه (٤) .

وقال الخازن : وهذا إن صح فيحمل على سنتين قبل النبوة فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه من تباشير النبوة ، وثلاث سنين بعد النبوة قبل إظهار الدعوة وعشر سنين مُعلنًا بالدعوة بمكة .

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٢ . ومسنده أحمد ٨٩/٥ ، ٩٥ ، ١٠٥ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢٣٤/١ .

(٣) طبقات ابن سعد ١٩٥/١ (ط بيروت) .

(٤) الوفا ص ١٦٠ .

نَبِيَّهَا

الأول: قال السَّهيلي: في بعض المُسَنِّدات أن هذا الحجر الذي كان يسلَّم على النبي صلى الله عليه وسلم هو الحجر الأسود .

وهذا التسليم الأظهر فيه أن يكون حقيقة ويكون الله تعالى أنطقه إنطاقاً ، كما خلق الحَيَّين في الجذع . ولهذا مزيد بيان في المعجزات .

الثاني: قال القاضي وغيره رحمهم الله تعالى : وإنما ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لثلاث يَفْجَأُ المَلَكُ ويأتيه بصريح النبوة بَعَثَ فلا تحملها القُوى البشرية ، فبدئ بأوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة ومن صدق الرؤيا وما جاء في الحديث الآخر من رؤية الضوء وسماع الصوت وتسليم الحجر والشجر عليه بالنبوة حتى استشعر عظيم ما يراد به واستعد لما ينتظره فلم يأتِه المَلَكُ إلا بأمر عنده مقدَّماته .

الباب السابع

فيا ذكر أن إسرائيل قُرن به قبل جبريل صلى الله عليه وسلم

روى الإمام أحمد في تاريخه بسند صحيح عن عامر الشعبي قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فُقِرْن نبوته إسرائيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشئ ، ولم ينزل القرآن على لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قُرن نبوته جبريل ، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ، عشرين سنة وعشرين بالمدينة ، فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة^(١)

وهذا يقتضى أن إسرائيل قُرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ، ثم جاءه جبريل .

قال الإمام أبو شامة رحمه الله تعالى : وحديث عائشة - أى الآتى في الباب بعده - لا ينافى هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا ، ثم وكل به إسرائيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحراء فكان يلتقى إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجاً وتمريناً ، إلى أن جاءه جبريل فعلمه بعد ما غطّه ثلاث مرات . فحكّت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرائيل اختصاراً للحديث ، أو لم تكن وقفت على قصة إسرائيل . انتهى .

وذكر بعض العلماء في حكمة مجيء إسرائيل إليه أنه الموكّل بالنفخ في الصور ، والنبي صلى الله عليه وسلم بُعث قُرب الساعة وكانت بعثته من أشرائها ، فُبُعث إسرائيل لهذه المناسبة ولم يُبعث إلى نبي قبله .

وقد أنكر الواقدي رحمه الله تعالى خبر الشعبي وقال : لم يُقرن به من الملائكة إلا

جبريل .

(١) طبقات ابن سعد ١/١٩١ ، والخصائص الكبرى ١/٢٢١ . والوفا ١/١٧٢ . وقال ابن سعد بعد أن أورد هذا الخبر : فذكرت هذا الحديث لحمد بن عمر - يريد الواقدي - فقال : ليس يعرف أهل العلم ببلدتنا أن إسرائيل قُرن بالنبي صلى الله عليه وسلم . . لم يقرن به غير جبريل .

قال الحافظ : ولا يخفى ما فيه ، فإن الميثم مقدّم على النافي إلا إن صَحِبَ النافي دليلٌ
نفيه فيقدم . انتهى .

قال الشيخ رحمه الله تعالى في فتاويه : قد ورد ما يُوهى أثر الشَّعْبِي ، وهو ما رواه مسلم
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : بَيَّنَّا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالساً وعنده
جبريل إذ سمع نقيضاً من السماء من فوق فرفع جبريلُ بصره إلى السماء فقال : يا محمد
هذا ملكٌ قد نزل لم ينزل إلى الأرض قط . قال فأتى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : أبشر
بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبيٌّ قبلك : فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفاً
منها إلا أوتيته ^(١) .

قال جماعة من العلماء إن هذا الملك إسرافيل . انتهى كلام الشيخ .

وروى الطبراني والبيهقي في الزهد بسند حسن عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريلُ على الصفا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أَمْسَى لآل محمد سَفَةً دَقِيقٌ وَلَا كَفٌّ مِنْ سَوِيْقٍ .
فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هَدَّةً من السماء أفزعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أمر الله القيامة أن تقوم ؟ فقال : لا ولكن أمر إسرافيل فنزل إليك حتى يسمع كلامك
فأتاه إسرافيل فقال : إن الله تعالى بعثنى إليك بمفاتيح خزائن الأرض وأمرني أن أعرض
إليك أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة . فقلت : فإن شئت نبيّاً ملكاً وإن
شئت نبيّاً عبداً ؟ فأوما إليه جبريل : أن تواضع . فقال بل نبيّاً عبداً . ثلاثاً .

ورواه ابن حبان في صحيحه مختصراً من حديث أبي هريرة ولفظه : جلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل فقال له جبريل : هذا الملك ما نزل
منذ خلق قبل الساعة . وذكر الحديث .

فظهر أن المعتمد ما مشى عليه الواقدي رحمه الله تعالى .

(١) صحيح مسلم كتاب المسافرين حديث رقم ٢٥٤ .

الباب الثامن

في كيفية بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد ورد ذلك من حديث : خديجة رضي الله تعالى عنها . رواه البيهقي .

وعائشة رضي الله تعالى عنها . رواه الشيخان .

وعُبَيْد بن عمير الليثي . رواه ابن إسحاق . وابن الجوزي في الوفا .

وسعيد بن المسيّب . رواه موسى بن عقبة .

وسليان بن طرخان التيمي . رواه أبو نعيم وابن عساكر .

وعمر بن شَرْحَبِيل . رواه البيهقي وأبو نعيم .

وابن شهاب . رواه أبو نعيم والبيهقي .

وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم رواه الدُّولابي :

أن أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة - وفي رواية : الصادقة - في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، فرأى وهو بمكة أن آتٍ أتاه ومعه صاحبان له فنظروا إليه فقالوا : هو هو ولم يَأْنِ له بعدُ . فهالَهُ ذلك وذكره لعمه فقال : يا بن أخي ليس بشيء ، حلُمْتَ . ثم رجع إليه بعد ذلك فقال : يا عم سطا بني الرجل الذي ذكرتُ لك فأدخل يده في جوفي حتى أَجَدَ بَرْدَهَا . فخرج به عمه إلى رجل من أهل الكتاب يتطيّب بمكة فحدّثه حديثه وقال عالجه فصوّب به وصعد وكشف عن قدميه ونظر بين كتفيه وقال : يا عبد مناف ابنك هذا طيّب طيب ، للخير فيه علامات ، إن ظفرتُ به يهودٌ قتلته ، وليس الرئي^(١) من الشيطان ولكنه من النّوَاميس الذين يتحسّسون القلوب للنبوّة . فرجع به .

(١) ط : وليس الرؤيا .

ثم رأى في منامه أن سقف بيته نُزعت منه خشبة وأدخل فيه سلم من فضة ثم نزل إليه وجلان ، فأراد أن يستغيث فمنع الكلام فقعد أحدهما إليه والآخر إلى جنبه ، فأدخل أحدهما يده في جنبه فنزع ضلعين منه ، فأدخل يده في جوفه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجد بردها فأخرج قلبه فوضعه على كفه فقال لصاحبه : نِعْم القلبُ قلب رجل صالح . فطهر قلبه وغسله ثم أدخل القلب مكانه وردَّ الضلعين ، ثم ارتفعا ورفعوا سلمهما فإذا السقف كما هو ، فذكر ذلك لخديجة بنت خويلد فتمالت له : أبشر فإن الله لا يصنع بك إلا خيرا هذا خير فأبشر^(١) .

وفي حديث عبيد بن عمير أنه صلى الله عليه وسلم رأى في منامه أيضا جبريل ومعه نبط من ديباج فيه كتاب فقال له اقرأ . فقال له : ما أقرأ . فغته به حتى ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الموت ، ثم أرسله فقال : اقرأ . قال : ما أقرأ . فغته به حتى ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الموت ، ثم أرسله فقال له اقرأ . قال : ماذا أقرأ . ما قال ذلك إلا افتدأ منه أن يعود إليه بمثل ما صنع - قال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . الإنسان من علقت . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » . فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انتهى فانصرف جبريل وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه ، قال : فكأنما كتب في قلبي كتابا . فذكر ذلك لخديجة فقالت : أبشر فإن الله لا يصنع بك إلا خيرا .

ثم حبس إليه الخلاء فكان يخلو شهر رمضان بغار حراء - وفي لفظ يلحق - ومعه أهله فيتحنث - وفي لفظ : فيتحنف - فيه وهو التعبّد الليلي ذوات العَدَد قبل أن ينزع - وفي لفظ : يرجع - إلى أهله ويتزود لذلك ويُطعم من جاءه من المساكين ، فإذا رجع من جواره كان أول ما يبداً به إذا انصرف قبل أن يدخل بيته الكعبة ، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله ، ثم يرجع إلى بيته فيتزود لمثلها .

فقال لخديجة يوما : لما قضيتُ جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أَر شيئاً

(١) الخصائص الكبرى ١/ ٢٢٣ .

فنظرت عن شمال فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فرأيت شيئاً بين السماء والأرض فقلت : دثروني
دثروني وصبوا علي ماءً بارداً .

وفي رواية أبي الأسود عن عروة عن عائشة قالت : كان أول شأنه يَرى في المنام ،
وكان أول ما رأى جبريلَ بأجساد وصرخ جبريل : يا محمد أنا جبريل . فنظر يميناً وشمالاً
فلم ير شيئاً فرفع بصره فإذا هو على أفق السماء فقال : يا محمد أنا جبريل . فهرب فدخل
في الناس فلم ير شيئاً ، ثم خرج عنهم فناداه ثم هرب ثم استعلن جبريل من قِبَل حِراء .
انتهى .

وفي رواية : إني إذا خلوتُ وحدي أرى ضوءاً وأسمع نداء : يا محمد أنا جبريل . وقد
والله خشيتُ أن يكون هذا أمراً . فقالت : معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك ، إنك لتؤدى
الآمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث . فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له
وقالت : اذهب مع محمد إلى ورقة بن نوفل فإنه رجل يقرأ الكتب فيذكر له ما يسمع .
فانطلقا إليه فقصا عليه فقال : إذا خلوتُ وحدي سمعت نداء خلني : يا محمد أنا جبريل .
فانطلق هاربا . فقال ورقة : سُبوح سُبوح ! وما لجبريل يُذكر في هذه الأرض التي يُعبد
فيها الأوثان ، جبريل أمين الله تعالى على وحيه بينه وبين رُسُلِهِ ، لا تفعل إذا أتاك
فأثبت حتى تسمع ما يقول ثم اثنى فأخبرني . فخرج ذات ليلة فسمع : السلام عليكم
قال فظنها فجأة الجن ، فجاء مسرعا حتى دخل على خديجة فقالت : ما شأنك فأخبرها ،
فقالت أبشر فإن السلام خير . فخرج مرة أخرى إلى حِراء . قال : فخرجتُ حتى إذا كنت
في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل .
فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء فرفعت
أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أضرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في
ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فما زلت واقفا ما أتقدم . أماي وما أتأخر^(١) ورائي حتى بعثت
خديجة رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف
راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إليها فقالت : يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله

(١) ط : وما أرجع .

لقد بعثت رسلِي في طلبك فبلغوا مكة ورجعوا إليَّ . ثم حدثتها بالذي رأيته فقالت : أبشر يا ابن عمي واثبت ، فوالذي نفسي بيده إني أرجو أن تكون نبي هذه الأمة . ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة فأخبرته بما أخبرها به فقال ورقة : قدوس قدوس ! والذي نفسي بيده لئن كنت صدقتينى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبي هذه الأمة ، فقلولي له فليثبت .

فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف فلقبه ورقة فقال له : يا بن أخي أخبرني بما رأيته وسمعت . فأخبره فقال له ورقة : والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكدبته ولتقاتلنه ولتؤذيته ، ولئن أدركت ذلك لأنصُرَنَّ الله نصرًا يعلمه . ثم أذنى رأسه منه فقبل يافوخه^(١) .

وقالت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن عمي أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم . قالت : فإذا جاءك فأخبرني به . فجاءه جبريل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة هذا جبريل قد جاءني فقالت : قم يا بن عمي فاجلس على فخذي اليسرى . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت : فتحول فاقعد على فخذي اليمنى فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذه اليمنى فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم . فحسرت فألقَتْ خِمَارَهَا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا . قالت يا بن عمي اثبت وأبشر فوالله إنه لملك ما هذا شيطان^(٢) .

قال البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه : عرض جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة السبت وليلة الأحد ، ثم أتاه بالرسالة ليلة الاثنين ففجأه الحق - وفي لفظ : فجاءه الحق - وهو في غار حراء وفي رواية : فأتاه جبريل وميكائيل ، فنزل جبريل وبقى ميكائيل

(١) حديث بدء الوحي في صحيح البخاري ج ١ ص ٣ (ط الأثرية) . وطبقات ابن سعد ١/١٩٤ (ط بيروت) . وسيرة ابن هشام ١/٢٣٣ . وسيرة ابن كثير ١/٣٨٥ . والوفاء لابن الجوزي ص ١٦٢ .
(٢) الوفا ص ١٦٤ ، وسيرة ابن كثير ١/٤١٠ عن البيهقي .

واقفا بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو . قال : فزِنه برجل . فوزنه به فرجحه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . قال : زِنه بعشرة فوزنه فرجحهم . قال : زنه بمائة . فوزنه فرجحهم . قال : زِنه بألف . فوزنه فرجحهم . ثم جعلوا يتساقطون عليه من كِفَّة الميزان فقال ميكائيل : تبعته أُمَّتُه وربُّ الكعبة . ثم أجلس على بساط كهيئة الدُّرنوك ، فيه الياقوت واللؤلؤ ، فقال أحدهما لصاحبه : شُقَّ بطنه . فشقه فأخرج منه مَعَمَز الشيطان وعلَّقَ الدم فطرحها فقال أحدهما لصاحبه : أغسل بطنه غسل الإناء واغسل قلبه غسل الملاء . ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطَّ بطنه . فخاطه . ثم أجلساه فيشره جبريل برسالة ربه حتى اطمأنَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل : اقرأ فقال : ما أنا بقارئ . فغطَّه حتى بلغ منه الجهد ، ثم أرسله فقال له اقرأ قال : ما أنا بقارئ . فغطَّه حتى بلغ منه الجهد ، ثم أرسله فقال له اقرأ قال : ما أنا بقارئ فغطه حتى بلغ منه الجهد .

ثم أرسله فقال : « اقرأ » أُوْجِدَ القراءة . مبتدئا « باسم ربِّك الذى خلق » الخلائق « خلق الإنسان » الجنس « من علَّق » جمع علقة وهى القطعة اليسيرة من الدم الغليظ وجمعها لأن الإنسان فى معنى الجمع « اقرأ » تأكيد للأول . « وربُّك الأكرم » الذى لا يُؤاْزیه كريم . « الذى علَّم » الخطَّ « بالقلم » وأول من خطَّ إدريس صلى الله عليه وسلم .

ثم أفرد ما هو أشرف وأظهرُ صنيعاً وتدبيراً وأدلَّ على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال : « علَّم الإنسان » الجنس « ما لم يَعْلَم » قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها .

وهذا القَدْر من هذه السورة هو الذى نزل أولاً بخلاف بقية السورة فلما نزل بعد ذلك . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله تَرْجُفُ بَوَادِرِهِ . وفى لفظ : فؤاده . لا يَلْقَاه حَجَرٌ ولا شجرٌ إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

فرجع إلى بيته وهو موقن قد فاز فوزاً عظيماً فدخل على خديجة فقال : « زملونى زملونى » . فزملوه حتى ذهب عنه الرُّوعُ . قال أَرَأَيْتَ الذى كنت أخبرتك أنى رأيتُه فى المنام ؟ فإنه جبريل استعلن لى أرسله إلى ربِّى . وأخبرها الخبر . وقال : لقد خشيتُ على نفسى . فقالت خديجة : كلاً أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرَّحِمَ وتقرى الضيفَ وتصدق

الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على ثواب الحق ، فأقبل الذي جاءك من الله فإنه حق ، وأبشر فإنك رسول الله حقا .

ثم انطلقت حتى أتت غلاما لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانيا من أهل نينوى يقال له عداس ، فقالت له يا عداس أذكرك الله إلا ما أخبرني هل عندكم علم من جبريل ؟ فقال عداس : قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر هذه الأرض التي أهلها أهل الأوثان . فقالت : أخبرني بعلمك فيه . قال : هو أمين الله بينه وبين النبيين ، وهو صاحب موسى وعيسى .

فرجعت من عنده فانطلقت برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ورقة بن نوفل بن أسد ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصّر في الجاهلية . وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى . فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة : أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم . هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى . وفي لفظ : وإنك على مثل ناموس موسى ، وإنك لنبي مرسل وستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركني ذلك لأجاهدك معك ، يا ليتني فيها جذعا . وفي لفظ جذع . ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم ؟ فقال : نعم . لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي . وفي لفظ : أودى . وفي رواية : لتكذبنه وتؤذينه ولتقاتلنه ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا ، ثم أدنى رأسه منه فقبل يا فوخه ، ثم لم يثب ورقة أن توفي وفتر الوحي .

وقال ورقة في ذلك أشعارا منها قوله :

يا للرجال وصرف الدهر والقدر	وما لشيء قضاء الله من غيسر
حتى خديجة تدعوني لأخسبها	أمرأ . أراه سيأتى الناس من أخسر
وخبرني بأمر قد سمعت به	فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بأن أحمد يأتيه ويخبره	جبريل أنك مبعوث إلى البشر
فقلت عل الذى ترجين ينجزه	لك الإله فرجى الخير وانتظري

وأرسله إلينا كي نسأله
فقال حين أنانا منطقاً عجبا
إني رأيت أمين الله واجهني
ثم استمر فكاد الخوف يُذعني
فقلت ظنني وما أدرى أيصدقني
وسوف أنبيك إن أعلنت دعوتهم
وقوله :

فإن يك حقا يا خديجة فاعلمي
وجبريل يأتيه وميكايل معهما
يفوز به من فاز فيها بتسوية
فريقان منهم فرقة في جنانه
فسبحان من تهوى الرياح بأمره
ومن عرشه فوق السموات كلها
حديثك إيانا فأحمد مرسل
من الله وخي يشرح الصدر منزل
ويشقي به الغالي^(١) القوى المضلل
وأخرى بأخواز الجحيم تعلل
ومن هو في الأيام ما شاء يفعل
وأقضاؤه في خلقه لا تبدل^(٢)

* * *

(١) ابن كثير : ويشق به العاى الغرير المضلل .

(٢) قال ابن كثير بعد أن أورد هذه الأبيات وما قبلها : هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي في الدلائل ، وعندى في مصم :
عن ورقة نظر . والله أعلم . سيرة ابن كثير ٤٠١/١ .

تَنْبِيهَاتُ

الأول : فى رواية البخارى فى التفسير : الرؤيا الصادقة وفى غيره : الصالحة . وهما بمعنى بالنسبة إلى أمور الآخرة فى حق الأنبياء . وأما بالنسبة إلى أمور الدنيا فالصالحة فى الأصل أخص ، فرؤيا النبي كلها صادقة ، وقد تكون صالحة ، وهى الأكثر ، وغير صالحة بالنسبة للدنيا كما وقع فى الرؤيا يوم أحد .

وأما رؤيا غير الأنبياء فبينهما عموم وخصوص ، إن فسرنا الصادقة بأنها التى لا تحتاج إلى تعبير ، وأما إن فسرناها بأنها غير الأضغاث فالصالحة أخص مطلقا .

قال الإمام نصر بن يعقوب الدينورى فى التعبير القادرى : الرؤيا الصادقة ما يقع بعينه أو ما يُعبر فى المنام أو يخبر به من لا يكذب . والصالحة ما يسر .

* * *

الثانى : قال البيضاوى رحمه الله : شبه ما جاء فى اليقظة ووجدته فى الخارج طبقا لما رآه فى المنام بالصُّبح فى إنارته ووضوحه ، والفلق : الصبح ، لكنه لما كان مستعملا فى هذا المعنى وفى غيره أضيف إليه للتخصيص والبيان إضافة العام إلى الخاص ، كقولهم عين الشيء ونفسه .

قال الطَّبَّي رحمه الله تعالى : وللفلق شأن عظيم ولذلك جاء وصفاً لله تعالى فى قوله « فالتق الإصباح » وأمر بالاستعاذة برب الفلق لأنه يُنبئ عن انشقاق ظلمة عالم الشهادة وطلوع تابشير الصبح بظهور سلطان الشمس وإشراقها فى الآفاق ، كما أن الرؤيا الصالحة مبشرات تنبئ عن وفود أنوار عالم الغيب وآثار مطالع الهدايات ، شبه الرؤيا التى هى جزء يسير من أجزاء النبوة وتنبيه من تنبيهاتها لمشركى العقول على ثبوت النبوة ، لأن النبي إنما سُمى نبياً لأنه ينبئ عن الغيب الذى لا تستقل العقول بإدراكه .

وقال ابن أبى جَمْرَةَ رحمه الله تعالى : إنما شبهت رؤياه بفلق الصبح دون غيره ، لأن شمس النبوة قد كانت الرؤيا مبادئ أنوارها ، فما زال ذلك النور يتسع حتى أشرقت الشمس

وتَمَّ نورها ، فمن كان باطنه نُورِيًّا كان في التصديق كَأَبِي بكر الصديق ، ومن كان باطنه مظلمًا كان في التكذيب خُفَّاشًا كَأَبِي جهل ، وبقية الناس بين هاتين المنزلتين ، كلُّ منهم بقدر ما أُعطي من النور .

* * *

الثالث : قال الخطَّابي رحمه الله تعالى : هذه الأمور التي كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بدئ بها من صدق الرؤيا وحب العزلة عن الناس والخلوة في غار حراء والتعبّد فيه ومواظبته عليه الليالي ذوات العاد إنما هي أسباب ومقدّمات أرهّصت لنبوته وجُعِلت مبادئ لظهورها ، والخلوة يكون معها فراغ القلب وهي مُعينة على الفكر ومَقْطَعٌ لدعوى الشغل ، والبشر لا ينفك عن طِبَّاعه ولا يترك مألوفه من عاداته إلا بالرياضة البليغة والمعالجة الشديدة ، فلطَفَ الله تعالى بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في بادية أمره فحبَّبَ إليه الخلوة وقطَّعه عن مخالطة البشر ، ليتناسى المألوفَ من عاداتهم ويستمر على هجران ما لا يُحمد من أخلاقهم وألزمه شعارَ التقوى وأقامه في مقام التعبّد بين يديه ليخشع قلبه وتلين عَريكته لورود الوحي فيجد منه مرادًا سهلاً ولا يصادفه حَزَنًا وَغَرًا ، فجُعِلت هذه الأسباب مقدّمات لما أرهّص له من هذا الشأن ليرتاض بها ويستعدّ لما نُدب إليه ، ثم جاءه التوفيقُ والتبشير وأخذَه بالقوة الإلهية ، فجُبرت منه النقائص البشرية وجمعت له الفضائل النبوية .

وقال غيره : من فوائد خلوة نفسه ما ألهمه الله تعالى قبل ظهور الملك له ومخاطبته لِمَا أرادَه الله تعالى من صدوفه عن متعبدات قريش وعُزوب نفسه الشريفة عن قُرب أرجاس الأصنام وتبرّيه منها وبُغضه لها وإقباله على التحنث وهو فعل البرِّ والقُرب .

* * *

الرابع : قال ابن أبي جَمْرَةَ رحمه الله تعالى : الحكمة في تخصيصه صلى الله عليه وسلم التخلي بغار حراء : أن المقيم فيه كان يمكنه رؤية الكعبة فيجتمع لمن يخلو فيه ثلاث عبادات : الخلوة والتعبّد والنظر إلى البيت .

وقال الحافظ : وكانت قريش تفعله كما كانت تصوم عاشوراء وإنما لم يَنَازِعُوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم في غار حراء مع مزيد الفضل فيه على غيره لأنَّ جدّه عبدَ المطلب أول من كان يخلو فيه من قريش وكانوا يعظّمونه لجلالته وكِبَرِ سنه ، فتبعه على ذلك من

كان يتأله ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يخلو مكان جده فسلم له ذلك أعمامه لكرامته عليهم .

* * *

الخامس: قوله: فرأى بمكة أن آت أتاه . الخ قال السهيلي رحمه الله تعالى: ليس ذكر النوم حديث عائشة ، بل يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ قد كان في اليقظة وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به ، لأن أمر النبوة عظيم وعيها ثقیل والبشر ضعيف ، وسيأتي في حديث الإسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا الفرض ويصححه . قال في « الزهر » : والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم هذا شأنهم ، فلا حاجة إلى ما ذكره السهيلي بقوله : وقد يمكن الخ ، لأن الرواية بذلك لا بأس بسندها . وبسط الكلام على ذلك .

* * *

السادس: قال السهيلي : في كون الكتاب في نمط من الديباج إشارة إلى أن هذا الكتاب به يفتح على أمته ملك الأعاجم ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زيهم وزينتهم وبه ينال أيضا ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحرير والديباج^(١) .

* * *

السابع : يؤخذ من قول عائشة رضى الله تعالى عنها : « فجاءه الملك فيه » - كما في كتاب التعبير من الصحيح^(٢) - أى في الغار ، دفع توهم من يظن أن الملك لم يدخل إليه الغار بل كلمه والنبي صلى الله عليه وسلم داخل الغار والملك خارجه على الباب .

قال الحافظ : وإذا علم أنه كان يجاور في غار حراء شهر رمضان وأن ابتداء الوحي جاءه وهو في الغار المذكور اقتضى ذلك أنه نبي في شهر رمضان . ويعكّر على قول ابن إسحاق أنه بُعث على رأس الأربعين مع قوله : إنه ولد في شهر ربيع . ويمكن أن يكون المجيء في الغار كان أولاً في شهر رمضان وحينئذ نبي وأنزل عليه : « اقرأ باسم ربك » ثم كان المجيء

(١) الروض الأنف ١/١٥٥ . (ط الجمالية) .

(٢) يريد صحيح البخاري .

الثاني في شهر ربيع الأول بالإنذار وأنزلت عليه : «يأيها المدثر قم فأنذر» فيحمل قول ابن اسحاق : على رأس الأربعين : أى عند المجيء بالرسالة .

• • •

الثامن : فإن قيل : لم كرّر : «اقرأ» ثلاث مرات ؟

أجاب الإمام أبو شامة رحمه الله تعالى بأنه يُحتمل أن يكون قوله أولاً : «ما أنا بقارئ» على الامتناع ، وثانياً على الإخبار بالنفي المخض ، وثالثاً على الاستفهام . ويؤيده أن في رواية أبي الأسود في معازيه عن عروة أنه قال : كيف أقرأ . وفي رواية عبيد بن عمير عند ابن إسحاق ماذا أقرأ . وفي مُرسل الزهري عند البيهقي كيف أقرأ وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية^(١) .

وقال الحافظ : لعل الحكمة في تكرير «اقرأ» الإشارة إلى انحصار الإيمان الذي ينشأ الوحي بسببه في ثلاث : القول والعمل والنية ، وأن الوحي يشتمل على ثلاث : التوحيد والأحكام والقصاص .

• • •

التاسع : الحكمة في غطّ جبريل له : شغله عن الالتفات لشيء آخر ، أو لإظهار الشدة والجِدَّة في الأمر تنبيهاً على ثِقَل القول الذي سيُلْقَى إليه ، فلما ظهر أنه صَبِر على ذلك ألقى إليه ، هذا وإن كان في علم الله حاصل لكن المراد إبرازه للظاهر بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم وقيل ليختبر هل يقول من قَبَل نفسه شيئاً فلما لم يأت بشيء دلّ على أنه لا يَقْدِر عليه .

ونقل الحافظ عن بعض من لقيه أن هذا يُعَدُّ من خصائصه صلى الله عليه وسلم إذ لم ينقل عن أحد من الأنبياء أنه وقع له عند ابتداء الوحي مثل ذلك .

قال البُلْقِينِي : وكان الذي حصل للنبي صلى الله عليه وسلم عند تلقى الوحي من الجهد مقدمة لما صار يحصل له من الكَرْب عند نزول القرآن وبسط الكلام على ذلك ، ويأتي بتمامه في باب شدة الوحي .

(١) قال ابن كثير في السيرة ٣٩٣/١ : ومن قال إنها استفهامية فقولُه بعيد ، لأن الباء لا تزداد في الإثبات .

العاشر: الحكمة في تكرير القَطْ: المبالغة في التنبيه ، ففيه أنه ينبغي للمعلم أن يحتاط في تنبيه المتعلم وأمره بإحضار قلبه . وقيل الإشارة إلى التشديدات الثلاث التي وقعت له ، وهي الحَضَر في الشُّعْب ، وخروجه إلى الهجرة ، وما وقع له يوم أحد ، وفي الإرسالات الثلاث إشارة إلى حصول التيسير له عقب الثلاث ، أو في الدنيا ، والبرزخ ، والآخرة .

• • •

الحادى عشر: هذا القدر الذى ذكر من سورة اقرأ هو الذى نزل أولاً بخلاف بقية السورة ، فإنما نزل بعد ذلك بزمان .

والحكمة في هذه الأوليّة : أن هذه الآيات الخمس اشتملت على مقاصد القرآن ، ففيها براءة الاستهلال وهي جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة ، في أوله ، وهذا بخلاف الفن البديعى المسمى بالعنوان فإنهم عرفوه بأن يأخذ المتكلم في فن فيؤكد به ذكر مثال سابق .

وبيان كونها اشتملت على مقاصد القرآن : أنها^(١) تنحصر في علم التوحيد والأحكام والأخبار ، وقد اشتملت^(٢) على الأمر بالقراءة والبدء فيها باسم الله ، وفي هذا الإشارة إلى الأحكام . وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفات ذات وصفات فعل ، وفي هذا إشارة إلى أصول الدين ، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله « علم الإنسان ما لم يعلم »

وقال السهيلي : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : « اقرأ باسم ربك » فإنك لا تقرأ بحولك وقوتك ولا بصفة نفسك ولا بمعرفتك ، ولكن اقرأ مفتتحاً قراءتك باسم ربك مستعيناً في جميع أمورك به ، فهو يعلمك كما خلقك وكما نزع عنك علق الدم وعلمك ما لم تكن تعلم من أمور الدين ومصالح العباد وما تنطق به من المغيبات .

(١) أى مقاصد القرآن .

(٢) يريد الآيات التى نزلت أولاً من سورة اقرأ .

الثاني عشر : قال الحافظ : ذكر أكثر الأئمة أن هذا القدر المذكور في القصة من سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن . وشذَّ صاحبُ الكشاف فقال : إن أكثر المفسرين على أن أول سورة نزلت الفاتحة . وهذا وهم بلا شك . وقال في موضع آخر : المحفوظ أن أول ما نزل : اقرأ باسم ربك وأن نزول الفاتحة كان بعد ذلك . وقال النووي : أول ما نزل من القرآن : اقرأ . هذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف وقيل أوله : « يا أيها المدثر » وليس بشيء^(١) .

الثالث عشر : إنما اضطرب فؤاده لِمَا فجأه من الأمر المخالف للعادة والمألوف ، فنفرَ طَبْعُهُ البشري ولم يتمكن من التأمل في تلك الحالة ، لأن النبوة لا تُزيل طباعَ البشرية كلها .

الرابع عشر : قال البلقيني : الحكمة في العُدول عن القلب إلى الفؤاد^(٢) أن الفؤاد وعاء القلب كما قاله بعض أهل اللغة ، فإذا حصل للوعاء الرَّجْفَان حصل للقلب فيكون في ذكره من تعظيم الأمر ما ليس في ذكر القلب .

الخامس عشر : الحكمة في طلب التزمّل أن العادة جرت بسكون الرُّعْدَة بالتلفّف .

السادس عشر : دل قوله : لقد خشيتُ على نفسي « مع قوله « تَرَجِفُ بَوَادِرُهُ » وفي لفظ : « فؤاده » على انفعال حصل له من مجيء الملك ، ومن ثم قال : زملوني .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٩/٢ .

(٢) أى في قوله في الحديث : يرجف فؤاده .

والخشية المذكورة اختلف في المراد بها على اثني عشر قولاً : أولاً بالصواب : الموت من شدة الرعب . وقيل المرض . وقيل دوامه . وقيل تغييرهم إياه .

قال القاضي : ليس هذا من معنى الشك فيما آتاه الله ، لكنه صلى الله عليه وسلم عساه يخشى أن لا يقوى على مقاومة هذا الأمر ولا يقدر على حمل أعباء النبوة فتزهق نفسه أو ينخلع قلبه لشدة ما لقيه أولاً عند لقاء الملك . قال : أو يكون قوله هذا الأول ما رأى التبشير في النوم واليقظة وسمع الصوت قبل لقاء الملك وتحقق رسالة ربه فيكون ما خاف أولاً أن يكون من الشيطان ، فأمّا منذ ما جاءه الملك برسالة ربه فلا يجوز عليه الشك ولا يخشى من تسلط الشيطان عليه .

قال : وعلى هذا يُحمل كل ما ورد من مثل هذا في حديث البعث .

قال النووي : وهذا الاحتمال الثاني ضعيف ، لأنه خلاف تصريح الحديث بأن هذا بعد غط الملك وإتيانه به «اقرأ باسم ربك» .

السابع عشر : خص ورقة موسى بالذكور ولم يقل على عيسى ، مع كون ورقة نصرانياً ، لأن كتاب موسى مشتمل على أكثر الأحكام بخلاف عيسى ، وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم ، أو لأن موسى بُعث بالنقمة على فرعون ومن معه ، بخلاف عيسى ، وكذلك وقعت النقمة على يد النبي صلى الله عليه وسلم بفرعون هذه الأمة وهو أبو جهل ومن معه يوم بدر . أو قاله تحقيقاً للرسالة ، لأن نزول جبريل على موسى متفق عليه بين أهل الكتابين بخلاف عيسى ، فإن كثيراً من اليهود ينكرون نبوته .

قال الحافظ : وأما ما تمحل له السهيلي من أن ورقة كان على اعتقاد النصراني في عدم نبوة عيسى ودعواهم أنه أحد الأقانيم فهو محال لا يعرج عليه في حق ورقة وأشباهه ممن لم يدخل في التبديل ولم يأخذ عن بدل .

على أنه قد ورد عند أبي نعيم في الدلائل بسند حسن عن عروة في هذه القصة أن خديجة أولاً قد أتت ابن عمها ورقة فأخبرته الخبر ، فقال : لئن كنت صدقتيني إنه ليأتيه ناموس عيسى

الذى لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم . فعلى هذا فكان ورقة يقول تارة : ناموس عيسى وتارة ناموس موسى ، فعند إخبار خديجة له بالقصة قال لها ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية ، وعند إخبار النبي صلى الله عليه وسلم له قال ناموس موسى للمناسبة التى قدمنها ، وكل صحيح .

الثامن عشر : قال السهيلي : قال ورقة للنبي صلى الله عليه وسلم : لتكذبنه فلم يقل له شيئا ، ثم قال ولتؤذينه . فلم يقل له شيئا . ثم قال : ولتخرجنه فقال عليه الصلاة والسلام : أو مُخرجي هم ؟ ففى هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقتها على النفس ، وأيضا فإنه حرم الله تعالى وجوار بيته وبلدة أبيه إسماعيل ، فلذلك تحركت نفسه عند ذكر الخروج ما لم تتحرك قبل ذلك ، فقال : أو مُخرجي هم .

والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها : إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه ، وذلك أن الواو ترد إلى الكلام المتقدم وتُشعر المخاطب بأن الاستفهام على جهة الإنكار والتفجع لكلامه والتألم منه .

قال الحافظ : ويحتمل أن يكون انزعاجه كان من جهة خشية فوات ما أمّله من إيمان قومه بالله وإنقاذهم به من وَضَر الشُّرك وأدناس الجاهلية ومن عذاب الآخرة وليتيم له المراد من إرساله إليهم . ويحتمل أن يكون انزعج من الأمرين معا .

وسبقه إلى ذلك الشيخ تقي الدين السبكي فقال : كما حكاه عنه ولده فى الطبقات - : الأحسن أن يقال : تحركت نفسه ، لِمَا فى الإخراج من فوات مائِدٍ إليه من إيمانهم ، وهاديتهم ، فإن ذلك مع التكذيب والإيذاء مترقب ، ومع الإخراج منقطع ، وذلك هو الذى لا شئ عند الإنسان أعظم منه ، لأنه امتثال أمر الله تعالى ، وأما مفارقة الوطن فأمر جليل والنبي صلى الله عليه وسلم أجل وأعلى مقامًا من الوقوف عنده فى هذا الوطن العظيم ^(١) .

(١) طبقات الشافعية ٢٠٨/٦ (ط الحسنية) .

التاسع عشر : قال الإسماعيلي رحمه الله تعالى : موّه بعض الطاعنين على المحدثين فقال : كيف يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم أن يرتاب في نبوته حتى يرجع إلى ورقة ويشكو لخديجة ما يخشاه ؟

والجواب : أن عادة الله سبحانه وتعالى جرت بأن الأمر الجليل إذا قضى الله تعالى بإيصاله إلى الخلق أن يتقدمه ترشيحٌ وتأسيس ، وكان ما يراه النبي صلى الله عليه وسلم من الرؤيا الصادقة ومحبة الخلوة والتعبّد من ذلك ، فلما جاءه الملك فجاءه بغتة أمرٌ خالف العادة والمألوف فنفر طبعه البشريّ منه وهاله ذلك ولم يتمكن من التأمل في تلك الحال ، لأن النبوة لا تنزل طباع البشرية كلها ، فلا يُتعبّب أن يجزع مما لم يألفه وينفر طبعه منه ، حتى إذا اندرج عليه وألفه استمر عليه ، فلذلك رجع إلى أهله التي ألفت أنسها فأعلمها بما وقع له ، فهوّنت عليه خشيته مما عرفته من أخلاقه الكريمة وطريقته الحسنة ، فأرادت الاستظهار بمسيرها به إلى ورقة لمعرفة بصدقته ومعرفته وقراءته الكتب القديمة فلما سمع كلامه أيقن بالحق واعترف به ، وأشار إلى أن الحكمة في ذكره صلى الله عليه وسلم ما اتفق له في هذه القصة : أن يكون سببا في انتشار خبره في بطانته ومن يستمع لقوله ويضعي إليه طريقا في معرفتهم مبينة من سواه في أحواله لينبّهوا^(١) على محله .

* * *

العشرون : ورقة هو ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي ابن عم خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . ذكره الطبري والبغوي وابن نافع وابن السكّن وغيرهم في الصحابة .

وروى يونس بن بكير عن أبي ميسرة عمرو بن شُرَيْبيل أحد كبار التابعين أن ورقة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به عيسى بن مريم وأنت على مثل ناموس موسى ، وأنت نبي مرسل . فذكر الحديث وفيه : فلما توفي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب بيض لأنه آمن بي وصدقني » .

(١) ص : لينتبهوا .

في سنده انقطاع .

ويعضده ما رواه الزبير بن بكار بسند جيد عن عروة بن الزبير قال : كان بلال لجارية من بني جُمَح ، وكانوا يعذبونه برمضاء مكة يلصقون ظهره بالرمضاء لكي يُشرك فيقول : أَحَدٌ أَحَدٌ . فمرَّ به ورقة وهو على تلك الحال فيقول : أَحَدٌ أَحَدٌ يا بلال ، والله لئن قتلتموه لَأَتَّخِذَنَّهُ حَنَانًا .

فهذا المرسل يدل على أن ورقة عاش إلى أن دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام حتى أسلم بلال .

قال الحافظ : والجمع بين هذا وبين حديث عائشة : أَن يُحْمَلَ قولها : لم ينشب ورقة أن توفي . أي قبل أن يشتهر الإسلام ويؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بالجهاد .

ولا يعكّر على ذلك ما رواه ابن عائذ عن ابن عباس أن ورقة مات على نصرانيته لأن في سنده عثمان بن عطاء وهو ضعيف .

وروى الإمام أحمد بسند حسن عن عائشة أن خديجة رضى الله تعالى عنها سألت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة فقال : قد رأيته فرأيت عليه ثياباً بيضاً ، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثيابٌ بيضٌ ^(١) .

وروى أبو يعلى بسند حسن عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ورقة بن نوفل فقال : « أبصرته في بطنان الجنة وعليه ، السندس » ^(٢) .

وروى البزار وابن عساكر بإسناد جيد عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنةً أو جنتين » ^(٣) .

* * *

(١) مستد أحمد ٦/٦٥ . ونصه : لم يكن عليه ثياب بياض .

(٢) سيرة ابن كثير ١/٣٩٧ .

(٣) سيرة ابن كثير ١/٣٩٨ .

الحادى والعشرون : فى بيان غريب ما سبق :

أول ما بُدئ به نكرة موصوفة ، أى أول شيء .

من الوحى : أى من المبشرات من إحياء الوحى بالرؤيا : أى مُطلق ما دل على نبوته ، فتقدمت له أشياء مثل تسليم الحجر والشجر ويحتمل أن تكون « من » للتبويض ، أى من أقسام الوحى . ويحتمل أن تكون بيانية ورجحه القزّاز . واحتترزت بقولها : « من الوحى » عما رآه من دلائل نبوته من غير وحى ، وأول ذلك مطلقا ما سمعه من بحيرا الراهب وما سمعه عند بناء الكعبة حين قيل له : اشدّد عليك إزارك . وكذلك تسليم الحجر والشجر عليه .
الرؤيا : ما يُرى فى المنام .

فى النوم : صفة موضحة ، أو ليخرج رؤيا العين فى اليقظة لجواز إطلاقها مجازا .

فلقّ الصبح وفرّقه بفتح اللام والراء : ضياؤه إذا تميز عن ظلمة الليل وظهور نوره ، وفى الكلام حذف تقديره : جاء تأويلها كفلق الصبح ، وإنما يقال هذا اللفظ فى الشيء الواضح البين .

لم يأت : لم يقرب .

هاله ذلك : أفزعه .

سطا بى : غلبنى .

من النواميس : جمع ناموس . يأتى بيانه .

يتحسّسون : الإحساس : العلم بالحواس .

أبشر : بفتح الهمزة .

نمط : بنون فميم مفتوحين فطاء مهملة : ضرب من البسط ، والجمع أنماط .

فغته : بغين معجمة مفتوحة فمشناة فوقية مشددة أى خنقه .

هبّ من نومه : استيقظ .

حُبَّ : مبى للمفعول ، وعبر به لعدم تحقق الباعث على ذلك وإن كان الكل من عند الله ، أو لينبه على أنه لم يكن من باعث البشر ، أو يكون ذلك من وحى الإلهام .

الخلَاء : بالمد مصدر بمعنى الخلوة ، أى الاختلاء وهو بالرفع نائب عن الفاعل .

الغار : الثقب فى الجبل .

حِرَاء : بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء وبالمد ، وحكى الأصيلي فتحها والقصر ، وعزاها فى القاموس للقاضى وهى لُغِيَّةٌ ، وهو مصروف إن أريد المكان وممنوع إن أريد البقعة ، فهى أربعة : التذكير والتأنيث والمد والقصر . وقد ألغزه بعضهم فقال :

وما اسمٌ أتت فيه وجوهٌ عديدة
يؤنث طَوْرًا ثم طَوْرًا يذكّر
وقد جاء فيه الصّرف أَيْضاً وَمَنْعُهُ
ومن شاء يَمُدُّه ومن شاء يَقْصِرُ

وكذا حُكْمُ قُبَاءٍ وقد نظم بعضهم أحكامهما فقال :

حرا وقبأ ذكّر وأنثهما معاً
ومدّ أو اقصر واصرفن وامنع الصّرفا

وهو جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال على يسار الذهاب إلى مِئى .

يتحنث فيه : بحاء مهملة وآخره مثناة فى موضع الحال ، أى يخلو بالغار متحنثاً فيه . وفى رواية : «فيتحنف» بالفاء فيكون عطفاً على يخلو ، وهو من الأفعال التى معناها السُّلْب أى اجتناب فاعلها لمصدرها ، مثل تأثّم وتَحَوَّب إذا اجتنب الإثم والْحُوب . أو هو بمعنى الرواية الأخرى : يتحنف بالفاء أى يتبع الحنيفية دين إبراهيم ، والفاء تبدل ثاء ، وهو عائد إلى مصدر يتحنف .

التعبد : يأتى الكلام على تعبدته صلى الله عليه وسلم فى أول أبواب عبادته . قال فى «الزَّهر» : أخبرنى القدوة أبو الصَّبْر أيوب السَّعُودى ، قال سألت سيدى أبا السَّعُود بن أبى العثائر : بم كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد فى حراء قال : بالتفكر .

الليالي : أى مع أيامهن ، واقتصر عليهن للتغليب لأنهن آنس للخلوة .

وقال النووى : قوله الليالي متعلّق ببيتحنث ، لا بالتعبّد ، والمعنى يتحنث الليالي ، ولو جعل متعلّقاً بالتعبّد فسدّ المعنى ، فإن التحنث لا يشترط فيه الليالي بل يطلق على الكثير والقليل ، ونصبها على الظرفية .

ووصف الليالي بقوله ذوات العدد قال الكرمانى : لإرادة التقليل كما فى قوله تعالى : (دراهم معدودة) أو الكثرة لاحتياجها إلى العدد وهو المناسب .

قال الحافظ : أما كونه المناسب فمسلّم ، وأما الأول فلا ، لأنّ عادتهم فى الكثير أن يوزن وفى القليل أن يعدّ .

وقد جزم الشيخ ابن أبى جَمْرَةَ بأن المراد به الكثرة لأنّ العدد على قسمين فإذا أُطلق أُريد به مجموع القلة والكثرة ، فكأنّها قالت : ليالي كثيرة أى مجموع قِسْمى العدد ، وأبهم العدد لاختلافه بالنسبة إلى المُدَد التى تخلّلها مجيئه إلى أهله .

تنبيه

هذا التفسير للزهرى وأدرجه فى الخبر ، كما جزم به الطّيبى ، ورواية البخارى فى التفسير تؤيده .

يَتَزَع : بمثناة تحتية مفتوحة فنون فزاي مكسورة : يرجع وزناً ومعنى .

أهله : خديجة وأولاده ويحتمل أن يريد أقاربه .

التزود : استصحب الزاد وهو الطعام الذى يحمله المسافر .

لمثلها : أى الليالي . كما رجحه الحافظ فى كتاب التعبير من « الفتح »^(١) وإن كان رجّح غيره فى تفسير سورة افرأ ، لأنّ مدة الخلوة كانت شهراً ، فكان يتزود لبعض ليالي الشهر فإذا نفذ ذلك الزاد رجع إلى أهله فيتزود قدر ذلك ولم يكونوا فى سعة بالغة من العيش ، وكان غالب أذمهم اللبن واللحم ، وذلك لا يُدخّر منه كفاية شهر لثلا يسرع الفساد إليه ، ولا سيما وقد وصفه بأنّه كان يُطعم من يرد عليه .

(١) أى فتح البارى . انظر فتح البارى لابن حجر ٧/١٦ (ط الحلبي) .

حتى : هنا على بابها ، من انتهاء الغاية ، أى انتهى توجّهه لغار حراء بمجىء الملك فترك ذلك .

فجئته : بفتح الفاء وكسر الجيم ثم همزة ويقال فجأه بفتح الجيم ، لغتان ، أى جاءه الوحي . قاله النووى قال : فإنه صلى الله عليه وسلم لم يكن متوقعا للوحي^(١) .

قال البلقيني : وفى إطلاق هذا النفي نظر ، فإن الوحي كان جاءه فى النوم مراراً ، واستدل بما رواه ابن إسحاق عن عُبَيْد بن عمير أنه صلى الله عليه وسلم وقع له فى النوم نظير ما وقع له فى اليقظة من الغلط والأمر بالقراءة وغير ذلك . قال الحافظ : ففى كون ذلك يستلزم وقوعه فى اليقظة حتى يتوقعه نظر ، فالأولى ترك الجزم بأحد الأمرين .

الحق : قال الطيبي : أى الأمر الحق ، وهو الوحي أو رسول الحق وهو جبريل . وقال البلقيني : أى الأمر البين الظاهر أو المراد : الملك بالحق ، أى الأمر الذى بُعث به .

فجاءه : الملك : هو جبريل بلا خلاف كما قال البلقيني ، واللام فيه لتعريف الماهية لا للعهد ، إلا أن يكون المراد به ما عهده صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، لما كَلَّمه فى صباه ، أو اللفظ لعائشة وقصدت به ما يعهده من تخاطبه به .

قال الإسماعيلي : هى عبارة عما عُرف بعد أنه ملك ، إنما الذى فى الأصل : فجاءه جاءء وكان ذلك الجائى ملكا ، فأخبر صلى الله عليه وسلم عنه يوم أخبر بحقيقة جنسه ، وكان الحامل على ذلك أنه لم يتقدم له معرفة به .

وقال البلقيني : والفاء يحتمل أن تكون سببية أى حتى قضى بمجىء الوحي ، فبسبب ذلك جاءه الملك .

قال الحافظ : وهو أقرب من الذى قبله . وقال فى مكان آخر هذه الفاء تسمى التفسيرية وليست التعقيبية ، لأن مجىء الملك ليس بعد مجىء الوحي حتى يعقّب به بل هو نفسه ، ولا يلزم من هذا التقدير أن يكون من باب تفسير الشئ بنفسه ، بل التفسير عَيْن^(٢) المفسر به من جهة الإجمال وغيره من جهة التفصيل .

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ١٩٩/٢ .

(٢) ت ، م : غاية المفسر به .

فقال «اقرأ» : يحتمل أن يكون هذا الأمر لمجرد التنبيه والتيقظ لما سيُلقى إليه ، وأن يكون على بابه من الطلب ، ويحتمل أن صفة الأمر محذوفة أى قل : اقرأ ، وإن كان الجواب ما أنا بقارىء فعلى ما فهم من ظاهر اللفظ ، وكأن السرفى حذفها لئلا يتوهم أن لفظ قل من القرآن .

قال أبو شامة : وقع في الصحيحين الأمر بالقراءة من غير ذكر المقروء وفي حديث عُبَيْد بن عُمَيْر قال صلى الله عليه وسلم : «فجاءنى وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ» . ففي هذه الرواية بيان المقروء ، إلا أن الأشبه أن هذا المجيء غير الذى في حديث عائشة ، لأن هذا صرح فيه أنه كان فيه مناما وحديث عائشة في البيقظة .

ما أنا بقارىء : وفي لفظ : «ما أحسن أن أقرأ» فما ناشية واسمها أنا وخبرها بقارىء ، ولو كانت استفهامية لم يصلح دخول الباء وإن حكى عن الأخفش جوازه فهو شاذ ، والباء^(١) زائدة لتأكيد النفي ، وتقدم في التنبيه الثانى ما يدل على أنها استفهامية وجزم به بعض الشراح .

فَغَطَّنِي : بغين معجمة فطاء مهملة أى عصرنى وضمنى ، يقال غَطَّه وَغَتَّه بالنين المعجمة وضغظه وخنقه وَغَمَرَهُ ، كله بمنى . وفي رواية الطبرى : فَتَحَّتْنِي بثناء مثناة فوقية . وفي رواية عند أبى داود الطيالسى : فَأَخَذَ بِحَلْقِي .

حتى بلغ منى الجُهد : يجوز فتح الجيم وضمها ، وهو الغاية والمثقة . ويجوز نصب الدال وضمها أى بلغ الغَطُّ منى الجهد أى غاية وسعى فهو مفعول حُذِفَ فاعله ، ويروى بضم الجيم والدال أى بلغ منى الجهد مَبْلَغُهُ ، فهو فاعل بَلَغَ .
فَأَرْسَنَنِي : أطلقنى .

فخرج بها : أى رجع مصاحباً للآيات الخمس المذكورة
يَرْجُفُ : بضم الجيم : يخفق ويضطرب .

(١) ط : وأنها زائدة .

الفؤاد : قال الزمخشري : وسط القلب ، سمي بذلك لتفؤده أى توقده . وفسر الجوهري القلب بالفؤاد ، ثم فسر الفؤاد بالقلب .

قال الزركشى : والأحسن قول غيره أن الفؤاد غشاء القلب والقلب حَبْتُهُ وسويداؤه ، فإذا حصل للوعاء الرِّجَفَان حصل لما فيه فيكون في ذكره من تعظيم الأمر ما ليس في ذكر القلب .

ويؤيد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم « أَلَيْنَ قُلُوبًا وَأَرْقُ أَفْتَدَةً »^(١) . وهو أولى من قول بعضهم أنه كرر لاختلاف اللفظ .

بَوَادِرُهُ : قيل المراد بها اللحمة التي بين المنكَب والعنق ، وجرت العادة بأنّها تضطرب عند الفَرْع ، وعلى ذلك جرى الجوهري أى اللحمة المذكورة سميت بلفظ الجمع وتعقبه ابن بَرِّي فقال : البوادر جمع بادرة وهى ما بين المنكَب والعنق يعنى أنه لا يختص بعضو واحد ، وهو جيد فيكون إسناد الرجفان إلى القلب لكونه محلّه ، وإلى البوادر لأنها مظهره .
خَشِيتُ عَلَى : بالتشديد وفى رواية على نفسى .

الرُّوع : براء مفتوحة فواو ساكنة فعين مهملة : الفرع . والرُّوع بضم الراء موضع الفرع من القلب .

كَلًا : قال النووى تبعاً لغيره : هى كلمة نفي وإبعاد وقد تأنى بمعنى حقاً وبمعنى الاستفتاح^(٢) . وقال القَزَّاز : هى هنا بمعنى الردِّ لِمَا خَشِى على نفسه ، أى لاجشية عليك ، ويؤيده أن فى رواية أبى مَيْسرة : فتمالت معاذ الله .

ومن اللطائف أن هذه الكلمة التى ابتدأت خديجة رضى الله تعالى عنها النطق بها عقب ما ذكر لها النبىُّ صلى الله عليه وسلم من القصة التى وقعت له ، هى التى وقعت عقب الآيات الخمس من سورة اقرأ فى نَسَقِ التلاوة ، فجرت على لسانها اتفاقاً لأنها لم تكن نزلت بعد ، وإنما نزلت فى قصة أبى جهل ، وهذا هو المشهور عند المفسرين .

(١) أى فى وصفه أهل اليمن بذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم : « أتاكم أهل اليمن أَلَيْنَ قُلُوبًا وَأَرْقُ أَفْتَدَةً » .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ٢٠١/٢ .

لا يُخْزِيكَ : مثناة تحتية مضمومة فمعجمة فزاي فمثناة تحتية . وفي لفظ : يُخْزِنُكَ
بحاء مهملة فزاي فنون ثلاثيا ورباعيا ، قال اليزيدى : أجزنه : لغة تميم ، وحزّنه لغة
قريش والحزن^(١) : الوقوع في بلية وشهرة بذلة .

نَيْنَوَى : بنون ، قال ياقوت في « المشترك » بنون مكسورة ، فمثناة تحتية ساكنة
فنون فواو فألف قال ياقوت : بلد قديم كان مقابل مدينة الموصل خرب وقد بقي من آثاره
شيء وبه كان قوم يونس وجرجس عليهما الصلاة والسلام ، وكذا وجد مضبوطا بكسر
النون الأولى في نسخة صحيحة من كتاب « الذَّيْلُ وَالصَّلَة » لكتاب التكملة للصَّغَانِي وعليها
خطه في مواضع كثيرة . وقال أبو ذر : روى بضم النون وبفتحها وهو أشهر .

قُدُوس : بضم القاف وتفتح : الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص . وفُعُول بالضم
والتشديد من أبنية المبالغة . قال في النور : والظاهر أن معنى هذا الكلام التعجب مثلما
يقول القائل : الله الله ويحتمل أن يريد : أنت قدوس أي طاهر منزّه عن المعاصي يشير
بذلك إلى أنه نبيّ .

عَدَّاس : بعين مفتوحة فдал مشددة وآخره سين مهملات .

الرَّحِم : القرابة وصلتها بالإحسان إليها على حسب حال الواصل والموصول ، فتارة
يكون بالمال وتارة بالخدمة وتارة بالزيارة وغير ذلك .

الْكَلّ : بفتح الكاف وتشديد اللام وهو الذي لا يستقلّ بأمره أو الثقل بكسر المثناة
وإسكان القاف .

تَكْسِبُ المَعْدُوم : بفتح المثناة الفوقية : أي تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك ،
فحذف أحد المفعولين ، يقال : كَسَبْتُ الرجلَ مالاً واكتسبته بمعنى ، وقيل معناه تكسب
المالَ المَعْدُوم وتصيب منه ما لا يصيبه غيرك وكانت العرب تتماجد بكسب المال لاسيما
قريش ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة محظوظا في التجارة كما سبق بيان
ذلك ، وإنما يصح هذا المعنى هنا إذا ضُمَّ إليه ما يليق به من أنه كان مع إفادته للمال يجود
به في الوجوه التي ذُكرت من المكرمات .

(١) كذا ولعلها : الخزي .

وفي رواية : بضم المثناة الفوقية ، من اكتسبت ، أى تُكسب غيرك المال المعلوم أى تتبرع له به ، فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه ، أو تعطى الناس مالا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق .

والرواية الأولى قال القاضى : أصح . وعلى الرواية الثانية قال الخطابى : الصواب المعدم بلا واو أى الفقير لأن المعلوم لا يُكسب .

وأجاب صاحب التحرير بأنه لا يمتنع أن يُطلق على المعدم المعلوم ، لكونه كالمعلوم الميت الذى لا تصرف له . والكسب هو الاستفادة فكأنها قالت : إذا رغب غيرك أن يستفيد مالا موجودا رغبت أنت أن تفيد^(١) رجلا عاجزا فتعاونه .

وقال قاسم بن ثابت فى الدلائل : تكسب المعلوم : معناه ما يعلّمه غيره ويعجز عنه ويصيبه وهو يكسبه ، وأنشد على ذلك شاهدين من كلام العرب .

وفى تهذيب الأزهري عن ابن الأعرابى : رجل عديم : لا عقل له . ومعلوم : لآمال له . قال الدمامينى : كأنهم نزلوا وجود من لا مال له منزلة العدم . تقرى الضيف : بفتح أوله بلا همز ثلاثيا قال الآبى : وسُمع بضمها رباعيا ، أى تهيء له طعامه وشرابه .

نوائب الحق : حوادثه . وإنما أضافت^(٢) النوائب للحق لأنها تكون فى الحق والباطل ورقة : بفتح الراء

تنصر : صار نصرانيا .

الجاهلية : ما كان قبل البعثة .

فكان يكتب الكتاب العبرانى : وفى رواية : العربى .

يكتب من الإنجيل بالعبرانية وفى رواية بالعربى والجميع صحيح ، لأن ورقة تعلم اللسان العبرانى والكتابة العبرانية فكان يكتب الكتاب العبرانى كما كان يكتب الكتاب العربى لتمكنه من الكتابين واللسانين .

(٢) أى خديجة رضى الله عنها .

(١) ط : تستفيد .

يا بن عم : هذا نداء على الحقيقة . ووقع في مُسلم : يا عم . قال الحافظ : وهو وَثْمُ
لأنه وإن كان صحيحا لجواز إرادة التوقيف لكن القصة لم تتعدد ومُخرجها مُتحد فلا
يُحمل على أنها قالت ذلك مرتين ، فتعين الحملُ على الحقيقة .

الناموس : صاحب السر ، كما جزم به البخارى في أحاديث الأنبياء ، يقال نَمَسْتُ
السِّرَّ بفتح النون والميم أَنَمَسَهُ بكسر الميم نَمَسًا : كتمته . ونَمَسْتُ الرَّجُلَ ونَامَسْتُهُ : سارَرْتُهُ .
قال الحافظ : وزعم ابن ظفَر وغيره أن الناموس صاحب سر الخير ، والجاسوس صاحب
سر الشر ، والأول الصحيح الذى عليه الجمهور وقد سَوَّى بينهما رُوْبَةُ بن العجاج أحد
فصحاء العرب .

والمراد بالناموس هنا جبريل عليه الصلاة والسلام وسمى بذلك لأن الله تعالى خصه
بالغيب والوحى .

يا ليتنى فيها : أى أيام الدعوة .

جَذَعًا : بفتح الجيم والذال المعجمة ، وروى فى الصحاح بفتح العين وبضمها قال
ابن بَرَى : التقدير يا ليتنى جُعِلْتُ فيها جذعا . وقيل النصب على الحال إذا جعلت فيها
خبر ليت ، والعامل فى الحال ما يتعلق به الخبر من معنى الاستقرار ، قاله القاضى والسهيل .
قال النووى : وهو الصحيح الذى اختاره أهل التحقيق والمعرفة من شيوخنا . والجذع :
الصغير من البهائم كأنه تمنى أن يكون عند ظهور النبى صلى الله عليه وسلم شابًا ليكون
أَمْكَنَ لنصره .

أَوْ مُخْرِجِيَّ هُم : بفتح الواو وتشديد الياء وفتحها جمع مُخْرِج ، فالياء الأولى ياء
الجمع والثانية ضمير المتكلم ، وفتحت للتخفيف لثلا يجتمع الكسر والياءان بعد كسرتين ،
فهُم : مبتدأ مؤخر ، ومُخْرِجِيَّ : خبر مُقَدَّم .

إلا عُودِيَّ : وفى رواية : إلا أُوذِيَّ .

لَتُكْذِبْنَهُ ، إلى آخره : قال السهيلي لا ينطق بهذه الهاء إلا ساكنة لأنها هاء السكت
وليست بهاء إضمار ، وقال الخُشَنَى : الهاء للسكت . كذا جاءت الرواية بسكونها ، ويختل
أن تكون ضميرا منتصبا بالفعل ولكن كذا جاءت الرواية .

مُؤَزَّرًا - بالهمز للأكثر وتشديد الزاي بعدها راء من التَّأْزِير والتقوية وأصله من الأَزَر ،
والصواب موزراً بغير همز من وازرته مُوَازرةً إذا عاونته ، ومنه أخذ وزير الملك ، ويجوز
حذف الألف فتقول نصرًا مُوزَرًا . قال الحافظ ويرد عليه قول الجوهري : آزرت فلانا
عاونته ، والعامّة تقول وازرته .

وقال الإمام أبو شامة : يحتمل أن يكون من الإزار ، أشار بذلك إلى تسميره في
نُصْرته . قال الأخطل :

قومٌ إذا حاربوا شدوا مآزرهم^(١) . البيت .

اليافوخ - بمناء تحتيّة فهمزة ففاء فواو فخاء معجمة : وسط الرأس ، يقال في رأس
الطفل حتى يشتد .

لم يَنْشَب - بفتح الشين المعجمة أى لم يلبث ، وأصل النشوب التعلّق ، أى لم يتعلق بشيء
من الأمور حتى مات .

* * *

(١) ديوان الأخطل ص ١٢٠ (النسخة المصورة بقطر) .

الباب التاسع

في كيفية إنزال الوحي

قال الله سبحانه وتعالى : « شهرُ رمضانَ الذي أنزلَ فيه القرآنَ » وقال الله تبارك وتعالى : « إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : فصل القرآن من الذكر ودُفع إلى جبريل فوضعه في بيت العِزَّة من السماء الدنيا في ليلة القدر جملة واحدة ، وكان الله ينزله على رسوله بعضه إثر بعض تُجوماً على مَوَاقِع النجوم رُسُلاً لجواب كلام العباد وأعمالهم في عشرين سنة ثم قرأ^(١) : « ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحقِّ وأحسنَ تفسيراً . وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكثٍ ونزلناه تنزيلاً » .

رواه الحاكم والبيهقي من طريق سعيد بن جبَّير ، والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي من طريق آخر ، والطبراني من طريق آخر ، والبزار من طريق آخر ، وابن أبي شَيْبَةَ من طريق آخر .
رسلاً : أى رفقاء .

على مَوَاقِع النجوم : أى على مثل مَسَاقِطِهَا ، يريد : أنزل مُفَرَّقاً يَتْلُو بعضه بعضاً على تَوَدُّدٍ ورفق .

وهذا . قال الزركشى في البرهان والشيخ في الإتيان : إنه الأصحُّ الأشهر ، وقال الحافظ في الفتح : إنه الصحيح المعتمد^(٢) .

وقيل : إنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قَدَرٍ أو ثلاثٍ وعشرين ، أو خمس

(١) ت ، م : ثم قال .

(٢) البرهان للزركشى ٢٣١/١ « تحقيق الأستاذ أبو الفضل إبراهيم » والإتيان للسيوطي ١٢١/١ (تحقيق الأستاذ أبو الفضل إبراهيم) وفتح الباري ٣٧٨/١٠ .

وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله تعالى إنزاله في كل سنة ، ثم نزل بعد ذلك مسجما في جميع السنة .

وقيل إنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفات .

وقيل إنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة ، وإن الحفظلة نزلته على جبريل في عشرين ليلة ، ونجّمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : قيل : السرّ في إنزاله جملة إلى السماء تفخيم أمره وأمر من أنزل عليه ، وذلك بإعلام سُكَّانِ السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قربناه إليهم لتنزله عليهم ، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجما بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله ، ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين : إنزاله جملة ثم إنزاله مفرقا تشريفا للمنزل عليه . ذكر ذلك أبو شامة رحمه الله تعالى .

وقال الحكيم الترمذى رحمه الله تعالى : إنزال القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا تسليما منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحفظ بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن بعثته كانت رحمة ، فلما خرجت الرحمة بفتح الباب جاءت بمحمد وبالقرآن ، فوضع القرآن ببيت العزة في السماء الدنيا ليدخل في حد الدنيا ، ووضعت النبوة في قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، وجاء جبريل بالرسالة ثم الوحي ، كأنه أراد تعالى أن يسلم هذه الرحمة التي كانت حظّ هذه الأمة من الله تعالى إلى الأمة .

وقال الإمام أبو الحسن السَّخَاوِي في «جمال القرآن» . في نزول القرآن إلى السماء جملة تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم ، ولهذا المعنى أمر سبعين ألفا من الملائكة أن تشيع سورة الأنعام ! وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل بإملائه على السفرة الكرام وإنساخهم إياه وتلاوتهم له .

قال : وفيه أيضا التسوية بين نبينا وبين موسى في إنزال كتابه جملة ، والتفضيل لمحمد صلى الله عليه وسلم في إنزاله عليه منجما ليحفظه .

• • •

الثاني : قال أبو شامة رحمه الله تعالى : الظاهر أنه نزل جملة إلى السماء الدنيا قبل ظهور نبوته صلى الله عليه وسلم . قال : ويحتمل أن يكون بعدها .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : والظاهر الثاني .

وسباق الآثار السابقة عن ابن عباس صريح فيه .

وقال الحافظ : قد أخرج أحمد والبيهقي في الشعب^(١) عن واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة خلت منه ، والزبور لثمان عشرة خلت منه ، والقرآن لأربع وعشرين خلت منه^(٢)» . وفي رواية : «وصُحف إبراهيم لأول ليلة» .

قال : وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى : «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن»^(٣) . ولقوله «إنا أنزلناه في ليلة القدر»^(٤) فيحتمل أن تكون ليلة القدر في تلك السنة كانت تلك الليلة ، فأُنزل فيها جملة إلى السماء الدنيا ، ثم أنزل في اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض أول «اقرأ باسم ربك» .

قال الشيخ : لكن يُشكل على هذا ما اشتهر من أنه بُعث في شهر ربيع الأول . ويجب عن هذا بما ذكره أنه صلى الله عليه وسلم نبئ أولا بالرؤيا في شهر مولده ، ثم كانت مدتها ستة أشهر ، ثم أوحى إليه في اليقظة ، ذكره البيهقي وغيره .

• • •

(١) غير ط : في المبعث .

(٢) مستند أحمد ١٠٧/٤ . وسيرة ابن كثير ٣٩٣/١ .

(٣) سورة البقرة ١٨٥ .

(٤) سورة القدر ١ .

الثالث : قال أبو شامة : إن قيل ما السرى نزوله منجما وهلاً نزل كسائر الكتب جملة ؟ قلنا : هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جُمْلَةً واحدة »^(١) يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل ، فأجابهم تعالى بقوله « كذلك » أى أنزلناه كذلك مفرداً « لنثبت به فؤادك »

أى لنقوى به قلبك ، فإن الوحي إذا كان يتجدد فى كل حادثة كان أقوى للتأليب وأشدّ عناية بالمرسل إليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملائكة إليه وتجديد العهد به وبنا معه من الرسالة الواردة من ذلك الجنب العزيز فيحدث له من السرور ما تقتصر عنه العبارة ولهذا كان أجود ما يكون فى رمضان لكثرة لقائه جبريل . وقيل معنى « لنثبت به فؤادك » : أى لنحفظه لأنه عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ففرق عليه ليثبت عمده حفظه بخلاف غيره من الأنبياء فإنه كان كاتباً قارئاً فيمكنه حفظ الجميع .

وقال غيره : إنما لم ينزل جملة واحدة لأن منه النسخ والمنسوخ ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرداً ، ومنه ما هو جواب لسؤال ، ومنه ما هو إنكار على قول قيل أو فعل فعل ، وقد تقدم ذلك فى قول ابن عباس : « ونزل به جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم » . وبه فسر قوله تعالى : « ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق »^(٢) . فالحاصل : أن الآية تضمنت حكمتين لإنزاله مفرداً .

* * *

الرابع : قال الأصفهاني : اتفق أهل السنة والجماعة على أن كلام الله تعالى منزل واختلفوا فى معنى الإنزال ، فمنهم من قال : إظهار القراءة ومنهم من قال : إن الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو فى السماء وهو عال من المكان وعلمه قراءته ، ثم جبريل أداه فى الأرض وهو يهبط فى المكان .

(١) سورة الفرقان ٣٢ .

(٢) سورة الفرقان ٣٣ .

وفى التنزيل طريقان : أحدهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية وأخذه من جبريل .

والثاني : أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه .
والأول أصعب الحالين .

وقال الحافظ : جرت العادة بالمناسبة بين القائل والسماع ، وهى هنا إما باتصاف السماع بوصف القائل بغلبة الروحانية وهو النوع الأول ، وإما باتصاف القائل بوصف السماع وهو البشرية وهو النوع الثانى ، والأول أشد بلا شك .

وقال الطيبي : لعل نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا ، أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به إلى الرسول ويلقيه عليه .

وقال القطب الرازى فى حواشى الكشاف : الإنزال لغة بمعنى الإيواء وبمعنى تحريك الشيء من علو إلى سفلى ، وكلاهما لا يتحققان فى الكلام ، فهو مستعمل فيه فى معنى مجازى ، فمن قال : القرآن معنى قائم بذات الله تعالى : فإنزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ويثبتها فى اللوح المحفوظ ، وهذا المعنى مناسب لكونه منقولا عن أول المعنيين اللغويين ، ويمكن أن يكون المراد بإنزاله إثباته فى السماء الدنيا بعد الإثبات فى اللوح المحفوظ ، وهذا مناسب للمعنى الثانى ، والمراد بإنزال الكتب على الرسل أن يلقفها الملك تلقفا روحانيا أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم .

وقال الشيخ رحمه الله تعالى فى فتاويه : وسألت شيخنا العلامة محيى الدين الكافيجي عن كيفية التلقف الروحاني فقال لى : لا بكيف .

وقال البيهقي رحمه الله تعالى فى معنى قوله تعالى : إنا أنزلناه فى ليلة القدر « يريد والله تعالى أعلم : إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياء وأنزلناه . بما سمع ، فيكون الملك مُنتقلا به من علو إلى سفلى .

قال أبو شامة : هذا المعنى مُطرد فى جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن أو إلى شئ منه يحتاج إليه أهل السنة المعتقدون قديم القرآن وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ويؤيد أن جبريل تلقفه سماعاً من الله تعالى ما أخرجه الطبراني من حديث النّوّاس بن سَمْعان رضى الله تعالى عنه مرفوعاً : إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفةً شديدة من خوف الله تعالى ، فإذا سمع بذلك أهلُ السماء صُعِقُوا وَخَرُوا سُجّداً فيكون أولّهم يرفع رأسه جبريلُ ، فيكلمه الله تعالى بما أراد فينتهى به على الملائكة فكلما مرَّ بسما سألَه أهلُها : ماذا قال ربُّنا ؟ قال : الحق . فينتهى به حيث أمر .

وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود رفعه : إذا تكلم الله تعالى بالوحي يسمع أهلُ السماء صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان فيفزعون ويرون أنه من أمر الساعة . فذكر نحو ما سبق . وأصل الحديث في الصحيح^(١) .

وقال الإمام العلامة شهاب الدين محمد بن أحمد بن الخليل الخولى - بضم الخاء المعجمة - رحمه الله تعالى : كلام الله تعالى المنزل قسمان : قسم قال الله تعالى لجبريل قل للنبي الذى أنت مرسل إليه : إن الله يقول افعل كذا وكذا وأمر بكذا وكذا - ففهم جبريل ما قاله ربه ثم نزل على ذلك النبي وقال له ما اتاك له ربه ، ولم تكن العبارة تلك العبارة ، كما يقول الملك لمن يثق به قل لفلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة واجمع جنودك للقتال . فإن قال الرسول : يقول لك الملك لا تنهون في خدمتي ولا تترك الجندَ يتفرّق وحُثم على المقاتلة ، لا يُنسب إلى كذب أو تقصير في أداء الرسالة .

وقسم آخر قال الله تعالى لجبريل : اقرأ على النبي هذا الكتاب . فنزل جبريل بكلام الله تعالى من غير تغيير ، كما يكتب الملك كتاباً ويسلمه إلى أمين ويقول اقرأه على فلان ، فهو لا يغيّر منه كلمة ولا حرفاً .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : القرآن هو القسم الثاني ، والقسم الأول هو السنة ، كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن .

(١) صحيح البخارى كتاب التوحيد باب ٣٢ وكتاب التفسير (سورة الحجر وسورة سبأ) وسنن الترمذى كتاب التفسير ، سورة سبأ .

الباب العاشر

في شدة الوحي وثقله

قال الله سبحانه وتعالى : « إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا »^(١) .

وقال زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفخذه على فخذي فكادت فخذه ترض فخذي .
رواه الشيخان^(٢) .

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها : إن كان ليُوحَى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على راحلته فتضرب بجرانها فما تستطيع أن تتحرك حتى يُسرَّى عنه . وتلت الآية^(٣)
رواه الإمام أحمد^(٤) وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه .

وقال أبو أروى اللّؤسى - بفتح الدال المهملة - رضي الله تعالى عنه : رأيت الوحي
ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه على راحلته فترغو وتقتل يديها حتى أظن أن
ذراعها تنقص ، فربما بركت وربما قامت مؤتدة يديها حتى يُسرَّى عنه من ثقل الوحي ،
وإنه ليتحدر منه مثل الجمان .
رواه ابن سعد^(٥) .

وقال عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا نزل عليه الوحي كُرب لذلك وتربّد وجهه وغمض عينيه .
رواه مسلم^(٦) .

(١) سورة المزمل ٥ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الصلاة ، وكتاب الجهاد ، وكتاب التفسير (سورة النساء) وسنن الترمذي كتاب التفسير
(سورة النساء) .

(٣) أي قوله تعالى : « إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا » .

(٤) مستد أحمد ١١٨/٦ .

(٥) طبقات ابن سعد ١٩٧/١ (ط بيروت) .

(٦) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٨ .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه لم يستطع أحدٌ منا يرفع طرفه إليه حتى يُقضى الوحي .
رواه مسلم^(١) .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي يَغْطُ في رأسه ويتربّد وجهه ويجد برّداً في ثناياه ويغرق حتى لينحدر منه مثلُ الجمان .

رواه ابن سعد^(٢)

وقالت أسماء بنت يزيد رضى الله تعالى عنها : كنت آخذةً بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت عليه سريرة المائدة فكاد ينكسر عضدها من ثقل السورة .
رواه الإمام أحمد والطبراني^(٣) .

وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المائدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها^(٤) .

قال الحافظ عماد الدين بن كثير : وثبت في الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته ، فكأنه يكون تارة وتارة بحسب الحال^(٥) .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : لقد رأيته - تعنى النبي صلى الله عليه وسلم - ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً .
رواه البخاري^(٦) .

وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

(١) صحيح مسلم كتاب الجهاد حديث رقم ٨٤ .

(٢) لم يرد ذلك في طبقات ابن سعد في باب ذكر شدة نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم والذي فيه عن عائشة : « ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً » . وهي الرواية الواردة في الصحيحين الطبقات ١٩٨/١ .

(٣) مسند أحمد ٤٥٥/٦ ، ٤٥٨ . وسيرة ابن كثير ٤٢٤/١ .

(٤) سيرة ابن كثير ٤٢٤/١ .

(٥) سيرة ابن كثير ٤٢٤/١ .

(٦) صحيح البخاري كتاب بدء الوحي باب ٢ وسنن الترمذي كتاب المناقب باب ٧ ومسند أحمد ٢٥٧/٦ .

يا رسول الله هل تحسّ بالوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسمع صلاصلا ثم أسكت عند ذلك ، فما مرة يوحى إليّ إلا ظننت أن نفسي تُقبَض .
رواه أحمد^(١) .

وروى ابن سعد عن عكرمة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه وقد لذلك ساعة كهيفة السكران^(٢) .

وقال يعلى بن أمية إنه كان يقول : « ليتني أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه الوحي فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وعليه ثوب قد أظلم عليه ومعه ناس من أصحابه فيهم عمر إذ جاءه رجل متضمخ بطيب فقال : يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرّم في جبة بعدما تضمخ بطيب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سكت ، فجاءه الوحي فأشار عمر : أن تعال ، فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا هو محمراً الوجه يغط كما يغط البكر ، كذلك ساعة ثم سرى عنه » الحديث .
رواه الشيخان^(٣) .

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها في حديث الإفك : فأخذه - يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم - ما كان يأخذه من البرحاء .

رواه الشيخان^(٤) .

وقالت أيضاً : وكان إذا أتاه الوحي أخذه السبل .

رواه الحاكم .

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي تربد لذلك جسده ووجهه وأمسك عن أصحابه ولم يكلمه أحد منهم .

(١) مستد أحمد ٢/٢٢٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ١/١٩٧ (ط بيروت) .

(٣) صحيح البخاري كتاب العمرة باب ١٠ وصحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ٦ .

(٤) صحيح البخاري كتاب الشهادات ، وكتاب المغازي ، وكتاب التفسير (سورة النور) وصحيح مسلم كتاب التوبة حديث رقم ٥٦ .

رواه أبو داود الطيالسي^(١) .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي صُدِعَ وغُلِّفَ رأسه بالحِجَاءِ .

رواه أبو نُعَيْم^(٢) . وله طرق تَأْتِي- في طَبِّهِ صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يعالج من التنزيل شدة^(٣) يحرك به لسانه وشفتيه من حُبِّه إياه ، فأنزل الله تعالى : « لا تحرك به به لسانك لتعجل به إِنَّ علينا جَمْعَهُ وقرآنه » قال : جَمَعَهُ لك في صدرك ثم تقرأه . فإذا قرأناه فاتَّبِعْ قرآنه » فاستمع وأنصت . « ثم إِنَّ علينا بيانه » فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه جبريلُ بعد ذلك استمع فإذا انطلق جبريلُ قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما وعده الله تعالى .

رواه الشيخان وابن سعد^(٤) .

وروى الحاكم وصحَّحه عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي لم يستطع أحدٌ منا يرفع إليه طَرَفَهُ حتى ينقضى الوحي .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : قال الإمام أبو شامة : وهذا العرق الذى كان يَغْشاه واحمرار الوجه والغَطِيط وثِقَلُهُ على الراحلة وعلى الفخذ لثقل الوحي ، كما أخبره بذلك الله تبارك وتعالى في ابتداء أمره بقوله : « إِنَّا سَنُلْقِيْكَ عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً » وذلك لضعف قُوَى البَشَرِ عن تحمل مثل ذلك الوارد العظيم من ذلك الجَنَابِ الجليل .

قال ابن إسحاق : وللنبوة أثقال ومُؤَنَةٌ لا يحملها إِلَّا أَهْلُ القُوَّةِ والعَزْمُ من الرسل يعون الله تعالى^(٥) .

(١) سيرة ابن كثير ٤٢٣/١ .

(٢) سيرة ابن كثير ٤٢٣/١ . قال ابن كثير : هذا حديث غريب جدا .

(٣) الأصل أشده . وما أثبتته من الصحيحين وابن سعد .

(٤) صحيح البخارى كتاب بدء الوحي ، وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٤٨ . وطبقات ابن سعد ١٩٨/١ .

(٥) سيرة ابن هشام ٢٤٠/١ (ط الحلى الثانية) .

الثاني : قال شيخ الإسلام البُلُقيني : هذا الذى كان يحصل له حين تلقى الوحي من الجَهْد حالٌ يؤخذ فيه عن حال الدنيا من غير موت ، وهو مقام بَرَزَخِي يحصل له عند تلقى الوحي ، ولما كان البرزخ العام ينكشف فيه للميت كثير من الأحوال خص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ببرزخ في الحياة يُلْقَى إليه فيه وَخِيه المشتمل على كثير من الأسرار ، وقد يقع لكثير من الصلحاء عند الغيبة بالنوم أو غيره اطلاقاً على كثير من الأسرار ، وذلك مستمد من المقام النبوى ، ويشهد له قول النبي صلى الله عليه وسلم : « رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة »^(١) . انتهى .

وثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها : لما نزلت آية الحجاب وأن سَوْدَةَ خرجت بعد ذلك إلى المناصع ليلاً فقال عمر : قد عرفناك يا سَوْدَةَ ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته وهو جالس يتعشى والعرق في يده ، فأوحى الله تعالى إليه والعرق في يده ثم رفع رأسه فقال : إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتك^(٢) .

قال ابن كثير : فدل هذا على أنه لم يكن عند الوحي يغيب عنه إحساسه بالكلية بدليل أنه جالس لم يسقط ولم يسقط العرق من يده^(٣) . انتهى .

[تفسير الغريب]

المناصع - بفتح الميم وكسر الصاد المهملة : صَعِيدٌ أَفِيح خارج المدينة .

العرق - بعين مهملة مفتوحة فراء ساكنة فقاق : العظم الذى عليه اللحم والقطعة من اللحم . وسيأتى الكلام عليه^(٤) في أبواب مناماته صلى الله عليه وسلم .

* * *

الثالث : قال ابن كثير : تحريكه صلى الله عليه وسلم لسانه عند إلقاء الوحي إليه كان في الابتداء كان صلى الله عليه وسلم من شدة حِرْصه على أخذه من الملك ما يوحى إليه عن الله

(١) أخرجه البخارى في صحيحه كتاب التنبيه ، رُسم في صحيحه كتاب الرؤيا حديث رقم ٦ ، ٧ ، ٨ .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة الأحزاب) .

(٣) سيرة ابن كثير ١/٤٢٣ .

(٤) أى على الحديث السابق .

تعالى يساويه في التلاوة ، فأمره الله تعالى أن أنصت لذلك حتى يفرغ من الوحي ، ولهذا قال : « ولا^(١) تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا^(٢) » .

وقال الحافظ : اختلف في سبب تحريكه صلى الله عليه وسلم لسانه وشفتيه . ففي رواية : يخشى أن يتفلت منه . وفي لفظ : خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره فيشتد عليه ، وفي رواية أنه كان إذا نزل عليه جعل يتكلم من حبه إياه .

قال الحافظ : وظاهر الرواية الثانية أن السبب في المبادرة حصول المشقة التي يجدها عند النزول ، فكان يتعجل ما يأخذه لتزول المشقة سريعاً . وظاهر الثالثة أنه كان يتكلم بما يلقى الله منه أولاً فآولاً ، من شدة حبه إياه فأمر أن يتأني إلى أن ينقضي النزول . قال الحافظ : ولا بُد في تعدد السبب .

* * *

الرابع : في بيان غريب ماسبق :

تَرَضَّ فخذى : تدقّه وتكسّره .

الجرّان - بجيم مكسورة فراء : باطن العنق ومعناه : أنها تفعل ذلك لشدة الوحي وثقله .

يُسْرَى - بضم أوله وتشديد الزاء المفتوحة والقصر : أى يكشف ذلك عنه ويزول .

تَرغُو - بغين معجمة : تصيح .

تَفْتَل يديها : تدبرهما من ثقل ما عليها .

تنقصم : تنكسر وتندق .

موتلة يديها - بضم الميم من الوتيد . قال الشيخ في مختصر النهاية : ووتيد الأرض :

صوت شدة الوطء على الأرض يُسمع كاللوى من بُعد .

الجَمَان - بجيم مضمومة فميم مفتوحة : اللؤلؤ ، شبهت قطرات حرقه بالجمان لتشابهها

في الصفاء والحسن .

كرب لذلك - بضم الكاف وكسر الراء : أى أصابه الكرب أى الشدة فهو مكروب ،

والذى كَرَبه كَارِبٌ .

(١) سورة طه ١١٤ .

(٢) سيرة ابن كثير ٤٢٥/١ .

التربُّد - بالراء ودال مهملة في آخره : كُمودة في اللون وهي غُبرة في سواد .
الْقَطُّ - بغين معجمة وطاء مهملة مشددة ، والغطيظ : صوت يخرج من نفَس النَّائم وهو ترديده حيث لا يجد مَسَاغَا .

يَقْصُم عنه : بفتح أوله وسكون الفاء وكسر المهملة : أى يُقْلَع وَيَنْجَلِي . ويروى بضم أوله من الرباعي وفي رواية بضم أوله وفتح الصاد مَبْنِيًّا للمفعول ، وأصل الْقَصْم القطع ، وقيل الْقَصْم بالفاء : القطع بلا إبانة . وبالقاف : القطع بإبانة فَعْبَر بالقصم إشارة إلى أن الملك فارقه ليعود ، والجامع بينهما بقاء العُلُقَة .

يَتَفَصَّد عِرْقًا : أى يجرى منه كما يجرى الدم من الْفِصَاد^(١) .
الصَّلَاصِل : بفتح المهملة الأولى وكسر الثانية : جمع صَلَصَلَة بفتح المهملتين بينهما لام ساكنة ، وهي صوت وَقَعَ الأشياء الصُّلْبَة اليابسة بعضها على بعض ، ثم أُطلق على صوت له طَنِين .

وُقِذَ - بواو مضمومة فقفاف مكسورة فذال معجمة مفتوحة : يقال وَقِذَ النَّعَاسُ : إذا غلب عليه .

الجِفرانة - بكسر الجيم وسكون العين المهملة ونقل ابن المديني عن أهل العراق كسر العين وشدَّ الراء . وقال الشافعي والخطابي : المحدثون يُخَطِّثُونَ في تشديدها وقد أولع أصحاب الحديث به ، والصواب الأول : موضع على سبعة أميال من مكة إلى جهة الطائف .
منضَمَخٌ : منلَطَخ .

البُرْحَاء - بباء موحدة مضمومة فراء مفتوحة فحاء مهملة فألف ممدودة : شدة الحمى ، وقيل شدة الكرب ، وقيل شدة الحر .

السَّيْلُ - بفتح السين المهملة والموحدة داء في العين شِبْه غِشَاوَة كأنها نسج العنكبوت .
المعالجة : محاولة الشيء بمشقة إن كان العلاج ناشئا من تحريك الشفتين ، أى مَبْدَأ العلاج منه ، وما موصولة ، وأطلقت على من يَعْقِل مجازًا .

(١) الفصاد : شق العرق لإخراج الدم .

هكذا قرره الكيرمانى . قال الحافظ : وفيه نظر ، لأن الشدة حاصله له قبل التحريك ، والصواب ما قاله ثابت السرقسطى^(١) أن المراد : كان كثيراً ما يفعل ذلك ، وورود «مما» في هذا كثير ، ومنه حديث الرؤيا : «وكان مما يقول لأصحابه : من رأى منكم رؤيا^(٢)» .

قال الحافظ : ويؤيده رواية البخارى في التفسير عن عائشة ولفظها : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل بالوحى فكان مما يحرك شفثيه^(٣)» ، فأتى بهذا اللفظ مجرداً عن تقدم العلاج الذى قدره الكيرمانى فظهر ما قاله ثابت .

ووجه ما قاله غيره : أن «من» إذا وقع بعدها «ما» كانت بمعنى ربما ، وهى تطلق على الكثير كما تطلق على القليل . وفى كلام سيبويه مواضع من هذا ، منها قوله : اعلم أنهم مما يحذفون كذا . ومنه حديث البراء : كنا إذا صلينا خلف النبي صلى الله عليه وسلم مما يحب أن يكون عن يمينه .

(١) نسبة إلى سرقسطة مدينة على ساحل البحر من بلاد الأندلس . الباب ١/٥٤٠ .

(٢) مسند أحمد ١٤٦/٢ وسنن الدارمى كتاب الرؤيا باب رقم ١٣ .

(٣) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة القيامة) .

الباب الحادى عشر

فى أنواع الوحى .

قال العلماء رضى الله تعالى عنهم : كان الوحى يَنْزِلُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحوال مختلفة .

الأول : الرؤيا الصادقة فى المنام . قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام : « إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت أفتل ما تؤمر^(١) » فدلّ على أن الوحى كان يأتىهم فى المنام كما كان يأتىهم فى اليقظة .

وفى الصحيح عن عُبيد بن عمير : رؤيا الأنبياء وحى « وقرأ هذه الآية^(٢) »

الثانى : أن يَنْفُثَ الملك فى رُوعه وقلبه من غير أن يراه ، كما قال صلى الله عليه وسلم : إن روح القدس نفث فى رُوعى : لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فإن ما عند الله لن يُنال إلا بطاعته .

رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القناعة والحاكم .

وقال كثير من المفسرين فى قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً^(٣) » : هو أن يَنْفُثَ فى رُوعه بالوحى . قال الحليمى : هذا هو الوحى الذى يخص القلب دون السمع .

الثالث : أن يأتىه مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه ، فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً فى اليوم الشديد البرد وحتى إن راحلته لتبرك على الأرض .

(١) سورة الصافات ١٠٢ .

(٢) صحيح البخارى كتاب الوضوء ، وكتاب الأذان .

(٣) سورة الشورى ٥١ .

روى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن الحارث بن هشام رضى الله تعالى عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعنى ما يقول^(١) .

وروى ابن سعد بسند رجاله ثقات عن أبي سلمة الماجشون أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « كان الوحي يأتينى على نحوين : يأتينى به جبريل فيلقني كما يلقي الرجل الرجل فذاك يتفلفت مني ، ويأتينى في شيء مثل صلصلة الجرس حتى يخالط قلبي فذاك لا يتفلفت مني »^(٢)

قال الحافظ : وهذا محمول على ما كان قبل نزول قوله تعالى : « لا تحرك به لسانك » كما تقدم فإن الملك قد تمثل رجلاً في صور كثيرة ولم يتفلفت ما أتاد به ، كما في قصة مجيئه في صورة دحية وفي صورة أعرابي ، وغير ذلك ، وكلها في الصحيح .

الرابع : أن يكلمه الله تعالى بلا واسطة من وراء حجاب في اليقظة كما في ليلة الإسراء على القول بعدم الرؤية .

الخامس : أن يكلمه الله تعالى كيفاً بغير حجاب على القول بالرؤية ليلة الإسراء . وسيأتى بسط ذلك في أبوابه .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وليس في القرآن من هذا النوع شيء فيما أعلم ، نعم يمكن أن يعد منه آخر سورة البقرة وبعض سورة الضحى وألم نشرح ، فقد روى ابن أبي حاتم من حديث عدى بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سألت ربي مسألة ووددت أني لم أكن سألته ، قلت : أي رب اتخذت إبراهيم خليلاً وكلمت موسى تكليماً . فقال يا محمد : ألم أجذك يتيماً فأوتيت وضالاً فهديت وعائلاً فأغنيت ، وشرحت لك صدرك وحططت عنك وزرك ورفع لك ذكرك فلا أذكر إلا ذكرت معي » .

السادس : أن يكلمه الله تعالى في النوم ، كما في حديث معاذ عند الترمذى : أتاني

(١) صحيح البخارى كتاب بدء الوحي ، وكتاب بدء الخلق ، وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٧ .

(٢) طبقات ابن سعد ١٩٧/١ (ط بيروت) .

ربى فى أحسن صورة فقال : فِيم يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ^(١) وَيَأْتِى بِتَامِهِ فى أبواب مناماته .
وذكر بعضهم من هذا سورة الكوثر لِمَا رواه مسلم عن أنس قال : بَيَّنَّا رسولُ الله صلى
الله عليه وسلم بين أظهرنا إذ أَغْفَى إغفَاءً ثم رفع بصره مبتسماً فقرأ : بسم الله الرحمن
الرحيم « إنا أعطيناك الكوثر » إلى آخرها .

وقال الإمام الرافعى رحمه الله تعالى فى أماليه : فهم فاهمون من الأحاديث أن السورة
نزلت فى تلك الإغفاء وقالوا من الوحي ما كان يأتيه فى النوم لأن رؤيا الأنبياء وحى .

قال : وهذا صحيح لكن الأشبه أن يقال : القرآن - كله نزل فى اليقظة وكأنه خطر
له فى النوم سورة الكوثر المنزلة فى اليقظة ، أو عُرض عليه الكوثر الذى وردت فيه السورة
فقرأها عليهم وفسرها لهم .

قال : وورد فى بعض الروايات أنه أغمى عليه وقد يحمل ذلك على الحالة التى تَعْتَرِيهِ
عند نزول الوحي ويقال لها بُرْحاء الوحي .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وهذا الذى قاله الإمام الرافعى فى غاية الاتجاه ، وهو
الذى كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه ، والتأويل الأخير أصح من الأول لأن قوله :
أنزل على آتفا يدفع كونها نزلت قبل ذلك ، بل نقول : نزلت فى تلك الحالة وليس الإغفاء
إغفاء نوم بل الحالة التى كانت تَعْتَرِيهِ عند الوحي ، فقد ذكر العلماء أنه كان يؤخذ
عن الدنيا . انتهى .

السابع : مجيء الوحي كدوى النحل .

روى الإمام أحمد والحاكم ، عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أنزل عليه يُسْمَعُ عند وجهه كدوى النحل » ^(٢)
الثامن : العلم الذى يلقيه الله تعالى فى قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد فى الأحكام .

(١) سنن الدارمى باب رقم ١٢ ، ومسنند أحمد ٦٦/٤ .

(٢) مسند أحمد ٣٤/١ وسنن الدارمى المقدمة باب ٢ .

وذكره ابن كثير أيضا فى سيرته ٤٢٢/١ عن الإمام أحمد ثم قال : وكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الرزاق .
ثم قال النسائى : منكر ، لا نعرف أحدا رواه غير يونس بن سليم ، ولا نعرفه .

لأنه اتَّفَقَ على أنه صلى الله عليه وسلم إذا اجتهد أصاب قطعاً وكان معصوماً عن الخطأ وهذا خَرَقٌ للعادة في حقه صلى الله عليه وسلم دون الأمة ، وهو يفارق النَّفْثَ في الرُّوع من حيث حصوله بالاجتهاد والنفث بدونه . قال في إرشاد السارى : ويعكّر عليه أن الظاهر من كلام الأصوليين أن اجتهاده صلى الله عليه وسلم والوحى قسمان . انتهى .

* * *

هذا ما وقفت عليه من صفات الوحي .

وأما صفة حامله : فمجيء جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته التي خلق عليها له ستائة جناح يتناثر من أجنحته اللؤلؤ والياقوت ، وقد وقع ذلك مرتين : مرة في السماء ليلة المعراج ، ومرة في الأرض ، كما سيأتى بسط ذلك في أبواب المعراج .

ومجيئه في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر .

وفي صورة دحية الكلبي .

ومجيئه في صورة رجل غير دحية .

ونزول الوحي على لسان ملك الجبال كما سيأتى بيان ذلك في باب سفره إلى الطائف

ونزوله على لسان إسرافيل ، كما تقدم بيان ذلك .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : ذكر الإمام الحليمي رحمه الله تعالى أن الوحي كان يأتى النبي صلى الله عليه وسلم على ستة وأربعين نوعاً ، فذكرها . قال الحافظ : وغالبها من صفة حامل الوحي ومجموعها يدخل فيما ذكر .

الثاني : استشكل تشبيه مجيء الوحي بصَلْصَلَةِ الجرس إذ المحمود لا يشبه بالمنموم ، إذ حقيقة التشبيه : إلحاق ناقص بكامل ، والمشبّه الوحي وهو محمود ، والمشبّه به صوت جرس وهو منموم ، لصحة النهي عنه والتنفير من موافقة ما هو عليه والإعلام بأنه لا تصحبهم^(١) الملائكة كما أخرجه مسلم ، فكيف يشبه ما فعله الملك بأمر تنفر منه الملائكة ؟

(١) كذا بالأصول ، ولله : لا تصعبه .

والجواب : بآنه لا يلزم فى التشبيه تساوى المشبه بالمشبه به فى الصفات كلها ، بل ولا فى أخس وصف له بل يكفى اشتراكهما فى صفة ما ، فالمقصود هنا بيان الحس فذكر ما أَلِفَ السامعون سماعه تقريبا لأفهامهم ، والحاصل أن الصوت له جهتان : جهة قوة وجهة طنين ، فمن جهة القوة وقع التشبيه . ومن جهة^(١) الصوت وقع التنفير عنه ، وعُلِّلَ بكونه مزمار الشيطان .

قيل : ويحتمل أن يكون النهى وقع بعد السؤال .

قال الحافظ : وفيه نظر .

قال ابن بَطَّال : وعلى مثل هذه الصفة تتلقى الملائكة الوحي من الله تعالى ، وقال الثَّورِيقِيُّ : وهذا الصوت من الوحي تشبيها بما يوحى إلى الملائكة على ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا قضى الله فى السماء أمراً ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاعاً لقوله ، كأنها سلسلة على صفوان ، فإذا فُزَّعَ عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم . قالوا : الحق وهو العلى الكبير » .

رواه البخارى وغيره^(٢) .

قال القاضى : ما جاء من مثل ذلك يجرى على ظاهره وكيفية ذلك وصورته مما لا يعلمه إلا الله تعالى أو من أطلع الله تعالى على شيء من ذلك من ملائكته ورسله ، وما يتأول هذا ويُحيله عن ظاهره إلا ضعيفُ النظر والإيمان ، إذ جاءت به الشريعة ودلائلُ العقل لا تحيله انتهى .

والصلصلة المذكورة : قيل صوت الملك بالوحي . وقيل صوت حفيف أجنحة الملائكة . قال الخطَّابى : يريد أنه صوت مُتَدَارِكٍ يَسْمَعُهُ ولا يُشَبِّهُهُ أَوَّلَ ما يسمعه حتى يفهمه بعد .

قوله : خُضْعاعاً - بفتححتين ، وبضم أوله وسكون ثانيه : مصدر بمعنى خاضعين .

كأنه : أى القول المسموع .

الصفوان : الحجر الأملس .

* * *

(٢) سبق تخريج هذا الحديث قريباً .

(١) ط : ومن حيث الصوت .

الثالث : الحكمة في تقديم^(١) الصلصلة أن يَقَرَّع سَمْعَهُ الوحيُّ فلا يبقى فيه مكان لغيره ، فلما كان الجرس لا تحصل صلصلته إلا بتدارك وقع التشبيه به دون غيره من الآلات .

الرابع : دلَّ قوله « وهو أشدُّه على » أن الوحي كله شديد ولكن هذه الصفة أشدها ، وهو واضح لأنَّ الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود ، والحكمة فيه أن العادة جرت بالمناسبة بين القائل والسامع ، وهى هنا إما باتصاف السامع بوصف القائل لغلبة الروحانية وهو النوع الأول ، وإما باتصاف القائل بوصف السامع وهو البشرية وهو النوع الثانى ، والأول أشدُّ^(٢) بلا شك .

قال الإمام البلقينى : وسبب ذلك أن الكلام العظيم له مقدّمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به ، كما فى حديث ابن عباس : كان يعالجُ من التنزيل شدةً .

قال : وقال بعضهم : وإنما كان أشدَّه عليه ليستجمع قلبه فيكون أوغى لما سمع . انتهى .

الخامس : قيل إنه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد أو تهديد . قال الحافظ : وفيه نظر . والظاهر أنه لا يختص بالقرآن كما فى حديث يعلى بن أمية فى قصة لابس الجبة المتضمخ بالطيب . وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الرُفقى .

السادس : عبّر بقوله : « فيفضم غنى » وقد وعيتُ « بالماضى وفى : « فيكلمنى فأعنى » بالاستقبال لأنَّ الوغى حصل فى الأول قبل الفضم ، وفى الثانى حصل حالة^(٣) المكاملة وإنه كان فى الأول قد تلبس بصفات الملائكة فإذا عاد إلى حالته الجبلية كان حافظاً لما قيل له ، فعبر عنه بالماضى ، بخلاف الثانى فإنه على حالته المعهودة .

السابع : قال إمام الحرمين : تمثل جبريل رجلاً معناه أن الله تعالى أفنى الزائد من خلقه أو أزاله عنه ثم يعيده إليه بعدُ .

(١) ط : تقدم .

(٢) ط : أشبه .

(٣) كذا فى ط ، وص . وفى ت ، م : قبل حالة . .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : فإن قيل إذا أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية فأين تكون روحه : أفي الجسد الذي يُشبه بجسد دحية ؟ أم في الجسد الذي خلق عليه له ستائة جناح ؟ فإن كان في الجسد الأعظم فما الذي أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل ، لا من جهة روحه ولا من جهة جسده ، وإن كانت في الجسد المشبه بجسد دحية فهل يموت الجسد الذي له ستائة جناح كما تموت الأجساد إذا فارقتها الأرواح ؟ أم يبقى حياً خالياً من الروح المتنقلة بالجسد المشبه بجسد دحية ؟

قلت : لا يبعد أن يكون انتقالها من الجسد الأول غير موجب لموته لأن موت الأجساد بمفارقة الأرواح ليس بواجب عقلاً ، وإنما هو بعادة مُطرّدة أجراها الله في أرواح بني آدم ، فيبقى ذلك الجسد حياً لا ينقص ، من معارفه وطاعاته شيء ، ويكون انتقال روحه إلى الجسد الثاني كانتقال أرواح الشهداء إلى أجواف الطيور الخضر . انتهى .

وقال الشيخ سراج الدين البلقيني في كتابه « الفَيْضُ الجارى على صحيح البخارى » : يجوز أن يكون الآتى هو جبريل بشكله الأول ، إلا أنه انضم فصار على قَدَرِ هيئة الرجل ، وإذا ترك ذلك عاد إلى هيئته ، ومثال ذلك القُطن إذا جُمع بعد أن كان مَنْقُوشاً ، فإنه بالنفس تحصل له صورة كبيرة وذاته لم تتغير وهذا على سبيل التقريب .

وقال العلامة علاء الدين القُونَوَى شارح الحاوى في كتاب « الإعلام بالمسام الأرواح بعد الموت على الأجسام » : قد كان جبريل عليه الصلاة والسلام يتمثل في صورة دحية وتمثل لمريم بشراً سوياً ، وفي الممكن أن يخص الله بعض عباده في حال الحياة بخاصة لنفسه الملكية القدسية وقوة لها يقدر بها على التصرف في بدن آخر غير بدن المعهود مع استمرار تصرفها في الأول . وقد قيل في الأبدال : إنهم إنما سُمُوا أبدالاً لأنهم قد يرحلون إلى مكانٍ ويقيمون في مكانهم شَبَحاً آخر تشبيهاً بشبههم الأصلي بدلا عنه ، وقد أثبت الصوفية عالماً متوسطاً بين عالمي الأجساد والأرواح ، وبَنُوا على ذلك تجسّد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المِثَال ، وقد يُستأنس لذلك بقوله تعالى : « فتمثل لها بشراً سوياً » فتكون الروح الواحدة كروح جبريل مثلاً في وقت واحد مدبرة لشبحة الأصلي ، ولهذا الشبح المِثَال ، ويُنحَلّ بهذا ما قد اشتهر نقله عن بعض الأئمة أنه سأل بعض الأكابر عن

جسم جبريل فقال : أين كان يذهب جسمه الأول - الذى يسد الأفق بأجنحته لما تراءى للنبي صلى الله عليه وسلم فى صورته الأصلية - عند إتيانه إليه فى صورة دحية ؟ وقد تكلف بعضهم الجواب عنه بأنه يجوز أن يقال : كان يندمج بعضه فى بعض إلى أن يصغر حجمه فيصير بقدر صورة دحية ، ثم يعود وينبسط إلى أن يصير كهيئته الأولى .

وما ذكره الصوفية أحسن ، ويجوز أن يكون جسمه الأول بحاله لم يتغير ، وقد أقام الله له شبحاً^(١) آخر وروحه متصرفة فيهما جميعاً فى وقت واحد . انتهى^(٢)

وقال العلامة شمس الدين بن القيم فى كتاب الروح : للروح شأن غير شأن الأبدان ، فتكون فى الرفيق الأعلى وهى متصلة ببدن الميت بحيث إذا سلم المسلم على صاحبها رد عليه السلام وهى فى مكانها هناك ، وهذا جبريل رآه النبي صلى الله عليه وسلم وله ستائة جناح منها جناحان سداً الأفق ، وكان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم حتى يضع ركبتيه على ركبتيه ويديه على فخذيه ، وقلوب المؤمنين^(٣) تتسع للإيمان بأن من الممكن أنه كان يدنو هذا الدنو وهو فى مستقره من السموات . وفى الحديث فى رؤية جبريل : « فرفعت رأسى فإذا جبريل صاف قدميه بين السماء والأرض يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ، فجعلت لا أصرف بصرى إلى ناحية إلا رأيته كذلك »^(٤) .

وإنما يأتى الغلط هنا من قياس الغائب على الشاهد ، فيعتقد أن الروح من جنس ما يُعْهَد من الأجسام التى إذا شغلت مكاناً لم يمكن أن تكون فى غيره . وهذا غلط محض .

وقال الحافظ : إنَّ تمثُّل الملك رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلاً ، بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنساً لمن يخاطبه ، والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يَفْنَى بل يخفى على الرائي فقط . والله أعلم . انتهى .

(١) ت ، م : شخصاً آخر .

(٢) هذا إبعاد فى التأويل .

(٣) ط : المخلصين .

(٤) سبق ذلك فى باب بدء الوحي قريباً .

الثامن : قال الحافظ : ودوى النحل في حديث عمر لا يعارض صلصلة الجرس ، لأن سماع الدوى بالنسبة إلى الحاضرين والصلصلة بالنسبة إلى مقامه صلى الله عليه وسلم .

* * *

التاسع : في بيان غريب ما سبق :

روح القدس : جبريل عليه الصلاة والسلام لأنه خلق من مخض الطهارة
نفث في روعى : يعنى جبريل أوحى إلى من النفث بالفم بالمثلثة ، وهو شبيه بالنفخ ،
وهو أقل من التفل ، لأن التفل لا يكون إلا ومعه شيء من الريق .
الروع - بضم الراء : النفس .

الصلصلة : صوت الحديد إذا حرك ، يقال صَلَّ الحديدُ وصَلَّصل ، والصلصلة أشد من الصليل .

الجرس : مثال يُشبهه^(١) الجُلجل الذى يعلقه الجهال في رعوس الدواب .

يَقْضم غنى : بفتح أوله وسكون الفاء وكسر المهملة أى يَقْلَع وَيَنْجَلِي ، ويروى بضم أوله من الرباعى وفي رواية بضم أوله وفتح الصاد على البناء للمفعول وأصل الْقَضْم القطع .
وقيل بالفاء : القطع بلا إبانة وبالقاف القطع بإبانة ، فَعَبَّرَ بِالْقَضْم إشارة إلى أن الملك فارقه ليعود ، والجامع بينهما بقاء العلة .

(١) سبق هذا التفسير اللغوى في الباب الذى قبل هذا الباب .

الباب الثاني عشر

في فترة الوحي وتشريف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة بعد النبوة .

روى ابن سعد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، والإمام أحمد والبخاري والبيهقي عن الزهري رحمه الله تعالى ، والشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، قال الأولان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه الوحي بحراء مكث أياماً لا يرى جبريل ، فحزن لذلك حزناً شديداً - ولفظ الزهري : فتر الوحي فترةً فيها بلغنا - غداً منه مراراً حتى يتردّي من رؤوس شواهد الجبال .

ولفظ ابن عباس : حتى كاد يَغْدُو إلى ثَبِير مرة وإلى حِراء مرة أخرى ، يريد أن يُلْقَى نفسه منه .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك عامداً لبعض تلك الجبال . قال الزهري : فكلما وافي بذروة جبل لكي يُلْقَى نفسه منه تبدّى له جبريل فقال له : يا محمد أنت رسول الله حقاً فَيَسْكُنْ لذلك جأشه وتقرّ عينه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمِثْل ذلك ، فإذا أَوْفَى بذروة جبل تبدّى له جبريل . فقال له مثلاً ذلك .

قال جابر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت الوادي ، فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً ، ثم نوديت فرفعت بصري إلى السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسيّ - وفي لفظ : على عريش بين السماء والأرض - فرُعبت منه . وفي لفظ فجئيت . وفي لفظ فجئنت - فرقاً حتى هويت إلى الأرض ، فرجعت حتى أتيت خديجة فقلت : زملوني زملوني ، وفي لفظ دثروني دثروني وصبّوا على ماء بارداً ، فأنزل الله تعالى : « يا أيها المدثر » أي المتلفف بثيابه عند نزول الوحي عليه « قُمْ فَأَنْذِرْ » خوفاً للناس بالنار إن لم يؤمنوا « وربك فكبر » عظم

عن إشراك المشركين « وثيابك فطهر » عن النجاسة ، أو قَصُر خلاف جرَّ العرب ثيابهم للخيل
فربما أصابتها النجاسة . « والرَّجَز » فسرهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالأوثان . « فاهْجُزْ »
أى دُم على هَجْره .

قال ابن عباس والزهرى : فتتابع الوخى وحى .

قال ابن إسحاق ومُتَابِعُوهُ : وجاءه جبريل بسورة الضحى يُقسِم له ربه ، وهو الذى
أكرمه بما أكرمه ما ودَّعه وما قَلَّاه فقال تعالى : « والضُّحَى » أول النهار أو كله « والليل إذا
سَجَى » غطى بظلامه أو سَكَن « ما ودَّعَكَ » تركك يا محمد « ربُّك وما قَلَى » ما بغَضَكَ ،
« ولَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ » لما فيها من الكرامات « من الأولى » الدنيا « وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ »
فى الآخرة من الخيرات عطاءً جزيلاً « فترضى » به .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذْ لا أَرْضى وواحد من أمتى فى النار » .
وإلى هنا تمَّ جواب القسم بمُثَبِّتَيْن بعد مَنْفِيَّتَيْن .

« أَلَمْ يَجِدْكَ » استفهام تقريرى أى وجدك « يتيماً » بفَقْد أبيك قبل ولادتك « فَأَوَى »
بأن ضَمَكَ إلى عمك أبى طالب « وَوَجَدَكَ ضالًّا » عما أَنْت عليه من الشريعة « فهدى » أى
هَدَاكَ إليها « وَوَجَدَكَ عَائِلًا » أى فقيراً « فَأَغْنَى » بما قَنَعَكَ به من الغنيمة وغيرها . وفى
الحديث : « ليس الغنى عن كثرة العَرَض ولكن الغنى غنى النفس ^(١) »

« فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاتَفْهَر » بأخذ ماله أو غير ذلك « وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَر » تزجره لفقره
« وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ » عليك بالنبوة وغيرها « فحدِّثْ » أخبر . وحذف ضميره صلى الله عليه
وسلم فى بعض الأفعال ^(٢) لِذِكْرِهِ أَوَّلًا ^(٣) ، رعايةً للفواصل ^(٤)

* * *

(١) صحيح البخارى كتاب الرقائق ، وصحيح مسلم كتاب الزكاة حديث رقم ١٢٠ .

(٢) أى فى قوله : « وما قل » « فأوى » « فهدى » « فأغنى » فحذف ضمير المفعول به .

(٣) فى قوله : « ما ودَّعَكَ » .

(٤) حديث فترة الوحى فى صحيح البخارى كتاب بدء الوحى ، وكتاب بدء الخلق ، وكتاب التفسير (سورة اقرأ)

وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥٦ . وطبقات ابن سعد ١/١٩٦ (ط بيروت) وسيرة ابن هشام ١/٢٤١ (ط الحلبي الثانية) .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال الحافظ : فَتْرَةُ الوحي عبارة عن تَأَخُّرِهِ مدَّةً من الزمان ، وليس المراد بفترته بين نزول « اقرأ » و « يا أيها المدثر » عدم مجيء جبريل إليه بل تأخر نزول الوحي فقط .

قلت : وفيه نظر ، لما سبق أول الباب عن ابن عباس والزهرى . .

الثاني : الحكمة في فترة الوحي - والله أعلم - : ليذهب عنه ما كان يجده صلى الله عليه وسلم من الرُّوع وليحصل له التشوق إلى العُود .

الثالث : اختلف في مقدار مدة الفترة : فقال السَّهيلي : جاء في بعض الأحاديث المسندة أنها كانت سنتين ونصف سنة . قال في « الزَّهر » : ويَخْدش فيه ما ذكره ابن عباس في تفسيره أنها كانت أربعين يوماً وفي تفسير ابن الجوزي ومعاني الرِّجَّاج والفراء : خمسة عشر يوماً . وفي تفسير مقاتل : ثلاثة أيام . ولعل هذا هو الأشبه بحاله عند ربه لا ما ذكر السَّهيلي واحتج لصحته .

وقال الحافظ فيما رأيته بخطه في الفتح : وهذا الذي اعتمده السَّهيلي لا يَثْبُت وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس : أن مدة الفترة المذكورة كانت أياماً . قال : وسيأتى مزيد لذلك في كتاب التعبير ، إن شاء الله تعالى .

قلت : راجعت كتابَ التعبير من نسخة بغير خطه فألفيته قال : قوله : « وفتر الوحي » تقدم القول في مدة هذه الفترة في أول الكتاب . انتهى فليراجع خطه ، لعله يكون الحق ذلك في نسخته بعد^(١) .

الرابع : وقع في بعض النسخ القديمة من الفتح وتبعه الشيخ وشيخنا القسطلاني في شرحيهما : أن الإمام أحمد روى في تاريخه عن الشَّعْبِي : أن فترة الوحي كانت ثلاث سنين ، وأن ابن اسحاق جزم بذلك .

(١) الذي في فتح الباري كتاب التعبير روايات متعددة . انظر فتح الباري ٢٥/١٦ .

قلت : وهذا وَهْمٌ بلا شك ، وعَزَوْهُ ذلك لجزم ابن اسحاق أشدَّ ، وكأَنَّ الحافظ قَلَّدَ في ذلك ولم يراجع التاريخ المذكور ، فإنَّ الموجود فيه وفي الطبقات لابن سعد ودلائل البيهقي عن داود بن أبي هند ، عن الشَّعْبِيِّ قال : أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فُقرَنَ بنبوته إسرائييل ثلاث سنين ، فكان يَعْلَمُ الكلمةَ والشَّيءَ : ولم ينزَلْ عليه القرآن على لسان ، فلما مضت ثلاثُ سنين قُرِنَ بنبوته جبرييل فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة^(١) .

الخامس : قال الحافظ ابن كثير في البداية : قال بعضهم : كانت الفترة قريباً من سنين أو سنتين ونصف والظاهر والله أعلم أنها المدة التي اقترن معه ميكائيل كما قال الشَّعْبِيُّ وغيره ، ولا ينبغي هذا تقدُّمُ إحياء جبرييل إليه أولاً : «اقرأ باسم ربك الذي خلق» ثم حصلت الفترة التي اقترن معه ميكائيل ، ثم اقترن به جبرييل بعد نزول : «يا أيها المدثر» ثم حمى الوحي بعد هذا وتتابع^(٢) .

قلت : الثابت عن الشَّعْبِيِّ إنما هو إسرائييل كما تقدم لا ميكائيل ، وإن كان ابنُ التَّيْنِ جَزَمَ به ، ولتُتَّأَمَّلْ عبارة الشَّعْبِيِّ إن كانت تُفْهَمُ ما قال أنه الظاهر .

السادس : روى البخاري في بدء الوحي وتفسير سورة اقرأ من طريق ابن شِهَاب : أخبرني أبو سلمة ابن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يحدث عن فترة الوحي : قال في حديثه : بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ ... وذكر الحديث .

وفي تفسير سورة المزمل^(٣) من طريق علي بن المبارك ، ومن طريق حرب بن شداد ، كلاهما عن يحيى بن أبي كثير ، قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن : أي القرآن أنزل أول ؟ فقال : «يا أيها المدثر» فقلت : أنبئت أنه : «اقرأ باسم ربك الذي خلق» فقال جابر :

(١) طبقات ابن سعد ١/١٩١ (ط. بيروت) .

(٢) سيرة ابن كثير ١/٤١٤ .

(٣) كذا والرواية في تفسير سورة المدثر ، لا المزمل .

لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جاورتُ في حِراء فلما قضيتُ جِواري هبطت فنوديت » فذكر الحديث السابق .

قال الحافظ : رواية الزُّهري تدل على أن المراد بالأَوَّلِيَّة في قوله : أول ما نزل سورة المدثر . أولِيَّةٌ مخصوصة بما بعد فترة الوحي ، أو مخصوصة بالإنذار ، لا أن المراد بها أولِيَّةٌ مُطلَقة ، وإنما أتى بحرف العطف ليعلم أنه معطوف على ما سبق ، كأنه قال عروة بكذا . أي بحديث عائشة في بدء الوحي ونزول سورة اقرأ^(١) .

ثم قال الحافظ : ولو لم يكن في ذلك إلا ثبوت الواو العاطفة فإنها دالة على تقدم شيء عطفته ، ودلّ قوله : « عن فترة الوحي » وقوله : « الملك الذي جاءني بحراء » على تأخر نزول « يا أيها المدثر » عن « اقرأ » .

ولما خَلَتْ رواية يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر ، عن هاتين الجملتين أشكل الأمر فجزم مَنْ جزم بأن « يا أيها المدثر » أول ما نزل . ورواية الزهري هذه الصحيحة ترفع ذلك الإشكال .

وقال في التفسير : والمشكل من رواية يحيى قوله : « جاورتُ بحراء فلما قضيت جِواري نزلت فاستَبَطْتُ الوادي فنوديت » إلى أن قال : « فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء » . يعني جبريل ، فاتيت خديجة فقلت : دثروني « ويزيل الإشكال أحد أمرين : إما أن يكون سقط على يحيى أو شيخه من القصة مجيء جبريل بحراء ب « اقرأ باسم ربك » ، وسائر ما ذكرته عائشة . وإما أن يكون جاورَ صلى الله عليه وسلم بحراء شهراً آخر ، ففي مُرسَل عُبيد بن عمير عند البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم كان يجاور في كل سنة شهراً وهو رمضان ، وكان ذلك في مدة فترة الوحي ، فعاد إليه جبريل بعد انقضاء جواره .

وقال الحافظ أيضاً : فكأن من قال من أول ما نزل اقرأ أراد أولِيَّةً مُطلَقة ومن قال « يا أيها المدثر » أراد بقبيد التصريح بالإرسال^(٢) .

(١) فتح الباري ٣٠٤/١٠

(٢) فتح الباري ٣٠٤/١٠

وقال الكيرماني : استخرج جابر أن أول ما نزل يا أيها المدثر باجتهاده وليس هو من روايته ، والصحيح ما وقع في حديث عائشة .

* * *

السابع : قال عطاء الخراساني : إن سورة المزمل نزلت قبل سورة المدثر .

قال الحافظ : عطاء ضعيف وروايته مُعْضَلَةٌ . وظاهر الأحاديث الصحيحة تأخر المزمل لأن فيها ذكر قيام الليل وغير ذلك مما تراخى عند ابتداء الوحي ، بخلاف المدثر فإن فيها « قم فأنذر » .

وقال في موضع آخر : يعرف من اتحاد الحديثين في نزول يا أيها المدثر عقيب قوله : « دثروني » و « زملوني » أن المراد بزملوني دثروني . ولا يؤخذ من ذلك نزول يا أيها المزمل حينئذ ، لأن نزول يا أيها المزمل تأخر عن نزول يا أيها المدثر بالاتفاق ، لأن أول يا أيها المدثر الأمر بالإنذار ، وذلك أول ما بُعث ، وأول المزمل الأمر بقيام الليل وترتيل القرآن ، فيقتضي تقدم نزول كثير من القرآن قبل ذلك .

الثامن : هذا القدر الذي نزل من المدثر فيه مُحْصَل ما يتعلق بالرسالة . ففي الآية الأولى الموانسة بالحالة التي هو عليها من التدثر ، إعلاماً بِعِظَم قدره وتقدم في اسمه « المدثر » و « المزمل » زيادة لذلك . فراجع^(١) .

وفي الثانية : الأمر بالإنذار قائماً ، وحذف المفعول تفخيماً . والمراد بالقيام إما حقيقة ، أي قم من مضجعتك ، أو مجازاً ، أي قم مقام تَضَمُّم . وأما الإنذار فالحكمة في الاختصار عليه هنا - فإنه أيضاً بُعث مبشراً - لأن ذلك كان أول الإسلام ، فمتعلق الإنذار محقق فلما أطاع من أطاع نزلت : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً »^(٢) .

وفي الثالثة : تكبير الرب تمجيداً وتعظيماً ، ويحتمل الحمل على تكبير الصلاة ، كما حمل الأمر بالتطهير على طهارة البدن والثياب ، وهي الآية الرابعة .

(١) وذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) سورة الأحزاب ٤٥ .

أما الخامسة فهجران ما ينافي التوحيد وما يؤول إلى العذاب وحصلت المناسبة بين
الشورتين المبتدأ بهما النزول فيما اشتملتا عليه من المعاني الكثيرة باللفظ الوجيز في عدة
ما نزل من كل منهما ابتداء .

* * *

التاسع : ما ذكره ابن اسحاق من سبب نزول سورة الضحى رواه الطبراني من طريق العوفي ،
وهو ضعيف ، عن ابن عباس . ومن طريق إسماعيل مولى آل الزبير ذكره سليمان التيمي
في السيرة التي جمعها .

قال الحافظ : وكل هذه الروايات لا تثبت بحال ، ويخالفها ما رواه الشيخان في سبب
نزولها عن جندب بن سفيان البجلي رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى
فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة فقالت : يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد
تركك لم يقربك منذ ليلتين أو ثلاث ، فأنزل الله تعالى : « والضحى » إلى آخر السورة^(١) .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : والحق أن الفترة التي في سبب نزول سورة الضحى غير
الفترة المذكورة في ابتداء الوحي فإنها دامت أياما وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثا ، فاختلفنا
على بعض الرواة . وتحقيق^(٢) الأمر ما بينته .

وذكر الحافظ ابن كثير نحوه^(٣) .

قال الحافظ : ووقع في السيرة لابن إسحاق في سبب نزولها شيء آخر فإنه ذكر أن
المشركين لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين وغيره ووعدهم بالجواب
ولم يستثن ، فأبطأ عليه جبريل اثنتى عشرة ليلة ، فضاق صدره وتكلم المشركون فنزل
جبريل بسورة الضحى وبجواب ما سألوا .

قال الحافظ : ونزول سورة الضحى هنا بعيد لكن يجوز أن يكون الزمان في

(١) صحيح البخارى ، كتاب التفسير (سورة الضحى) .

وصحيح مسلم كتاب الجهاد حديث رقم ١١٥ .

(٢) ط : وتحرير الأمر .

(٣) سيرة ابن كثير ١/٤١٣ ، ٤١٤ .

القصتين متقارباً ، ففهم بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأخرى ، وكل منهما لم يكن في ابتداء المبعث ، وإنما كان بعده بمدة .

وعند الطبراني بإسناد فيه من لا يُعرف أن سبب إبطاء جبريل كون جرؤ كلبٍ تحت سريره صلى الله عليه وسلم لم يشعر به ، فأبطأ عنه جبريل كذلك .

وقضية إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة ، لكن كونها سبب نزول هذه السورة شاذ مردود بما في الصحيح ، وكل ما خالفه فغير ثابت .

العاشر : قال الإسعيلي : كان من مقدمات تأسيس النبوة فترة الوحي ليتدرج فيه ويتمرن عليه ، فشق عليه فتورُه إذ لم يكن يُخطب عن الله تعالى بعدُ : أنك رسول الله ومبعوث إلى العباد ، فأشفق أن يكون ذلك أمراً بُدئ به ثم لم يُرد استتمامه ، فحزن لذلك . حتى إذا اندرج على احتمال أعباء النبوة والصبر على ثقل ما يرد عليه فتح الله له من أمره بما فتح .

قال : ومثال ذلك ما وقع له من أول ما خوطب ولم يتحقق الحال على جليتها مثل رجل سمع آخر يقول : الحمد لله . فلم يتحقق أنه يقرأ حتى إذا وصلها بما بعدها من الآيات تحقق أنه يقرأ ، وكذا لو سمع قائلاً يقول : خلت الديار ولم يتحقق أنه يُنشد شعراً حتى يقول : محلها ومقامها . انتهى ملخصاً .

ثم قال : وأما إرادة إلقاء نفسه من رؤوس الجبال بعد ما نبئ فلضعف قوته عن حمل ما حمله من أعباء النبوة ، وخوفاً مما حصل له من القيام بها من مَبَايِنَةِ الخلق جميعاً ، كما يطلب الرجل الراحة من غم يناله في العاجل بما يكون فيه زواله عنه لو أفضى إلى هلاك نفسه عاجلاً ، حتى إذا تفكّر فيها في صبره على ذلك من العُقْبَى المحمودَة صبر واستقرت نفسه .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : أما الإرادة المذكورة أولاً : ففي صحيح الخبر أنه كانت حزنًا على ما فاتته من الأمر الذي بشره به ورقة^(١) . وأما الإرادة الثانية بعد أن تبدى له جبريل وقال له : أنت رسول الله حقاً فيحتمل ما قاله .

(١) ت ، م : بشر به قومه .

والذى يظهر لى أنه بمعنى الذى قبله . وأما المعنى الذى ذكره الإسماعيلى فوقه قبل ذلك فى ابتداء مجيء جبريل ، ويمكن أن يؤخذ مما رواه الطبرانى من طريق النعمان بن راشد عن ابن شهاب فذكر نحو حديث البخارى . وفيه : فقال : يا محمد أنت رسول الله حقا . قال : فلقد هممت أن أطرح نفسى من حائق الجبل^(١) أى من علوه . انتهى .

الحادى عشر فى بيان غريب ما تقدم :

عدا : بعين مهملة : من العدو وهو الذهاب بسرعة ، وبإعجامها من الذهاب عُذوة .
يتردّى : يسقط .

شواق : جمع شاق وهو الجبل العالى .

يَغْدُو - بإعجام الغين وإهمالها .

ثَبِير - بناء مثلثة مفتوحة فباء موحدة مكسورة فمشناة تحتية فراء .
عامدا : قاصدا .

بذرؤة جبل : بثلاثيث الدال : أعلاه .

تبدى له جبريل : أى ظهر .

جأشه - بجيم مفتوحة فهزمة ساكنة وقد تسهل فشين معجمة ، أى نفسه . قاله
الخليل فعلى هذا فقلوه :

تقرّ نفسه : بفتح المشناة الفوقية والقاف توكيد لفظي .

استبطنت الوادى : دخلت بطنه .

فرُعيت : فزعت .

جُئِثت - بجيم مضمومة فهزمة مكسورة فمثلثة ساكنة فمشناة فوقية : أى فزعت ،
وفى رواية جُئِثت بثلاثتين من جُئِى الرجل كعُئى أيضا : فزع . قال فى التقريب :
وما سواهما تصحيف .

فرَقاً : خوفاً .

هويت إلى الأرض : سقطت .

(١) ط : جبل .

الباب الثالث عشر

في معنى الوحي والنبي والرسول والنبوة والرسالة

الوحي : مصدر وَحَى إليه يَحِي من باب وَعَد ، وَأَوْحَى إليه بالآلف مثله ، وجمعه وَحْيٌ . والأصل فُعُول مثل فُلُوس .

وبعض العرب يقول وَحَيْتُ إليه ووَحَيْتُ له وَأَوْحَيْتُ إليه وله .

وهو هنا لغة : الإعلام في خفاء ، وقيل الإعلام بسرعة .

وشرعاً : الإعلام بالشرع . وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه أى الموحى ، من إطلاق المصدر على المفعول . قال تعالى : « إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى »^(١)

وهو كلام الله المنزّل على النبي صلى الله عليه وسلم . وبسطتُ الكلام على الوحي ومعانيه في القول الجامع الوجيز فراجعه .

والرسول : إنسان ذكرٌ أُوْحِيَ إليه بالعمل والتبليغ ، فَعُول من الرسالة ، وهى قول الله تعالى لمن اصطفاه : أَرْسَلْتُكَ أَوْ بَعَثْتُكَ فَبَلِّغْ عَنِّي . وقيل هى سفارة بين الله وبين ذوى الألباب من خليقته .

وهى أفضل من النبوة ، لأنها تُثمر هداية الأمة ، والنبوة قاصرة على النبي كالعلم والعبادة .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : النبوة أفضل لأنها الوحي بمعرفته تعالى وصفاته فهى متعلقة بالله من طرفيها^(٢) ، والرسالة الأمر بالتبليغ فهى متعلقة بالله من أحد الطرفين . وأجيب بأنها تستلزم النبوة فهى مشتملة عليها ، لأنها كالرسول أخص من النبوة التى هى أعم كالنبي ، وهو بمعنى المرسل فَعُول بمعنى مُفْعَل ، وذلك نادر .

(١) سورة النجم ٤ .

(٢) ت ، م : فهى متعلقة بطرفيها .

وإرساله : أمر الله تعالى له بالبلاغ إلى من أرسل إليهم ، وإشتقاقه من التتابع ومنه : جاء الناس أرسالاً ، إذا تبع بعضهم بعضاً ، فكأنه ألزم بتكرير التبليغ أو ألزمت الأمة اتباعه .

والنبي : إما أن يكون بمعنى مُنبأ - بفتح الباء - لأن الله تعالى أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيّه ، فهو فعيل بمعنى مفعول ، أو بمعنى مُنبئ أي مخبر للناس ما أوحى إليه فهو فعيل بمعنى فاعل ، وهو بلا همز على الأكثر ، قيل مخفف المهموز بقلب همزته ياء ، وقيل إنه في الأصل من النبوة - بفتح النون وسكون الباء - وهي الرقعة لأن رتبته مرفوعة على سائر الخلق ، وبالهَمْز من النبأ وهو الخبر لأنه مُخبر عن الله تعالى وقد لا يُهمَز على هذا أيضاً للتسهيل .

وهو : إنسان ذكر أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ، فإن أمر بذلك فهو رسول أيضاً . وقيل : وإن أمر بتبليغه ولم يكن له كتاب أو نسخ لبعض شرع من قبله فهو نبي ، وإن كان له ذلك فهو رسول . فالرسول أخص من النبي على القولين . وقيل هما مترادفان لقوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي »^(١) فأنبت^(٢) لهما الإرسال معا .

وأجيب بأنهما لو كانا مترادفين لم يحسن تكرارهما في بليغ الكلام . وفي الآية إضمار تقديره : وما أرسلنا من رسول ولا نبأنا من نبي كما في قوله :

ورأيتُ روحك في الوغى متقلداً سيفاً ورُمحاً

أي وحاملاً رمحاً .

وقال الآمدي رحمه الله تعالى - بعد حكايته مذهب الفلاسفة في النبوة ، وقول من قال إن النبي من علم كونه نبياً وقول من قال : إن النبوة سفارة بين الحق والخلق وتزييف كل منها - والحق ما ذهب إليه أهل الحق من الأشاعرة وغيرهم من أن النبوة ليست راجعة إلى ذاتي من ذاتيات النبي ولا إلى عرض من أعراضه المكتسبة له ، بل هي موهبة من الله تعالى ونعمة منه عليه يجعله متأهلاً للرسالة ، وحاصلها يرجع إلى قوله الله تعالى لمن اصطفاه من عباده : أرسلتك أو بعثتك فبلغ عني . انتهى .

(٢) ت ، م : فثبت .

(١) سورة الحج ٥٢ .

فَعَلِمَ بِذَلِكَ : أَنَّ النُّبُوَّةَ وَالرَّسَالَاتِ مِنَ الصِّفَاتِ الِاعْتِبَارِيَّةِ كَالْوِلَايَةِ لِلْوَلِيِّ وَالْإِمَامَةِ
لِلسُّلْطَانِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْقَوْلَ لَا يُوجِبُ لِمَتَعَلِّقِهِ صِفَةً كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْقَاضِي عَفِيَّةُ الدِّينِ .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ الرِّسَالَةِ قَوْلِ اللَّهِ : أَرْسَلْتُكَ . أَنَّ تَكُونَ قَدِيمَةً ضَرُورَةً قَدَّمَ الْكَلَامَ
الرِّبَاطِي ، لِأَنَّ الرِّسَالَاتِ لَيْسَتْ الْكَلَامُ الْقَدِيمُ فَقَطْ ، بَلِ الْكَلَامُ الْقَدِيمُ بِصِفَةِ كَوْنِهِ
مَتَعَلِّقًا بِالْمُخَاطَبِ ، وَالتَّعْلُقُ وَالْمَتَعَلَّقُ - يَفْتَحُ اللَّامَ - حَادِثٌ غَيْرُ قَدِيمٍ .

الثاني : رَوَى الْحَاكِمُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ - أَيُّ بِالْهَمْزِ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
لَسْتُ نَبِيَّ اللَّهِ وَلَكِنِّي نَبِيُّ اللَّهِ . قَالَ الذَّهَبِيُّ : إِنَّهُ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ وَفِي سَنَدِهِ حَمْدَانُ بْنُ أَعْيَنَ
وَلَيْسَ بِثِقَةٍ ، وَعَلَى تَقْدِيرِ صَحَّتِهِ فَأَجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّ أَبَا زَيْدٍ حَكِيَ : نَبَأْتُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى
أَرْضٍ أُخْرَى ، أَيُّ خَرَجْتُ مِنْهَا إِلَيْهَا ، فَإِذَا قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ احْتَمَلَ أَنَّ يَرِيدُ يَا طَرِيدَ اللَّهِ
الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى غَيْرِهَا فَتَنَاهَا عَنْ نِدَائِهِ بِلَفْظِ النَّبِيِّ مَهْمُوزًا . وَنَظِيرُهُ نَهَى الْمُؤْمِنِينَ
عَنْ قَوْلِهِمْ لَهُ « رَاعِنَا » لِأَنَّ الْيَهُودَ وَجَدُوا بِذَلِكَ طَرِيقًا إِلَى سَبِّهِ .

الباب الرابع عشر

في مثله ومثل ما بعثه الله تعالى به من الهدى

قال أبو موسى الأشعري رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن مثلى ومثل ما بعثنى الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا - وفي لفظ وزرعوا - وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تئبب كلاً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثنى به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به .
رواه الشيخان^(١) .

وروي أيضاً والبيهقي عنه والإمام أحمد والرامهرمزي في الأمثال عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فنادى ثلاث مرات : أيها الناس إن مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل قوم خافوا عدواً أن يأتيهم فبعثوا رجلاً يترأى لهم ، فبينما هو كذلك إذ أبصر العدو فأقبل ليُنذِر قومه فخشي أن يدركه العدو قبل أن يُنذِر قومه فأهوى بثوبه : أيها الناس أير - ثلاث مرات - يا قوم إني رأيت الجيش بعينى وأنا النذير العريان فالنّجاء النّجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأذلّجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذب طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعنى واتبع ما جئت به من الحق ، ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق^(٢) .

* * *

(١) صحيح البخارى كتاب العلم ، وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٥ ، ومسنّد أحمد ٣٩٩/٤ .

(٢) صحيح البخارى كتاب الرقاق ، وكتاب الاعتصام . وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٦ .

وروى الإمام أحمد والترمذى عن ابن مسعود والبخارى والترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال ابن مسعود : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع رأسه فى حجرى فنام وكان إذا رقد نَفَخَ ، فَبَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَسِّدٌ فَخَذَى إِذْ أَتَى رَجُلٌ - وَفِي لَفْظٍ إِنَّ هُنَيْنًا^(١) - أَتَوْا عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بَيْضُ اللَّهِ أَعْلَمَ بِمَا بِهِمْ مِنَ الْجَمَالِ ، فَانْتَهَوْا إِلَيْهِ فَجَلَسَ بَعْضُ مِنْهُمْ عِنْدَ رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ..

وفى رواية أخرى عن جابر : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى وميكائيل عند رِجْلَى يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلاً .

فقال بعضهم لبعض : لقد أوتى هذا العبدُ خيراً ، ما رأينا عبداً قط أوتىَ مثلَ ما أوتى ، إِنَّ عَيْنَيْهِ نَائِمَتَانِ وَقَلْبُهُ يَقْظَانِ . ثم قال بعضهم لبعض : هلم فلنضرب له مثلاً ، فقال بعضهم : اضربوا مثلاً ونؤوّل نحن أو نضرب نحن وتؤوّلون أنتم . فقال بعضهم : اسمع سمعت أذنك واعقل عقل قلبك ، إن مثلك - وفى لفظ : مثله - كمثل ملك ، وفى لفظ : رجل . وفى لفظ : سيّد ابنتى بنيانا حصينا ثم جعل فيه مآذبة وبعث داعياً - وفى لفظ : رسولا - يدعو الناس إلى طعامه وشرابه فمنهم من أجاب الرسولَ ومنهم من تركه ، فمن أجابه أكلَ من طعامه وشربَ من شرابه ، ومن لم يجبه عذبه عذاباً شديداً . أولوها له يَفْقَهُهَا . فقال الآخرون : فأمّا السيّد : فهو ربُّ العالمين . وأمّا البنيان : فهو الإسلام . والطعام : الجنة . والداعى : محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن أطاع محمداً صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله وكان فى الجنة ، ومن عصى محمداً صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله وكان فى النار ، محمدٌ فرّقَ بينَ الناس .

قال ابن مسعود : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استيقظ قال : ما رأيتم يا بنى أمّ عبدٍ ؟ هل سمعتَ ما قال هؤلاء ؟ قال عبد الله : رأيْتُ كذا وكذا . قال : هل تدري

(٢) قال فى النهاية ٢٧٩/٥ : وفى حديث ابن مسعود وذكر ليلة الجن فقال : « ثم إن هنيئا أتوا عليهم ثياب بيض طوال » هكذا جاء فى مسند أحمد بن حنبل فى غير موضع من حديثه مضبوطاً مقيداً ، ولم أجده مشروحاً من كتب الغريب .

من هم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : المثل الذى ضربوه : الرحمن ، بنى الجنة ودعا إليها عباده ، فمن أجابه دخل الجنة ومن لم يجبه عاقبه وعذبه ، ماخفى على شيء مما قالوا ، وهم نفر من الملائكة^(١) .

* * *

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مثلى ومثل الناس : كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الجنادب والفرأش وهذه الدواب التى تقع فى النار يقعن فيها وجعل يحجزهن - ويغلبنه فيقعن^(٢) فيها ، فأننا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها ولفظ مسلم : « فذلك مثلى ومثلكم ، أنا آخذ بحجزكم هلم عن النار فتغلبونى تقتحمون فيها^(٣) » .

* * *

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فيما يرى النائم ملكين قعد أحدهما عند رجله والآخر عند رأسه ، فقال الذى عند رجله للذى عند رأسه : اضرب مثل هذا ومثل أمته . فقال : مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سَفَر انتهوا إلى مَقَازة فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به ، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل فى حُلَّة جَبَرَة فقال : أرايتم إن وردت بكم رياضاً مُعشبة وحياضاً رواءً أتتبعونى ؟ فقالوا : نعم فأوردهم رياضاً مُعشبة وحياضاً رواءً فأكلوا وشربوا وسمتوا فقال لهم : ألم ألقكم على تلك الحالة فجعلتم لى أن وردت بكم رياضاً مُعشبة وحياضاً رواءً أن تتبعونى ؟ قالوا : نعم . فأوردهم رياضاً مُعشبة وحياضاً رواءً ، فأكلوا وشربوا وسمتوا . فقال لهم : ألم ألقكم على تلك الحالة فجعلتم لى أن وردت بكم رياضاً مُعشبة وحياضاً رواءً ، أن تتبعونى ؟ قالوا : بلى . قال : فإن بين يديكم رياضاً مُعشبة من هذه وحياضاً أروى من هذه فاتبعونى . فقالت طائفة : صدق والله لنتبعنه . وقالت طائفة : قد رضىنا بهذا نُقيم عليه^(٤) .

(١) صحيح البخارى كتاب الاعتصام (٣/٣٠٨ ط الأميرية) وسنن الترمذى كتاب الأدب باب رقم ٨٦ ، وسنن الدارمى المقدمة ، باب ٢ .

(٢) ط : فيقتحمين .

(٣) صحيح البخارى كتاب الرقاق ، وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٧ .

(٤) مسند أحمد ٢٦٧/١ (ط الميمنية) .

تَنْبِيهَاتٌ

في بعض فوائد الحديث

الأول : المثل : بفتح المثلة والمراد به هنا : الصفة العجيبة الشأن ، أى صفتي
وصفة ما بعثنى الله به من الأمر العجيب الشأن كصفة رجل أتى قوماً إلى آخره .
والهدى والعلم : أى الطريقة والعمل . روى : « من ازداد علماً ولم يزد هدى لم
يزدد من الله إلا بُعداً » .

والغيث : المطر ، وإنما اختير الغيث على سائر أسماء المطر ليؤذن باضطراب الخلق
إليه حينئذ . قال تعالى : « وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا »^(١) وقد كان الناس
في الزمن الأول قبل المبعث وهم على فترة من الرسل قد امتحنوا بموت القلب وذهاب
العلم حتى أصابهم الله برحمة من عنده فأفاض عليهم سجال الوحي السماوى ، فأشبهت
حالتهم حال من توالى عليه السنون وأخلفتهم المخايل^(٢) حتى تداركهم الله بلطفه
وأرخت عليهم السماء عزاليها^(٣) ، ثم كان حظ كل فريق من تلك الرحمة على ما ذكره من الأمثلة
والنظائر .

قال القرطبي والنووى تبعاً للقاضى : ضرب النبى صلى الله عليه وسلم لِمَا جاء به
من الدين مثلاً بالغيث العام الذى يأتى الناس فى حال حاجتهم إليه ، وكذا كان حال
الناس قبل مبعثه ، فكما أن الغيث يُحيى البلدة الميتة فكذا علوم الدين تحيى القلب
الميت ، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التى نزل الغيث بها ، فمنهم العالم المعلم
فهو بمنزلة الأرض الطيبة التى شربت فانتفعت فى نفسها وأنبئت فنفعت غيرها .

ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله ولم يتفقه فيما
جمع لكنه أداه لغيره فهو بمنزلة الأرض التى يستقر فيها الماء فينتفع الناس به ،
وهو المشار إليه بقوله « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها »^(٤) .

(١) سورة الشورى ٢٨ . (٢) الخايل : جمع غيلة ، وهى السحابة يظن فيها المطر .

(٣) المزالى : جمع عزلاء ، وهى مصب الماء من الراوية ، وتلك استعارة أصلية .

(٤) سنن الترمذى كتاب العلم ، وسنن ابن ماجه . المقدمة باب رقم ١٨ ، وكتاب المناسك باب رقم ٧٦ ، ومسنند

أحمد ٤٣٧/١ .

ومنهم من سمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينتقله لغيره ، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها .

قال الحافظ : وإنما أفرد الطائفتين الأوليتين المدوحتين^(١) لاشتراكهما في الانتفاع بهما ، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها .

ثم ظهر لي أن في كل مثل طائفتين ، فالأول قد أوضحناه والثاني : الأول منه من دخل في الدين ولم يسمع العلم ، أو سمعه فلم يعمل به ولم يعلمه ، وأشير إليها بقوله صلى الله عليه وسلم : « من لم يرفع بذلك رأساً » أى أعرض عنه فلم ينتفع به ولا نفع . والثانية منه : من لم يدخل في الدين أصلاً بل بلغه فكفر به ، ومثلها الأرض الصماء الملساء المستوية التي يمر عليها الماء فلا تنتفع به ، وأشير إليها بقوله صلى الله عليه وسلم : « ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » .

وقال الطيبي : قال المظهرى^(٢) : اعلم أنه ذكر في الأرض ثلاثة أقسام ، وفي تقسيم الناس باعتبار قبول العلم قسمين : أحدهما من فقه في دين الله إلى آخره . والثاني : من لم يرفع بذلك رأساً ، يعنى تكبر ولم يقبل الدين ، يقال : لم يرفع فلان رأسه بهذا أى لم يلتفت إليه من غاية تكبره ، وإنما ذكره كذلك لأن القسم الأول والثاني من أقسام الأرض كقسم واحد من حيث إنه ينتفع به والثاني لا ينتفع به ، وكذلك الناس قسمان : أحدهما من يقبل العلم وأحكام الدين . والثاني : من لا يقبلهما ، وهذا يوجب جعل الناس في الحديث على قسمين : أحدهما ينتفع به والثاني لا ينتفع به . وأما في الحقيقة فالناس على ثلاثة أقسام : فمنهم من يقبل العلم بقدر ما يعمل به ولم يبلغ درجة الفتوى والتدريس وإفادة الناس فهو القسم الأول ، ومنهم من يقبل من العلم بقدر ما يعمل به وبلغ أيضاً درجة الفتوى والتدريس وإفادة الناس ، فهو القسم الثاني ، ومنهم من لا يقبل العلم ، وهو القسم الثالث .

قال الطيبي : اتفق شارحون على هذا الوجه الثاني ، وظاهر الحديث ينصر الوجه الأول ، لأن الشطر الأول من التمثيل مركب من أمرين ، وذلك أن « أصاب منها طائفة » معطوف على « أصاب أرضاً »^(٣) والضمير في منها يرجع إلى مطلق الأرض المدلول عليه

(١) ط : المحودتين .

(٢) انظر هذه النسبة في الباب ١٥٢/٣ .

(٣) ط : أيضاً .

بقوله أرضا ، ثم قسمت الأرض الأولى بحرف التعقيب في « فكانت » وعطف كانت على كانت قسمين ، فيلزم اشتغال الأرض الأولى على الطائفة الطيبة وعلى الأجاذب ، والثانية على عكسها . فالواو في « وكانت » ضمت وترا إلى وتر ، وفي « وأصابت » شفعاً إلى شفع ، نظيره قوله تعالى : « وما يَسْتَوِي الْأَعْمَى والبصير ولا الظلمات ولا النور »^(١) وقوله تعالى « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ^(٢) » قال في الكشاف : الفرق بين عطف الإناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين أن الإناث والذكور جنسان مختلفان إذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسط العاطف بينهما ، وأما العاطف الثاني فمن باب عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع وكان معناه : إن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات أعد الله لهم^(٣) .

وأيضاً أن أصل التمثيل مركب من أمرين : الهدى والعلم لتغايرهما في الاعتدال ، ويعضده مراعاة معنى التقابل بين الكلامين من إثبات الكلاً وإسكاء المساء في إحداهما ونفيهما في الآخر على سبيل الحضر يقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما هي قيعان » ثم تعقيبهما بالتفصيل في قوله : « فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه » إلى آخر الحديث لأنه ذكر المثل فيه مرتين .

ويؤيده ما ذكر النووي أن رَعَوْا بالراء من الرعى . هكذا هو في جميع نسخ مسلم . ووقع في البخاري : « وزرعوا » وكلاهما صحيح . وإنما قلنا هذه الرواية تؤيد ما ذكرنا لأن في الكلام حينئذ لَفًا ونَشْرًا ، فإن « رَعَوْا » مناسب لأنبتت الكلاً و« فثربوا وسَقَوْا » للأجاذب وأمسكت المساء . فيكون الضمير في نفع الله بها لـ « أرض^(٤) » ومعنى كليهما صحيح ، لأن زرعوا متعلق بالأول لا بالأجاذب فإنها لا تكفي الشرب والسقي فضلاً عن الزرع .

فعلى هذا يكون قد ذكر في الحديث الطرفان : الغالي في الاهتداء والغالي في الضلال ،

(١) سورة فاطر ١٩ .

(٢) سورة الأحزاب ٣٥ .

(٣) الكشاف ٢/٥٣٨ (ط الحلبي) .

(٤) غير ط : لأرضاً .

فَعَبَّرَ عَنْ قَبْلِ هُدَى اللَّهِ وَالْعِلْمِ بِقَوْلِهِ : « فَقَّهَ فِي الدِّينِ » إِلَى آخِرِهِ . وَكُنِيَ عَنْ أَبِي قَبُولَهُمَا بِقَوْلِهِ « لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا » وَبِقَوْلِهِ وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ ، لِأَنَّ الثَّانِي عَطَفَ تَفْسِيرِيَّ لِلأَوَّلِ ، وَتَرَكَ الوَسْطَ وَهُوَ قِسْمَانِ : أَحَدُهُمَا : الَّذِي يَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ فَحَسَبَ ، وَالثَّانِي : الَّذِي لَمْ يَنْتَفِعْ هُوَ بِنَفْسِهِ وَلَكِنْ نَفَعَ الْغَيْرَ .

وَفِي الْحَدِيثِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ الِاسْتِعْدَادَاتِ لَيْسَتْ بِمَكْتَسَبَةٍ ، بَلْ هِيَ مَوَاهِبُ رَبَّانِيَّةٍ يَخْتَصُّ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَكَمَا لَهَا أَنَّ يُفِيضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا مِنَ الدِّشْكَاءِ النَّبَوِيَّةِ ، فَلِذَا وَجَدَ مَنْ يَشْتَغِلُ بِغَيْرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا وَالَاهُمَا عُلْمٌ أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يُرْذَ بِهِ خَيْرًا ، فَلَا يُعْبَأُ بِاسْتِعْدَادِهِ الظَّاهِرِ ، وَأَنَّ الْفَقِيهَ هُوَ الَّذِي عِلِمٌ وَعَمِلٌ وَعِلْمٌ وَفَاقَدَ أَحَدُهُمَا فَاقَدَ هَذَا الْاسْمَ ، وَأَنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ يَنْبَغِي أَنْ يَفِيدَ النَّاسَ بِعِلْمِهِ كَمَا يَفِيدُهُمْ بِعَمَلِهِ ، وَلَوْ أَفَادَ بِالْعَمَلِ فَحَسَبَ لَمْ يُحْظَ مِنْهُ بِطَائِلٍ كَأَرْضٍ مُنْشَبَةٍ لِأَمَاءٍ فِيهَا فَلَا يَمْرِي مَرَعَاهَا وَلَوْ ائْتَصَرَ عَلَى الْقَوْلِ لِأَشْبَهِ السَّقْيِ مُجَرَّدًا عَنِ الرَّعْيِ ، فَيُشَبِّهُ أَخْذَهُ الْمُسْتَسْقَى ، وَلَوْ مَنَعَهُمَا مَعًا كَانَ كَأَرْضٍ ذَاتِ مَاءٍ وَعُشْبٍ حَمَاهَا بَعْضُ الظَّلْمَةِ عَنْ مُسْتَحَقِّيْهَا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

وَمَنْ مَنَعَ الْجَهَّالَ عِلْمًا أَضَاعَهُ وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدَ ظَلَمَ

الطَّائِفَةُ ، هُنَا : الْقِطْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ .

قِيلَتْ : بِفَتْحِ الْقَافِ وَكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ مِنَ الْقَبُولِ .

الْكَلَاءُ : بِالْهَمْزِ بِلَا مَدٍ .

وَقَوْلُهُ : الْعُشْبُ : مِنْ ذِكْرِ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ ، لِأَنَّ الْكَلَاءَ يُطْلَقُ عَلَى النَّبْتِ الرُّطْبِ وَالْيَابِسِ مَعَ الْعُشْبِ لِلرُّطْبِ فَقَطْ .

أَجَادِبُ - بِالْجِيمِ وَالدَّالِ الْمَهْمَلَةِ جَمْعُ جَدَّبَ بِفَتْحِ الدَّالِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ : وَهِيَ الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ الَّتِي لَا يَنْصَبُ مِنْهَا الْمَاءُ .

فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا : أَيُّ الْأَجَادِبِ وَفِي رِوَايَةٍ : « بِهِ » أَيُّ الْمَاءِ .

رَعَوْا : من الرعى وفى رواية : زرعوا ، من الزرع . قال النووى : كلاهما صحيح ، ورجح القاضى الأول بلا مرجح ، لأن رواية زرعوا يدل على مباشرة الزرع ليطابق فى التمثيل مباشرة طلب العلم ، وإن كانت رواية رَعَوْا مطابقة لقوله أنبعت ، لكن المراد أنها قابلة للإنبات .

قِيَعَان : بكسر القاف : جمع قاع وهو الأرض المستوية المساء التى لاتنبت شيئا .

فَقَّه : بضم القاف أى صار فقيها .

الثانى : فى بعض فوائد الحديث الثانى .

قال الأشرف :

ذكر العيينين إرشاد إلى أنه صلى الله عليه وسلم متحقق عنده جميع ما أخبر عنه من الأمور تحقق من رأى شيئا بعينه لا يعتريه وهم ولا يخالطه شك .

وقال القاضى والنووى والطيبى : قوله : « أنا النذير العريان » مثل سائر يُضرب لشدة الأمر ودنو المحذور وبراءة المحذر عن التهمة . وأصله : أن الرجل إذا رأى العدو وقد هجم على قومه وأراد أن يفاجئهم ، وكان يخشى لحوقهم عند لحوقه تجرد عن ثوبه وجعله على رأس خشبة وصاح ليأخذوا جذرهم ويستعدوا قبل لحوقهم ، وإنما يفعل ذلك لأنه أبين للنظر وأغرب وأشتع منظرا ، فهو أبلغ فى استحشائهم فى التأهب للعدو . وقيل : الأصل فيه : أن رجلا لقي جيشا فسلموه وأسروه فانفلت إلى قومه فقال : إني رأيت الجيش وسلكبوني فرأوه عريانا فتحققوا بصدقه لأنهم كانوا يعرفونه ولايتهمونه فى النصيحة ولا جرت عادته بالتعري ، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن . فضرَب صلى الله عليه وسلم لنفسه ولما جاء به بذلك لِمَا أَبْدَاه من المعجزات والخوارق الدالة على القطع بصدقه . تقريبا لأفهام المخاطبين بما يألّفونه ويعرفونه .

وقال الطيبى : وهذا التشبيه من التشبيهات المفرقة : شبه ذاته صلى الله عليه وسلم بالرجل ، وما بعثه الله تعالى به من إنذار القوم بعذاب الله القريب بإنذار الرجل قومه بالجيش المصبح ، وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه بمن كذب الرجل فى إنذاره وصدقه . وفى قول الرجل : أنا النذير العريان الخ أنواع من التأكيد : أحدها : « بعينى » لأن الرؤية لاتكون إلا بها . وثانيها : قوله : « إني » و« أنا » وثالثها : « العريان » فإنه دال

على بلوغ النهاية في قُرب العدو . وفي ذلك تنبيه على أنه الذى يختص فى إنذاره بالصدق والذى لاشبهة فيه ، وهو الذى يحرص جدا على خلاص قومه من الهلاك .

وقال فى الفرقة الأولى : « فاطاعنى » وقابله فى الثانية بـ « كذَّب » ليؤذن بأن الطاعة مسبقة بالتصديق ، ويُشعر بأن التكذيب مُستتبع للعُصيان ، كأنه جمَعَ فى كل من الفرقتين بين المعنيين . وإلى المعنيين أشار بقوله صلى الله عليه وسلم : « من أطاعنى » إلى آخره . وأتبع قوله : « اجتاحتهم » قوله « أَهْلَكْهُمْ » إعلاما بأنه أَهْلَكْهُمْ عن آخرهم فلم يبق منهم أحد .

الجيش - بجيم فمشناة تحتية فشين معجمة .

بعينى : روى بالافراد وبالثنوية .

النَّجاء النجاء - بالمد فيهما ، وبعد الأولى وقصر الثانية ، وبالقصر فيهما تخفيفا ، نَصَباً على المصدر أى انجوا النجاء أو على الإغراء أى اطلبوا النجاء تسرعوا الهرب .
أَذْلَجُوا : بهززة فسكون أى ساروا أول الليل أو الليل كله على الاختلاف فى مدلول هذه اللفظة .

مَهْلَهُمْ - بفتحتين - والمراد به الهَيْئَةُ والسكون . وبفتح أوله وسكون ثانيه : الإمهال وليس مرادا هنا .

الطائفة هنا : الفرقة .

صَبَّحَهُمْ : أتاها صباحا هذا أصله ، ثم كثر استعماله حتى استعمل فيمن طرق بَغْتَةً فى أى وقت كان .

اجتاحتهم : بجيم فمشناة فوقية فألف فحاء مهملة أى استأصلهم من جُحَّت الشيء أَجُوْحُهُ إذا استأصلته والاسم الجائحة وهى الهلاك ، وأطلقت لأنها مُهلكة .

* * *

الثالث : فى بعض فوائد الحديث :

قال القاضي ناصر الدين البيضاوى فى شرح المصابيح رحمه الله تعالى : هذا الحديث

يحتمل أمرين : أحدهما : أن يكون حكاية سمعها جابر من النبي صلى الله عليه وسلم فحكّاها . وثانيهما : أن يكون إخبارا بما شاهده هو نفسه^(١) وانكشف له .

وقول بعض الملائكة : « إن العين نائمة والقلب يقظان » مناظرة جرت بيانا وتحقيقا لِمَا أَنَّ النفوسَ القدسيةَ الكاملةَ لا يَضْعَفُ إدراكها بضعف الحواس واستراحة الأبدان .

والفاء في « فمن أطاع محمدا » فاء السببية ، أي لِمَا كان الرسول يدعوهم إلى الله تعالى بأمره وهو سَفِير من قِبَلِهِ فمن أطاع فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله .

وقال الطيبي : قوله : « مثله كمثل رجل » مَطْلَعٌ للتشبيه ، وهو مبني على أن هذا التشبيه ليس من التشبيهات المفرقة كقول امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعِنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي^(٢)

شَبَّهَ القلوبَ الرطبة بالعناب ، واليابسة بالحشف على التفريق ، بل هو من التمثيل الذي يُنْتَزَع فيه الوجه من أمور معدودة متوهمة منضم بعضها مع بعض إذ لو أُريد التفريق لقليل : مثله كمثل داعٍ بعثه رجلٌ ومن ثَمَّ قَدَّمَتِ الملائكة في التأويل الردَّ على الداعي وعلى المضيف ، وروعى في التأويل أدب حسن ، حيث لم يصرح المشبَّه بالرجل لكن لَمَّحَ في قوله : « من أطاع الله » ما يدل على أَنَّ المشبَّه من هو . ونظيره في التمثيل قوله تعالى : « إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ » قال في الكشف : وَلِيَ الْمَاءُ الْكَافَ وَلَيْسَ الْغَرَضُ تَشْبِيهُ الدُّنْيَا بِالْمَاءِ وَلَا يَمُفْرَدُ آخِرُ يَتِمَحَلُّ لِتَقْدِيرِهِ ، وَمَا هُوَ بَيِّنٌ فِي هَذَا قَوْلُ لَبِيد :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالِدِيَارِ^(٣) وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمٌ حَلَّوْهَا وَعَدَّوْهَا بِالْأَقْعِ^(٤)

لم يشبَّه الناس بالديار وإنما شَبَّهَ وجودهم فيها وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووَشَكَّ نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية .

(١) ط : هو عن نفسه .

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١٦٦ (ط السندوب) .

(٣) ت ، م : بالديار .

(٤) ديوان لبيد ص ٨٨ (ط صادر) .

وتحريره أن الملائكة مثلوا سَبَقَ رحمة الله تعالى على العالمين بإرسال الرحمة المهداة للخلق كما قال تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين^(١) » ثم إعداده الجنة للخلق ودعوته صلى الله عليه وسلم إياهم إلى الجنة ونعيمها وبهجتها ، ثم إرشاده للخلق بسلوك الطريق إليها واتباعهم إياه بالاعتصام بالكتاب والسنة المُذَكِّيان إلى العالم السفلى ، وكانَّ الناس واقعون في مَهْوَاة طبيعتهم ومشتغلون بشهواتها ، وأنَّ الله تعالى يريد بلفظه رَفَعَهُمْ فَأَذَلَّى جبل القرآن والسُّنة إليهم ليخلصهم من تلك الوَرْطَة ، فمن تمسك بها نَجَا وحصل في الفردوس والجناب الأقدس عند ملك مُقْتَدِر ، ومن أَخْلَدَ إلى الأرض هَلَكَ وأضاع نصيبه من رحمة الله تعالى : بحال^(٢) مُضَيِّف كَرِيم بَنَى دارا وجعل فيها من ألوان الأَطْعَمَة المستلذَّة والأَشْرَبَة المستغذِّبة مالا يُحْصَى ولا يوصف ثم بعث داعياً إلى الناس يدعوهم إلى الضيافة إكراما لهم ، فمن تبع الداعي نال من تلك الكرامة ، ومن لم يَتَّبِعْ حرم منها .

ثم إنهم^(٣) وضعوا مكانَ حُلُول سَخَط الله تعالى بهم ونزول العقاب السَّوْمِد عليهم قولهم : « لم يدخل الدارَ ولم يأكل من المأدبة » لأنَّ فاتحة الكلام سِيَقَتْ لبيان سَبَق الرحمة على الغضب فلم يطابق أن لو خُتِم بما يصرِّح بالعذاب والغضب ، فجاءوا بما يدل على المراد على سبيل الكناية .

وقولهم : « محمدٌ فَرَّقَ بين الناس » كالنذيل للكلام السابق ، لأنَّه مشتمل على معناه ومؤكّد له في حضور الملائكة ورَجْع بعض الكلام على بعض ، وتمثيلهم ذلك ووضعهم المَظْهَر موضعَ المَضْمَر في مواضع من الحديث ، وتكرير الألفاظ مرة بعد أخرى ، وفي تقديم المَجْمَل ممثلاً به وتأويله ، دلالةً على الإرشاد التام وإزاحة اللعل وإيقاظ للسامعين من رَقْدَة الغفلة وسِنَة الجهالة ، وَحَثُّهم على الاعتصام بالكتاب والسنة والإعراض عما يخالفهما من البدعة والضلالة .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) متعلق بقوله قبل : أن الملائكة مثلوا سبق رحمة الله إلخ .

(٣) أي الملائكة .

المسألة : قال ابن خطيب الدمشقي في تقريبه بالفتح والضم : الطعام يُذْعَى إليه الناس .

أولوها : أى فسروا الحكاية أو التمثيل بمحمد صلى الله عليه وسلم ، من أول تأويلها إذا فسر بما يؤول إليه الشيء ، والتأويل فى اصطلاح العلماء : تفسير اللفظ بما يحتمله احتمالاً غير بَيِّن .

فرق : روى بالتشديد أى على صيغة الفعل وبالسكون على المصدر وصِف به للمبالغة كالعدل ، أى هو الفارق بين المؤمن والكافر والصالح والفاسق ، إذ به تميزت الأعمال والأعمال .

* * *

الرابع : فى بعض فوائد الحديث الرابع :

قوله صلى الله عليه وسلم : « مثلى » أى فى دعاء الناس إلى الإسلام المنقذ لهم من النار ومثل ما تزبن لهم أنفسهم من التهادى على الباطل « كمثلى رجل » إلى آخره والمراد تفسير الجملة بالجملة ، لا تمثيل فرد بفرد .

قال النووى : مقصود الحديث أنه صلى الله عليه وسلم شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم فى نار الآخرة وجرّصهم على الوقوع فى ذلك ومنعهم إياهم ، والجامع بينهما اتباع الهوى وضعف التمييز وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه^(١) .

وقال القاضى أبو بكر بن العربى : هذا مثل كثير المعانى ، والمقصود أن الخلق لا يأتون ما يجرّهم إلى النار على قصد الهلكة ، وإنما يأتونه على قصد المنفعة واتباع الشهوة ، كما أن الفراش يقتحم النار لانهلك فيها بل لما يُعجبه من الضياء ، وقد قيل إنها لا تبصر بحال وهو بعيد . وإنما قيل إنها تكون فى ظلمة فإذا رأت الضياء اعتقدت أنه كوة يُستظهر منها النور فتقصده لأجل ذلك فتحترق وهى لا تشعر . وقيل إن ذلك

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ٥٠/١٥ (ط المصرية) .

لضعف بصرها فتظن أنها في بيت مُظلم وأن السراج كوة فترى نفسها إليها وهي من شدة طيرانها تجاوزه فتقع في الظلمة فترجع فتحترق .

وقيل : إنها تتضرر بشدة النور فتقصد إطفاءه فلشدة جهلها تورط نفسها فيما لا قدرة لها عليه .

وقال الغزالي : التمثيل^(١) واقع على صورة الإكباب على الشهوات من الإنسان بإكباب الفراش على التهافت في النار ، ولكن جهل الآدمي أشد من جهل الفراش ، لأنها باغترارها بظاهر الضوء إذا احترقت انتهى عذابها في الحال ، والآدمي يبقى في النار مدة طويلة أو أبداً .

وقال الطيبي : تحقيق التشبيه الواقع في هذا الحديث يتوقف على معرفة معنى قوله تعالى : «ومن يتعدَّ حدودَ الله فأولئك هم الظالمون»^(٢) وذلك أن حدود الله هي محارمه ونواهيه كما في الحديث الصحيح : « ألا إنَّ حِمَىَ اللهَ مَحَارِمُهُ »^(٣) ورأس المحارم حب الدنيا وزينتها واستيقاء لذتها وشهواتها ، فشبه صلى الله عليه وسلم تلك الحدود ببياناته الشافية الكافية من الكتاب والسنة باستيقاد الرجل النار ، وشبه فُشُوَ ذلك الكُشْف في مشارق الأرض ومغاربها بإضاءة تلك النار ماحول المستوقد ، وشبه الناس وعدم مبالاتهم بذلك البيان والكشف وتعدّيهم حدودَ الله تعالى وحِرْصهم على استيفاء تلك اللذات والشهوات وَمَنَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إياهم عنه بأخذ حُجَزهم : بالفراش اللاني يقتحم^(٤) في النار ويغلبن المستوقد على دَفْعِهِ إياها عن الاقتحام ، وكما أن المستوقد كان غرضه من فعله انتفاع الخلق به من الاهتداء والاستدفاء وغير ذلك ، والفراش بجهلها جعلته سبباً لهلاكها : كذلك كان القصد بتلك البيانات اهتداء الأمة واختاءها عما هو سبب هلاكهم ، وهم مع ذلك لجهلهم جعلوها موجبة لترديهم .

(١) ت ، م : التشبيه .

(٢) سورة البقرة ٢٢٩ .

(٣) صحيح البخارى كتاب الإيمان .

(٤) ط : يقتحم .

وفي قوله : « آخِذْ بِحُجُزِكُمْ » استعارة مثلت حالة مَنْعهِ صلى الله عليه وسلم الأمة عن الهلاك بحالة رجل آخذ بحُجْزَةِ صاحبه الذي يَهْوَى . أن يَهْوَى في قعر بشرٍ مُرْدِيَةٍ .

والفاء في قوله : « فَأَنَا آخِذٌ بِحُجُزِكُمْ » فصيحة كما في قوله تعالى : « أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ^(١) » ، فإنه تعالى لما سأل بقوله : « أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا » فَأَجَابُوا لَا . قال : فإذا كان كذلك « فَكَرِهْتُمُوهُ » وكذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما قال للناس : « مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ » أى صفتي وصفتمكم . ثم شرع في بيان المشبه بقوله : « مَثَلُ رَجُلٍ » إلخ ، وعلم منه ما يقابله من التشبيهات على ما بيّناها آنفاً ، أتى بما هو أهم وأولى منها وهو قوله : « فَأَنَا آخِذٌ بِحُجُزِكُمْ » بالفاء . كأنه قيل : إذا صح هذا التمثيل وأنا مثل المستوقد وأنتم كالفراس تقتحمون في النار فَأَنَا آخِذٌ بِحُجُزِكُمْ .

ولهذه الدقيقة التفّت من الغيبة في قوله « مثل الناس » إلى الخطاب في قوله : « فَأَنَا آخِذٌ بِحُجُزِكُمْ » كما أنك إذا أخذت في حديث من لك عنايةً بشأنه ، والحال أنه مشغول بشيء يورطه في الهلاك ، ثم إنك من غاية رأفتك عليه وشدة حرصك على نجاته تجد في نفسك أنه حاضر عندك فتتحرى خلاصه .

استوقد : بمعنى أوقد ، ولكن الأول أبلغ كعَفَّ واستعَفَّ .

والإضاءة : قرط الإنارة ، واشتقاقه من الضوء وهو ما انتشر من الأجسام النيرة يقال : أضاءت النارُ وأضاءت غيرها يتعدى ولا يتعدى ، فإن جعل متعدياً يكون : ماحوِّله مفعولاً به ، وإن جعل لازماً يجوز أن يكون ما حوله فاعلاً له على تأويل الأما كن ، ويجوز أن يكون فاعله ضميرُ النار ، وما حوله ظَرْفٌ ، فيجعل حصول إشراق النار في جوانبها بمنزلة حصولها نفسها فيها مبالغة .

وحَوَّلَ الشيء ، جانبه الذى يمكنه أن يُحوَّلَ إليه ، أوسمى بذلك اعتباراً بالدوران والإطافة ، ويقال للعام : حَوَّلَ . لأنه يدور .

وفي رواية مسلم : « ما حَوَّلَهَا » فيكون الضمير راجعا إلى النار وفي رواية البخارى :
« ما حوله » كما في التنزيل^(١) والضمير راجع إلى المستوقد .

الجنادب : جمع جُنْدَب وفيها ثلاث لغات : جُنْدَب بضم الدال وفتحها والجيم
مضمومة فيهما . والثالثة حكاها القاضى جِنْدَب بكسر الجيم وفتح الدال . والجنادب هذه
الصُّرَّار التي تشبه الجراد . وقيل غير ذلك .

الفراش : اسم لنوع من الطير مستقل له أجنحة أكبر من جثته وأنواعه مختلفة
في الكِبَر والصغر وكذا أجنحته .

وهذه الدواب : قال الحافظ : عطف الدواب على الفَراش يُشعر بأنها غير الجنادب
والجراد . قال النووى وتبعه الطيبي : وقوله « وهذه الدواب » كقوله تعالى : « ماذا أراد
الله بهذا مثلا » وقول عائشة في حق عبد الله بن عمرو : « عجبت لابن عمرو هذا » والتأنيث
في هذه باعتبار الخبر لأنه جَمْع ، ويجوز أن يراد بالفراش الجنس فيؤنث كقوله تعالى :
و « وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي^(٢) » وتخصيص ذِكر الدواب – والفراش لا يسمى
دابة عرفا – لبيان جهلها ، كقوله تعالى : « إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ^(٣) » كل
ذلك تعريض بطالب الدنيا المتهالك فيها .

يتفحَّمن : التفحَّم أصله القَحْم وهو الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبيت ،
ويطلق على رَمَى الشيء بغتة . واقتحم الدارَ : هجمَ عليها .

فأنا آخِذٌ : بوزن اسم الفاعل ، ويروى بصيغة المضارعة . قال النووى : والأول
أشهر .

بَحْجَزَكُم : بحاء مهملة مضمومة فجيم مفتوحة فزاي : جمع حُجْزة وهي مَعْقَد
الإزار والسراويل .

عن النار : وضع السبب موضع المسبب ، لأن المراد أنه يمنعهم من الوقوع في المعاصي
التي تكون سببا لولوج النار .

(١) في قوله تعالى في سورة البقرة ١٧ : « فلما أضاعت ما حوله ذهب الله بنورهم » .

(٢) سورة النحل ٦٨ .

(٣) سورة الأنفال ٢٢ .

هلم : كلمة بمعنى الدعاء إلى الشيء كما يقال : تعال . قال الخليل : أصله : لَمْ من الضم والجمع ، ومنه لَمْ الله شعثه . وكان المنادى أراد لَمْ نفسك إلينا . وهاء للتنبيه ، وحذفت الألف تخفيفاً لكثرة الاستعمال وجُعلا اسماً واحداً . وقيل في أصلها غير ذلك . وأهل الحجاز ينادون بها بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع . وفي لغة نجد تلحقها الضمائر وتطابق . وتستعمل لازمة نحو « هلم إلينا » أى أقبل ومتعدية نحو « هلم شهداءكم »^(١) أى أحضروهم .

فتغلبوني : بتشديد النون لأن أصله فتغلبوني ، فأدغم أحد النونين في الأخرى ، والفاء فيه سببية على التعكيس كاللام في « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً »^(٢) وتقديره : أنا آخذ بحُجَزكم لأخلصكم عن النار فعكستم فجعلتم الغلبة مسببة عن الأخذ .
تقحمون : بفتح المثناة الفوقية والقاف والحاء المهملة المشددة والأصل تتقحمون فحذف إحدى التاءين .

* * *

الخامس : في بعض فوائد الحديث :

سَفَر - بفتح السين المهملة : جمع سافر كركب وراكب ، يقال سافر الرجل سَفَرًا من باب طلب خرج للارتحال فهو سافر .

المفازة : القلاة بلا ماء من المهالك أو من النجاة تفاؤلاً .

الحلّة : بضم الحاء لا تكون إلا من ثوبين .

حَبْرَة : كعنبية على الوصف أو الإضافة .

وردت بكم : يقال ورد الماء والشيء : حضره .

رياضاً : جمع روضة وهى الموضع المعجّب بالزهور .

مُعْشِيَة : ذات عُشْب ، وهو الكَلأ الرُّطْب .

حياضاً : جمع حوض وهو ما يجمع فيه الماء .

رَوَاء : بوزن كتاب جمع رِيًّا يقال رَوَى من الماء بالكسر رِيًّا وَيُكْسَر . أو المكسور

اسم فهو رِيَّان والمرأة رِيًّا كغضبان وغضبي وجمعهما رِوَاء .

(٢) سورة القصص ٨ .

(١) سورة الأنعام ١٥٠ .

الباب الخامس عشر

في مثله ومثل الأنبياء من قبله

روى الإمام أحمد والشيخان والبيهقي عن أبي هريرة ، والإمام أحمد ومسلم عن أبي سعيد الخدري ، والإمام أحمد والشيخان عن جابر بن عبد الله ، والإمام أحمد والترمذي وصححه عن أبي بن كعب رضى الله تعالى عنهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى : كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجملته وأتممه إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه ، فجعل الناس يدخلون ويطوفون ويتعجبون له ويقولون : لولا موضع اللبنة . وفي لفظ : يقولون له : هلاً وضعت هذه اللبنة فيتم بنيانك ، فأننا في النبيين موضع تلك اللبنة ، جئت فختمت الأنبياء »^(١) .

قال الحافظ : إن قيل المشبه به واحد والمشبّه جماعة ، فكيف صح التشبيه ؟

ـجوابه : أنه جعل الأنبياء كلهم كرجل واحد ، لأنه لا يتم ما أراد من التشبيه إلا باعتبار الكل ، وكذلك الدار لا تتم إلا باجتماع البنيان . ويحتمل أن يكون من التشبيه التمثيلي ، وهو أن يؤخذ وصف من أوصاف المشبه ويشبه بمثله من أحوال المشبه به ، فكأنه شبه الأنبياء وما بُعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقى منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت ، فنبيّنا صلى الله عليه وسلم بُعث لتتميم مكارم الأخلاق ، كأنه هو تلك اللبنة التي بها إصلاح ما بقي من الدار .

وزعم ابن العربي أن اللبنة المشار إليها كانت في أسس الدار المذكورة ، وأنها لولا وضعها لانقضت تلك الدار . قال : وبهذا يتم المراد من التشبيه المذكور انتهى .

وهذا إن كان منقولاً فحسن ، وإلا فليس بلام . نعم ظاهر السياق أن تكون اللبنة

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب ، وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ وسنن الترمذى

كتاب الأدب وكتاب المناقب ، ومسنّد أحمد ١٣٧/٢ ، ٢٥٦ ، ٣١٢ ، ٣٩٨ ، ٤١٢ .

في مكان يُظهر عَدَمَ الكمال في الدار بفقدائها ، وقد وقع في رواية همام عند مسلم : « إلا موضع لبنة في زاوية من زواياها » فظهر أن المراد أنها مكملّة محسّنة وإلا لاستلزم أن يكون الأمر بدونها كان ناقصا ، وليس كذلك فإن شريعة كلّ نبيّ بالنسبة إليه كاملة ، فالمراد هنا النظر إلى الأكمل بالنسبة إلى الشريعة المحمدية ، مع ما تقدم من الشرائع الكاملة .

الباب السادس عشر

في الوقت الذي كُتب فيه نبينا صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير أنَّ رجلاً سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : متى كنت نبياً : قال : بين الروح والطين من آدم^(١) .

وروى أيضاً عن عبد الله بن شَقِيق عن أبي الجَدعاء قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد »^(٢) - رجاله ثقات - وروى الترمذى وحسنه عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قالوا : يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد »^(٣) . وتقدمت أحاديث في الباب الثالث أوائل الكتاب فراجعها^(٤) .

(١) طبقات ابن سعد ١/١٤٨ (ط بيروت) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سنن الترمذى كتاب المناقب باب رقم ١ .

(٤) انظر الجزء الأول من هذا الكتاب .

الباب السابع عشر

في إعلام الوحش برسالاته صلى الله عليه وسلم

روى الإمام أحمد عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: حدثنا شيخ أدرك الجاهلية يقال له عَنبَس^(١) قال: كنت أسوق بقرة لآلِ لنا فسمعت من جوفها: يا آل ذريح، قول فصبح، رجلٌ يصبح: لا إله إلا الله.

قال: فقد منّا مكة فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة^(٢).

ذريح - بذا م معجمة مفتوحة فراء مكسورة فمثناة تحتية فحاء مهملة.

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال: جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ شاة فطلبه الراعى حتى انتزعها منه، فصعد الذئب على تلٍّ فأقعى فقال: عَمِدْتُ إلى رزقي رزقنيهِ الله انتزعته مني؟ فقال الرجل: تالله إن رأيت كاليوم! ذئب يتكلم! فقال الذئب: أعجب من هذا رجلٌ في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن. وكان الرجل يهوديا فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبرَ وصدقه النبي صلى الله عليه وسلم. الحديث.

ويأتى بتمامه في المعجزات ويأتى فيها قول الضبِّ له: أنت رسول الله^(٣).

(١) ص: عباس.

(٢) الوفا ص ١٥٩.

(٣) مستد أحمد ٣٠٦/٢ وقد أورده الحافظ ابن كثير بطرق متعددة عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وأنس وابن عمر.

شمائل الرسول لابن كثير ٢٧٣ - ٢٨٠. كما ورد في الشفا للقاضي عياض ص ٢٦٥.

الباب الثامن عشر

في شهادة الرضيع والأبكم برسالة صلى الله عليه وسلم

روى البيهقي عن مُعْرُض بن عبد الله بن معَيْقِب اليمامي ، عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه مثل دائرة القمر ورأيت منه عجبا ، جاءه رجل بغلام يوم ولد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا غلام من أنا ؟ قال : أنت رسول الله . قال : صدقت بارك الله فيك . قال : ثم إن الغلام لم يتكلم بعد حتى شب فكننا نسمة مبارك اليمامة^(١) .

وروى أيضا عن شمر بن عطية عن بعض أشياخه قال : جاءت امرأة بابن لها قد شب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ؛ يا رسول الله إن ابني هذا لم يتكلم منذ ولد . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنيه مني فأذنته منه فقال : من أنا ؟ قال : أنت رسول الله^(٢) .

وسياتي في المعجزات زيادة على ذلك .

(١) شمائل الرسول لابن كثير (ط الحلبي) ص ٣٠٣ عن البيهقي .

(٢) شمائل الرسول لابن كثير ص ٣٠٤ .

جَمَاعُ أَبْوَابِ بَعْضِ الْأُمُورِ الْكَائِنَةِ بَعْدَ بَعْثِنِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الباب الأول

في تعليم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء والصلاة

عن أسامة بن زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهما أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم في أول ما أوحى إليه فأراه الوضوء والصلاة ، فلما فرغ من الوضوء حتى حفنة من الماء فنضح بها فرجه .

رواه الإمام أحمد والدارقطني من طريق رشدين بن سعد وهو ضعيف ، عن عقيل عن قُرّة ، عن عروة ، عن أسامة . والحاتث بن أبي أسامة ، والدارقطني من طريق بن لهيعة وهو ضعيف ، عن عقيل ، عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير ، عن أسامة بن زيد ، عن أبيه فذكره ، ورواه الطبراني في الأوسط عن عقيل عن الزهري به . فينظر فيمن دون عقيل فإن كانوا ثقة فالحديث سنده جيد .

ورواه أبو نعيم من طريق النضر بن سلمة وهو ضعيف ، عن عائشة . ورواه أبو نعيم والبيهقي من طريق يزيد بن رومان^(١) عن عروة بن الزبير ، فذكر مجي جبريل عليه السلام وحديث البعث ، وفي آخره : ففتح جبريل عيناً من ماء فتوضأ ومحمد صلى الله عليه وسلم ينظر إليه فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ومسح برأسه وغسل رجليه إلى الكعبين ثم نضح فرجه وسجد^(٢) سجدتين مواجهة البيت ففعل محمدٌ كما رأى جبريل يفعل . ورواه أبو نعيم من طريق يزيد [بن رومان]^(٣) عن الزهري عن عروة عن عائشة^(٤) . وهذه الطرق يقوى بعضها بعضاً ، ويدل على أن للقصة أصلاً .

وقد ذكر القصة ابنُ إسحاق^(٥) ورواها البلاذري^(٦) عن الزهري وقتادة والكلبي

(١) بياض بالأصل وما أثبتته من دلائل النبوة لأبي نعيم ص ١٧٤

(٢) ت ، م : ثم سجد . (٣) بياض في ت ، م . وما أثبتته من دلائل النبوة لأبي نعيم ص ١٧٤ .

(٤) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ١٧٤ وفيها : عن يزيد بن رومان الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة ولعل هناك

سقطاً بين قوله : يزيد بن رومان وقوله : الزهري .

(٥) سيرة ابن هشام ٢٤٤/١ . (٦) أنساب الأشراف للبلاذري ١١١/١ .

ومحمد بن قيس قالوا : إن جبريل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء والصلاة و « اقرأ باسم ربك الذي خلق » أتاه وهو بأعلى مكة فهَمَزَ له بعَقِبِهِ في ناحية الوادئ فانفجرت له منه عَيْنٌ فتوضأ جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ليريه كيف^(١) الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل يتوضأ ، ثم أقام به جبريل فصلى به .

وفي حديث عائشة السابق أنه صلى به ركعتين نحو الكعبة واستقبل الحجر الأسود^(٢) . انتهى .

وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ، ثم انصرف جبريل فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فتوضأ لها يريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل ، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلى لها كما صلى به جبريل ، فصلت بصلاته .

وروى الإمام أحمد والبيهقي وابن عبد البر عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي عن أبيه ، عن جده ، قال : كنت امرأةً تاجراً فقدمت الحج في الجاهلية ، فأتيته العباس ابن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة فوالله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل^(٣) مُجْتَمِعٌ من خباء قريب منه ، فنظر إلى الشمس فلما رآها مالت توضأ فأسبغ الوضوء ثم قام يصلى ، ثم خرج غلام قد راهق الحلم من ذلك الخباء فقام يصلى معه ، ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة من ذلك الخباء فقامت خلفهما ، ثم ركع الشاب وركع الغلام وركعت المرأة ، ثم رفع الشاب ورفع الغلام ورفعت المرأة ، ثم خرّ الشاب ساجداً وخرّ الغلام وخرّت المرأة فقلت للعباس : يا عباس ما هذا ؟ قال : هذا محمد بن عبد المطلب ابن أخي . قلت : من هذه المرأة . قال : هذه امرأته خديجة بنت خويلد . فقلت : من هذا الفتى ؟ قال : هذا علي بن أبي طالب ابن عمه قلت : فما هذا الذي يصنع ؟ قال : يصلى ، يزعم

(١) ت ، م : كيفية .

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ١٧٤ .

(٣) غير من : إذا رجع خرج .

أنه نبي ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى ، وهو يزعم أنه ستُفتح عليه كنوز كسرى وقيصر .

قال عفيف : فليتني كنت آمنت به يومئذ فكنت أكون ثانيا مع علي بن أبي طالب^(١) .
وهذا الحديث يردّ قول من قال : إن فرض الصلاة كانت بالعادة والعشي فقط .

تَنْبِيهَات

الأول : قال السهيلي رحمه الله تعالى : الوضوء على هذا الحديث - يعني رواية الحارث بن أبي أسامة . عن زيد بن حارثة - مكى بالفرض مدني بالتلاوة ، لأن آية الوضوء مدنية وإنما قالت عائشة : فأنزل الله آية التيمم ولم تقل آية الوضوء وهي لأن الوضوء قد كان مفروضاً قبل ، غير أنه لم يكن قرآناً يُتلى حتى نزلت آية المائدة .

قلت : قال الحاكم رحمه الله تعالى في المستدرک : أهل السنة بهم حاجة إلى دليل الردّ على من زعم أن الوضوء لم يكن قبل نزول المائدة . ثم ساق حديث ابن عباس : دخلت فاطمة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقالت : هؤلاء الملاء من قريش قد تعاقدوا على قتلك فقال : اثبتوني بوضوء فتوضأ ثم خرج إلى المسجد . وذكر الحديث^(٢) .

وقال أبو عمر رحمه الله تعالى : معلوم عند جميع أهل المغازي أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل منذ افترضت الصلاة إلا بوضوء ، ولا يدفع هذا إلا جاهل أو معاند ، قال : وفي قول عائشة رضي الله تعالى عنها : « فأنزل الله آية التيمم » إشارة إلى أن الذي طرأ إليهم من العلم حينئذ حكم التيمم لا حكم الوضوء .

قال : والحكمة في نزول آية الوضوء مع ما تقدم العمل به ليكون فرضه متلوّاً بالتنزيل .

وقال غيره : يحتمل أن يكون أول آية الوضوء نزل قديماً فعملوا به ، ثم نزل بقيتها وهو ذكر التيمم في هذه القصة . وإطلاق آية التيمم على هذا من إطلاق الكل على البعض .

(١) سيرة ابن كثير ٤٢٩/١ ، عن ابن إسحاق من رواية يونس بن بكير ، وقابله إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق . والوفاء لابن الجوزي ص ١٦٨ .

(٢) المستدرک للحاكم ١٦٣/١ ونصه : « وأهل السنة من أحوج الناس لمعارضة ما قيل إن الوضوء لم يكن » إلخ .

قال الحافظ : لكن رواية عمرو بن الحارث عند البخارى فى التفسير تدلّ على أنّ الآية نزلت جميعها فى هذه القصة ، فالظاهر ما قاله ابن عبد البر .

وقال القاضى رحمه الله تعالى : اختلفوا متى فرضت الطهارة للصلاة ؟ فذهب ابن الجهم إلى أنّ الوضوء فى أول الإسلام سنة ثم نزل فرضه فى آية التيمم وقال الجمهور : بل كان قبل ذلك فرضا . انتهى .

* * *

الثانى : قال الحافظ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى : صلاة جبريل هذه غير الصلاة التى صلّاها به عند البيت مرتين ، فبيّن له أوقات الصلوات الخمس أولها وآخرها فإن ذلك كان بعد فرضيتها ليلة الإسراء ، كما سيأتى بيان ذلك^(١) .

الثالث : زعم ابن حزم أنّ الوضوء لم يُشرع إلا بالمدينة وتُعقب بما تقدم .

الرابع : قال السهيلي : ذكر الحرّبي ويحيى بن سلام أنّ الصلاة كانت قبل الإسراء صلاة قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوعها .

ونقل ابن الجوزى عن مقاتل بن سليمان قال : فرض الله تعالى على المسلمين فى أول الإسلام ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي .

قال الحافظ بعد أن نقل ما ذكره الحرّبي : وردّه جماعة من أهل العلم . وقال قبل ذلك : ذهب جماعة إلى أنّه لم يكن قبل الإسراء صلاة مفروضة إلا ما وقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد .

* * *

الخامس : ذكر ابن إسحاق هنا حديث ابن عباس فى إمامة جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعليمه إياه أوقات الصلوات الخمس فى اليومين .

قال فى الروض : ولم يكن ينبغى له ذكره فى هذا الموضع ، لأنّ أهل العلم متفقون على أنّ هذه القصة كانت فى الغد من ليلة الإسراء كما سيأتى بيان ذلك فى موضعه^(٢) .

(١) سيرة ابن كثير ٤٢٧/١ .

(٢) الروض الأنف ١٦٣/١ .

السادس : فى بيان غريب ما تقدم .

حتى صَبَّ الحَقْنَةُ - بفتح الحاء المهملة : ملء الكفين .

نَضَح : بالحاء المهملة : رَشَّ .

لَهَيْعَة : بفتح اللام وكسر الهاء .

عُقَيْل : بضم العين وفتح القاف . هَمَز : أى دفع :

بعقبه - بفتح العين وكسر القاف : مؤخر القدم .

الطُّهُور - بضم الطاء : الوضوء ويجوز فيه الفتح والأكثر فى الماء الفتح ، ويجوز

الضم .

عَفِيف - بعين مهملة بالتكبير : صحابى له فى فضل على حديثٌ .

مُجْتَمِع - بيم مضمومة فجيم ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة فميم مكسورة : وهو الذى بلغ أشده ولا يقال ذلك فى النساء .

إِسْبَاغ الوضوء : الوضوء هنا بالضم لأنه الفعل ويجوز فيه الفتح ، والماء بالفتح ويجوز

فيه الضم .

راهِق : قارب الاحتلام .

الباب الثاني

في إسلام خديجة بنت خويلد ، وعلى بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ، وأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم ، واختلاف الناس فيمن أسلم أولاً .

قال أبو عمر : اتفقوا على أن خديجة أول من آمن .

وقال أبو الحسن ابن الأثير : خديجة أول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين ، لم يتقدمها رجل ولا امرأة^(١) وأقره الذهبي . وقال محمد بن كعب القرظي : أول من أسلم^(٢) من هذه الأمة برسول الله صلى الله عليه وسلم : خديجة رضي الله تعالى عنها .

رواه البيهقي^(٣)

وروى اللؤلؤاني عن قتادة والزهرى قالا : كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم من النساء والرجال .

وحكى الإمام الثعلبي اتفاق العلماء على ذلك ، وإنما اختلافهم في أول من أسلم بعدها .

وقال النووي : إنه الصواب عند جماعة من المحققين .

وقال ابن إسحاق : وآمنت به خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاء به^(٤) من الله . ووازرته على أمره ، فكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء به ، فخفف الله بذلك عن رسوله ، لا يسمع بشيء يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عليه وتصدقته وتهون عليه أمر الناس . يرحمها الله تعالى^(٥) .

(١) الكامل لابن الأثير ٣٧/٢ (ط بيروت) .

(٢) كذا ، ولعلها : أول من آمن . وفي ابن كثير : وقال محمد بن كعب أول من أسلم من هذه الأمة خديجة .

(٣) سيرة ابن كثير ٤٣١/١ .

(٤) ت ، م : بما جاءه .

(٥) سيرة ابن هشام ٢٤٠/١ .

وقال الواقدي : أجمع أصحابنا أن أول المسلمين استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة .

قال ابن إسحاق : ثم كان أول ذكرٍ من الناس آمن بـرسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق بما جاءه من الله على بن أبي طالب ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وخديجة يصليان سرا ثم إن علي بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيوم فوجدهما يصليان فقال علي : ما هذا يا محمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله فادعوك إلى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته وكفر باللات والعزى . فقال علي : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم ، فلست بقاض أمرا حتى أحدث به أبا طالب . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره ، فقال له : يا علي إذا لم تُسلم فاكم هذا . فمكث علي تلك الليلة ، ثم إن الله تبارك وتعالى أوقع في قلب علي الإسلام فأصبح غاديا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فقال : ماذا عرضت علي يا محمد : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد .

ففعل علي رضي الله عنه وأسلم ، فمكث علي يأتيه على خوفٍ من أبي طالب وكم إسلامه ولم يظهره .

قال مجاهد : وكان مما أنعم الله على علي أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام ، لما أراد الله به من الخير ، وذلك أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه : وكان من أيسر بني هاشم : يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق فخفف عنه من عياله^(١) فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما .

(١) ت ، م : من هذه العيال .

قال ابن هشام : وَيُقَالُ : عُقَيْلًا وَطَالِبًا ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا فَضَمَّهُ إِلَيْهِ ، وَأَخَذَ الْعَبَّاسَ جَعْفَرًا فَضَمَّهُ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلِيٌّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ نَبِيًّا فَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ ، وَلَمْ يَزَلْ جَعْفَرُ عِنْدَ الْعَبَّاسِ حَتَّى أَسْلَمَ وَاسْتَغْنَى عَنْهُ .

قال ابن إسحاق : وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ وَخَرَجَ مَعَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مُسْتَخْفِيًا مِنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَمِنْ جَمِيعِ أَعْمَامِهِ وَسَائِرِ قَوْمِهِ فَيُصَلِّيَانِ الصَّلَاةَ فَإِذَا أُمْسِيَا رَجَعَا فَمَكَّنَا كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمَكَّنَا ، ثُمَّ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ عَثَرَ عَلَيْهِمَا يَوْمًا وَهُمَا يَصَلِّيَانِ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا ابْنَ أَخِي مَا هَذَا الَّذِي تَدِينُ بِهِ ، قَالَ : أَيُّ عَمِّ هَذَا دِينُ اللَّهِ وَدِينِ مَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ وَدِينِ آبَائِنَا إِبْرَاهِيمَ - أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعْنَى اللَّهِ بِهِ رَسُولًا إِلَى الْعِبَادِ وَأَنْتَ أَيُّ عَمِّ أَحَقُّ مِنْ بَذَلْتُ لَهُ النَّصِيحَةَ وَدَعَوْتُهُ إِلَى الْهُدَى وَأَحَقُّ مِنْ أَجَابَنِي إِلَيْهِ وَأَعَانَنِي عَلَيْهِ . أَوْ كَمَا قَالَ . فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : أَيُّ ابْنِ أَخِي إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفَارِقَ دِينَ آبَائِي وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا يَخْلُصُ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مَا بَقِيتُ .

وَذَكَرُوا أَنَّهُ قَالَ لَعَلِي : أَيُّ بَنِي مَا هَذَا الدِّينَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ : يَا أَبَتِ آمَنْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَدَّقْتُ بِمَا جَاءَ بِهِ وَصَلَّيْتُ مَعَهُ ، فَرَعَمُوا أَنَّهُ قَالَ لَهُ : أَمَّا إِنَّهُ لَمْ يَدْعُكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ فَالْزَمَهُ ^(١) .

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : ظَهَرَ عَلَيْنَا أَبُو طَالِبٍ وَأَنَا أَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَاذَا تَصْنَعَانِ ؟ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ : مَا بِالَّذِي تَقُولُ مِنْ بَأْسٍ ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا تَغْلُونِي أَسْتَيْ أَبَدًا .

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ قَالَ : أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَدِيجَةُ وَأَوَّلُ رَجُلَيْنِ أَسْلَمَا : أَبُو بَكْرٌ وَعَلِيٌّ ، وَأَسْلَمَ عَلِيٌّ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ ، وَكَانَ عَلِيٌّ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ خَوْفًا مِنْ أَبِيهِ حَتَّى لَقِيَهِ أَبُوهُ قَالَ : أَسْلَمْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَازِرُ ابْنِ عَمِّكَ وَانْصَرِهِ . قَالَ : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ ^(٢) .

(١) سيرة ابن هشام ١/٢٤٥ - ٢٤٧ .

(٢) سيرة ابن كثير ١/٤٣١ .

وروى الترمذى واستغفره وابن جرير عن جابر قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى على يوم الثلاثاء .

وروى ابن جرير عن زيد بن أرقم قال : أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب^(١) .

قال أبو عمر : وقد روى عن سلمان والمقداد وخباب وجابر وأبي سعيد الخدري وزيد ابن أرقم أن علي بن أبي طالب أول من أسلم . وبذلك قال ابن إسحاق والزهري إلا أنه قال : من الرجال بعد خديجة . وهو قول الجميع في خديجة^(٢) .

قال ابن إسحاق : ثم أسلم زيد بن حارثة بن شراحيل - بفتح الشين المعجمة والراء فألف فحاء مهملة مكسورة فمثناة تحتية فلام - ابن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي مؤلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي ابن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة .

روى البيهقي عن ابن إسحاق أن أبا بكر - رضى الله تعالى عنه - لقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا وتسفیهك عقولنا وتكفيرك إيانا ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : بلى - إني رسول الله ونبي به عني لأبلغ رسالته ، وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله إنه لحق فأدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ولا تعبد غيره والمالاة على طاعته . وقرأ عليه القرآن فلم يعز^(٣) ولم ينكر بل أسلم وكفر بالأصنام وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام ، ثم رجع إلى أهله وقد آمن وصدق .

قال ابن إسحاق : بلغني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ما دعوت أحدا

(١) سيرة ابن كثير ٤٣١/١ . وزاد : قال فذكرته للنخعي فأنكره وقال : أبو بكر أول من أسلم .

(٢) انظر جمع ابن كثير بين الأقوال في أول من أسلم ، السيرة ٤٣٢/١ .

(٣) كذا ، والذي في ابن كثير ٤٣٣/١ : فلم يقر ولم ينكر . وقال ابن كثير : وهذا الذي ذكره ابن إسحاق في قوله : « فلم يقر ولم ينكر » منكر ، فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سمعته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق فكيف يكذب على الله .

إلى الإسلام إلا كانت عنده كُتُوبَةٌ وتردّد ونظرٌ إلا أبا بكر ما عكم عنه حين ذكرته له ولا تردّد^(١) .

الكُتُوبَةُ - بكاف مفتوحة فموحدة ساكنة فواو فتاء تأنيث : قال أبو ذر : يعنى تأخراً وقلة إجابة من قولهم كُتِبَ الزُّنْدُ : إذا لم يُورِنارا .

ما عكم - بعين مهملة فكاف مفتوحتين : أى ما تلبث بل أجاب بسرعة .

قال البيهقي : وذلك لِمَا كان يرى من دلائل نبوته ويسمع بشأنه قبل دعوته ، فلما دعاه وقد سبق فيه تفكيره ونظره أسلم على الفور .

قال السهيلي - رحمه الله تعالى - : وكان من أسباب ذلك توفيق الله تعالى إياه فيما ذكروا أنه رأى رؤيا قبلُ ، وذلك أنه رأى القمر نزل إلى مكة ثم رآه قد تفرّق على جميع منازل مكة وبيوتها فدخل في كل بيت شُعبَةً ، ثم كان جميعه في حجره . فقصّها على بعض أهل الكتابين فعبرها له بأن النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - المنتظر قد أظلم زمانه ، اتبعه وتكون أسعد الناس به ، فلما دعاه رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - لم يتوقف^(٢) .

وروى ابن الجوزي في صفوة الصفوة عن الشَّعْبِيِّ قال : قال ابن عباس : أوّل من صَلَّى أبو بكر وتمثل بأبيات حسان بن ثابت :

إذا تذكّرت شَجَوًا من أخى ثقةٍ فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلاً
خير البرية أنقاهما وأفضلهما بعد النبي وأوفاهما بما حملاً
والثاني التالي المحمود مشهده وأوّل الناس منهم صدّق الرُّسُلَا^(٣)

قال السهيلي : وقد مدح حسان أبا بكر بما ذكر وسمعه النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - ولم ينكره .

وفيه دليل على أنه أوّل من أسلم .

(١) سيرة ابن كثير ٤٣٣/١ . وهذا الذى ذكره المؤلف عن ابن إسحاق ليس فى سيرة ابن هشام ، إذ هو من رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق . أما سيرة ابن هشام فهى من رواية زياد البكائى عن ابن إسحاق .

(٢) الروض الأنف ١٦٥/١ . (ط الجمالية) .

(٣) صفوة الصفوة لابن الجوزى ٨٩/١ .

وقال إبراهيم النخعي : أول من أسلم أبو بكر . رواه الإمام أحمد وصححه .

قال ابن كثير : وقول النخعي هو المشهور عند جمهور أهل السنة^(١) .

وقال المحب الطبري تبعا لأبي عمرو بن الصلاح : الأولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال : أول من أسلم مطلقاً : خديجة . وأول ذكر أسلم علي بن أبي طالب وهو صبي لم يبلغ ، وكان مخفياً إسلامه ، وأول رجل عربي بالغ أسلم وأظهر إسلامه أبو بكر ابن أبي قحافة ، وأول من أسلم من الموالى : زيد . وقال : هذا مُتَّفَقٌ عليه لا خلاف فيه ، وعليه يحمل قول علي وغيره : أول من أسلم من الرجال أبو بكر . أي من الرجال البالغين .

ويؤيده ما رواه خيثمة في فضائل الصحابة عن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - قال : إن أبا بكر سبقني إلى أربع لم أعتض بشيء منهن : سبقني إلى إفشاء الإسلام ، وقدم الهجرة ، ومصاحبته في الغار ، وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب يُظهر إسلامه وأخفيه . الحديث .

وجمع بعض المحققين بين الاختلاف بالنسبة إلى علي وأبي بكر بأن أبا بكر أول من أظهر إسلامه ، وأن علياً أول من أسلم بعد خديجة ، ويحققه ما مرَّ .

وقيل : أول رجل أسلم ورقة بن نوفل . ومن يمنع يدعى أنه أدرك نبوته عليه الصلاة والسلام لا رسالته ، لكن جاء كما تقدم في بدء الوحي أنه قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم : أبشر فأننا أشهد أنك الذي بشر به ابنُ مريم ، وأنتك علي مثل ناموس موسى ، وأنتك نبي مرسل ، وأنتك ستؤمر بالجهاد ، وإن أدركتُ ذلك لأجاهدن معك . فهذا تصريح منه بتصديقه برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم .

قال البلقيني : بل يكون بذلك أول من أسلم من الرجال . وعلى ذلك جرى الحافظ أبو الفضل العراقي في نكتته على كتاب ابن الصلاح .

وقيل : إن خالد بن سعيد أسلم قبل علي - رضي الله تعالى عنهما .

(١) سيرة ابن كثير ٤٣٥/١ .

تنبيه : فى بيان غريب ما سبق .

وازَّرتَه كذا فى نسخ السيرة . وقال الجوهرى : الأَزَرُ : القوة إلى أن قال : آزَّرتَ فلانا : عاونته ، والعامة تقول : وازَّرتَه .

الحِجْرُ : بفتح الحاء وكسرها .

أَزَمَ - بفتح الهمزة ثم زاي ساكنة : وهى الشدة والقَحْطُ ، يقال أصابتهم سَنَةٌ أزمَتْهم أى استأصلَتْهم . وأزم عليهم الدهر يَأْزِمُ أزمًا اشتدَّ وقلَّ خيرُه .

الشَّعَاب - بكسر الشين المعجمة : جمع شَعْب بكسرها أيضاً ، وهو ما انفرج بين الجبلين . وقيل هو الطريق فى الجبل .

عَثَر عليهما ، بفتح الثاء المثناة : اطلَّع .

لا يُخْلَص ، بالبناء للمفعول : أى لا يَصِل إليكم أحدٌ بسوء .

الشَّجُو : الهم والحزن ، هذا أصله قال فى الرياض النضرة : هذا أصله ولا أرى له وجهًا هنا إلا أن يريد به ما كابده أبو بكر - رضى الله عنه ، فأطلق عليه شجوا لاقتضائه ذلك ، أو أراد حزنَ أبى بكر مما جرى على النبى - صلى الله عليه وسلم^(١) .

النواجد : جمع ناجذ بالميم والذال المعجمة وهو آخر الأضراس

(١) راجع الرياض النضرة ٥٥/١ - ٥٧ (الطبعة الأولى) .

الباب الثالث

في ذكر متقدمي الإسلام من الصحابة - رضى الله تعالى عنهم
تقدم على يزيد بن حارثة

قال ابن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - أظهر إسلامه ودعا إلى الله تعالى وكان رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بما كان - فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجرا ذا خلق حسن ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم على يديه فيما بلغنى :

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ، بن عبد الحارث ، بن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى .

وسعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى .

وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب ابن لؤى .

ولما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العنوية فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تميم ، وكان نوفل هذا يدعى أسد قريش ، فلذلك سمي أبو بكر وطلحة : القرينين . وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : اللهم اكفنا ابن العنوية .

فانطلقوا حتى أتوا رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - ومعهم أبو بكر فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام وبما وعدهم الله تعالى من الكرامة ، فآمنوا وأصبحوا مقرّين بحق الإسلام .

قال ابن إسحاق : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا في الإسلام فصلّوا وصدّقوا رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - فآمنوا بما جاءه من عند الله^(١) .

وروى البخارى عن عمّار بن ياسر - رضى الله تعالى عنهما - قال : رأيت رسولَ الله - صَلَّى الله عليه وسلَّم - وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر^(٢) .

قال الحافظ : أما الأعبد فهم : بلال وزيد بن حارثة وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، فإنه أسلم قديماً مع أبي بكر .

روى الطبرانى عن عروة أن عامراً كان ممن يعذب في الله فاشتراه أبو بكر وأعتقه . وأبو فكيهة - بقاء مضبومة فكاف مفتوحة فمشناة تحتية ساكنة : مولى صفوان بن أمية بن خلف ، ذكر ابن إسحق أنه أسلم حين أسلم بلال فعذبه أمية فاشتراه أبو بكر فأعتقه

وأما الخامس^(٣) فيحتمل أن يفسّر بشقران فقد نقل ابن السكّن في الصحابة عن عبد الله بن أبي داود أن النبي - صَلَّى الله عليه وسلَّم - ورثه من أبيه هو وأمّ أيمن .

وذكر بعض شيوخنا بدل أبي فكيهة عمّار بن ياسر ، وهو محتمل ، وكان ينبغى أن يكون منهم أبوه ، فإن الثلاثة كانوا ممن يعذب في الله . وأما المرأتان : فخديجة ، والأخرى أمّ أيمن أو سُمّية .

وذكر بعض شيوخنا تبعاً للدمياطى أنها أمّ الفضل زوج العباس ، وليس بواضح لأنها وإن كانت قديمة الإسلام إلا أنها [لم]^(٤) تذكر في السابقين ولو كان كما قال لعدّ أبو رافع مولى العباس لأنه أسلم حين أسلمت أمّ الفضل .

وكذا عند ابن إسحاق في هذا الحديث أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال الأحرار مطلقاً ، لكن مراد عمّار بذلك : ممن أظهر إسلامه وإلا فقد كان حينئذ جماعة ممن أسلم لكنهم كانوا يُخفون إسلامهم من أقاربهم .

(١) سيرة ابن هشام ٢٥٢/١ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب باب مناقب أبي بكر .

(٣) أى من الأعبد الذين أسلموا أولاً . (٤) زيادة متعينة .

وروى البخارى عن سعد بن أبى وقاص - رضى الله تعالى عنه - : قال لقد رأيتنى وأنا ثلث الإسلام وما أسلم أحدٌ إلا فى اليوم الذى أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وأنا ثلث الإسلام^(١) .

قال الحافظ : قال ذلك سعدٌ بحسب اطلاعه ، والسبب فيه أن من كان أسلم فى ابتداء الأمر كان يُخفى إسلامه ولعله أراد بالاثنتين الآخرين خديجة وأبا بكر ، أو النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر . وقد كانت خديجة أسلمت قطعاً ، فلعله خصَّ الرجال .

وبما ذكر يحصل الجمع بين حديث عمار بن ياسر وبين حديثى عمار وسعد ، أو يُحتمل قولُ سعد على الأحرار البالغين ليخرج الأعبء المذكورون أو لم يكن اطلع على أولئك .

ويدل على هذا الأخير أنه وقع عند الإسماعيل بلفظ : « ما أسلم أحدٌ قبلى » وهو مقتضى رواية البخارى ، وهى مُشكلة لأنه قد أسلم قبله جماعة لكن يحمل ذلك على مقتضى ما كان اتصل بعلمه حينئذ .

ورواه ابن منده بلفظ : ما أسلم أحدٌ فى اليوم الذى أسلمت فيه وهذه لا إشكال فيها إذ لا مانع أن لا يشاركه أحدٌ فى الإسلام يوم أسلم .

لكن رواه الخطيب من الطريق التى رواها ابن منده فأثبت « إلا » فتعين الحملُ على ما قلته . انتهى .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمار بن ياسر ، وأمه سُميَّة - بضم السين المهملة وفتح الميم وتشديد المثناة التحتيّة - وصُهَيْبٌ ، وبلال ، والمِقْدَادُ^(٢) الحديث .

قال ابن إسحاق ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب -

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب ١٦٦/٢ (ط الأميرية) .

(٢) مسند أحمد ٤٠٤/١ ، وسنن ابن ماجه المقدمة باب رقم ١١ :

بضم الهمزة وفتح الهاء وسكون المثناة التحتية - بن ضَبَّة - بفتح الضاد المعجمة الساقطة وتشديد الموحدة - ابن الحارث بن فِهْر .

وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقْظَة - بمثناة تحتية مفتوحة ففاف ساكنة فطاء معجمة مُشَالَة - بن مُرَّة بن كعب بن لؤى .

وأسلم بعده عشرة أنفس فكان الحادى عشر : عُتْبَة بن غَزْوَان - بفتح الغين المعجمة وسكون الزاى فواو فالف فنون - بن جابر^(١) بن وهب المازنى .

حَمْرَة بن عبد المطلب ويأتى الكلام على إسلامه فى بابيه .

مُضْعَب بن عُمَيْر .

عِيَّاش بن أَبِي ربيعة .

والأَرْقَم بن أَبِي الأَرْقَم عبد مناف بن أسد ، وكان أسد يكنى أبا جُنْدَب ، بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم بن يَقْظَة بن مرة بن كعب بن لؤى .

وعثمان بن مَظْعُون - بالطاء المعجمة المُشَالَة - ابن حَبِيب - بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة - بن وهب بن حُدَافَة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْنَص - بضم الهاء وفتح الصاد المهملة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم صاد مهملة - ابن كعب بن لؤى .

وروى أبو الحسن خيثمة الأَطْرَابِلْسَى فى فضائله أن هذه^(٢) الأربعة أسلموا أيضا على يد أبي بكر .

وأخوه عثمان : قدامة وعبد الله ابنا مظعون .

وعُبَيْدَة - بضم أوله وفتح الموحدة - بن الحارث بن المَطْلَب ، بن عبد مناف ابن قُصَيَّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرْط - بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة - ابن رِيَّاح - براء مكسورة فمثناة تحتية -

(١) ط : ابن خالده . وانظر نسب عتبة بن غزوان فى ابن هشام ١٠٧/١ . ولم يذكر ابن هشام إسلام عتبة بن غزوان عند ذكره للسابقين ٢٥٢/١ .

(٢) كذا ولعلها هؤلاء الأربعة .

ابن رَزَّاح - براء مفتوحة فزاي وآخره حاء مهملة - بن عدى بن كعب بن لؤى وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العزى أخت عمر بن الخطاب .
روى البخارى عن سعيد قال : لقد رأيته وعمرُ مؤثقي على الإسلام أنا وأخته ، وما أسلم بعد^(١) .

وأسماء وعائشة بنتا أبي بكر رضى الله عنهم .
كذا ذكر ابن إسحاق^(٢) . قال فى الزَّهْر والْعُيُون والدَّرر : وهو وهم لم تكن عائشة ولدت بعدُ فكيف تُسلم وكان مولدها سنة أربع من النبوة ؟
وخبَّاب - بفتح الحاء المعجمة وتشديد الموحدة ابن الأرت - بتشديد المثناة الفوقية ، حليف بنى زهرة . قال ابن هشام : خَبَّاب بن الأرت من بنى تميم ، ويقال من خزاعة .
وعُمَيْر بن أبي وقاص .

وعبد الله بن مسعود بن غافل - بغين معجمة وبعد الألف فاء مكسورة - ابن حبيب بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة - ابن شَمخ - بفتح الشين المعجمة وسكون الميم وآخره خاء معجمة - ابن فار - بفاء وراء مخففة - ابن مخزوم بن صاهلة - بصاد مهملة وبعد الألف هاء مكسورة - ابن كاهل - قيَّده الوقشيَّ بأنَّه سُمى من الفعل - من كاهلَ يكاهل . قاله فى الروض^(٣) . وسيأتى فى المعجزات سبب إسلامه .

ومسعود ابن ربيعة - كذا قاله ابن عُقبة وابن إسحاق . وقال أبو معشر والواقدي ربيع القارى - بتشديد الياء منسوب إلى القارة ، ابن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة - بكسر الحاء المهملة وتخفيف الميم - ابن غالب ، بن مُحَلَّم - بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر اللام المشددة - ابن عائذة - بالمشناة التحتية وبالذال المعجمة - ابن سُبَيْع - بضم السين المهملة وفتح الموحدة مصغر .

(١) صحيح البخارى كتاب مبحث النبى صلى الله عليه وسلم ١٨٣/٢ (ط الأميرية) .

(٢) سيرة ابن هشام ٢٥٤/١ .

(٣) للروض الألف ١٦٦/١ .

كذا قال ابن إسحاق وتبعه في العيون والنور . وقال البلاذري يَبْنَعُ - بمثناة تحتية مفتوحة فأخرى ساكنة فمثناة مفتوحة فغين معجمة ، كذا وجدته مضبوطا بالقلم في نسخة صحيحة قوبلت ثلاث مرات . ابن الهون - بضم الهاء وإسكان الواو ثم نون . قال في الصحاح : الهون بالضم : الهوان . وهون بن خزيمة بن مذكاة انتهى .

وقال البلاذري : في الهون جد مسعود بن ربيعة : إنه بفتح الهاء . انتهى .

ابن خزيمة بن القارة - بالقاف وتخفيف الراء .

وسكيط - بفتح السين المهملة وكسر اللام ثم مثناة تحتية ساكنة ثم طاء مهملة - ابن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل - بكسر الحاء وسكون السين المهملتين - ابن عامر بن لؤى .

وعياش - بمثناة تحتية وشين معجمة - ابن أبي ربيعة ، واسم أبي ربيعة : عمرو ، ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .

وامراته أسماء بنت سلامة - بتخفيف اللام - ابن مُخْرِبَة - بيم مضمومة فخاء معجمة مفتوحة فراء مشددة مكسورة فموحدة مفتوحة ، فتاء تأنيث ، ابن جندل بن أبيير - بهمزة مضمومة فموحدة فمثناة تحتية ساكنة - ابن نهشل بن دارم الدارمية التميمية .

وخنيس - بخاء معجمة مضمومة فنون مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فسين مهملة - ابن حذافة - بحاء مهملة فذال معجمة - ابن عدى بن سعيد بن سهم بن عمر بن هُصَيْنَص ابن كعب بن لؤى . كذا في السيرة خنيس بن عدى بن سعيد بن سهم . قال الأمير أبو نصر في القسم المختلف فيه : سعيد بن سهم أخو سعد بن سهم بن عمر بن هُصَيْنَص ، اسمه سعيد - بفتح السين وكسر العين ، وقريش تصغره فتسميه سَعِيد تصغير سعد .

وقال السهيلي مانعه - : وذكر ابن إسحاق في السابقين إلى الإسلام من بني سهم عبد الله بن قيس بن الحارث بن عدى بن سعيد بن سهم ، حيثما تكرر في نسب بني عدى ابن سعد بن سهم . يقول فيه ابن إسحاق : سعيد والناس على خلافه ، وإنما هو سعد وسبأني في شعر عبد الله بن قيس شاهد على ذلك ، وإنما سعيد بن سهم أخو سعد وهو

جد آل عمرو بن العاصي بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم . وفي سَهْم سعيد آخر وهو ابن سعد المذكور ، وهو جد المطلب بن أبي وداعة عوف بن صبيرة بن سعيد بن سعد . وقد قيل في صبيرة : ضبيرة - بالضاد المعجمة^(١) .

وقال الخشني : قول ابن إسحاق في نسب خنيس هذا : ابن سعيد بن سهم . كذا وقع هنا وصوابه سعد ، وإنما سعيد ابنه^(٢) .

وعامر بن ربيعة العنزي - بإسكان النون ، وهو فيما ذكر ابن الكلبي عامر بن ربيعة الأصغر ، ابن حُجَيْر - بجاء مهمل مضمومة فجيم مفتوحة ، ابن سلامان بن مالك بن ربيعة الأكبر - بن رُقَيْدَة - براء مضمومة ففاء مفتوحة فمثناة ساكنة فдал مهمل ، ابن عبد الله وهو عَنَز بن وائل بن قاسط - بقاف وسين وطاء مهملتين ، ابن هُنُب بهاء مكسورة فنون ساكنة فباء موحدة بن أَفْصَى - بفتح الهزرة ففاء ساكنة فصاد مهمل مفتوحة - ابن دُعْمَى - بدال مضمومة فعين ساكنة مهملتين فميم مكسورة فمثناة تحتية مشددة تشبه ياء النسب ، ابن جَدِيلَة - بجيم مفتوحة فдал مكسورة - ابن أسد بن ربيعة بن نزار حليف آل الخطاب .

وعبد الله بن جحش بن رثاب - براء مكسورة فمثناة تحتية فهزرة فموحدة - ابن يَغْمَر - بمثناة تحتية وميم مفتوحتين بينهما عين مهمل ساكنة ، وقيل فيه بضم الميم وهو غير مَضْرُوف ، ابن ضُبَيْرَة - بضاد معجمة وتهمل مضمومة فباء موحدة فمثناة تحتية ساكنة - ابن مرة بن كَبِير - بفتح الكاف وكسر الموحدة ، ابن غَنَم - بغين معجمة مفتوحة فنون ساكنة - ابن دُودَان - بدالين مهملتين الأولى مضمومة بينهما واو ساكنة - ابن أسد بن خزيمة .

وأخوه أبو أحمد واسمه عبد بغير إضافة . وقيل عبد الله وليس بشيء وإنما عبد الله أخوه .

وجعفر بن أبي طالب وامراته أسماء بنت عُمَيْس - بعين مضمومة وسين مهمل بلا خلاف ، ابن النعمان ابن كعب بن مالك بن خَثْعَم .

(٢) شرح السيرة لأب ذر ص ٨٠

(١) الروض الأنف ١/ ١٦٧ .

كذا هو عند ابن إسحاق وعند أبي عمر : أسماء بنت عميس بن معد بوزن سعد أوله
ميم . ووقع في الاستيعاب بفتح العين وتُعَقَّب - ابن الحارث ، بن تميم بن كعب بن مالك
ابن قُحَافَة بن عامر بن ربيعة بن معاوية بن زيد بن مالك بن نَسْر - بنون مفتوحة فسين
مهملة ساكنة - ابن عِفْرَس - بعين مكسورة ففاء ساكنة فراء مكسورة فسين مهملتين
ابن وهب الله بن شَهْرَان - تثنية أحد شهور السنة - ابن حَلَف - بفتح الحاء المهملة وإسكان
اللام وبالفاء نقله الأمير^(١) عن ابن حبيب ابن أَقْتَل - بهزة مفتوحة ففاء ساكنة فمشناة
فوقية مفتوحة فلام وهو جماع خثعم بن أنمار على الاختلاف في أنمار .

وقيل : أسماء بنت عُمَيْس بن مالك بن النعمان بن كعب بن مالك بن قُحَافَة بن عامر
ابن زيد بن نَسْر بن وهب الله .

وحاطب - بحاء فطاء مهملتين غير مصروف بن الحارث بن معمر، بفتح الميمين،
ابن حبيب بن وهب بن مالك بن خُذَافَة بن جُمَح - بجيم مضمومة فيم مفتوحة فحاء مهملة .
وامراته فاطمة بنت المَجْلَل - بجيم مفتوحة وزن اسم المفعول - ابن عبد الله بن قيس
ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسل - بحاء مكسورة فسين ساكنة مهملتين فلام - ابن عامر
ابن لوى .

وأخوه خطّاب بن الحارث .

وامراته فُكَيْهَة - بضم الفاء وفتح الكاف وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء آخره
تاء تأنيث - بنت يَسَار - بمثناة تحتية فسين مهملة .

ومَعْمَر - بفتح الميمين بينهما عين مهملة ساكنة - ابن الحارث بن مَعْمَر بن حبيب
ابن وهب بن دارم بن جُمَح .

والسائب بن عثمان بن مَقْطُون .

والمطلب بن أزهري بن عبد عوف بن عبد - بغير إضافة - ابن الحارث بن زُهْرَة .

وامراته رَمْلَة ، بلام ، بنت عوف بن صُبَيْرَة - بصاد مهملة مضمومة فموحدة مفتوحة

(١) أبو نصر ابن ماكولا . وتقدست ترجمته في أول الجزء الأول من هذا الكتاب .

فمثناة تحتية ساكنة ، ابن سَعِيد بضم أوله وفتح ثانيه - كما ضبطه الأمير - بن سَهْم
ابن عمرو بن هُصَيْنَص بن كعب بن لؤى .

والنَحَام بنون فحاء مهملة مشددة ، واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد - بوزن أمير -
ابن عبد الله بن عوف بن عبيد - بفتح العين المهملة وكسر الباء الموحدة بعدها مثناة تحتية -
ابن عَوِيَج - بعين مفتوحة مهملة فواو مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فجيم - ابن عدى
ابن كعب .

وعامر بن فُهَيْرَة - بضم الفاء وفتح الهاء وسكون المثناة التحتية وفتح الراء آخره تاء
تأنيث ، مولى أبي بكر الصديق .

وخالد بن سعيد بن العاصي بن أمية بن عبد شمس . وقد قيل إنه أسلم قبل أبي بكر .
وامراته أُمَيْنَة بهزة مضمومة فميم مفتوحة فمثناة تحتية فنون فتاء تأنيث . كذا في عدة
نسخ من العيون ، وكذا وجد مضبوطا بخط الحافظ أبي الحجاج بن خليل .

وقال الحافظ : أُمَيْمَة بميمين . ويقال اسمها أُمَيْنَة بالنون بدل الميم . ويقال هُمَيْنَة
بالحاء بدل الألف .

وقال أبو ذر : أُمَيْمَة روى هنا بالميم ، وأمينة بالنون وبالياء وهو الصواب^(١) .

بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة ابن سُبَيْع - بضم السين المهملة وفتح الباء -
وقال أبو ذر : كذا وقع هنا وصوابه يُثْبِغ - مثناة تحتية مضمومة فتاء مثلثة - قاله ابن الدبّاغ
وغيره . ابن خثعمة - بخاء معجمة مفتوحة فمثلثة - قال أبو ذر : كذا وقع هنا وصوابه
جَعِثْمَة - بجيم مكسورة فعين مهملة ساكنة فتاء مثلثة مكسورة - قاله ابن الدبّاغ . انتهى .
وكذا وجد في نسخة من الإكمال بخط الحافظ أبي الحجاج بن خليل بن سعد .

ابن مُلَيْح - بيم مضمومة فلام مفتوحة - بن عمرو ابن خزاعة .

وحاطب - بالحاء المهملة - بن عمر بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك
ابن عتبة بن ربيعة بن حِثْل بن عامر بن لؤى .

(١) شرح السيرة لأب ذر ص ٨٠ .

وأبو حذيفة ، قال ابن هشام : اسمه مِهْشَم - بكسر الميم وسكون الهاء .

وقال السهيلي : قول ابن هشام وَهْم عند أهل النسب فإن مِهْشَمًا إنما هو أبو حذيفة ابن المغيرة أخو هاشم ، وهشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وأما أبو حذيفة ابن عتبة فاسمه قيس فيما ذكروا . انتهى .

وكذا ذكر أبو ذر . وقال في الزهر : فيما ذكره السهيلي نظر ، لأن الواقدي وأبا نعيم والعسكري والبغوي والحاكم وابن عبد البر سموه مِهْشَمًا ، زاد العسكري : ويقال أيضًا هُشَيْم ، ويقال هشام - وعند الحاكم عن جماعة من القدماء حُشِلَ - بكسر الحاء وسكون السين المهملتين . وقيل بِحُشَل - بفتح الباء وسكون المهملة . فيُنظَرُ مِنَ النَّسَابُونَ الَّذِينَ سموه قَيْسًا ، وينظر من ذكر أبا حذيفة بن المغيرة في السابقين إلى الإسلام أو في الصحابة جملة^(١) . قلت : لم يذكره الحافظ في الإصابة ، فكأنه هَلَكَ كافرًا .

وواقد - بالقاف والذال المهملة - ابن عبد الله بن عبد مناف ابن عَرَيْن - بعين مهملة مفتوحة فراء مكسورة فمثناة تحتية فنون - ابن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم حليف بنى عدى .

وخالد وعامر وعاقل - بعين مهملة فألف فقاف ، وإياس بنو البُكَيْر - بضم الموحدة ابن عبد يلِيل - بمثناة تحتية فلام مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فلام - ابن ناشِب - بنون فألف فشين معجمة مكسورة فموحدة - ابن غَيْرَة - بغين معجمة مكسورة فمثناة تحتية مفتوحة فراء فتاء تأنيث من بنى سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة حلفاء بنى عدى .

وعَمَّار - بعين مهملة مفتوحة فميم مشددة - بن ياسر - بمثناة تحتية فألف فسين مهملة ابن عامر بن مالك ابن كنانة بن قيس بن الحُصَيْن - بحاء مهملة مضمومة فصاد مفتوحة مهملتين - ابن الوَذِيم - بواو مفتوحة فذال معجمة مكسورة فمثناة تحتية - ابن ثعلبة

(١) في الإصابة ٤/٤٢ : « أبو حذيفة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العنسي قال معاوية : اسمه مِهْشَم . وقيل : هُشَيْم ، وقيل : هاشم . وقيل : قيس » وفي أسد الغابة ٥/١٧٠ (ط طهران) : « أبو حذيفة بن عتبة . . يقال اسمه مِهْشَم وقيل هُشَيْم وقيل هاشم » .

ابن عوف بن حارثة - بحاء مهملة ومثلثة - ابن عامر الأكبر بن يام - بمثناة تحتية وزن
سام - بن عَنَس - بعين مهملة مفتوحة فنون ساكنة فسين مهملة - وهوزيد بن مالك
ابن أَدَد . ومالك جماع مَدْحَج - بميم مفتوحة فذال معجمة ساكنة فحاء مهملة مكسورة
فجيم - حليف بنى مخزوم .

وَصُهَيْب - بضم الصاد وفتح الهاء وسكون المثناة التحتية وآخره موحدة - ابن سِنَان
ابن مالك بن عبد عمرو بن عُقَيْل - بضم المهملة وفتح القاف . كما وجد بخط ابن الأَمن
في حاشية الاستيعاب - بن عامر بَن جَنْدَلَة - بجيم فنون فذال مهملة - ابن سعد بن جذيمة -
بجيم فذال معجمة فمثناة تحتية - ابن كعب بن سعد ابن أَسْلَم بن أَوْس مناة ، ابن
النمر بن قاسط - بالقاف والسين المهملة . كذا هو عند ابن الكلبي وعند أبي عمر سِنَان
ابن خالد بن عبد عمرو ، بن الطفيل بن عامر بن جَنْدَلَة بن سعد بن خُزَيْمَة - بالحاء المعجمة
والزاي - ابن كعب بن سعد . ومنهم من يقول ابن سفيان . بن جندلة بن مُسْلَم بن أَوْس
ابن زيد مناة بن النمر بن قاسط . ويقال له الرومي ، وكان مولى لعبد الله بن جُدْعَان .

وذكر أبو عمر فيهم^(١) : عُتْبَة بن مسعود ، أخو عبد الله بن مسعود .

وأبا نجيع عمرو بن عَبَسَة - بعين مهملة فنوحدة فسين مهملة مفتوحات وزن عَدَسَة -
ابن مُنْقِل - بميم مضمومة فنون ساكنة فقاق مكسورة فلام - ابن خالد بن حذيفة بن
عمرو بن خلف بن حذيفة بن مازن بن مالك بن ثعلبة بن بُهْثَة - بباء موحدة مضمومة
فهاء ساكنة فمثلثة مفتوحة فتاء تَأْنِيث - ابن سليم .

ومازن بن مالك ، أمه بَجَلَة - بفتح الباء وسكون الجيم وفتح اللام - بنت هُنَاء - بضم
الهاء فنون فالف ممدودة فتاء تَأْنِيث - ابن مالك بن فَهْم - بفتح الفاء وسكون الهاء -
وإليها ينسب البَجَلِي - بسكون الجيم - ذكره كذلك الرشاطي . وحكى عن ابن عمر في نسبه
غير ذلك وصح ما تقدم . وحكى عن أبي عمر في نسبه غاضرة - بغين وضاد
معجمتين بينهما ألف وآخره راء بعدها تاء تَأْنِيث - ابن عتاب بعين - مهملة فمثناة
فوقية فالف فموحدة - وزعم أنه خطأ وأن الصواب في ذلك النسب : ناضرة بالضاد المعجمة

(١) في السابقين الأولين .

الساقطة ، كما استظهره في النور . ابن خُفاف - بخاء معجمة مضمومة ففاء مخففة فألف ففاء أخرى .

روى الشيخان والبرقاني أن أبا أمامة قال لعمر بن عَبَّسة : بأى شىء تدعى أنك رُبِع الإسلام ؟ قال : كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على غير شىء وأنهم ليسوا بشىء وهم يعبدون الأوثان . قال فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا فقعدت على راحلي فقدمت عليه فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً جِراءاً^(١) عليه قومه فتلطَّفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له : ما أنت ؟ قال : نبي . قلت : وما نبي ؟ قال : أرسلني الله . قلت : بأى شىء أرسلك ؟ قال : أرسلني بصلة الرحم وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يُشرك به . فقلت : من معك على هذا ؟ قال : حرٌّ وعبد . قال : ومعه يومئذ أبو بكر وبلال^(٢) .

وذكر أبو عمر أيضاً أبا ذَرَّ جُنْدَب - بجيم مضمومة فنون ساكنة فдал مهملة تضم وتفتح - ابن جنادة بن سفيان بن عبد حَرَام - بفتح الحاء والراء المهملتين - ابن غِفَّار بغين معجمة ففاء مخففة فراء - ابن مُلَيْل بيم مضمومة ولامين الأولى مفتوحة بينهما مثناة تحتية - ابن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

روى الحاكم عنه : قال كنت ربيع الإسلام ، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع . قال أبو عمر : ولكنهما يعنى أبا نجيع وأبا ذَرَّ رجعا إلى بلاد قومهما . وأنيس أخو أبو ذر كما سيأتى .

(١) صحيح مسلم كتاب المسافرين حديث رقم ٢٩٤ .

ومستند أحمد ١١١/٤ ، ١١٢ .

الباب الرابع

في قصة إسلام أبي ذر وأخيه أنيس رضي الله تعالى عنهما

روى أبو داود الطيالسي والإمام أحمد ومسلم عن عبد الله بن الصامت ، والبخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، كلاهما عن أبي ذر ، قال ابن الصامت عنه : قد صليت يا بن أخي قبل أن ألقى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين . قلت : لمن ؟ قال الله . قلت فأين توجه ؟ قال : حيث يوجهني ربي عز وجل أصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت نفسي كأني خفاء حتى تغلوني الشمس . قال فقال لي أنيس أخي : إن لي حاجة بمكة فاكفني ، فانطلق . ثم جاء .

وقال ابن عباس عنه : كنت رجلاً من غفّار فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبي فقلت لأخي : انطلق إلى هذا الرجل فكلّمه واثني بخبره . فانطلق أنيس حتى أتى مكة فراه على ثم جاء فقلت : ما عندك ؟ فقال : والله لقد رأيت رجلاً يأمر بخير وينهى عن الشر . وفي رواية لقد رأيت^(١) رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله ورأيت يأمر بمكارم الأخلاق . قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون : شاعر كاهن ساحر . وكان أنيس أحد الشعراء . قال أنيس : لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر فلم يلتئم على لسان أحدٍ بعدى أنه شعر ، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون - قال : فقلت : لم تشفني من الخبر فاكفني حتى أذهب فأنظر . قال : نعم وكن على حذر من أهل مكة فإنهم قد شنفوا له وتجهّموه . قال : فحملت شنةً لي فيها ماء . وفي رواية : فأخذت جراباً وعصاً ثم أقبلت إلى مكة فأتيت المسجد ألتمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعرفه وأكره أن أسأل عنه . وفي رواية ابن الصامت : فتضعفت رجلاً منهم فقلت : أين هذا الرجل الذي تدعونه الصابي ؟ فأشار إلي : فقال : الصابي الصابي

(١) ط : لقيت رجلاً .

فمال على أهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى حزرت مغشياً على . قال : فارتفعت حين ارتفعت كأنني نصب أحمر ، فأتيت زمزم فغسلت عني الدماء وشربت من مائها ، ولقد لبثت ثلاثين بين ليلة ويوم وما كان لي طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عكني بطني وما وجدت على كبدي سخفة جوع . فدخلت بين الكعبة وأستارها فبينما أهل مكة في ليلة قمرء إضحيان إذ ضرب على أضيختهم فما يطوف بالبيت أحد وامرأتان منهم تدعوان إسمافا ونائلة فأتتا على في طوافهما فقلت : أنكحوا إحداهما الأخرى . فما تناهتا عن قولهما ، فأتتا على فقلت : هن مثل الخشبة^(١) غير أني لا أكني . فانطلقتا تولولان وتقولان : لو كان ها هنا أحد من أنفارنا .

فاستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما هابطتان قالا : ما لكما ؟ قالتا : الصائئ بين الكعبة وأستارها . قالا : ما قال ؟ قالتا : إنه قال لنا كلمة تملأ الفم .

وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استلم الحجر وطاف بالبيت هو وصاحبه ، ثم صلى ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته أتيت فقلت : السلام عليك يا رسول الله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو ذر : فكنت أول من حيّاه بتحية الإسلام فقال : وعليك السلام ورحمة الله . ثم قال : ممن الرجل ؟ قلت : من غفار ، فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته فقلت في نفسي : كره أن انتميت إلى غفار . فذهبت آخذ بيده فقدعني . صاحبي وكان أعلم به مني ، ثم رفع رأسه فقال : متى كنت هاهنا ؟ قلت : كنت من ثلاثين بين ليلة ويوم . قال : فمن كان يطعمك ؟ قلت : ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكني بطني وما أجد على بطني سخفة جوع . قال : مباركة ، إنها طعام طعم وشفاء سقم .

وفي رواية ابن عباس عن أبي ذر قال : أقبلت حتى أتيت مكة فجعلت لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه ، وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد ، واضطجعت . قال : فمر بي على فقال : كأن الرجل غريب ؟ قلت : نعم . قال : فانطلق إلى المنزل . قال فانطلقت معه

(١) ط : مثل خشبة .

لا يسألني عن شيء ولا أخبره فلما أصبحت احتملت قِربتي وزادى إلى المسجد أسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس أحدٌ يخبرني عنه بشيء، فظللت ذلك اليوم حتى أمسيت فعدت إلى مضجعي فمررت على فقال : أما نال^(١) للرجل أن يعرف منزله بعد ؟ قلت : لا . قال : انطلق معي . فذهبت معه لا يسألني عن شيء ولا أخبره عن شيء ، فلما كان اليوم الثالث فعل ذلك ، فأقامه فذهب معه ثم قال له : ألا تحدثني ما الذي أقدمك هذا البلد ؟ فقلت له : إن كنت على أخبرتك . وفي رواية : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت . ففعل فأخبرته فقال : أما إنك قد رشدت إنه حق وإنه رسول الله ، فإذا أصبحت فاتبعني فإن رأيت شيئاً أخافه عليك قمت كأني أريق ماء . وفي رواية : قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي وامض أنت ، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي . فمضيت ومضيت معه حتى دخل ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له : اعرض علي الإسلام ، فعرض فأسلمت مكاني فقال : يا أبا ذر اكتم هذا الأمر وارجع إلى قومك فأخبرهم بأمرى ، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل فقلت : والذي بعثك بالحق - وفي رواية : والذي نفسى بيده - لأصرخن بها بين ظهرانيهم .

فخرجت حتى آتى^(٢) المسجد وقريش فيه فناديت بأعلى صوتي : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فقال : قوموا إلى هذا الصابي . فثار القوم فضربت لأموت . وفي رواية حتى أضجعوني فأدركني العباس فأكب على ثم قال : ويلكم ألسن تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم عليهم ؟ ! فأقلعوا عني .

فلما أصبحت الغد رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابي فصنع بي ما صنع بالأمس ، وأدركني العباس فأكب على وقال مثل مقالته بالأمس .

وفي حديث ابن الصامت فقال أبو بكر : يا رسول الله ائذن لي في طعامه الليلة . فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلقت معهما ، ففتح أبو بكر باباً فجعل يقبض لنا من زبيب الطائيف وكان ذلك أول طعام أكلت بها . ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه

(١) ص : أما آن .

(٢) ت ، م : حتى أتيت .

وسلم فقال : إني وجهت لى أرض ذات نخل ولا أراها إلا يثرب فهل أنت مبلغ عنى قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم ؟

قال : فأتيت أنيساً فقال ما صنعت ؟ قلت : قد أسلمتُ وصدقت . فقال : ما لى رغبة عن دينك فإنى قد أسلمت وصدقت . فأتينا أمتنا فقالت : ما لى رغبة عن دينكما فإنى قد أسلمت وصدقت ، فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفاراً فأسلم نصفهم وقال نصفهم : إذا قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلمنا . فقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلم نصفهم الباقى وجاءت أسلم فقالوا : يا رسول الله إخواننا نُسلم على الذى أسلموا عليه . فأسلموا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله ^(١) » .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : قال الحافظ : قول أبى ذرٍّ لأخيه : ما شفيتنى مغايرٌ فى الظاهر لما فى حديث ابن الصامت . ويمكن الجمع بأنّه أراد منه أن يأتيه بتفاصيل من كلامه وأخباره فلم يأت به إلا بمُجْمَل .

وفى حديث ابن عباس أن لقياه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بدلالة على ، وفى حديث ابن الصامت أن أباً ذر لقي النبى صلى الله عليه وسلم وأباً بكر فى الطواف بالليل ، كما هو مذكور فى القصة ، وأكثره يغاير ما فى حديث ابن عباس هذا عن أبى ذر ، ويمكن التوافق بينهما بأنّه لقيه أولاً مع على ثم لقيه فى الطواف ، أو بالعكس ، وحفظ كلُّ منهما ما لم يحفظ الآخر .

الثانى : قال فى الْمُفْهِم : فى التوفيق بين الروایتين تكلف شديد لاسيما أن فى حديث عبد الله ابن الصامت أن أباً ذر أقام ثلاثين لا زاد له . وفى حديث ابن عباس أنه كان معه زاد وقربة ماء إلى غير ذلك .

(١) قصة إسلام أبى ذر فى صحيح البخارى كتاب المناقب باب مناقب الأنصار . وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ١٣٢ ، ومُسْتَد أَحْمَد ١٧٥/٥ .

قال الحافظ : ويحتمل الجمع بأن المراد بالزاد في حديث ابن عباس ما تزوده لما خرج من أرض قومه . ففرغ لما أقام بمكة . والقربة التي كانت معه كان فيها الماء حال السفر ، فلما أقام بمكة لم يحتج إلى ملئها ولم يطرحها . ويؤيده أنه وقع في رواية أبي قتيبة عند البخاري : فجعلت لا أعرفه - يعنى النبي صلى الله عليه وسلم - وأكره أن أسأل عنه ، وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد .

* *

الثالث : في بيان غريب ما سبق

الخِفَاء - بخاء معجمة وفاء - وزن كِتَاب . الكِسَاء ، أو رداء تلبسه المرأة أو العروس فوق ثيابها .

فَأَيْنَ كُنْتَ تَوَجَّهَ : بفتح التاء والجيم ، وفي رواية تُوجَّهَ بضم التاء وكسر الجيم - وكلاهما صحيح .

راث يَرِثُ بالمثلثة : أبطأ .

أَقْرَأَ الشعر ، بالقاف والراء وبالماء : طُرِقَهُ وَأَنَوَاعَهُ . شَنِفُواله ، بشين معجمة مفتوحة فنون مكسورة ففاء ، أى أبغضوه يقال شَنِفَ لَهُ شَنِفًا إِذَا أَبْغَضَهُ .

تَجْهَمُوهُ - بالجيم : أى تلقوه بالغلظة والوجه الكريه .

الشَّنَّة . بفتح الشين المعجمة والنون المشددة : القربة البالية .

نَضَعَفْتُ رَجُلًا : أى نظرت إلى أضعفهم فسألته ، لأن الضعيف مأمون الغائلة غالباً .
الصَّابِي : من صَبَأَ يَصْبِي ، إذا انتقل من شيء إلى شيء وكانوا يسمون من أسلم صابئاً .

مال عليه أهل الوادى : تحاملوا .

المدرة : القطعة من الطين .

النُّصْب - بضم الصاد المهملة وبسكونها : حَجَرَ نُصِبَ فُعِدَ من دون الله وجمعه أنصاب ، كانوا يذبحون عليه فيحمرُّ بالدم .

تَكَسَّرَتْ : تَثَنَّتْ لكثرة السَّمَنِ وانطوت .

عُكِّنَ بطنى : بضم العين المهملة وفتح الكاف وأعكانه جمع عكنة وهى الطى الذى فى البطن من السمن .

السَّخْفَةُ - بفتح السين المهملة وسكون الخاء المعجمة : ما يَغْتَرى الإنسان من الخَفَّةِ عند الجوع . وبضم السين : الخَفَّةُ فى العقل .

قَمَرَاء : مقمرة ليس فيها غَيْم .

إِضْحِيَان - بكسر الهمزة والحاء المهملة وإسكان الضاد المعجمة بينهما : أى مضيئة .

أَضْمَخَةٌ^(١) - بالسين وبالضاد أيضا فحاء معجمة جمع صِمَاخ وهى ثقب الأذن المتصل بالدماغ والمراد بالضرب هنا : النوم المانع من نفوذ الكلام إلى الأذن .

إِسَاف - بكسر الهمزة ونائلة بالنون والمثناة التحتية المكسورة : صنان كانا لهم فى الجاهلية .

فما تناهيتا عن قولهما : أى ما انتهتا عن قولهما بل دامتا عليه .

الْهَنُ ، والهنّة - بفتح الهاء وتخفيف النون : كناية عن كل شيء وأكثر ما يستعمل كناية عن الفَرْج والذَّكَر أى قال لهما : ذكّر كالخشبة فى الفَرْج . وأراد بذلك سَبَّ إِسَاف ونائلة وغيّظ الكفار بذلك .

الْوَلُولَةُ : الدعاء بالويل .

الْأَنْفَار : جمع نفر أو نفير وهو الذى يَنْفِر عند الاستغاثة أى لو كان هنا أحد من أنفارنا لانتصرلنا .

كلمة تملأ الفم : أى لا يمكن ذكرها وحكايتها كأنها تسد فم حاكبيها وتملأه ، لاستعظامها .

أما نال للرجل : يقال نال له إذا آن له كما فى رواية بحد الهمزة ، ويروى : أما أنى بالقصر وبفتح النون . وفى رواية مسلم : أما آن أن يعلم منزله . ويروى بدون همزة

(١) الأصل بالسباخ ، وهو تحريف .

الاستفهام في اللفظ أى ما جاء الوقت الذى يعرف به منزل الرجل بأن يكون له مسكن معين .

قد رَشِدْتُ : من رشد يرشد من باب عَلِمَ • يعلم رَشَدًا بفتح الحين . ورَشْدُ يَرشُد من باب نصر ينصر رُشْدًا - بضم الراء وسكون الشين . والرشد : خلاف الغي .

بين ظَهْرَانِيهِمْ - بفتح النون وبين أظهرهم أى وسطهم .

فثار القوم - بشاء مثلثة فزاء أى نهضوا .

فَضْرِبْتُ : بالبناء للمفعول .

لَأَمُوتَ : أى لَأَن أَمُوت ، يعنى ضربوه ضربَ الموت .

فَأَكْبَ عَلَى : أى رى نفسه على .

فَأَقْلَعُوا غِي : أى كفُّوا غي .

قَدَعْنِي - بقاف فдал فعين مهملتين أى كَفَنِي ، يقال قَدَعَهُ وأَقْدَعَهُ إذا كَفَّهُ .

طُغْم - بضم الطاء وإسكان العين أى تشبع شاربها كما يشبعه الطعام .

وَجَّهْتُ لى أَرْضُ : أى رأيت جهتها .

لا أراها - بضم الهمزة وفتحها .

إلا يثرب : هذا كان قبل النبي عن تسمية المدينة بذلك .

احتملنا : أى احتملنا^(١) أنفسنا ومتاعنا على إبلنا وسِرْنَا .

ما بى رَغْبَةً عن دينك : أى لا أكرهه بل أدخل فيه .

(١) ط : أى حملنا .

الباب الخامس

في سبب دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم

واستخفاء المسلمين حال عبادتهم ربهم تبارك وتعالى

دخل النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم يعبد الله تعالى فيها سرّاً من قومه ، ودخل معه جماعة حتى تكامل المسلمون أربعين رجلاً وكان آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فلما تكاملوا أربعين رجلاً خرجوا فلما أسلم عمر قال : يا رسول الله علام نخفي ديننا ونحن على الحق ويظهر دينهم وهم على الباطل ؟ فقال : يا عمر إنا قليل . فقال عمر : فوالذي بعثك بالحق لا يبق مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان . وسيأتي بسط ذلك في إسلام عمر رضي الله عنه

روى الحافظ أبو الحسن سليمان بن خيثمة الأتربلي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : لما اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألقى أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور ، فقال : يا أبا بكر إنا قليل . فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ، ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرقهما^(١) لوجهه من^(٢) على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه ، وجاءت بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكّون في موته ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة . فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر

(١) ويمرهما .

(٢) يياض بالأصل .

حتى أجاب فتكلم في آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فمسوا منه بالسنتهم وعذلوه وقالوا لأمه أم الخير انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه . فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : والله ما لي علم بصاحبك فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه . فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله . فقالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك . قالت : نعم . فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دَنِيقاً فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت : والله إن قومنا نالوا هذا منك لأهل فسق وكُفْر وإني لأرجو أن ينتقم الله منهم . قال : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : هذه أمك تسمع . قال : فلا شيء عليك منها . قالت : سالم صالح . قال : فأي هو ؟ قالت : في دار الأرقم . قال : فإن الله على أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شرباً أو آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأهملنا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكئ على حتى أدخلناه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبله وأكب عليه المسلمون ورق له رسول الله - صلى الله عليه وسلم رقّة شديدة فقال أبو بكر : بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الناس من وجهي وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك، فعسى الله أن يستنقذها بك من النار . فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسلمت .

وأقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلاً ، وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب أو لأبي جهل بن هشام ، فأصبح عمر وكانت الدعوة يوم الأربعاء فأسلم عمر يوم الخميس فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل البيت تكبيرة سُمعت بأعلى مكة ، فقام عمر فقال : يا رسول الله علام نخفي ديننا فذكر نحو ما سبق .

وذكر إسلام عمر هنا غريب والصحيح أنه أسلم بعد الهجرة الأولى إلى الحبشة .

قال ابن إسحاق : ودخل الناس أرسالا الرجال والنساء في دين الله ، حتى فشا الإسلام بمكة وتحدث به . وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلخي بعير فشجه وكان أول دم أهريق في الإسلام^(١) .

نَبَيَّهَا

الأول : دار الأرقم هي الدار المعروفة الآن بدار الخيزران عند الصفا .

الثاني : في بيان غريب ما سقى

أَلَحَّ : ألحف في المسألة .

نعلين مَخْصُوفِينَ : مُطَبَّقَتَيْنِ .

فمَسُوا منه بِالسُّنْتِهِمْ : أى عَنَّفُوهُ ونالوا منه .

الدَّنْف : ملازمة المرض .

أَمَهَلْنَا : صبرنا .

هدأت الرَّجْل : سكنت .

أرسالا : بفتح الهمزة : جمع رَسَل بفتح الراء والسين ، أى أفواجا وفِرَقا .

فشا ، بغير همز : أى ظهر وذاع .

تحدث : بالبناء للمفعول .

الشعاب : جمع شعب .

بلخي بعير : هو ثنية لخي وهو العظم الذى عليه الخد وهو من الإنسان : العظم الذى

تنبت عليه الأسنان .

فشجه : جرحه .

(١) سيرة ابن هشام ٢٦٣/١ .

الباب السادس

في أمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً
صلى الله عليه وسلم بإظهار الإسلام

قال الله سبحانه وتعالى : « فاصدغ » فظهر « بما تؤمر » بالقرآن وما فيه من الأحكام .
وأصل الصدغ : الشق والبيزونة أو أصله الشق في الشيء الصلب كالزجاج ثم استعير لغيرها ،
أى اكشف الحق وأبينه عن غيره « وأعرض عن المشركين »^(١) اكفف عنهم ولا تبال بهم
والكف عنهم . نسخ بآية السيف .

وقال تعالى : « وأنذر » خوفاً « عشيرتك الأقربين »^(٢) وهم بنو هاشم وبنو المطلب
وقد أنذرهم جهارا .

روى ابن سعد - عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه قال : أمر رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم أن يصدع بما جاء به من عند الله وأن يبادى الناس بأمره وأن يدعو إلى الله تعالى ،
فدعا في أول ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين مستخفياً إلى أن أمر بظهور الدعاء^(٣) .

وروى البلاذرى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم سرا أربع سنين^(٤) .

وروى أيضا عن جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم قال : لما نزلت على النبي صلى الله
عليه وسلم : « وأنذر عشيرتك الأقربين » اشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وضاق
به ذرعاً ، فمكث شهراً أو نحوه جالساً في بيته حتى ظن عماته أنه شاك فدخلن عليه عائدات
فقال : ما اشتكى شيئاً لكن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين فأردت جمع بنى عبد المطلب

(١) سورة الحجر ٩٤ .

(٢) سورة الشعراء ٢١٤ .

(٣) طبقات ابن سعد ١٩٩/١ (ط بيروت) .

(٤) أنساب الأشراف ١١٦/١ .

لأدعومهم إلى الله تعالى قلن : فادعهم ولا تجعل عبد الغزى فيهم - يعنى أبا هب ، فإنه غير مُجيبك. إلى ما تدعوه إليه . وخرجن من عنده فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بنى عبد المطلب فحضرُوا ومعهُم عدة من بنى عبد مناف وجميعهم خمسة وأربعون رجلا وسارع إليه أبو هب وهو يظن أنه يريد أن ينزع عما يكرهون إلى ما يحبون ، فلما اجتمعوا قال أبو هب : هؤلاء عُمومتك وبنو عمك فتكلّم بما تريد ودع الصلاة ، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة وإن أحبّ من أخذك فحبسك أسرُك وبنو أبيك إن أقمتَ على أمرك فهو أيسرَ عليهم من أن يثب بك بطون قريش وتُمدها العرب ، فما رأيتُ يابن أخى أحدا قط جاء بنى أبيه وقومه بشرًا مما جئتهم به .

فأسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يتكلم فى ذلك المجلس ومكث أياما وكثُر عليه كلامُ أبي هب ، فنزل عليه جبريل عليه السلام فأمره بإمضاء ما أمره الله به وشجّعهُ عليه ، فجمعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثانية فقال : الحمد لله أحمدهُ وأستعينهُ وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ثم قال : إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبتُ الناس جميعًا ما كذبتُكم ولو غررتُ الناس ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصةً وإلى الناس كافةً ، والله لَتَموتن كما تَنامون ولَتُبْعثن كما تستيقظون ولَتَحَاسِبُنَّ بما تعملون ، ولَتُجْزَوْنَ بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا وإنما للجنة أبدا أو النار أبدا ، وإنكم لأول من أنذر ، ومثلى ومثلكم كمثلى رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله فخشى أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه . فقال أبو طالب : ما أحبُّ إلينا معاونتك ومُرافدتك وأقبلنا لنصحك وأشد تصديقنا لحديثك ، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم ، غير أنى والله أسرعهم إلى ما تحب فامض لما أمرت به فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك ، غير أنى لا أجد نفسى تطوِّع إلى فراق دين عبد المطلب حتى أموت على ما مات عليه .

وتكلم القومُ كلاما ليّنا غير أبي هب فإنه قال : يا بنى عبد المطلب هذه والله السوءة خذوا على يديه قبل أن يأخذ على يديه غيركم فإن أسلمتموه حينئذ ذلّتم وإن منعتموه قتلتم . فقال أبو طالب : والله لنمنعنه ما بقينا .

وقالت صفية بنت عبد المطلب لأبي لهب : أى أخى أياحس بك خذلان ابن أخيك وإسلامه ؟ فوالله ما زال العلماء يخبرون أنه يخرج من خيضى عبد المطلب نبي فهو هو . فقال : هذا والله الباطل والأمانى وكلام النساء فى الحجال ، إذا قامت بطون قريش كلها وقامت معها العرب فما قوتنا بهم ؟ فوالله ما نحن عندهم إلا إكلة رأس^(١) .

وروى الشيخان والبلاذرى عن ابن عباس ، والشيخان عن أبى هريرة ، ومسلم عن قبيصة ابن المخارق رضى الله عنهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه « وأنذر عشيرتك الأقربين » قام على الصفاء فعلا أغلاها حجرا ثم نادى : يا صباحاه . فقالوا : من هذا ؟ وجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج يرسل^(٢) رسولا لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش فاجتمعوا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدق ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا .

فقال : يا معشر قريش أنقلوا أنفسكم من النار ، فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد مناف أنقلوا أنفسكم من النار فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد شمس أنقلوا أنفسكم من النار فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى كعب بن لؤى أنقلوا أنفسكم من النار فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنقذ نفسك من النار فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة محمد ، ويا فاطمة بنت محمد أنقذا أنفسكما من النار فإنى لا أملك لكما من الله شيئا ، غير أن لكما رحما سأبلها ببلأها ، إنى لكم نذير بين يدي عذاب شديد .

فقال أبو لهب : تبأ لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟

فنزلت : « تبأ يدا أبى لهب »^(٣) إلى آخرها .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بنى عبد المطلب إنى والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومَه بأفضل مما جئتكم به إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة .

(١) أنساب الأشراف ١١٨/١ - ١١٩ .

(٢) ت ، م : أرسل .

(٣) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة المسد) . وصحيح مسلم كتاب الفتن حديث رقم ٩١ . ومسنده أحمد ٣/٤٣٠٩٧٠ .

وأنساب الأشراف للبلاذرى ١/١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ .

وروى ابن سعد والبيهقي وأبو نعيم عن علي وأبو نعيم عن البراء بن عازب رضى الله عنهم قال : لما نزلت : « وأنذر عشيرتك الأقربين » على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا علي اصنع لنا رجلاً شاة على صاع من طعام . وفي رواية : مُدٌّ . وأعدّ لنا عُسّ لبنٍ ثم اجمع بنى عبد المطلب .

قال عليّ : ففعلت ، فاجتمعوا له وهو يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، منهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو هب ، فقدّمت إليهم تلك الجفنة ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها حُدِيّة فشَقَّها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال : كلوا باسم الله . فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما ترى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان الرجل الواحد ليأكل مثل ما قدّمتُ لجميعهم . ثم قال : اسقِ القوم ، فجثّتهم بذلك العُسّ فشربوا حتى رَوُّوا جميعاً ، والله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله . وفي رواية من يأكل المسِنَّة ويشرب العُسّ .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدّره أبو هب إلى الكلام فقال : لَهْدٌ ما سحرّكم صاحبكم . فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان الغد قال يا عليّ عُدْ لنا بمثل الذى صنعت بالأمس من الطعام والشراب ففعلت ثم جمعتهم إليه فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس فأكلوا وشربوا حتى نهلوا ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بنى عبد المطلب ، والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جثتكم به ، إني قد جثتكم بأمر الدنيا والآخرة . ثم قال : من يؤازرنى على ما أنا عليه ؟ قال عليّ : فقلت : أنا يا رسول الله وإني أحدثهم سِنّاً وسكت القوم . ثم قالوا : يا أبا طالب ألا ترى ابنك . قال : دعوه فلن يألوا ابن عمه خيراً^(١) .

(١) طبقات ابن سعد ١/١٨٧ . مختصراً . والوفالابن الجوزى ١/١٨٤ .

تنبيه

في بيان غريب ما سبق .

يُبَادَى : قال في النور : الظاهر أنه بالموحدة أى يجاهر .

ضاق به ذُرْعًا : يقال ضاق بالأمر ذُرْعًا أى عجز عن احتماله ، وذُرْع الإنسان : طاقته

التي يَبْلُغها .

أُسْرَةُ الرجل : وَزَانُ غُرْفَةٍ : رَهْطُهُ .

يَرَبُّأُ أَهْلَهُ ، بمثناة تحتية فراء فباء موحدة فهمزة ، يقال ربأت القوم أربوهم رَبًّا :

كنت طليعةً لهم فوق شرف خوفًا أن يكبسهم العدو على غِرَّةٍ .

الحُدْيَةُ : تصغير حُدُوَّة بضم الحاء المهملة وكسرهما وسكون الذال المعجمة : القطعة

من اللحم . وقيل : إذا كسرت الحاء كانت بمعنى أن يقطع اللحم طولًا .

المُسْنَةُ : الشاة التي سقطت ثناياها .

العُسُّ : بضم العين وبالسین المهملة المشددة : القدح الكبير .

نَهَلُوا : بنون : أى شربوا حتى رَوُّوا .

لَهْدٌ : بفتح اللام والهاء والذال المهملة المشددة : كلمة يُتَعَجَّبُ بها ، فيقال : لَهْدُ الرجل

أى ما أَجْلَدَهُ ، ويقال إنه لَهْدُ الرجل ، أى لنعم الرجل وذلك إذا أُثْنِيَ عليه لَجَلَدِهِ وشدة بأسه .

واللام فيه للتأکید والمعنى هنا : لنعم ما سَحَرَكُم به .

الباب السابع

في مشي قريش إلى أبي طالب
ليكيف عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الزهري وابن إسحاق : فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام
وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه ، حتى ذكر آلهتهم وعابها .
قال العتقي : وكان ذلك سنة أربع .

فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا لخلافه وعداوته إلا من عصم الله تعالى منهم
بالإسلام وهم قليل مستخفون .

وحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ، ومضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهراً لأمره لا يردّه عنه شيء .

فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه
من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حذب عليه وقام دونه ولم يسلمه لهم ،
مشى رجال من أشرافهم إلى أبي طالب فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا
وعاب ديننا وسفّه أعلامنا وضللّ آباءنا فإما أن تكفّه وإما أن تخلى بيننا وبينه فإنك
على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه . فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً وردّهم ردّاً جميلاً .
فانصرفوا عنه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يُظهر دين الله ويدعو إليه ثم
شرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثر قريش من ذكر رسول الله
الله صلى الله عليه وسلم بينها فتدامروا فيه وحض بعضهم بعضاً عليه .

ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له : يا أبا طالب إن لك سناً وإن لك
شرفاً ومنزلةً بيننا ، وإننا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنه عنا وإننا والله لا نصبر على

هذا من شتم آباءنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفّه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين . أو كما قالوا له . ثم انصرفوا عنه .

فَعَظُمَ على أبي طالب فراقُ قومه وعداوتهم ولم يطبُ نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ولا خِذلانه ، فأرسل خلفه فقال : يا بن أخى إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا . للذى كانوا قالوا له . فأبقي على نفسك وعلى ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق .

فظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بدا لعمه فيه بداء وأنه خاذله ومُسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمّ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما ولّى ناداه أبو طالب : اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا . ثم قال أبو طالب :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً

فامض^(١) لأمرك ما عليك غضاضةً وابشر وقرّ بذاك منك عُيوناً

ودعوتني وزعمت أنك ناصحي فلقد صدقت وكنت ثمّ أميناً

لولا الملامة أو حذارى سبّةً لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

قال في الروض : خصّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس باليمين لأنها الآية المبصرة وخصّ القمر بالشمال لأنه الآية المحوّة ، وخصّ صلى الله عليه وسلم النيرين حين ضرب المثل بهما لأن نورهما محسوس ، فالنور الذي جاء به من عند الله ، وهو الذي أرادوه على تركه ، هو أشرف لا محالة من النور المذكور . قال الله تعالى : « يريدون أن يطفئوا نورَ الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره »^(٢) فاقتضت بلاغة النبوة لما أرادوه على ترك النور الأعلى أن يقابله بالنور الأدنى وأن يخصّ أعلى النيرين وهي الآية المبصرة بأشرف اليدين وهي اليمين ، بلاغة لا مثلها وحكمة لا يجهل اللبيب فضلها . انتهى^(٣) .

* * *

(٣) الروض الأنف ١/١٧٠ .

(٢) التوبة : ٣٢ .

(١) كذا بإثبات الياء للوزن .

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أتى خِذْلَانِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله ، فخذ به فلك عَقْلُهُ ونَصْرُهُ واتخذه ولداً فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف ديننا ودين آبائك وفرّق جماعة قومك وسفّه أحلامهم فنقتله فإنما هو رجلٌ برجل .

قال : والله لبئس ما تسومونني ! أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكُم ابني تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً ، أرايتم ناقةً تحنّ إلى غير فصيلها ؟

فقال المُطْعِم بن عديّ بن نوفل : والله يا أبا طالب لقد أنصفتك قومك وجهّدوا على التخلص مما تكره ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً . فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعت خِذْلَانِي ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدا لك أو كما قال . فحقّب الأمر وحَمَيْت^(١) الحرب وتنابد القوم وبأدى بعضهم بعضاً .

فقال أبو طالب يعرض بالمطعم بن عديّ ويعمّ من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ويذكر ما سأله وما تباعد من أمرهم :

ألا قلّ لعمرٍ والوليدٍ ومُطْعِمٍ	ألا ليت حظّي من حيّاطتكم بَكَرٍ
من الخور خَبْخَابٍ كثيرٍ رُغْساؤه	يرش على الساقين من بوله قَطْرُ
تخلّف خلف الورْد ليس بلا حقٍ	إذا ما علا الفَيْفاء قيل له وبَرُ
أرى أخويننا من أبينا وأمننا	إذا سُئلا قالوا إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمرٌ ولكن تجرّجما	كما جرّجت من رأس ذى علق صَخْرُ
أخصّ خصوصاً عبدَ شمس ونوفلاً	هما نَبْذانا مثسل ما نُبْذ الجَمْرُ
هما أغمزاً للقوم في أخويهما	فقد أصبحا منهم أكفهما صَفْرُ
هما أشركا في المجد من لا أباله	من الناس إلا أن يرش له ذكر

وَتَسِيمٌ وَمَخْسُزُومٌ وَزُهْرَةٌ مِنْهُمْ وَكَانُوا لَنَا مَوْلَى إِذَا بُغِيَ النَّصْرُ
فَوَاللَّهِ لَا تَنْفَكُ مِنَّا عِدَاوَةٌ وَلَا مِنْهُمْ مَا كَانَ مِنْ نَسْلِنَا شَفِيفٌ

* * *

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا تذاَمروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعدُّونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب .

وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله الملعون .

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره في جدِّهم معه وحَدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليَحْدِبُوا معه على أمره فقال :

فَعَبْدُ مَنْـدَافٍ سِرُّهَا وَصِمِيمُهَا	إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا قَرِيشٌ لِمُنْخَرٍ
فَفِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا	وَإِنْ حَصَلَتْ أَشْدُّ رَافُ عَبْدٍ مَنَافُهَا
هـُوَ الْمَصْطَفَى مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيمُهَا	وَإِنْ فَخَرَتْ يَوْمًا فِإِنْ مُحَمَّدًا
عَلَيْنَا فَلَمْ تَظْفَرْ وَطَاشَتْ حُلُومُهَا	تَدَاعَتْ قَرِيشٌ غُثًّا وَسَمِينُهَا
إِذَا مَا ثَنَسُوا صُغُرَ الْخُدُودِ نَقِيمُهَا	وَكَنَسَا قَدِيمًا لَا نَقْدَرُ ظَلَامَةَ
وَنَضْرِبُ عَنْ أَحْجَارِهَا مِنْ يَرُومُهَا	وَنَحْمِي حِمَاها كُلَّ يَوْمٍ كَرِيمَةٍ
بِأَكْتَفَانَا تَنْسُدِي وَتَنْمِي أَرْوَمُهَا	بِنَا انْتَعَشَ الْعُودُ الذَّوَاءُ وَإِنَّمَا

[تفسير الغريب]

حَدَّبَ عَلَيْهِ ، بفتح الهاء وكسر الدال المهملتين فموحدة : أى عطف عليه ومنعه ، وأصل الحدب انحناء في الظهر ، ثم استعير فيمن عطف على غيره ورق له .

لَا يُعْتَبَهُمْ : بضم أوله وكسر المثناة فوق : أى لا يرضيهم .

سَفَّهُ أَحْلَامُنَا : بتشديد الفاء وبالهاء ، وهو فعل ماضٍ ، أَحْلَامُنَا مفعوله أى قال إنا قليلو العقل .

رَفِيقًا : براء ففء فمثناة تحتية فقفاف .

ثم شَرَى الأمر بينه وبينهم : بفتح الشين المعجمة فراء مكسورة فمثناة تحتية مفتوحة أى كثر وتزايد ، يقال شَرَى البرق يَشْرَى إذا كثر لمعانه ويقال أشْرَى الرجل أيضا إذا غضب .

تَضَاعَتُوا : تعادوا ، والضَّعْن : العداوة والحقْد .

فتذامروا : بالذال المعجمة : أى حَضَّ بعضهم بعضا على حَرْبه وعداوته .

استنهيئك : أى طلبنا منك أن تنهاه .

أو ننازلَه وإياك أى : نمر به وإياك .

يَهْلِك : بكسر اللام .

فأَبْق : بقطع الهمزة فموحدة ساكنة : فعل أمر : بدا : بغير همز أى ظهر .

بَدَأ : بفتح الموحدة ممدودا : أى نشأ له فيه رأى .

استعبر : أى دمت عيناه .

أَوْسَد : أَوْضَع .

غضاضة : نقصان .

المَلَامَةُ : العَدْل .

السُّبَّة بالضم : العار .

خَذْلَانَه : أى تركه ونصرته .

إجماعه : عزمه .

بُعْمَارَة : يضم العين وتخفيف الميم : كان من أجمل الناس وله قصة مع النجاشي .

أَنهَد فتي : بنون فهاء فдал مهملة : أى أشدّه وأقواه .

عَقَلَهُ بعين مهملة مفتوحة : أى دَيْتَهُ ، وأَصْلُهُ أن القاتل كان إذا قتل قتيلا جمع الدية من الإبل فعَقَلَهَا بفناء أولياء المقتول أى شَدهَا فى عَقْلِهَا ليسلمها إليهم .

تَسْؤَمُونِنِى : تَكَلَّفُونِنِى . . أَغْنُوهُ - بالغين والذال المعجمتين .

المَطْعِم ، بكسر العين ، هلك كافرا قبل وقعة بدر .

المَظَاهِرَة : بالطاء المعجمة المشالة : المعاونة .

ما بدالك : بغير همز أى ظهر .

فَحِقِب الأمر : بحاء مهملة فقاق مكسورة فموحدة : أى زاد واشتد .

وتنابد القوم بموحدة مفتوحة فذال معجمة أى تركوا ما كان بينهم من عَهْد .

قول أبى طالب : ألا ليت حظى من حفاظكم^(١) : بكسر الحاء ، الحِفَاط والحفيظة :

الغضب . وقال بعضهم : لا يكون الحفاظ إلا فى الحرب خاصة .

قال أبو ذر : والقول الأول هو الصحيح . ويروى : من حَيَّاطتكم وهى الحفاظ .

البَكْر : الفتى من الإبل أى أن بكراً من الإبل أنفع لى منكم ، فليته لى بدلا من حياطتكم .

الخُور : بضم الخاء المعجمة : جمع أَخَوْر وهو الضعيف .

خَبَّاب : يروى بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة وبالجيم . قال ابن السراج : الجبجباب

بالجيم : الكثير الكلام فاستعاره هنا للرغاء ، والجبجباب - بالحاء المهملة : القصر . وبالخاء المعجمة :

الضعيف .

الفَيْفَاء : القَفَر .

الْوَرْد بكسر الواو : المَاء الذى ترده الإبل :

والْوَبْر : دُوَيْبَة قَدْر الهر ، أى يشبه بالوبر لصغره . ويحتمل أن يكون أراد ينضفر فى

العين لعلو المكان وبعده .

تَجَرَّجَمَا : بمثناة فوقية فجيم مفتوحين فراء ساكنة فجيم : أى سقط وانحدر . يقال :

تَجَرَّجَم الشيء إذا سقط .

(١) كذا والذى سبق فى الآيات : من حياطتكم .

ذُو عَلَقٍ : بعين مهملة فلام مفتوحتين فُقاق : جبل في ديار بني أسد ، ترك صُرُفَ عَلَقٍ إما لأنه جعله اسم بُقعة ، وإما لأنه تركه لضرورة الشعر .

أَغْمَزَا للقوم : أى سببا لهم الطعن فيهم ، يقال : غمزت الرجل إذا طعنت فيه .
الصُّفْرُ بكسر الصاد : الخالي^(١)

إلا أن يَرَسَّ له ذِكْرٌ : أى يذكر ذلك خفياً ، يقال رسنت الحديث إذا حدثت به في خفاء ، .

شَفَّرَ بفتح الشين المعجمة وسكون الفاء : أى أحد .

سَرَّهَا وصمىها : أى خالصها وكرىمها .

غَثَّهَا وسمينها : أصل الغث : اللحم الضعيف ، فاستعاره هنا لمن ليس نسبته هناك .

طاشت : ذهبت .

حُلُومُهَا : عقولها .

ثَنَوْا : عطفوا .

صُغِرَ الخدود : بالعين المهملة : أى مائلة ، يقال صَغَّرَ خَدَّهُ إذا أماله إلى جهة ، فعل المتكبر .

وَنَضْرِبَ عن أحجارها : بحاء مهملة فجيم : أى ندفع عن حصونها ومعقلها ، يريد

عن مواضعها المسانعة . ومن رواه بالجيم والحاء أراد عن منازلها وبيوتها . والحجر هنا مستعار .

انتعش : حى وظهرت فيه الخضرة ، وأصل نَعَشَ : رفع ، يقال نعشه الله أى رفعه

وبه سمى النَّعْشُ نعشاً .

الْعُودُ النَّوَاءُ : بذال معجمة مشددة وبالهزم : الذى جفَّتْ رطوبته ولم ينته إلى حد اليَبْسِ .

الْأَكْنافُ : النواحي .

أُرُومُهَا : جمع أرومة وهى الْأَصْلُ .

(١) فيما ذكره المصنف نظر لأن الوزن يقتضى الصرف .

الباب الثامن

في إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

روى ابن أبي حاتم عن الأجلح قال : كان حمزة بن عبد المطلب رجلاً حسن الشعر حسن الهيئة صاحب صيد ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على أبي جهل فولع به أبو جهل وآذاه ، فرجع حمزة من الصيد وامرأتان تمشيان خلفه فقالت إحداهما : لو علم ذا ما صنع أبو جهل بآبنا أخيه أقصر عن مشيته . فالتفت إليهما فقال : وماذا ؟ قالت : أبو جهل فعل بمحمد كذا وكذا .

فدخلته الحمية فجاء حتى دخل المسجد وفيه أبو جهل فعلا رأسه بقوسه ثم قال : ديني دين محمد ، إن كنتم صادقين فامنعوني . ووثبت إليه قريش فقالوا : يا أبا يغلي . يا أبا يغلي فأنزل الله تعالى : « إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية » إلى قوله : « وألزمهم كلمة التقوى^(١) » .

قال الأجلح : أراد حمزة بن عبد المطلب .

وروى ابن اسحاق قال : حدثني رجل من أسلم وكان واعيةً ، والطبراني برجال ثقات ، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة والطبراني برجال ثقات عن محمد بن كعب القرظي رحمهم الله ، أن أبا جهل مرَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فأذاه وشمته ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاة لعبد الله بن جُدعان في مسكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه فعمد إلى نادى قريش عند الكعبة فجلس معهم ، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له ، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له ، فكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمرَّ على نادى قريش

(١) سورة الفتح ٢٦ .

إلا وقف وسلّم وتحدث معهم ، وكان أعزّ فتى في قريش وأشدّه شكيمةً ، فلما مرّ بالمولاة وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له : يا أبا عُمارة : لو رأيت ما لي ابن أخيك محمد آنفا من أبي الحكم ابن هشام ، وجده هنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد .

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله تعالى به من كرامته ، فخرج يسعى لم يقف على أحد مُعِدًّا لأبي جهل إذا لقيه أن يقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّه بها شجة مُنكرة وقال : أتشتمه وأنا^(١) على دينه أقول ما يقول ؟ فردّ على ذلك إن استطعت .

فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل : دعو أبا عماره فإنّي والله قد سببت ابن أخيه سبّا قبيحا .

زاد يونس بن بُكَيْر عن ابن اسحاق : ثم رجع حمزة إلى بيته فقال : أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابي وتركت دين آبائك ؟ لَلْمُوتُ خَيْرٌ لك مما صنعت . وقال : اللهم إن كان رُشداً فاجعل تصديقه في قلبي ، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مَخْرَجاً . فبات ليلة لم يبت مثلاً من وسوسة الشيطان ، حتى أصبح فعدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخى إني قد وقعت في أمرٍ لا أعرف المخرج منه وإقامة مثلي على مالا أدرى ما هو أرشد أم هو غيٌّ شديد فحدثني حديثاً فقد اشتيت يا ابن أخى أن تحدثني .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه فذكره ووعظه وخوفه وبشره ، فألقى الله تعالى في قلبه الإيمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أشهد إنك لصديق فأظهر يا ابن أخى دينك فوالله ما أحبُّ أن لي ما أظَلَّتْه السماء وأنى على ديني الأول .

وتمّ حمزة على إسلامه وعلى ما بايع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عزّ وامتنع ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه . وقال حمزة حين أسلم :
(١) غير ص : فانا .

حمدتُ الله حين هَدَى فؤادى إلى الإسلام والدين الحنيفِ
 لِيدينِ جاء من ربِّ عزيز خبيرٍ بالعباد بهم لطيفِ
 إذا تُليست رسائله علينا تحدر دمعُ ذى اللب الحنيفِ
 رسائلِ جاء أحمد من هداها بآيات مبيّنة الحروفِ
 وأحمد مُضطَفًى فينا مطاع فلا تغسوه بالقولِ الضعيفِ
 فلا والله نُسلمه لقوم ولما نَقَضَ فيهم بالسيوفِ
 ونسترك منهم قتلى بقاع عليها الطير كالورد العُكوفِ
 وقد خبّرت ما صنعت ثقيف به فجَزَى القبائل من ثقيفِ
 إليه الناس شرَّ جزاء قوم ولا أسقامهم صوبَ الخريفِ^(١)

[تفسير الغريب]

داعية : حافظ لما يسمع :

ابن جُدعان : بضم الجيم وإسكان الدال ، ثم عين مهملتين : هلك على كُفْرِهِ .
 فعَمَد : بفتح الميم فى الماضى وكسرها فى المستقبل .
 إلى نادٍ من قریش : أى أهلُ نادٍ من قریش .
 القَنَص : بفتح القاف والنون وبالصاد المهملة : الصيد .
 الشَّكِيمَة : بفتح الشين المعجمة وكسر الكاف فمثناة تحتية ساكنة فميم مفتوحة فهاء
 تأنيث ، يقال فلان شديد الشكيمة إذا كان عزيز النفس أبياً قويا وأصله من شكيمة
 اللجام وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس .
 آنفا : بمد الهمزة وقصرها أى الآن والساعة .
 فاحتمل حمزة : مفعول مقدّم والغضبُ : فاعلٌ مؤخر .

(١) قصة إسلام حمزة فى سيرة ابن هشام ٢٩١/١ . وسيرة ابن كثير ٤٤٥/١ .

فشجّه أى أثر فى رأسه أثرا .

أنتشيمه : بكسر المثناة الثانية ويجوز ضمها . حكاه ابن دُرَيْد . وعلى ما تابع : بالمثناة
الفوقية وبعد الألف باء موحدة . وفى بعض النسخ الصحيحة : بايع بالموحدة وبالمثناة بعد
الألف ، من المبايعة ، والأول أظهر من سياق القصة .

الباب التاسع

في إرسال قريش عتبة بن أبي ربيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يُعرض عليه أشياء ليكشف عنهم

روى ابن أبي شيبه وعبد بن حميد وأبو يعلى والحاكم وصححه عن جابر بن عبد الله
والبيهقي وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم قالوا : اجتمع نفرٌ من قريش
يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرّق
جماعتنا وشتّت أمرنا وعاب ديننا ، فليكلّمه ولينظر ماذا يرّد عليه .
فقالوا : ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة .

وعند ابن اسحاق وابن المنذر عن محمد بن كعب القرظي : أن عتبة بن ربيعة قال
يوماً ، وكان جالسا في نادى قريش ، والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده :
يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلّمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه
أيها شاء ويكفّ عنا . وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزيدون ويكثرّون . فقالوا : بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلّمه .

وروى أبو يعلى بسند جيد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : اجتمعت قريش
للنبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا
الرجل الذي فرّق جماعتنا وشتّت أمرنا وعاب ديننا فيكلّمه ولينظر ما يرّد عليه . قالوا :
ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة فقالوا : أنت أبا الوليد . انتهى .

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي إنك منا حيث
قد علمت من السّطة في العشيرة والمكان في النّسب وإنك قد أتيت قومك بأمرٍ عظيم فرقت
به جماعتهم وسفّتهم أحلامهم وعيّت آهنتهم ودينهم وكفّرت من مضى من آبائهم ،
يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنت خير أم

عبدُ المطلب ؟.. فسكت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خيرٌ منك فقد عبدوا الآلهة ، وإن كنت تزعم أنك خيرٌ منهم فتكلّم نسّمُ قولك ، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومه منك ، فرقت جماعتنا وأشتت^(١) أمرنا وعيبت ديننا وقضحتنا في العرب ، حتى طار فيهم أن في قريش ساحرا وأن في قريش كاهنا والله ما ننتظر إلا مثلَ صيحةِ الحُبلى أن يقوم بعضنا بعضا إليك بالسيوف حتى نتفانى ، أيها الرجل اسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل أبا الوليد أسمع .

قال : يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالا جمعه لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به الشرف سوّدناك علينا حتى لا نَقْطعَ أمرا دونك ، وإن كنت تريد مُلكا ملّكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك ربيّا لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطبّ وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرّثك منه ، فإنه ربما غلبَ التابعُ على الرجل حتى يُداوى منه . أو كما قال له .

حتى إذا فرغ عُتْبَة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال له : أقد فرغت أبا الوليد ؟ قال : نعم . قال : فاسمع مني قال : أفعلُ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم «حم» الله أعلم بمراده به . «تنزيلٌ من الرحمن الرحيم» مبتدأ «كتابٌ» خبره «فُصِّلَتْ آياته» بيّنت بالأحكام والقصص والمواعظ «قرآنا عربيا» حال من الكتاب بصفته «لِقَوْمٍ» يتعلق بفصلت «يَعْلَمُونَ» يفهمون ذلك ، وهم العرب أو أهل العلم والنظر وهو صفة أخرى لقرآنا «بشيرا» للعاملين به «وتذيرا» للمخالفين له «فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ» عن تدبره وقبوله «فهم لا يسمعون» سماعَ تأمل وطاعة «وقالوا» للنبي . «قلوبنا في أَكِنَّةٍ مما تَدْعُونَا إِلَيْهِ» أغطية جمع كِنَان «وفي آذاننا وَقرٌ» صَمَمٌ وأصله الثقل «ومن بَيْننا وبينك حِجَابٌ» خلاف في الدين «فاعملْ» على دينك «إننا عاملون» على ديننا .

ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعه عتبة أنصت لها

(١) كذا في ت ، م . وفي ص : واستثنت . وفي ط : واستثنت .

وَأَتَى يَدِيهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا ، فَسَمِعَ مِنْهُ إِلَى أَنْ يُلَاحِظَ : « فَإِنْ أَعْرَضُوا » أَيْ كِفَارِ مَكَّةَ عَنْ الْإِيمَانِ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ « فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ » خَوْفَتُكُمْ « صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ » مُنَعَ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعِلْمِيَّةِ وَالتَّأْنِيثِ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِهِ الْقَبِيلَةَ ، أَيْ عَذَابًا يَهْلِكُكُمْ مِثْلَ مَا أَهْلَكَهُمْ .

فَأَمْسَكَ عَتَبَةً عَلَى فِيهِ وَنَاشَدَهُ الرَّحِمَ أَنْ يَكْفَ عَنْهُ ، ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ : قَدْ سَمِعْتَ أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ فَأَنْتَ وَذَلِكَ . فَقَالَ : مَا عِنْدَكَ غَيْرَ هَذَا ؟ فَقَالَ : مَا عِنْدِي غَيْرَ هَذَا .

فَقَامَ عَتَبَةً وَلَمْ يَعُدْ إِلَى أَصْحَابِهِ وَاحْتَبَسَ عَنْهُمْ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا نَرَى عَتَبَةً إِلَّا قَدْ صَبَا إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَعْجَبَهُ طَعَامُهُ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ حَاجَةٍ أَصَابَتْهُ فَاَنْطَلِقُوا بِنَا إِلَيْهِ . فَأَتَوْهُ . فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : وَاللَّهِ يَا عَتَبَةُ مَا جِئْنَاكَ إِلَّا أَنْكَ قَدْ صَبَوْتَ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَعْجَبَكَ أَمْرُهُ فَإِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا يُغْنِيكَ عَنْ طَعَامِ مُحَمَّدٍ .

فَغَضِبَ وَأَقْسَمَ لَا يَكَلِّمُ مُحَمَّدًا أَبَدًا وَقَالَ : لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالًا وَلَكِنِّي أَتَيْتُهُ . فَقَضَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ .

قَالُوا : فَمَا أَجَابُكَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ الَّذِي نَصَحْتُ بِنِيَّةٍ مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ أَنَّهُ أَنْذَرَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ فَأَمْسَكَتُ بِفِيهِ وَنَاشَدْتُهُ الرَّحِمَ أَنْ يَكْفَ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا إِذَا قَالَ شَيْئًا لَمْ يَكْذِبْ فَخَفَضْتُ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ الْعَذَابُ .

قَالُوا : وَيْلَكَ يَكَلِّمُكَ الرَّجُلُ بِالْعَرَبِيَّةِ لَا تَدْرِي مَا قَالَ ؟ !

قَالَ : وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشَّعْرِ وَلَا بِالسُّحْرِ وَلَا بِالْكَهَانَةِ ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَطِيعُونِي وَاجْعَلُونِي بَيْنَ وَخَلُّوا بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَاعْتَزِلُوهُ فَوَاللَّهِ لِيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ نَبَأًا فَإِنْ تُصِيبُهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِّيتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ ، وَإِنْ يَظْهَرُ عَلَى الْعَرَبِ فَمُلْكُهُ مِلْكُكُمْ وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ ، يَا قَوْمَ أَطِيعُونِي فِي هَذَا الْأَمْرِ وَاعْصُونِي بَعْدَهُ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ كَلَامًا مَا سَمِعْتُ أَذْنًاى كَلَامًا مِثْلَهُ وَمَا دَرَيْتُ مَا أَرَدُ عَلَيْهِ .

قَالُوا : سَحَرَكَ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ .

قال : هذا رأي فيه فاصنعوا ما بدا لكم^(١) .

[تفسير الغريب]

السُّطَّة - بكسر السين وفتح الطاء المهملتين - أى من الوسط حسباً ونسباً ، وأصل الكلمة الواو ، والهاء عوض عن الواو كعِدَّة من الوعد . وتقدم ذلك فى سَفَره إلى الشام ونكاحه خديجة .

سَفَّهت أحلامنا : أى قلت إنهم صغيرو العقول .

أَغْرَضَ عليك : وهو مجزوم جواب شرطٍ متقدِّر ويجوز رفعه ، وكذلك قوله أَسْمَعَ رَئِيًّا : الرئى : التابع من الجن بوزن كمى ، وهو فاعيل أو مفعول سَمَّى به لأن يتراعى لمتبوعه أو هو من الرأى من قولهم : فلان رئى قومه . إذا كان صاحب رأيهم وقد نكسر راؤه لإتباعها ما بعدها .

الطَّب : مثلث الطاء : العلاج فى النفس والجسم .

يداوى : بفتح الواو مبنى للمفعول .

أَفْعَلْ : بالجزم جواب شرط مقدر ويجوز رفعه .

(١) الوفا لابن الجوزى ٢٠١/١ . وسيرة ابن كثير ٥٠١/١ عن عبد بن حميد .

الباب العاشر

في أسئلة المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنواعاً من الآيات وخرق العادات على وجه العناد لا على وجه الهدى والرشاد

فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما سألوا لعلم الله سبحانه وتعالى أنهم لو عاينوا أو شاهدوا ما أرادوا لاستمروا في طغيانهم يعمهون ولظلوا في غيهم وضلالهم يترددون ، فقد كانوا رأوا من دلائل النبوة ما فيه شفاء لمن أنصف .

قال الله تعالى : «أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم^(١)» .

وفي هذا المعنى قيل :

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بدايته تنبيك بالخبر^(٢) .

قال الله تعالى : «ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى كما طلبوا «وحشرنا» جمعنا عليهم «كل شيء» طلبوه «قبلاً» بكسر القاف وفتح الباء أى معاينة ، فنصبه مصدر في موضع الحال ، وبضمها جمع قبيل أى فوجاً فوجاً ، فنصبه حالاً من كل وإن كان نكرة نافية من العموم ، أى : ولو جئناهم بالملائكة قبلاً قبلاً وبما طلبوا ورأوا ذلك معاينة «ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله» استثناء منقطع أو متصل أى ما كانوا ليؤمنوا إلا في حال مشيئة الله «ولكن أكثرهم» أى الكفار «يجهلون» . فيحلفون أنهم يؤمنون عند نزول الآيات . أو المؤمنون يجهلون أن الكافرين لا يؤمنون فيطلبون نزول الآيات ليؤمنوا .

قال في الروض : وكان سؤاها تلك الآيات جهلاً منهم بحكمة الله تعالى في امتحانه الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل وأن يكون إيمانهم عن نظر وفكر في الأدلة ، فيقع الثواب على حسب ذلك ، ولو كشف الغطاء وحصل لهم العلم الضروري لطلب الحكمة التي من أجلها

(١) سورة العنكبوت ٥١ .

(٢) ت ، م : من خبر . والبيت لعبد الله بن رواحة .

يكون الثواب والعقاب إذ لا يُؤَجَر الإنسان على ما ليس من كَسبه كما لا يُؤَجَر على ما خُلِق فيه من لونٍ وشعر ونحو ذلك ، وإنما أعطاهم من الدليل ما يقتضى النظر فيه العلم الكسبي .

وروى ابن اسحاق وابن جرير والبيهقي عن ابن عباس أن أشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا عند غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصّموه حتى تُعذروا فيه . فبعثوا إليه فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أن قد بدّأ لهم فيما يكلمهم فيه بداء ، وكان حريصا عليهم يحب رُشدهم ويعزّ عليه عنتهم ، حتى جلس إليهم فوالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء وعينت الدين وشتمت الآلهة وسفّهت الأحلام وفرقت الجماعة ، فما بنى أمرٌ قبيح إلا قد جثته فيما بيننا وبينك . أو كما قالوا له . فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تريد به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رِثيا تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن رِثيا - فرما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطبِّ لك حتى نُبرِّك منه أو نُعذّر فيك .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بنى ما تقولون ، ما جئت بما جئت به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله تعالى بعثنى إليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردّوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم . أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . .

قالوا : يا محمد إن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضنا لك فإنك قد علمت أنه ليس أحدٌ أضيقَ بلدا ولا أقلّ مالا ولا أشدّ عيشا منا ، فاسأل لنا ربك أنهارا كأنهار العراق والشام ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن ممن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول : أحقّ هو أم باطل ، فإن صدّقوك وصنعت ما سألناك صدّقناك وعرفنا منزلتك من الله وأنه بعثك إلينا رسولا كما تقول .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بهذا بُعثت لکم ، إنما جئتم من الله بما بعثني به وقد بلغنكم ما أُرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم .

قالوا : فإذا لم تفعل فخذ لنفسك ، سل ربك يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك ، وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يُغنيك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس الرزق وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك إن كنت رسولا .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي سأل ربّه هذا وما بعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا أو كما قال . فإن تقبلوا ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم .

قالوا : فأسقط السماء علينا كسفاً كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله عز وجل ، إن شاء أن يفعله بكم فعله .

قالوا : يا محمد فما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألتك عنه ونطلب إليك ما نطلب فيتقدم إليك فيعلمك ما تُراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به ؟ إنه قد بلغنا أنك إنما تعلمك هذا رجلٌ باليامة يقال له : الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً فقد أعذرنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نُهلكك أو تهلكنا .

وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا .

فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهو ابن عمته وهو لعاتكة بنت عبد المطلب ،

وَأَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ عَرِّضْ عَلَيْكَ قَوْمُكَ مَا عَرَضُوا فَلَمْ يَقْبَلْهُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوكَ لَأَنْفُسِهِمْ أُمُورًا لِيَعْرِفُوا بِهَا مَنْزِلَتَكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا تَقُولُ وَيَصْدُقُوكَ وَيَتَّبِعُوكَ فَلَمْ تَفْعَلْ ، ثُمَّ سَأَلُوكَ أَنْ تَأْخُذَ لِنَفْسِكَ مَا يَعْرِفُونَ بِهِ فَضْلَكَ عَلَيْهِمْ وَمَنْزِلَتَكَ مِنَ اللَّهِ فَلَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ سَأَلُوكَ أَنْ تَعْجَلَ لَهُمْ بَعْضَ مَا تَخَوَّفُهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ فَلَمْ تَفْعَلْ . أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ . فَوَاللَّهِ لَا أَوْمنُ بِكَ أَبَدًا حَتَّى تَتَّخِذَ إِلَى السَّمَاءِ سَلَمًا ثُمَّ تَرْقَى فِيهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْكَ حَتَّى تَأْتِيَهَا ثُمَّ تَأْتِي بِصَلِّكَ مَعَهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ لَكَ أَنْكَ كَمَا تَقُولُ وَأَيْمَنُ اللَّهُ إِنْ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ مَا ظَنَنْتُ أَنِّي أَصْدَقُكَ . ثُمَّ انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينًا آسفًا لما فاتته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، لِمَا رَأَى مِنْ مَبَاعَدَتِهِمْ إِيَّاهُ .

فَلَمَّا قَامَ عَنْهُمْ قَالَ أَبُو جَهْلٍ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ أَبَى إِلَّا مَا تَرَوْنَ مِنْ عَيْبٍ دِينِنَا وَشَتَمَ آبَائِنَا وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا وَشَتَمَ آلِهَتِنَا ، وَإِنِّي أَعَاهِدُ اللَّهَ لَا أَجْلِسَنَّ لَهُ غَدًا بِحَجَرٍ مَا أَطِيقُ حَمْلَهُ . أَوْ كَمَا قَالَ . فَإِذَا سَجَدَ فِي صَلَاتِهِ فَضَخْتُ بِهِ رَأْسَهُ فَأَسْلِمُونِي عِنْدَ ذَلِكَ أَوْ امْنَعُونِي ، فَلْيَصْنَعْ بَعْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ مَا بَدَأَ لَهُمْ . قَالُوا : وَاللَّهِ لَا نُسْلِمُكَ لَشَيْءٍ أَبَدًا فَاْمُضْ لِمَا تَرِيدُ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو جَهْلٍ أَخَذَ حَجَرًا كَمَا وَصَفَ ، ثُمَّ جَلَسَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْتَظِرُهُ ، وَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يَغْدُو وَكَانَ بِمَكَّةَ وَقِيلَتْهُ إِلَى الشَّامِ ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ الرُّكْنَ الْيَمَانِي وَالْحَجَرَ الْأَسْوَدَ وَجَعَلَ الْكَعْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّامِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصَلِّي وَقَدْ غَدَتِ قُرَيْشٌ وَجَلَسُوا فِي أُنْدِيَتِهِمْ يَنْتَظِرُونَ مَا أَبُو جَهْلٍ فَاعِلٌ ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَمَلَ أَبُو جَهْلٍ الْحَجَرَ ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُ رَجَعَ مَهْزُومًا مُنْتَقِعًا لَوْنُهُ مَرَّعُوبًا قَدْ يَبَسَتْ يَدَاهُ عَلَى حَجَرِهِ حَتَّى قَذَفَ بِالْحَجَرِ مِنْ يَدِهِ .

وَقَامَتْ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا : مَا بِكَ يَا أَبَا الْحَكَمِ ؟ قَالَ : قَمْتُ إِلَيْهِ لِأَفْعَلَ مَا قُلْتَ لَكُمْ الْبَارِحَةَ ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ عَرَضَ لِي دُونُهُ فَحُلُّ مِنَ الْإِبِلِ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ وَلَا قَصْرَتِهِ وَلَا أَنْيَابِهِ لِفَحْلٍ قَطْ ، فَهَمَّ بِي أَنْ يَأْكُلَنِي .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ذاك جبريل لو دنا لأخذه .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وبعث من مضى من آباءهم : «ولو أن قرآنا سُيرت» نقلت «به الجبال» عن أماكنها «أو قطعت» شققت به الأرض فجعلت أنهارا وعيونا «أو كلّم به الموتى» بأن يَخَيُّوا وجواب لو محذوف اكتفى بمعرفة السامعين مراده وتقديره : لكان هذا القرآن أو وهم يكفرون بالرحمن وإن أجيبوا إلى سؤالهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى «بل لله الأمر» أى أمر خلقه «جميعا» فيتصرف فيهم كيف يشاء .

وأنزل أيضاً : «وما منعنا أن نُرسل بالآيات» التى اقترحها أهل مكة «إلا أن كذب بها الأولون» لما أرسلناها فأهلكناهم ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الإهلاك ، وقد حكنا بإمهاهم لإتمام أمر محمد صلى الله عليه وسلم :

قال ابن إسحاق : وأنزل الله سبحانه وتعالى فى قَوْمِهِ : خذ لنفسك سَلْ رَبِّكَ أَنْ يَبْعَثَ مَعَكَ مَلَكًا يَصْدُقُكَ إِلَى آخِرِهِ : «وقالوا ما لهذا الرسول يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا» هلا «أنزل إليه ملك فيكون معه نَذِيرًا» يصدّقه «أو يُلقَى إليه كنز» من السماء ينفقه ولا يحتاج إلى المشى فى الأسواق لطلب المعاش «أو تكون له جَنَّةٌ» بستان «يَأْكُلُ مِنْهَا» أى من ثمارها فيكتفى بها وفى قراءة : «نَأْكُل» بالنون أى نحن فيكون له علينا مزية بها . «وقال الظالمون» أى الكافرون للمؤمنين «إن» ما «تتبعون إلا رجلاً مسحوراً» مَخْدُوعاً مغلوباً على عقله قال تعالى : «أنظر كيف ضربوا لك الأمثال» بالمسحور والمحتاج إلى ما ينفقه وإلى ملك يقوم معه بالأمر «فَضْلُوا» بذلك عن الهدى «فلا يستطيعون سبيلاً» طريقاً إليه «تبارك» تكاثر خيرُ «الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك» الذى قالوا من الكنز والبستان «جنات تجري من تحتها الأنهار» أى فى الدنيا لأنه شاء أن يعطيه إياها فى الآخرة «ويجعل لك قصوراً» أيضاً إلى قوله تعالى : «وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ» فأنت مثلهم فى ذلك ، وقد قيل لهم كما قد قيل لك «وجعلنا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً» بلية ابتلى بها الغنى بالفقر والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع يقول الثانى فى كلّ : مالى لا أكون كالأول فى كلّ «أتضربون» على

ما تسمعون ممن ابتليتم بهم، استفهام بمعنى الأمر أى اصبروا «وكان ربك بصيرا» بمن يصبر
وبمن يجزع .

وأنزل الله تعالى فيها قال عبد الله بن أبي أمية - وقد تقدم أنه أسلم بعد : « وقالوا لن
نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا » عينا ينبع منها الماء «أو تكون لك جنة»
بستان « من نخيل وعنب . فتفجر الأنهار خلالها » وسطها «تفجيرا أو تسقط السماء كما
زعمت علينا كسفا» قطعا «أو تأتي بالله والملائكة قبيلا» مقابلة وعيانا فنراهم : «أو يكون
لك بيت من زخرف» ذهب «أو ترقي» تصعد «في السماء» بسلم «ولن نؤمن لرقبك» لو
رقيت فيها «حتى تنزل علينا» منها «كتابا» فيه تصديقك «نقرؤه» قل لهم : «سبحان
ربى هل كنت إلا بشرا رسولا» كسائر الرسل والبشر ولم يكونوا يأتون بآية إلا بإذن الله .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى في قولهم فيما قد بلغنا : إنما يعلمك رجل باليامة
يقال له الرحمن : ولن نؤمن به أبدا ، يعنون به مسيلمة بن حبيب الحنفي ، روى
وثنيمة بن موسى عن سعيد بن المسيب أن مسيلمة تسمى بالرحمن في الجاهلية قبل أن يولد
عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم كان من المعمرين : «كذلك» أى مثل إرسالنا الرسل
قبلك يا محمد «أرسلناك» ثم بين الرسل إليهم فقال : «في أمة قد خلت» مضت «من
قبلها أُمم لتتلوا» لتقرأ عليهم «الذى أوحينا إليك» من القرآن وشرائع الإسلام «وهم
يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ» . قل لهم يا محمد الرحمن الذى أنكرتم معرفته : «هو ربى لا إله إلا هو
عليه توكلت وإليه متاب» توبتى ومرجعى .

وأنزل الله تعالى فيما عرضوا عليه من أموالهم : «قل ما سألتكم» على الإنذار والتبليغ
«من أجر فهو لكم» أى لا أسألكم عليه أجرا إن «أجرى» ما ثوابى «إلا على الله ، وهو
على كل شئ شهيد» مطلع يعلم صدقه .

وأنزل الله تعالى فيها قال أبو جهل وما هم به : «أرأيت» فى مواضعها الثلاثة للتعجب
«الذى ينهى» هو أبو جهل «عبدا» هو النبي صلى الله عليه وسلم «إذا صلى أرأيت إن كان»
أى المنهى «على الهدى أو» للتقسيم «أمر بالتقوى . أرأيت إن كذب» أى الناهى النبي
«وتولى» عن الإيمان . «ألم يعلم بأن الله يرى» ما يصدر منه أى يعلمه فيجازيه عليه .

أى : أعجبتُ منه يا مخاطَب ، من حيث نَهيه عن الصلاة ، ومن حيث أن المنهى على الهدى أمرٌ بالتقوى ، ومن حيث أن الناهى مكذَّب متولٍّ عن الإيمان .

«كلاً» رَدَّع له «لئن» لام قسم «لم يَنْتَه» عما هو عليه من الكفر «لَنَسْفَعن بالناصية» لَنَجْرَن بِنَاصِيَتِهِ إلى النار «ناصية» بدل نكرة من معرفة «كاذبة خاطئة» وصفها بذلك مجازاً والمراد صاحبها . «فليَدْخُ نادِيَه» أى أهل ناديه وهو المجلس يَنْتَدِي أى يتحدث فيه القوم . وكان قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة : لقد علمت ما بها أكثر نادياً منى لأملأن عليك هذا الوادى إن شئت خيلاً جُرُداً ، ورجالاً مُردّاً .
«سَنَدُّعُ الزبانية» الملائكة الغلاظ الشداد لإِهْلَاكِهِ . فى الحديث : «لو دعا نادِيَه لَأَخَذْتَهُ الزبانية عياناً» .

«كلاً» رَدَّع له «لا تُطِغْ» يا محمد فى ترك الصلاة «واسجُدْ» صلِّ لله «واقترِبْ» منه بطاعته^(١) .

وروى أبو يعلى وأبو نعيم عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : لما نزلت : «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» صاح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أبى قُبَيْس : يا آل عبد مناف إنى نذير . فجاءته قريشٌ فحذَّروهم وأنذروهم قالوا : تزعم أنك نبي يوحى إليك ، وإن سليمان سَخَّرَ له الريحُ والجبال ، وإن موسى سخر له البحر ، وإن عيسى كان يحى الموتى ، فادع الله أن يجعل هذه الصخرة التى تحتك ذهباً فننحت منها وتغنيننا عن رحلة الشتاء والصيف فإنك تزعم أنك كهيتهم . فبَيْنَا نحن حوله إذ نزل عليه الوحي فلما سَرَّى عنه قال : والذى نفسى بيده لقد أعطانى ما سألتُم ولو شئت لكان ، ولكنه خيرنى بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن منكم وبين أن يَكِلْكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلُّوا عن باب الرحمة ولا يؤمن منكم ، فاخترتُ باب الرحمة فيؤمن منكم ، وأخبرنى إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم به يعذبكم عذاباً لا يعذبه أحدٌ من العالمين .

فنزلت : «وما منعنا أن نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ» حتى قرأ ثلاث آيات .
«ولو أن قرآننا سيرت به الجبال» الآية .

(١) سيرة ابن هشام ٢٠٩/١ - ٣١٣ .

وروى الإمام أحمد والنسائي والحاكم والضياء في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحى عنهم الجبال فيزرعون ، فأتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئت أصبح الصفا لهم ذهباً فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة . قال : أي رب باب الرحمة .

وفي رواية : إن شئت أن تستأنى بهم وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا أهلكتهم^(١) كما أهلكت من قبلهم من الأمم . قال : لا بل أستأنى بهم . فأنزل الله : «وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون» .

وروى ابن جرير عن قتادة قال : قال أهل مكة فذكر نحوه وفيه : فأتاه جبريل فقال : إن شئت كان الذي سألك قومك ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يُنظروا ، وإن شئت استأنيت بقومك . قال : بل أستأنى بقومي . فأنزل الله تعالى : «وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون» الآية .

وأنزل الله تعالى : «ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون» .

[تفسير الغريب]

أصبر : بالسكون جواب الشرط .

اليامة - بفتح المثناة التحتية : مدينة باليمن .

الصك - بفتح الصاد المهملة وتشديد الكاف : الكتاب .

وايم الله : من ألفاظ القسم كقولك : لعمر الله وعهد الله وفيها لغات كثيرة ، تفتح همزتها وتكسر ، وهي همزة وصل وقد تقطع .

أسلموني : بقطع الهمزة المفتوحة .

ما بدا لهم : بغير همز أي ظهر .

(١) سيرة ابن كثير ٤٨٢/١ .

مُنْتَقَعًا - بفتح القاف - امتنع لونه فهو منتقع لغة في انتقع أى تغير من حزن أصابه .
الفحل - بفتح الفاء وإسكان الحاء - الذكر من الحيوان والمراد به هنا من الإبل .
الحجر - بفتح الحاء والجيم .
هامته - بميم مخففة مفتوحة : الرأس .
القَصْر - بفتح القاف والصاد المهملة والراء . والقَصْرَة : أصل العُنق . والجمع قَصَر
بفتحهما .

الباب الحادي عشر

في امتحانهم إياه بأشياء لا يعرفها إلا نبي

قال ابن إسحاق : إن النَّضْرَ بن الحارث ، وكان من شياطين قريش ، وكان ممن يُؤذي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . والصواب أنه هلك ببدر وهو مشرك على يدي علي ابن أبي طالب رضي الله عنه . فقال : يا معشر قريش والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتُم له بحيلة بعدُ ، قد كان محمدٌ فيكم غلاماً حَدَّثنا أَرْضابكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانةً ، حتى إذا رأيتم الشَّيْبَ في صُدْغِيهِ وجاءكم بما جاءكم به قلتم : ساحر . ولا والله ما هو بساحر ، وقد رأينا السَّحْرَةَ ونَفَثَهم وعَقَدَهم . وقلتم : كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة تَخَالُجَهم وسمعنا سَجْعَهم ، وقلتم : شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، لقد روينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هَزَجَه ورَجَزَه . وقلتم : مجنون . لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش انظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيم .

وكان النضر قد قديم الحيرة وتعلَّم بها أحاديث ملوك الفُرس ، فكان إذا جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلساً فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نِقْمَةِ الله عز وجل ، خلفه في مجلسه إذا قام ثم قال : أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه ، فهلُم إلي فأنَا أحدثكم أحسن من حديثه . ثم يحدثهم عن ملوك فارس ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثاً مني ؟ وما أحاديثه إلا أساطير الأولين اكتبها كما كتبتها .

قال ابن هشام : وهو الذي قال فيما بلغني : سأُنزل مثل ما أنزل الله .

قال ابن إسحاق : وكان ابن عباس يقول فيما بلغني : إنه أنزل فيه ثمانى آيات من القرآن : قوله تعالى «إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ^(١)» وكل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن .

(١) سورة القلم ١٥ .

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه وبعثوا معه عُقْبَةُ بن أَبِي مُعَيْطٍ إلى أخبار
يهود المدينة وقالوا لهما : اسألاه عن محمد وصِفًا لهم صفته وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل
الكتاب الأول ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء .

فخرجوا حتى قَدِمَا المدينة فسألا أخبارَ يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفًا
لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله ، وقالوا : إنكم أهلُ التوراة وقد أتيناكم لتخبرونا عن صاحبنا
هذا . فقالت لهما أخبار يهود : سَلُّوه عن ثلاثٍ نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبيٌّ
مرسل وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّلٌ^(١) فَرَوْا فيه رأيكم : سَلُّوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول
ما كان أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديثٌ عجيب ، واسألوه عن رجل طواف قد بلغ مشارقَ
الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ، واسألوه عن الروح ما هي ؟ فإن أخبركم بذلك فاتبعوه
فإنه نبي ، وإن لم يفعل فهو رجل متقوِّلٌ^(٢) فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

فأتى النضر بن الحارث وعقبة بن أبي مُعَيْطٍ حتى قَدِمَا مكةَ على قريش فقالوا :
قد جئناكم بفصلٍ ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أخبارُ يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا
بها ، فإن أخبركم عنها فهو نبيٌّ وإن لم يفعل فالرجل مقتول فَرَوْا فيه رأيكم .
فجاءوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسألوه في تلك الأشياء فقال لهم : أخبركم بما
سألتهم عنه غدًا . ولم يستثن . فانصرفوا عنه .

قال ابن إسحاق : ومكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة
وفي سِيرِ الزُّهْرَى وموسى بن عُقْبَةَ : أن الوحي إنما أَبْطَأَ عنه ثلاثة أيام لا يحدث الله
تعالى في ذلك وحيا ولا يأتيه جبريلُ ، حتى أَرْجَفَ أهلُ مكة وقالوا : وعدنا محمدٌ غدًا
واليومَ خمسة عشر ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيءٍ مما سألناه عنه . حتى أَحْزَنَ رسولَ
الله صلى الله عليه وسلم مُكُثُ الوحي عنه وشقَّ عليه ما يتكلم به أهلُ مكة .

ثم جاءه جبريل صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل بسورة الكهف وفيها معاتبته
إياه على حُزْنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف والروح .

(١) ص : مفتون . وبقية النسخ : مقتول . وما أثبتته من ابن هشام ٣٠١/١ .

(٢) الأهل : مقتول . ولعله تحريف .

قال ابن إسحاق : فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين جاءه :
لقد احتبست عني يا جبريل حتى سُوتُ ظننا . فقال له جبريل : « وما نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ
له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً » فافتتح الله سبحانه سورة
الكهف بحمده وذكر نبوة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال : « الحمد » وهو الوصف بالجميل
الثابت « لله » وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء به أو هُما ؟ احتمالات أفيد لها
الثالث « الذي أنزل على عبده » محمد « الكتاب » القرآن « ولم يجعل له » أى فيه « عوجاً »
اختلافاً وتناقضاً « قيماً » مستقيماً « لينذر » يخوف بالكتاب الكافرين « بأساً » عذاباً
« شديداً من لدنه » من قبل الله « ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً
ما كثر فيه أبداً » وهو الجنة « وينذر » من جملة الكافرين « الذين قالوا اتخذ الله ولداً
ما لهم به » بهذا القول « من علم ولا لبائهم » من قبلهم القائلين له « كبرت عظمة
كلمة تخرج من أفواههم » كلمة تمييز مفسر للضمير المبهم ، والمخصوص بالذم محذوف
أى مقالته المذكورة « إن » ما « يقولون » فى ذلك « إلا مقولاً » كذباً « فلعلك باخع » مهلك
« نفسك على آثارهم » بعد توليهم عنك « إن لم يؤمنوا بهذا الحديث » القرآن « أسفاً »
غيتاً وحزناً منك لحرصك على إيمانهم « إنا جعلنا ما على الأرض من الحيوان والنبات
والشجر والأنهار وغير ذلك » زينة لها لنبلوهم « لنختبر الناس ناظرين إلى ذلك » أيهم
أحسن عملاً » فيه أى أزهده له « وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً » فتاتاً « جرّاً » يابساً لا ينبت .
ثم استقبل قصة الخبر فيما سألوا عنه من شأن الفتية فقال : « أم حسبت أن أصحاب
الكهف » الغار فى الجبل « والرقيم » اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم « كانوا »
فى قصتهم « من » جملة « آياتنا عجا » خبر كان وما قبله حال ، أى كانوا عجباً دون باقى
الآيات وأعجبها ؟ ليس الأمر كذلك .

اذكر « إذ أوى الفتية إلى الكهف » جمع فتى وهو الشاب الكامل خائفين على إيمانهم
من قومهم الكفار « فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه » غيره « إلها .
لقد قلنا إذا شططاً » أى قولاً ذا شطط ، أى إفراط فى الكفر إن دعونا إلها غير الله فرضاً
« هؤلاء » مبتدأ « قومنا » عطف بيان « اتخذوا من دونه آلهة » الخبر : « لولا » هلا

«يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ» على عبادتهم «بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ» بحجة ظاهرة «فَمَنْ أَظْلَمُ» أى لا أحد أظلم «مَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» بنسبة الشريك إليه تعالى إلى آخر القصة .

ثم قال تعالى : «سَيَقُولُونَ» أى المتنازعون «فِيهِمْ» فى عدد الفتية فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم أى يقول بعضهم : هم «ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ» ويقولون «أى بعضهم : خمسةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ» والقولان لنصارى نجران «رَجْمًا بِالْغَيْبِ» أى ظنا فى الفتية عنهم ، وهو راجع إلى القولين معا ونَصَبه على المفعول أى لظنهم ذلك . «ويقولون» أى المؤمنون «سَبْعَةٌ وَثَامَنُهُمْ كَلْبُهُمْ» الجملة من المبتدأ والخبر صفة سبعة بزيادة الواو ، وقيل تأكيد أو دلالة على لَصَقِ الصفة بالموصوف ، ووصف الأَوَّلَيْنِ بالرجم دون الثالث يدل على أنه مَرَضِيٌّ صحيح «قل ربى أَغْلَمَ بَعْدَتَهُمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ» من الناس . قال ابن عباس : أنا من ذلك القليل . وذكر أنهم سبعة «فَلَا تُحَارِبْهُمْ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا» بما أنزل إليك . «وَلَا تَسْتَفْتِ» تطلب الفتيا «فِيهِمْ مِنْهُمْ» من أهل الكتاب اليهود «أَحَدًا» . ولا تقولن لشيءٍ إِنْى فاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا» أى فيما يُسْتَقْبَل من الزمان «إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» أى إِلَّا مُلْتَبِسًا بِمُشِيئَةِ اللَّهِ بِأَنْ تقول : إِنْ شَاءَ اللَّهُ «وَادْكُرْ رَبَّكَ» أى مُشِيئَتَهُ مُعَلِّقًا بِهَا «إِذَا نَسِيتَ» التعليقُ بِهَا ويكون ذِكْرُهَا بعد النسيان كذِكْرُهَا مع القول . قال الحسن وغيره : ما دام فى المجلس . وروى ابن أبى حاتم والطبرانى عن ابن عباس فى الآية قال : إِذَا نَسِيتَ الاستثناء اسْتَشْنَى إِذَا ذَكَرْتَ . قال : وهى خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

«وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا» من خبر أهل الكهف فى الدلالة على نبوتى «رَشَدًا» هداية وقد فعل الله تعالى ذلك .

«ويسألونك عن ذى القرنين» اختلف فى اسمه فقيل اسمه الصَّعْب . وبه جزم كعب الأخبار ونقله ابن هشام فى التيجان عن ابن عباس . وقال الشيخ تقي الدين المقرئ فى الخُطَط : إنه التحقيق عند علماء الأخبار . وقال الحافظ فى الفتح بعد أن أورد قول أعشى ابن ثعلبة :

والصَّعْبُ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَمْسَى ثَاوِيًّا بِالْحِنُوِّ فِي حَدَثٍ هُنَاكَ مَقْسِيمُ

والْحِنُوْ - بكسر الحاء المهملة وسكون النون فواو : مكان فى ناحية المشرق . ثم ذكر

شواهد آخر يؤخذ من أكثر هذه الشواهد أن الراجح في اسمه الصعب . وقيل المنذر : . وقيل غير ذلك .

ولقب بنى القرنين قيل لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مطلعها رواه الزبير بن بكار عن الزهري . وقيل لأنه ملكهما . وقيل لأنه رأى في منامه أنه أخذ بقرني الشمس ، وقيل لأنه كان له قرنان حقيقة . وهذا أنكره الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه . وقيل لأنه كان له ضفيرتان تواريهما ثيابه . وقيل كانت الغديرتان طويلتين من شعره حتى كان بطأ عليهما . وقيل لأنه دخل النور والظلمة . وقيل لأنه عُمر حتى فنى في زمانه قرنان من الناس . وقيل غير ذلك .

واختلف في نبوته : ف قيل كان نبيا . وبه جزم جماعة . وهو مروى عن عبد الله بن عمرو بن العاصي . قال الحافظ : وعليه ظاهر القرآن وروى الحاكم من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا أدري ذو^(١) القرنين كان نبيا أولا » وذكر وهب في المبتدأ أنه كان عبدا صالحا وأن الله تعالى بعثه إلى أربعة أمم اثنتين منها طول الأرض ، واثنين منها عرض الأرض فذكر قصة طويلة ذكرها الثعلبي في تفسيره .

وروى الزبير بن بكار وسفيان بن عيينة في جامعه والضياء المقدسي في صحيحه ، كلاهما من طريق آخر بسند صحيح كما قال الحافظ عن أبي الطفيل أن ابن الكواء قال لعلي رضي الله عنه : أخبرني عن ذي القرنين نبيا كان أم ملكا ؟ قال : لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا أحبه الله فأحبهه ، ونصح الله فنصحه ، بعثه إلى قومه فضربوه على قرنه ضربة مات فيها ، ثم بعثه الله إليهم فضربوه ، ثم بعثه فسمى ذا القرنين . قال الحافظ : وفيه إشكال لأن قوله : لم يكن نبيا مغاير لقوله : بعثه الله إلى قومه إلا أن يحمل البعث على غير رسالة النبوة .

والأكثر : أنه كان من الملوك الصالحين . وذكره البخاري قبل ترجمة إبراهيم صلى الله عليه وسلم . قال الحافظ : وفي ذلك إشارة إلى توهمين قول من زعم أنه الإسكندر اليوناني ، لأن الإسكندر كان قريبا من زمن عيسى ، وبين زمن إبراهيم وعيسى أكثر من

(١) ط : ذا القرنين .

ألقى سنة . والذي يظهر أن الإسكندر المتأخر لقب بذي القرنين تشبيهاً بالمتقدم لسعة مملكته وغلبته على البلاد الكثيرة ، أو لأنه لما غلب على الفرس وقتل ملكهم انتظم له مُلكُ المملكتين الواسعتين الروم والفرس فلُقِّبَ ذو القرنين بذلك .

والحق : أن الذي قصَّ الله نبأه في القرآن هو المتقدم ، والفرق بينهما من أوجه : أحدها ما ذكرته . والذي يدلّ على تقدم ذي القرنين ما رواه الفاكهي عن عُبَيْد بن عمير أحد كبار التابعين : أن ذا القرنين حجَّ ماشياً فسمع به إبراهيم فتلَّقاه .

وذكر ابن هشام في التيجان أن إبراهيم تحاكم إلى ذي القرنين في شيء فحكم له .
ثاني الأوجه : قال الإمام فخر الدين كان ذو القرنين نبياً وكان الإسكندر كافراً . ولكن الجمهور على خلاف قوله إنه كان نبياً .

ثالثها : كان ذو القرنين من العرب . وأما الإسكندر فهو من اليونان .
وشُبَّه من قال إن ذا القرنين هو الإسكندر : ما رواه ابن جرير بإسناد فيه ابن لهيعة أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين فقال : كان من الروم فأعطى مُلكاً فسار إلى مصر وبنى الإسكندرية . إلى آخره .

وهذا لو صحَّ لدفع النزاع ، ولكنه ضعيف .

هذا خلاصة كلام الحافظ في الفتح ^(١) .

وقال الشيخ تقي الدين المقرئ في الخطط : اعلم أن التحقيق عند علماء الأخبار أن ذا القرنين الذي ذكره الله تعالى في القرآن اسمه الصَّعْبُ بن الحارث . وساق نسبَه إلى قحطان بن هود بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وأنه ملك من ملوك حمير وهم العرب العاربة ويقال لهم أيضاً العرب العُرباء .

كان ذو القرنين تبعاً متوجَّحاً ولما تولى الملك تجبر ثم تواضع لله تعالى . وقد غلط من ظن أن الإسكندر هو ذو القرنين الذي بنى السدَّ فإن لفظة «ذو» عربية ، وذو القرنين من ألقاب ملوك اليمن ، وذاك روى يوناني وبسط الكلام على ذلك ^(٢) وذكر الحافظ عمادُ

(١) انظر فتح الباري ١٩١/٧ - ١٩٣ .

(٢) خطط المقرئ ٢٦٨/٢ (ط لبنان) .

الدين ابن كثير نحو ما سبق عن الحافظ وصوب أن ذا القرنين غير الإسكندر اليوناني وبسط الكلام على ذلك^(١). « قل سألوا » سأقص « عليكم منه » من حاله « ذكرا » خبراً . إلى آخر القصة .

وقال تعالى فيما سألوه عنه من الروح الذى يحيا به البدن : « قل » لهم « الروح من أمر ربى » أى علمه لا تعلمونه . « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » بالنسبة إلى علمه تعالى . وكلام ابن اسحاق يدل على أن هذه الآية مكّية . ورواه الترمذى عن ابن عباس ، ورجاله رجال مسلم .

وفى الصحيحين أن اليهود سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن الروح بالمدينة فنزلت هذه الآية^(٢) .

قال الحافظ : ويمكن الجمع بأن يتعدّد النزول ويحمل سكوته فى المرة الثانية على توقّع مزيد بيان فى ذلك وإلا فما فى الصحيح أصحّ .

* * *

قال ابن اسحاق : فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم من علم الغيب حين سألوه عنه ، حال الحسد منهم له بينهم فقال قائلهم : « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه » أى اجعلوه لغواً باطلا وهزواً « لعلكم تغلبون » بذلك فإنكم إن ناظرتموه وخاصتموه غلبكم بذلك .

فقال أبو جهل يوماً ، وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما أتى به من الحق : يا معشر قريش يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذبونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأنتم الناس عدداً وكثرة ، فيعجز كل مائة منكم عن رجل منهم ؟

فأنزل الله تعالى فى ذلك : « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة » فلا يطاقون كما تتوهمون « وما جعلنا عدّتهم إلا فتنة » ضلالاً « للذين كفروا » بأن يقولوا : لِمَ كانوا تسعة

(١) البداية والنهاية ١٠٥/٢ ، ١٠٩ .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة الكهف) .

وصحيح مسلم كتاب المنافقين حديث رقم ٣٢ .

عشر . «لِيسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» أَيْ الْيَهُودَ صِدَّقَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُتُبِهِمْ
تِسْعَةَ عَشَرَ الْمَوَاقِفَ لِمَا فِي كِتَابِهِمْ «وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا» مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ «إِيمَانًا» تَصْدِيقًا
لِمَوَافَقَةِ مَا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا فِي كِتَابِهِمْ^(١) «وَلَا يَرْتَابُ» يَشْكُ «الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ» مِنْ غَيْرِهِمْ فِي عِدَدِ الْمَلَائِكَةِ «وَلِيَقُولَ الدِّينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ»
شَكٌّ بِالْمَدِينَةِ «وَالْكَافِرُونَ» عَمَكَةٌ «مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا» الْعِدَدِ «مَثَلًا» سَمَّوْهُ مَثَلًا لِفِرَاقِهِ
وَأُغْرِبَ حَالًا . «كَذَلِكَ» أَيْ مِثْلَ إِضْلَالِ مُنْكَرٍ هَذَا الْعِدَدِ وَهَدَى مُصَدِّقَهُ «يُضِلَّ اللَّهُ مَنْ
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ» أَيْ الْمَلَائِكَةَ فِي قُوَّتِهِمْ وَأَعْوَانِهِمْ «إِلَّا هُوَ»
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى^(٢) .

تَنْبِيْهُ

فِي بَيَانِ غَرِيبٍ مَا سَبَقَ .

النَّضْرُ : بِنُونٍ وَضَادٍ مَعْجَمَةٍ .

مُنْكَثٌ : مَرْفُوعٌ فَاعِلٌ أَخْزَنَ .

(١) ص : كِتَابِهِمْ .

(٢) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٣١٣/١ .

الباب الثاني عشر

في سبب نزول قوله تعالى : «ولا تَجْهَر بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا»^(١)

روى سعيد بن منصور والإمام أحمد والشيخان عن ابن عباس ، وابن اسحاق وابن جرير عنه من طريق آخر في الآية قال : نزلت ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة مُتَوَارٍ ، فكان إذا صَلَّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع ذلك المشركون سُبُّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به وتفرقوا عنه وأَبَوْا أَنْ يسمِعُوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أَنْ يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلوه وهو يصلي استرق السَّمْعَ دونهم فرقًا منهم ، فإن رأى أَنهم قد عرفوا أَنه يسمع ذهب خشيةٌ أذاهم فلم يسمع ، فإن خَفَضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى : «ولا تَجْهَر بِصَلَاتِكَ»^(٢) بقراءتك فيها فيسبَّ المشركون القرآن ويتفرقوا عنك «ولا تُخَافِتْ» تُسِرُّ «بها» فلا ينتفع بها أصحابك ولا من أراد أَنْ يسمعها ممن يَسْتَرِقُ^(٣) ذلك لعله يَرْعَوِي إلى بعض ما يسمع فينتفع به . «وابْتَغِ» اقصد «بَيْنَ ذَلِكَ» بين الجهر والمخافتة «سَبِيلًا» طريقاً وسطاً .

قال عُرْوَةُ بن الزبير فيما رواه ابن اسحاق عنه : أول من جَهِرَ بالقرآن بعدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبدُ الله بن مسعود ، اجتمع يوماً أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ما سمعتُ قريشَ هذا القرآن يُجْهَرُ لها به قطً ، فَمَنْ رجلٌ يُسمِعهموه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا . قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إذا أرادوه . قال : دَعُونِي فَإِنَّ الله تعالى سيمنعني .

(١) سورة الإسراء ١١٠ .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير سورة الإسراء وكتاب التوحيد ، وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٤٥ .

(٣) ت ، م : يسمع .

فغداً ابنُ مسعود حتى أتى المقامَ في الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم : «الرحمنُ علَّم القرآن» ثم استقبلها يقرأها وتأملوه يقولون : ماذا قال ابنُ أمِّ عبد ؟ ثم قالوا : إنه ليتلو بعضَ ما جاء به محمد . فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه فقالوا : هذا الذي خشينا عليك . قال : ما كان أعداء الله تعالى أهونَ علىَّ منهم الآن ولئن شتمت لأغادينهم بمثلها غداً . قالوا : لا حَسْبُكَ ، قد أسمعَهم ما يكرهون^(١) .
لأغادينهم : أى آتيهم غدوةً بذلك .

(١) سيرة ابن هشام ٣١٤/١ .

الباب الثالث عشر

في اعتراف أبي جهل وغيره بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى ابن اسحاق والبيهقي عن الزهري والحافظ محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب بسند صحيح أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يسمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاؤموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رأيكم بعض سفهائكم لآوَعَمَ في قلبه شيئا . ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة . ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل واحد منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود . فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد . ولفظ الذهلي : إن أبا سفيان قال للأخنس : فما تقول أنت ؟ قال : أراه الحق . انتهى قال أبو سفيان : والله يا أبا ثعلبة لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الأخنس : وأنا والله كذلك .

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : ما سمعت ؟ تنازعنا وبنو عبد مناف الشرف فأطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا

منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمضى ندرك مثل هذه ؟ ! والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدق^(١).

تنبيه

اختلف في إسلام الأخنس بن شريق وسيأتي بسط الكلام على ذلك .

وروى البيهقي عن المغيرة بن شعبة قال : أول يوم عرفتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أني كنت أمشي مع أبي جهل بن هشام في أزقة مكة إذ لقينا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا الحكم هلم^(٢) إلى الله وإلى رسوله أدعوك إلى الله ؟ فقال أبو جهل : يا محمد هل أنت مُنتهِ عن سبِّ آلهتنا هل تريد أن نشهد أنك قد بلغت ؟ فوالله لو أعلم أن ما تقول حق اتبعتك ، فانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فأقبل على فقال : والله إني لأعلم أن ما يقول حق ، ولكن بني قُصَيّ قالوا فينا الحجابة . قلنا نعم ، ثم قالوا : وفينا الندوة قلنا نعم . ثم قالوا : وفينا اللّواء . قلنا نعم . ثم قالوا : وفينا السقاية . قلنا نعم . ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا منا نبي ! والله لا أفعل^(٣) .

[تفسير الغريب]

الأخنس : بفتح الهمزة فحاء معجمة ساكنة فنون مفتوحة فسين مهملة .

شريق : بشين معجمة مفتوحة فراء مكسورة فمشناة تحتية ساكنة فقاف .

تجاذينا : بمشناة فوقية مفتوحة فجيم فألف فذال معجمة مفتوحة فياء مشناة ساكنة فنون فألف : قال في الصحاح : الجاذي المُقْعِي منتصب القدمين وهو على أطراف الأصابع والجمع جذاء مثل نائم ونيام . قال أبو عمرو جزا وجثا لغتان . قال ابن الأعرابي : الجاذي على قدميه والجاثي على ركبتيه .

(١) سيرة ابن هشام ٣١٥/١ .

(٢) الأصل : هل إلى الله . وما أثبتته من سيرة ابن كثير عن البيهقي .

(٣) سيرة ابن كثير ٤٠٦/١ .

الباب الرابع عشر

في تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن والآيات التي أنزلت فيه

روى ابن إسحاق ومقاتل في تفسيره وابن أبي حاتم وأبو نعيم والبيهقي والواحدى من طرق عن ابن عباس قال : لما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم سورة غافر قرأها النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فسمعها الوليد ثم انطلق إلى مجلس بني مخزوم فقال : والله لقد سمعت من محمد كلاماً آتفاً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، إن أسفله لمُغْدِق وإن أعلاه لمُؤْنِق ، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإنه يعلّو ولا يُعلّى . ثم انصرف .

فقالت قريش : لقد صبأ الوليد ، والله لئن صبأ الوليد لتَضْبَّانَ قريش كلها . وكان يُقال للوليد ريحانة قريش . فقال أبو جهل : أنا أكفيكموه .

فانطلق حتى دخل عليه وهو حزين فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبلكه .

فقال : لقد علمت قريش أني من أكثرها مالا .

قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك « أنك كاره له . قال : وماذا أقول فيه ؟ والله إنه ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن . فقال له أبو جهل : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : دعني أفكر فيه .

فلما اجتمع بقومه قال وقد حضر الموسم : يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بامرٍ صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضهم بعضاً . قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس أقم لنا رأياً نقوله فيه . قال : بل أنتم فقولوا أسمع .

قالوا : نقول كاهن . قال : والله ما هو بكاهن ، فقد رأينا الكُهَّانَ فَمَا هو بِزَمْرَةٍ
الكاهن ولا سَجِيعٍ .

قالوا : فنقول مجنون . قال : والله ما هو بمجنون فقد رأينا الجنونَ وَعَرَفْنَاهُ فَمَا هو
بِخَنَقِهِ ولا تَخَالَجِهِ ولا وسوسته .

قالوا : فنقول شاعر . قال ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رَجَزَهُ وَهَزَجَهُ وَقَرِيضَهُ
ومقبوضه ومبسوطه فما هو بشاعر .

قالوا : فنقول ساحر . قال : والله ما هو بساحر لقد رأينا السحَّارَ وَسِخْرَهُمْ فَمَا هو
بِنَفْسِهِ ولا عُقْدِهِ .

قالوا : فما نَقُولُ يا أبا عبد شمس ؟

قال : والله إن لقوله حلاوة وإن عليه طلاوة وإن أصله لَمُغْدِقٌ وإن فرعه لثمر وما أنتم
بقائلين من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر ،
فَمَا يقول سِخْرٌ يفرق بين المرء وابنه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء
وعشيرته .

فتفرَّقوا عنه بذلك ، وجعلوا يجلسون بسبيل الناس حين قَدِمُوا الموسمَ لا يمرُّ بهم أحد
إلا حَذَرُوهُ إِيَّاهُ وذكروه لهم .

وأنزل الله تعالى في الوليد وفي ذلك من قوله : « ذَرْنِي » أى اتركنى . وهى كلمة يقولها
المغتاض إذا اشتد غيظه^(١) وغضبه وكره أن يُشْفَعَ لمن اغتاض عليه . « ومن خلقتُ وحيداً »
أى منفرداً بلا أهل ولا مال « وجعلت له مالا ممدوداً » واسعاً متصلاً من الزروع والضروع
والتجارة . « وبنين » عشرة أو أكثر « شهوداً » يشهدون المحافل وتُسمع شهادتهم « ومَهْدَتُ »
بسطتُ له « فى العيش والعمر والولد » تمهيداً . ثم يَطْمَعُ أن أزيدَ كَلًّا لا أزيدُه على ذلك
« إنه كان لآياتنا » أى القرآن « عنيدا » معاندا « سائرُه » أى كلفه « صَعُوداً » مشقة من العذاب
أو جبلا من نار يصعد فيه ثم يهوى أبدا « إنه فَكَّرَ » فيما يقول فى القرآن الذى سمعه

(١) ص : من شدة غيظه .

من النبي صلى الله عليه وسلم . وَقَدَّرَ فِي نَفْسِهِ ذَلِكَ . « فَقُتِلَ » لَعَنَ وَعَذَّبَ « كَيْفَ قَدَّرَ »
 على أى حال كان تقديره . « ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ » تَكْرِيرٌ لِلْمِبَالِغَةِ وَثُمَّ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ
 الثَّانِيَةَ أَبْلَغُ مِنَ الْأُولَى وَفِيهَا يَقْدَّرُ عَلَى الْأَصْلِ . « ثُمَّ نَظَرَ » فِي وَجْهِ قَوْمِهِ أَوْ فِيهَا يَقْدَحُ
 بِهِ فِي الْقُرْآنِ . « ثُمَّ عَبَسَ » قَبَضَ وَجْهَهُ وَكَلَّحَهُ ضَيْقًا بِمَا يَقُولُ « وَبَسَرَ » زَادَ فِي الْقَبْضِ
 وَالْكُلُوحِ « ثُمَّ أَذْبَرَ » عَنِ الْإِيمَانِ « وَاسْتَكْبَرَ » تَكَبَّرَ عَنْ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فَقَالَ فِيهَا جَاءَ بِهِ : « إِنَّ » « مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ » يَنْقُلُ عَنِ السَّحَرَةِ « إِنَّ » مَا « هَذَا إِلَّا قَوْلُ
 الْبَشَرِ » . كَمَا قَالُوا : إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ « سَأْضَلِّيهِ » أَدْخَلَهُ « سَقَرَ » جَهَنَّمَ « وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ »
 تَعْظِيمٌ لَشَأْنِهَا « لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ » شَيْئًا مِنْ لَحْمٍ وَلَا عَصَبٍ إِلَّا أَكَلْتَهُ ثُمَّ يَعُودُ كَمَا كَانَ
 « لَوَاحَةً لِلْبَشَرِ » مُحْرِقَةً لظَاهِرِ الْجِلْدِ .

قال ابن اسحاق : وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي النَّفَرِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ يُسِفُّونَ^(١) الْقَوْلَ فِي رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهَا جَاءَ بِهِ : « الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ » أَصْنَافًا ، وَوَاحِدَةُ الْعِضِينَ
 عِضَةٌ « فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » سُؤَالَ تَوْبِيخٍ « عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .
 قال ابن إسحاق : وَصَادَرَتِ الْعَرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْسِمِ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فَانْتَشَرَ ذِكْرُهُ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ كُلِّهَا^(٢) .

[تفسير الغريب]

الطَّلَاوَةُ : بضم الطاء المهملة وبفتحةها : الْحُسْنُ وَالْقَبُولُ .
 مُوْنَق : حَسَنٌ مُعْجَبٌ .
 الزَّمْزَمَةُ : كَلَامٌ خَفِيَ لَا يُفْهَمُ .
 السَّجْعُ : الْكَلَامُ الْمُنْشُورُ الَّذِي لَهُ نِهَايَاتُ كُنْهَايَاتِ الشَّعْرِ .
 بَخْنَقِهِ : يَرِيدُ الْاِخْتِنَاقَ الَّذِي يَصِيبُ الْمَجْنُونِ .
 التَّخَالُجُ : اضْطِرَابُ الْأَعْضَاءِ وَتَحَرُّكُهَا مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ .

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ . وَفِي ابْنِ هِشَامٍ : يَصْنَفُونَ الْقَوْلَ .

(٢) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢٧٠/١ .

الْوَسْوَسة : ما يلقيه الشيطان في نفس الإنسان . الرَّجَزُ والهَزَجُ والقَرِيضُ والمَقْبُوضُ والمَبْسُوطُ : هذه الخمسة أنواع من الشعر وقوله فما هو بِنَفْثِهِ ولا بَعْقَدِهِ إشارة إلى ما كان يفعل الساحر من أن يعقد خيطاً ثم ينفث ومن ذلك قوله تعالى . «ومن شرِّ النّفّاثات في العُقَد» يعنى الساحرات .

العَدَقُ : بعين مهملة مفتوحة فذال معجمة الكثير الشُّعْب والأطراف . هذه رواية ابن اسحاق قال في الروض : استعارة من النخلة التي ثبت أصلها وقوى وطاب فرعها إذا جنى . وهذه الرواية أفصح من التي بعدها لأنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله وفي رواية ابن هشام بغير معجمة فذال مهملة : الماء الكثير .
وإن فرعها لجناة أى فيه ثمر يُجَنَى .

السُّبُلُ : بضم أوله وثانيه جمع سبيل وهو الطريق .

الباب الخامس عشر

في عدوان المشركين على المستضعفين من أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشاً تذاَمروا بينهم على من في القبائل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر من استضعفوه منهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبهم ومنهم من تصلب لهم ويعصمه الله تعالى .

روى ابن إسحاق عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يُعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم ، والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه^(١) ويعطشونه حتى ما يقدر يستوى جالساً من شدة الضر الذي نزل به حتى يقولوا له : اللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم حتى إن الجعل ليمر بهم فيقولون له : هذا الجعل إلهك من دون الله فيقول نعم . افتداء منهم مما يبلغون من جهدهم .

وكان أبو جهل الخبيث هو الذي يُغري بهم رجال قريش ، إذا سمع بالرجل أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه^(٢) فقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفهن حلمك ولنفيكن رأيك ولنضعن شرفك . وإن كان تاجراً قال : والله لنكسبن تجارتك ولنهلكن مالك . وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به .

فمن المستضعفين بلال رضى الله عنه ، وكان صادق الإسلام طاهر القلب .

قال ابن إسحاق وغيره : فكان أمية بن خلف يخرجهم إذا حُميت الظهيرة فيطره على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا تنزل

(١) ص : ويجوعونه .

(٢) الأصل : وحراً . وما أثبتته من ابن هشام ٣٢٠/١ .

هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء : أَحَد أَحَد
أنا كافر باللات والعزى^(١)

وروى البلاذرى عن عمرو بن العاص قال : مررت ببلال وهو يعذب في الرمضاء
ولو أن بضعة لحم وضعت عليه لَنَضِجَتْ وهو يقول : أنا كافر باللات والعزى . وأمية
مغتاض عليه فيزيده عذابا فيقبل عليه فيدغغ في حلقه فيغشى عليه ثم يفيق^(٢) .

وروى ابن سعد عن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال : حَجَجْتُ - أو قال اعتمرت -
فرأيت بلالاً في حَبْلٍ طويل يمهده الصبيان وهو يقول : أَحَد أَحَد أنا أكفر باللات والعزى
وهبل ونائلة وبؤانة فأضجعه أمية في الرمضاء^(٣) .

وروى البلاذرى عن مجاهد قال : جعلوا في عُنق بلال حبلاً وأمروا صبيانهم أن يشتدوا به
بين أخشبي مكة - يعنى جليلها - ففعلوا ذلك وهو يقول : أَحَد أَحَد^(٤) .

وروى ابن سعد عن عروة قال : كان بلال من المستضعفين من المؤمنين وكان يُعَذَّب
حين أسلم ليرجع عن دينه فما أعطاهم قط كلمة مما يريدون ، وكان الذى يعذبه أمية بن
خلف الجُمحى^(٥) .

وروى البلاذرى عن عمير بن إسحاق قال : كان بلال إذا اشتد عليه العذاب قال :
أحد أحد . فيقولون له : قل كما نقول فيقول : إن لسانى لا ينطق به ولا يُحسنه^(٦) .

قال البلاذرى : وروى أن بلالاً قال أعطشونى يوماً وليلة ثم أخرجونى فعذبونى في
الرمضاء في يوم حار^(٧) .

قال ابن إسحاق : وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه قال : كان ورقة بن نوفل يمرّ
ببلال وهو يعذب وهو يقول :. أحد أحد . فيقول ورقة : أحد أحد والله يا بلال . ثم

(١) سيرة ابن هشام ١/٣١٨ ، ٣٢٠ .

(٢) أنساب الأشراف ١/١٨٥ . وفيه : فيذهب خلقه . بحرفة .

(٣) أنساب الأشراف ١/١٨٥ .

(٤) أنساب الأشراف ١/١٨٥ .

(٥) أنساب الأشراف ١/١٨٥ .

(٦) أنساب الأشراف ١/١٨٥ .

(٧) أنساب الأشراف ١/١٨٦ .

يُقْبَلُ عَلَى أُمِيَّةَ بْنِ خَلْفٍ وَمَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِهِ مِنْ بَنِي جَمَحٍ فَيَقُولُ : أَحْلَفَ بِاللَّهِ لَشَنْ قَتَلْتُمُوهُ
لَأَتَّخِذَنَّهُ حَنَانًا .

حَتَّى مَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَهُمْ يَصْنَعُونَ بِهِ ذَلِكَ ، وَكَانَتْ دَارُ
أَبِي بَكْرٍ فِي بَنِي جَمَحٍ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِأُمِيَّةَ : أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذَا الْمُسْكِينِ حَتَّى مَتَى تَعَذِّبُهُ ؟
قَالَ أَنْتَ أَفْسَدْتَهُ فَأَنْقِذْهُ مِمَّا تَرَى^(١) . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَفْعَلْ ، عِنْدِي غُلَامٌ أَسْوَدٌ أَجْلَدُ
مِنْهُ وَأَقْوَى عَلَى دِينِكَ أَعْطِيكَهُ بِهِ . قَالَ : قَدْ قَبِلْتُ . قَالَ : هَوْلَكَ . فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ غُلَامَهُ
ذَلِكَ وَأَخَذَ بِلَالًا فَأَعْتَقَهُ^(٢) .

وَرَوَى الْبَلَاذُرِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ : لَمَّا أَسْلَمَ بِلَالٌ أَخَذَهُ أَهْلُهُ
فَقَمَطُوهُ وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ مِنَ الْبِطْحَاءِ ، وَجَعَلُوا يَقُولُونَ : رَبُّكَ اللَّاتُ وَالْعِزَّى . فَيَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ .
فَأَتَى عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : عَلَامَ تَعَذِّبُونَ هَذَا الْإِنْسَانَ ؟ فَاشْتَرَاهُ بِسَبْعِ أَوَاقٍ
وَأَعْتَقَهُ . فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَدْ اشْتَرَاهُ فَقَالَ : الشَّرَكَةُ يَا أَبَا بَكْرٍ ،
فَقَالَ : قَدْ أَعْتَقْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ^(٣) .

وَرَوَى الْبَلَاذُرِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ قَيْسٍ قَالَ : اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ
بِلَالًا بِخَمْسِ أَوَاقٍ^(٤) .

* * *

وَمِنْهُمْ خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ بِالْمَثْنَاءِ الْفُوقِيَّةِ .

قَالَ الْبَلَاذُرِيُّ : قَالُوا كَانَ الْأَرْتُ سَوَادِيًّا ، فَأَغَارَ قَوْمٌ مِنْ رِبِيعَةَ عَلَى الْبُنَاحِيَةِ الَّتِي كَانَ
فِيهَا فَسَبَّوْهُ وَأَتَوْا بِهِ الْحِجَازَ فَبَاعُوهُ فَوْقَ إِلَى سِبَاعَ بْنِ عَبْدِ الْعِزَّى الْخَزَاعِيُّ حَلِيفُ بَنِي
زَهْرَةَ . وَزَعَمَ أَبُو الْيَقْظَانِ أَنَّ خَبَّابًا كَانَ أَخَا سِبَاعَ لِأُمِّهِ^(٥)

(١) ت ، م : مِمَّا تَرَى فِيهِ .

(٢) سيرة ابن هشام ٣١٨/١ .

(٣) أنساب الأشراف ١٨٦/١ .

(٤) أنساب الأشراف ١٨٦/١ .

(٥) أنساب الأشراف ١٧٥/١ .

قال البلاذرى : وخبَّاب فيما يقول ولده : ابن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة ، من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم ، وإنه وقع عليه سبى فصار إلى أم أنمار مولاته فأعتقته وإنه كانت به رتة ، كان ألكن إذا تكلم بالعربية فسمى الأرت^(١) .

وروى البلاذرى عن كردوس أن خباباً أسلم سادس ستة^(٢) .

وروى البلاذرى عن الشعبي قال : أعطوهم ما أرادوا حين عذبوا إلا خباب بن الأرت فجعلوا يلصقون ظهره بالأرض على الرضف حتى ذهب ماء مئته^(٣) .

وروى البلاذرى عن الشعبي ، ومن طريق آخر عن أبي ليلي الكندى قال : جاء خباب إلى عمر رضى الله عنهما فقال له عمر : ادنه ادنه . فأجلسه على متكته وقال : ما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا رجل واحد . قال : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلال - وفي رواية الشعبي ، عمار بن ياسر . قال : ما هو بأحق منى إن بلالا كان له فى المشركين من يمنعه^(٤) . الله به ، ولم يكن لى أحد ، لقد رأيتنى يوماً وقد أوقدوا لى ناراً ثم ملقوني فيها ثم وضع رجل رجله على صدرى فما اتقيت الأرض إلا بظهرى ثم كشف خباب عن ظهره فإذا هو قد برص^(٥) .

وروى البلاذرى عن أبي صالح قال كان خباب قيناً وكان قد أسلم ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يألّفه ويأتيه فأخبرت بذلك مولاته فكانت تأخذ الحديدية وقد أحمتها فتضعها على رأسه ، فشكى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اللهم انصر خباباً فاشتكت مولاته رأسها وهى أم أنمار فكانت تعوى مع الكلاب ، فقبل لها اكتبوى فكان خباب يأخذ الحديدية قد أحماها فيكوى بها رأسها^(٦) .

قال محمد بن عمر الأسلمى وكان الذى يعذب خباباً حين أسلم ولازم رسول الله

(١) أنساب الأشراف ١/١٧٦ .

(٢) أنساب الأشراف ١/١٧٦ .

(٣) أنساب الأشراف ١/١٧٦ .

(٤) غيرط : منه .

(٥) أنساب الأشراف ١/١٧٧ .

(٦) أنساب الأشراف ١/١٧٨ .

صلى الله عليه وسلم عتبة بن أبي وقاص . وقيل وهو الثبت الأسود بن عبد يغوث^(١) .
وروى البخارى ومحمد بن عمر الأسلمى والبيهقى عن خباب رضى الله عنه قال : أتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برؤده فى ظل الكعبة ولقد لقينا من المشركين شدة
شديدة فقلت : يا رسول الله ألا تدعو الله لنا ؟ فقعد مُحمرًا وجهه فقال : إن كان من
كان قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يضره ذلك
عن دينه ، ويوضع المنشأ على مفرق رأس أحدهم فيشقق باثنتين ما يضره ذلك عن دينه ،
وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب
على غنمه^(٢) .

* * *

ومنهم صُهَيْب بن سِنَان الرومى .

روى ابن سعد عن عروة قال : "كان صهيب من المستضعفين من المؤمنين الذين كانوا
يعذبون فى الله^(٣) .

* * *

ومنهم عامر بن فهيرة .

قال البلاذرى : قالوا كان عامر من المستضعفين فكان يعذب بمكة ليرجع عن دينه
حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه^(٤) .

وروى ابن سعد عن محمد بن كعب القرظى - بضم القاف وكسر الظاء المُشَالَةِ
المعجمة - قال : كان عامر بن فهيرة يعذب حتى لا يدرى ما يقول^(٥) .

ومنهم أبو فُكَيْهَة واسمه أفلح ويقال يسار . وكان عبدًا لصفوان بن أمية فأسلم حين
أسلم بلال ، فمر به أبو بكر رضى الله عنه وقد أخذه أمية بن خلف فربط فى رجله حبالًا

(١) أنساب الأشراف ١/١٧٩ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب وكتاب الإكراه . وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ٥٣ .

(٣) أنساب الأشراف ١/١٨١ .

(٤) أنساب الأشراف ١/١٩٤ .

(٥) أنساب الأشراف ١/١٥٨ .

وأمر به فجر ثم ألقاه في الرمضاء فمر به جُعْلٌ فقال : أليس هذا ربك فقال : الله ربى خلقتى وخلقتك وخلق هذا الجُعْلُ فغلط عليه وجعل يخنقه ومعه أخوه أنى بن خلف يقول : زده عذاباً حتى يأتى محمد فيخلصه بسخره . فأخرجه نصف النهار في شدة الحرّ مقيداً إلى الرمضاء ووضع على بطنه صخرة فدلح لسانه فلم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات ، ثم أفاق فمر به أبو بكر رضى الله عنه فاشتراه وأعتقه^(١)

وروى ابن سعد عن محمد بن كعب القرظى قال : كان أبو فكيهة يعذب حتى - لا يدرى ما يقول^(٢)

* * *

ومنهم عمار بن ياسر وأبوه وأمه سُمَيَّة وأخوه عبد الله رضى الله عنهم . روى البلاذرى والبيهقى عن مجاهد قال : أول من أظهر الإسلام أبو بكر وبلال وخباب وصُهَيْب وعمار ، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ، وأما أبو بكر فمنعه قومه ، وأما الآخرون فالتبسوا دروع الحديد وصُهرُوا في الشمس حتى بلغ الجهد منهم ، وجاء أبو جهل إلى سُمَيَّة فطعنها في قلبها فهى أول شهيدة في الإسلام^(٣) .

وروى ابن سعد عن محمد بن كعب القرظى قال : أخبرنى من رأى عمار بن ياسر متجرداً في سراويل . قال : ونظرت إلى ظهره فإذا فيه حَبَطٌ فقلت : ما هذا ؟ قال : هذا ما كانت قريش تعذبنى في رمضاء مكة^(٤) .

وروى البلاذرى عنه أيضاً قال : كان عمار يعذب حتى لا يدرى ما يقول^(٥) .

وروى البلاذرى عن أم هانئ رضى الله عنها أن عمار بن ياسر وأباه ياسراً وأخاه عبد الله ابن ياسر وسُمَيَّة بن عمار كانوا يعذبون في الله فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

(١) أنساب الأشراف ١/ ١٩٤ .

(٢) أنساب الأشراف ١/ ١٥٨ .

(٣) أنساب الأشراف ١/ ١٥٨ .

(٤) أنساب الأشراف ١/ ١٥٨ .

(٥) أنساب الأشراف ١/ ١٥٨ .

صَبْرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة . فمات ياسر في العذاب وأغلظت سمية لأبي جهل فطعننها في قلبها فماتت ، ورُمى عبد الله فسقط^(١) .

* * *

ومنهم جارية بنى المؤمل بن حبيب :

قال البلاذري : وكان يقال لها فيما ذكر أبو البختري : لَبِيبَة^(٢) ، أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطاب فكان عمر يعذبها حتى يَفْتَر فيدعها ثم يقول : أما إني أعتذر إليك بأني لم أدعك إلا سامة^(٣) فتقول : كذلك يعذبك ربك إن لم تُسلم .

وروى ابن سعد عن حسان قال : قدمت مكة معتمرا والنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يؤذون ويعذبون ، فوقفْتُ على عمر وهو متوزر^(٤) يَخْنُقُ جارية بنى عمرو بن المؤمل حتى تسترخي في يديه فأقول قد ماتت ، فاشتراها أبو بكر فأعتقها^(٥) .

* * *

ومنهم زَنْبِرة - بزاي فنون مشددة مكسورتين فمثناة تحتية ساكنة وهي في اللغة الحصاة الصغيرة ويروى : زَنْبَرة بزاي مفتوحة فنون ساكنة فباء موحدة - الرومية كان عمر بن الخطاب وأبو جهل يعذبانها .

قال البلاذري : قالوا وكان أبو جهل يقول ألا تعجبون لهؤلاء واتباعهم محمداً ؟ فلو كان ما أتى به محمدٌ خيراً وحققا ماسبقونا إليه أفسبقتنا زَنْبِرة إلى رُشد وهي من ترون . وكانت زَنْبِرة قد عذبت حتى عميت فقال لها أبو جهل : إن اللات والعزى فعلتا بك ما ترين . فقالت ، وهي لا تبصر : وما تدري اللات والعزى من يعبدهما ، ولكن هذا أمرٌ من السماء وربِّي قادر على أن يرد بصري . فأصبحت تلك الليلة وقد رد الله بصرها ، فقالت

(١) أنساب الأشراف ١/ ١٩٠ .

(٢) كذا وفي أنساب الأشراف : لبينة .

(٣) في أنساب الأشراف : لإعدامه . ولعله تحريف .

(٤) كذا في ط . وفي بقية النسخ : وهو متوزر . وفي أنساب الأشراف : مؤتزر .

(٥) أنساب الأشراف ١/ ١٩٥ ، ١٦٦ .

قريش : هذا من سيخر محمد فاشتراها أبو بكر رضى الله عنه فأعتقها^(١) .

* * *

ومنهم أم عُنَيْس - بعين مهملة مضمومة فنون فمثناة تحنية فسين مهملة - ويقال عبيس بباء موحدة فمثناة تحنية . أمة لبني زهرة ، وكان الأسود بن عبد يغوث يعذبها فابتاعها أبو بكر^(٢) .

* * *

ومنهم النهدي وابنتها . وكانت مولدة لبني نهد بن زيد فصارت لامرأة من بني عبدالدار فكانت تعذبها وتقول : والله لا أقلعت عنكما أو يعتقكما بعض من صباكما^(٣) . فمر بهما أبو بكر رضى الله عنه وقد بعثتهما في طحين لها وهى تقول : والله لا أعتقكما أبداً فقال : حل يا أم فلان فقالت حل أنت والله أفسدتهما فأعتقتهما . قال : فيكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا . قال : قد أخذتهما به وهما حُرَّتَان أرجعا إليهما طحينها قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليهما قال : أو ذاكما إن شئنا .

ومنهم أم بلال حمامة . ذكرها أبو عمر في الدرر فيمن كان يعذب في الله فاشتراها أبو بكر وأعتقها . وأهملها أبو عمر في الاستيعاب واستدركوها على الاستيعاب .

* * *

والحاصل مما تقدم : أن أبا بكر رضى الله عنه اشترى جماعة ممن كان يعذب في الله تعالى ، وهم بلال وأمه وعامر بن فهيرة وأبو فكيهة وجارية بنى المؤمل والنهدية وابنتها وزنيرة .

وروى الحاكم وصححه عن عبد الله بن الزبير قال : قال أبو قحافة لأبي بكر رضى الله عنهما : يا بنى أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنك فعلت ما فعلت فأعتقت رجالاً جلداء يمنعونك ويقومون دونك ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبت إنما أريد ما أريد الله

(١) أنساب الأشراف ١/ ١٩٦ .

(٢) أنساب الأشراف ١/ ١٩٦ .

(٣) أنساب الأشراف : لا أقلعت عنك أو يعتقك بعض من صباك .

عز وجل . فأنزل الله تعالى : « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى » إلى آخر السورة^(١) .
قال عمار بن ياسر رضى الله عنه يذكر بلالا وأصحابه الذين أعتقهم أبو بكر مما كانوا
فيه من البلاء وكان اسم أبي بكر عتيقا :

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه	عتيقا وأخزى فاكها وأبا جهل
عشيّة همّا في بلال وصحبه	ولم يَحْذَرَا ما يحذر المرء ذو العقل
بنوحيده ربّ الأنسَام وقوله	شهدت بأن الله ربى على مهل
فإن تقتلونى تقتلونى ولم أكن	لأشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيارب إبراهيم والعبد يونس	وموسى وعيسى نجنى ثم لا تُمل
لمن ظل يَهْوَى العز من آل غالب	على غير حق كان منه ولا عدل

[تفسير الغريب]

رمضاء مكة : الحجارة التى أحرقتها الشمس .

الجعل - بضم الجيم وسكون العين : دابة من الحشرات .

أنبه : بالغ في توبيخه . الذعت - بذال معجمة فعين مهملة : الخنق والدعت بالذال
والذال : الدفع العنيف . والدعت أيضا : المَعَكَ في التراب .

لأَتَخَذَنهُ حَنَانًا : يعنى لئن قتلتموه وهو على هذه الحالة لأَتَخَذَنهُ حنانا أى أتخذن
قبره مَسْكَنًا ومُسْتَرَحِمًا ، والحنان : الرحمة . كذا ذكر عُرْوَةُ قول ورقة هنا فدلّ على أنه
عاش بعد البعثة . وتقدم الكلام على ذلك في باب بدء الوحي .

سَوَادِيًّا : أى من أهل سواد العراق .

ماء مَتْنَه : بمدّ ماء قال في الصحاح : مَتْنُ الشئ بالضم متانة فهو متين أى صُلْب .
وَمَتْنَا الظهر : مُكْتَنَفَا الصُّلْب عن يمين وشمال من عَصَب ولحم ، يذكر ويؤنث

القَيْن : الحداد . صَهْرُوهم : أحرقوهم .

الرَّضْف : الحجارة المحمّاة .

جُلْدَاء بضم الجيم وبالماء جمع جَلْد بالفتح وهو القوى الشديد .

(١) سيرة ابن كثير ٤٩٣/١ .

الباب السادس عشر

في الهجرة الأولى إلى الحبشة وسبب رجوع من هاجر إليها من المسلمين

وكانت في شهر رجب سنة خمس من المبعث .

قال ابن إسحاق فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية من الله تعالى ثم من عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنهم مما هم فيه من البلاء قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله تعالى لكم فرجاً مما أنتم فيه .

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وقراراً إلى الله تعالى بدينهم فكانت أول هجرة كانت في الإسلام .

وكانوا - فيما قيل - اثني عشر رجلاً وامرأتين . وقيل عشرة رجال . وبه قال ابن إسحاق وابن هشام وقيل اثني عشر رجلاً وثلاث نسوة . وقيل اثني عشر رجلاً وأربع نسوة . وقيل : اثني عشر رجلاً وخمس نسوة . وجزم به العراقي في الدرر .

وكان أول من هاجر منهم عثمان بن عفان وامراته رقية بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى يعقوب بن سفيان رحمه الله تعالى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط .

وعبد الرحمن بن عوف . وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ومعه امراته سهلة بنت سهيل بن عمرو . والزبير بن العوام بن ربيعة^(١) . ومضعب بن عمير ، وأبو سلمة بن عبد الأسد وامراته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت أبي حنمة بن غانم بن عبيد الله بن عوف بن عبيد .

(١) كذا بالأصل ، والذي في ابن هشام ٣٢٢/١ : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد .

قال الحافظ الوقشي : كذا وقع وإنما هو غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بفتح العين المهملة - ابن عَوَيْج بفتح العين المهملة وكسر الواو فمثناة تحتية فجيم وأقره الخُشْنِي وذكر أبو عمر مثله .

وروى الطبراني بسند صحيح عن ليلي بنت أبي حَثْمَة قالت : كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا ، فلما تَهَيَّأْنَا للخروج إلى أرض الحبشة أتانا عمر بن الخطاب وأنا على بنيرى وأنا أريد أن أتوجه فقال : أين يا أم عبد الله ؟ فقلت : آذيتمونا في ديننا فنذهب في أرض الله حيث لا نُؤَذَى . فقال : صَحِّبِكُمُ الله . ثم ذهب فجاء زوجي عامر بن ربيعة فأخبرته بما رأيت من رِقَّةِ عمر فقال : ترجئين أن يُسَلِّمَ ؟ والله لا يسلم حتى يسلم حمارُ الخطاب !

وسهيل بن بَيْضَاء وأبو سَبْرَةَ بن أبي رُحْمِ العامري ويقال بدله : حاطب بن عمرو العامري . زاد بعضهم : وأم كلثوم بنت سُهَيْل بن عمرو امرأة أبي سَبْرَةَ بن أبي رُحْمِ ، وعبد الله بن مسعود وجزم ابن إسحاق بأنه إنما كان في الهجرة الثانية وصححه الحافظ . قال ابن هشام وكان عليهم عثمان بن مَطْعُون فيما ذكر لي وأنكر ذلك الزُّهْرِي وقال : لم يكن لهم أمير .

فخرجوا متسللين سرًّا حتى أتوا الشَّعْبِيَّة منهم الراكب ومنهم الماشي ، ووفق الله للمسلمين ساعةً جاءوا سفينتين للتجار حملوهم فيهما بنصف دينار وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحدًا .

قالوا : وقدِمْنَا أرضَ الحبشة فجاورْنَا بها خيرَ جارٍ أَمِنَّا على ديننا وعبدْنَا الله تعالى لا نُؤَذَى ولا نسمع شيئًا نكرهه .

وكان المشركون يقولون : لو ذكر محمد آلهتنا بخير قرَّرنَاهُ وأصحابه ولكنه لا يذكر من خالفه من اليهود والنصارى بمثل ما يذكر به آلهتنا من الشتم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشتد عليه ما نال أصحابه من أذاهم وتكذيبهم وأحزنته ضلالتهم ، وكان يتمنى هداهم ، فاتفق أنه قرأ يومًا سورة النجم وكان يرتل

قراءته فلما بلغ : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى^(١) » ارتصده الشيطان في سكنته من سكنته فأتى عندها : وإنهن الغرائيق العُلا وإن شفاعتهن لترتجى . محاكياً نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعها ف وقعت في قلب كل مشرك بمكة وزلت بها ألسنتهم وتباشروا بها وقالوا : إن محمداً قد رجع إلى ديننا . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر النجم سجد وسجد معه كلُّ مُشرك غير الوليد بن المغيرة كان شيخاً كبيراً ملاً كفه تراباً فسجد عليه فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود بسجود النبي صلى الله عليه وسلم ، وعجب المسلمون لسجود المشركين معهم ولم يكن المسلمون سمعوا ما ألقى الشيطان كما قاله موسى بن عُقبة ، وأما المشركون فاطمأنوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وفشّت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين .

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ساءه فأنزل الله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى » قرأ « ألقى الشيطان في أمنيه » أى في قراءته كما قال الفراء ويؤيده ما رواه ابن جرير وعلقه البخارى في صحيحه عن ابن عباس في قوله تعالى : « إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيه » قال : إذا حَدَّث ألقى الشيطان في حديثه^(٢) « فينسخُ الله » يُبطل « ما يلقى الشيطان ثم يُحكم الله آياته » يثبتها « والله عليم » بإلقاء الشيطان ما ذكر « حكيم » في تمكينه منه يفعل ما يشاء إلى آخر الآية .

والذى قدمناه من قصة الغرائيق له طرق كثيرة ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها بعضاً روى الأول : ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبّير عن ابن عباس .

قلت : ورواه الحافظ ضياء الدين المقدسى في صحيحه عن سعيد بن جبّير عن ابن

عباس .

(١) سورة النجم ١٩ ، ٢٠ .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة الحج) .

والثاني : رواه ابن جرير عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

والثالث : رواه ابن جرير عن أبي العالية .

قال الحافظ : وقد تجرأ أبو بكر بن العربي كعادته فقال : ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها . وهو إطلاق مردود عليه . وكذا قول القاضي : هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم إلى آخر كلامه . قال الحافظ : جميع ذلك لا يتمشى على القواعد ، فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخرجها دل ذلك على أن للقصة أصلاً^(١) . انتهى وسيأتى الكلام على ذلك بأبسط مما هنا في أبواب عصمته صلى الله عليه وسلم .

* * *

قال ابن إسحاق فلما أن بلغ المسلمين الذين بأرض الحبشة ذلك وأن أهل مكة أسلموا حتى إن الوليد بن المغيرة وأبى أحيحة قد سجداً خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال القوم : فمن بقى بمكة إذا أسلم هؤلاء ؟ وقالوا : عشائرننا أحب إلينا . فخرجوا راجعين حتى إذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركباً من كنانة فسألوهم عن قريش وعن حالهم فقال الركب : ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملاء ثم رجع فعاد لشتم آلهتهم وعادوا له بالشتم فتركناهم على ذلك .

فاستمر القوم بالرجوع إلى الحبشة ثم قالوا : قد بلغنا ندخل فننظر ما فيه قريش ويحدث عهداً من أراد بأهله ثم يرجع .

ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار أو مستخفياً إلا ابن مسعود فإنه مكث يسيراً ثم رجع

(١) قصة الغرائق هذه مفتراة لا أصل لها ، كما ذكر ابن العربي وغيره ص ٣٥٤ الاكتفاء .

قال السبيل : وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة . ثم قال : والحديث على ما خيلت غير مقطوع به حته . وقال القاضي عبد الجبار في كتابه : «تنزيه القرآن عن المطاعن» ص ٢٤٣ : «فإن قيل : فما المراد بقوله : «إلا إذا تمتى ألقى الشيطان في أمنيته» وكيف يصح ذلك على الأنبياء ؟

وجوابنا : أن المراد : إذا تلا يلحقه السهو في قراءته وذلك معروف في اللغة ، فلذلك قال بعده : «فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته» ولو كان المراد غير ما ذكرناه من التلاوة لم يصح ذلك . فأما ما يرويه الحشوية من «صلى الله عليه وسلم ذكر في قراءته أصنامهم» وقال : إن الغرائق الملا شفاعتهن ترتجى . حتى فرج الكفار فلا أصل له ، ومثل ذلك لا يكون إلا من دسائس الملحدة .

إلى أرض الحبشة وكانوا خرجوا في رجب سنة خمس فأقاموا شعبان ورمضان ، وكانت
السجدة في رمضان وقدموا في شوال من السنة المذكورة .

وكان من قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من أقام بها حتى هاجر إلى المدينة
فشهد معه بذكرها ومنهم من حبس عنه حتى فاته بدر وغيره ، ومنهم من مات بمكة . ودخل
عثمان بن مظعون بجوار من الوليد بن المغيرة .

فلما قدم أولئك النفر مكة اشتد عليهم قومهم وسطت عليهم عشائره ولقوا منهم أذى
شديداً .

ولما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو
يغدو ويروح في أمان الوليد بن المغيرة قال : والله إن غدوى ورواحي آمنًا بجوار رجل من
أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير
في نفسي . فمشى إلى الوليد فقال يا أبا عبد شمس وقت ذمتك وقد رددت إليك جوارك .
قال : لِمَ يا بن أخي ، لعله آذاك أحد من قومي ؟ قال : لا ولكني أَرْضَى بجوار الله عز وجل
ولا أريد أن أستجير بغيره . قال : فانطلق إلى المسجد فارُدْ عليَّ جوارى علانية كما
أَجَرْتُكَ علانية . فانطلقا حتى أتيا المسجد فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد عليَّ جوارى .
قال : صدق قد وجدته وفيًا كريم الجوار ولكنني قد أحببت ألا أستجير بغير الله عز وجل
فقد رددت عليه جواره .

ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة بن مالك في مجلس من قريش يُنشدُهم قبل إسلامه ،
فجلس عثمان معهم فقال لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ

فقال عثمان : صدقت .

فقال لبيد :

وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ

فقال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول . قال لبيد : يا معشر قريش والله ما كان

يُؤذَى^(١) جَلِيسَكُم فَمَتَى حَدَثَ هَذَا فِيكُمْ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : إِنَّ هَذَا سَفِيهِ فِي سَفَهَاءِ
مَعَهُ قَدْ فَارَقُوا دِينَنَا فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ مِنْ قَوْلِهِ . فَرَدَّ عَلَيْهِ عَثْمَانُ حَتَّى شَرَى أَمْرَهُمَا فَقَامَ
ذَلِكَ الرَّجُلُ فَلَطَمَ عَيْنَهُ فَخَضَّرَهَا^(٢) وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ قَرِيبٌ يَرَى مَا بَلَغَ عَثْمَانُ فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ
يَا ابْنَ أَخِي إِنَّكَ كَانَتْ عَيْنُكَ عَمَّا أَصَابَهَا لَكَغْنِيَّةٌ وَلَقَدْ كُنْتُ فِي ذِمَّةِ مَنِيْعَةٍ . فَقَالَ عَثْمَانُ :
بَلِ وَاللَّهِ إِنْ عَيْنِي الصَّحِيحَةُ لَفَقِيرَةٌ إِلَى مِثْلِ مَا أَصَابَ أَخْتَهَا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنِّي لَفِي جَوَارٍ
مِنْ هُوَ أَعَزُّ مِنْكَ وَأَقْدَرُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ . فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : هَلُمَّ يَا ابْنَ أَخِي إِنْ شِئْتَ إِلَى
جَوَارِكَ فَعُدُّ . فَقَالَ : لَا .

وَلَمَّا أَجَارَ أَبُو طَالِبٍ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْأَسَدِ مَشَى إِلَيْهِ رَجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ فَقَالُوا
لَهُ : يَا أَبَا طَالِبٍ هَذَا مَنَعْتَ ابْنَ أَخِيكَ مُحَمَّدًا فَمَالِكَ وَلصَاحِبِنَا تَمْنَعُهُ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ اسْتَجَارَ
بِي وَهُوَ ابْنُ أَخْتِي وَإِنْ أَنَا لَمْ أَمْنَعِ ابْنَ أَخْتِي لَمْ أَمْنَعِ ابْنَ أَخِي . فَقَامَ أَبُو هُبَيْرٍ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ
قُرَيْشٍ وَاللَّهِ لَقَدْ أَكْثَرْتُمْ عَلَى هَذَا الشَّيْخِ مَا تَزَالُونَ تَوَثَّبُونَ عَلَيْهِ فِي جَوَارِهِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ ،
وَاللَّهِ لَتَنْتَهَنَ عَنْهُ أَوْ لَتَقُومَنَّ مَعَهُ فِي كُلِّ مَا قَامَ فِيهِ حَتَّى يَبْلُغَ مَا أَرَادَ . قَالُوا : بَلِ نَنْصَرِفُ
عَمَّا تَكْرَهُ يَا أَبَا عَتْبَةَ . وَكَانَ لَهُمْ وَلِيًّا وَنَاصِرًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَبْقَوْا
عَلَى ذَلِكَ .

فَطَمَعَ فِيهِ أَبُو طَالِبٍ حِينَ سَمِعَهُ يَقُولُ مَا يَقُولُ وَرَجَا أَنْ يَقُومَ مَعَهُ فِي شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ يَحْرُضُ أَبَا هُبَيْرٍ عَلَى نَصْرَتِهِ وَنَصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إِنْ أَمْرَاءُ أَبُو عَتْبَةَ عُمُّهُ	لَفِي رَوْضَةٍ مَا إِنْ يُسَامِ الْمَظَالِمَا
أَقْسُولُ لَهُ وَأَيْنَ مِنْهُ نَصِيحَتِي	أَبَا مَعْتَبٍ ثَبَّتْ سِسْوَادَكَ قَائِمًا
وَلَا تَقْبِلَنَّ الدَّهْرَ مَا عَشَتْ خُطَّةً	تُسَبُّ بِهَسَا إِمَّا هَبِطْتَ الْمَوَاسِمَا
وَوَلِّ سَبِيلَ الْعَجْزِ غَيْرَكَ مِنْهُمْ	فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلُقْ عَلَى الْعَجْزِ لَازِمًا
وَحَارِبُ فَإِنَّ الْحَرْبَ نَصْفٌ وَلَنْ تَرَى	أَخَا الْحَرْبِ يَعْطِي الْخَسْفَ حَتَّى يُسَالِمَا

(١) ط : مَا كَانَ يُؤْذِيكُمْ .

(٢) خَضَّرَهَا : وَرَمَهَا .

وكيف ولم يَجْنُوا عليك عَظِيمَةً ولم يَخْذُلوك غَانِمًا أَوْ مُغَارِمًا
جَزَى الله عَنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلًا وتِنِمَّا وَمَخْزُومًا عُقُوقًا وَمَائِمًا
بِتَفْرِيقِهِمْ مِنْ بَعْدِ وَدٍّ وَأَلْفَةٍ جمَاعَتِنَا كَيْمَا يَنْسَالُوا الْمَحَارِمَا
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نُبْزَى مُحَمَّدًا وَلَمَّا تَرَوْا يَوْمًا لَدَى الشَّعْبِ قَائِمًا^(١)

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ظاهر كلام ابن إسحاق أن رجوع من هاجر إلى الحبشة كان بعد أن صار المسلمون هناك زيادة على الثمانين ، فإنه بعد أن ذكر خروج أصحاب الهجرة الأولى ذكر خروج جعفر وأصحابه ، ثم ذكر بعد ذلك أن المهاجرين إلى الحبشة بلغهم إسلام أهل مكة فأقبلوا لما بلغهم ذلك . فذكر نحو ما تقدم ، وأن الراجعين : عثمان بن عفان ، وأبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة ، وامرأته سهلة بنت سهيل ، وعبد الله بن جحش ، وعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ ، والزبير بن العوام ، ومُضْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ ، وسُوَيْبُطُ بْنُ سَعْدٍ ، وَطَلَيْبُ بْنُ عَمْرٍو ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة ، وشَمَّاسُ بْنُ عَثَانَ ، وسلمة بن هشام بن المغيرة حبسه عنه بمكة فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق ، وعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ ، وعمار بن ياسر - شك فيه أكان خرج - ومُعْتَبُ بْنُ عَوْفٍ ، وعثمان ابن مَظْعُونٍ ، وابنه السائب بن عثمان ، وأخوه عثمان : قُدَامَةُ. وعبد الله ، وخُنَيْسُ بْنُ حُذَافَةَ ، وهشام بن العاصي حبس بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حتى قدم بعد بدر وأحد والخندق . وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم وعبد الله ابن مَخْرَمَةَ ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو وكان حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة حتى كان يوم بدر فانحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معه بدرًا ، وأبو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُحْمٍ وامرأته أم كلثوم بنت سهل بن عمرو ، والسَّكْرَانُ بْنُ عَمْرٍو وامرأته سَوْدَةُ بنت زَمْعَةَ ، مات بمكة قبل مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسعد بن خولة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زهير وسهيل ابن بيضاء ، وعمرو بن أَبِي سَرْحٍ .

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٧٠ - ٣٧١ .

قال : فجميع من قدم مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلاً^(١) انتهى .

وموسى بن عقبة ذكر أن الراجعين من الحبشة للسبب السابق هم المهاجرون أولاً وبه صرح في الطبقات والعيون والإشارة والمورد .

* * *

الثاني : ذكر موسى بن عُقبة أن ابن مسعود مكث بمكة قليلاً ورجع إلى الحبشة حتى قدم في المرة الثانية مع من قدم وتعقبه في زاد المعاد بأن عبد الله بن مسعود شهد بدرًا وأجهز على أبي جهل ، وأصحاب هذه الهجرة إنما قدموا المدينة مع جعفر وأصحابه بعد بدر بأربع سنين أو خمس . وبسط الكلام على ذلك . ثم قال : وقد ذكر - يعنى ابن عُقبة - في هذه الهجرة الثانية عثمان بن عفان وجماعة ممن شهدوا بدرًا ، فإما أن يكون هذا وهما وإما أن يكون لهم قَدَمَةٌ أخرى قبل بدر ، فيكون لهم ثلاث قَدَمَاتٍ : قَدَمَةٌ قبل الهجرة ، وقَدَمَةٌ قبل بدر ، وقَدَمَةٌ عام خيبر .

قلت : هذا هو الصحيح بلا شك .

قال : وعلى هذا فيزول الإشكال . انتهى ملخصا .

التنبيه الثالث

في بيان غريب ما سبق

الشُعْبَةُ : بضم الشين المعجمة وفتح العين المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الموحدة تصغير شعبة مكان على ساحل البحر بطريق اليمن .

الغرائق : بالغين المعجمة ها هنا الأصنام وهى فى الأصل الذكور من طير الماء وقيل طير الماء مطلقا إذا كان أبيض طويل العنق واحدا غُرْنُوق بضم الغين وفتح النون . وَغُرْنُوق بكسر الغين وفتح النون ، سُمِّيَ به لبياضه وقيل هو الكركي . وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تغلُو في السماء وترتفع

(١) سيرة ابن هشام ٣٦٤/١ - ٣٦٩ .

الباب السابع عشر

في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : وكان إسلام عمر عقب الهجرة الأولى إلى الحبشة .

قال في « الزَّهْر » : وكان إسلامه في ذى الحجة سنة ست من المبعث وله ست وعشرون سنة فيما ذكره ابن سعد عن ابن المسيَّب .

وقال ابن الجوزي : سنة خمس . قال أبو نعيم : بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام .

قال ابن إسحاق : وكانوا - أي المسلمون - قريباً من أربعين من رجال ونساء وتقدم ذكرهم في الباب الثالث من أبواب المبعث .

وقال ابن المسيَّب فيما رواه ابن سعد : كانوا أربعين رجلاً وعشر نسوة .

وروى إسحاق بن بشر عن ابن عباس أنهم كانوا يومئذ تسعة وتسعين^(١) رجلاً وثلاثاً وعشرين امرأة ثم إن عمر أسلم .

قال في الزَّهْر : ولعل هذا هو الصواب ، فقد كان في الحبشة ثلاثة وثمانون كما ذكر ابن إسحاق .

قلت : ابن إسحاق إنما ذكر ذلك في الذين هاجروا ثانياً وإسلام عمر كان بين الهجرتين كما تقدم عن ابن عباس ، فالزيادة على الأربعين حصلت بعد إسلام عمر وإسحاق كذاب يضع ، لا يُصَادَم ما رواه ما ذكره الثقات . والله أعلم .

* * *

واختلف في سبب إسلامه كما سأليناه .

وقد روى قصة إسلامه ابنُ إسحاق ، وابن سعد ، وأبو يعلى ، والحاكم عن أنس ، والبيزار والطبراني عن أسلم مولاة عنه ، وأبو نُعَيْم عن ابن عمر .

(١) كتب فوقها في ط : وثلاثين . وعليها حرف ظ .

قال أسلم مولاه عنه : أتحبون أن أعلمكم بإسلامي ؟ قلنا : نعم. قال : كنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلست يوماً مع أبي جهل بن هشام أو شبة ابن ربيعة ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمداً قد شتم آلهتكم وسفّه أحلامكم وزعم أن من مضى من آبائكم يتهافتون في النار ، ألا ومن قتل محمداً فله على مائة ناقة حمراء وسوداء وألف أوقية من فضة .

قال عمر : فخرجت متقلداً السيف مُتَنَكِّباً كِنَانَتِي أريد النبي صلى الله عليه وسلم ، فمررت على عجل وهم يريدون ذبحه فقممت أنظر إليهم فإذا صائح يصيح من جوف العجل : يالذريح ، رجل يصيح ، بلسان فصيح ، يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . قال عمر : فقلت في نفسي إن هذا لأمر مايراد به إلا أنا . قال : ثم مررت بغم فإذا هاتف يهتف ويقول :

يا أيها الناس ذُؤُوا الأجسام	ما أنتم وطائش الأحلام ^(١)
ومُسند الحكم إلى الأصنام	فكلكم أوره كالكهـام
أما ترون ما أرى أمأى	من ساطع يَجْلُو دُجَى الظلام
قد لاح للناظر من تهم	أكرمه الرحمن من إمام
قد جاء بعد الكفر بالإسلام	والبر والصّلات للأرحام
ويزجر الناس عن الآثام	فبادروا سبقاً إلى الإسلام

بلا فتور وبلا إحجام

قال عمر : فقلت والله ما أراه إلا أرادني . ثم مررت بالضمار فإذا هاتف يهتف من جوفه :

تُرك الضمار وكان يُعَبَّد مرة	قبّل الصلاة مع النبي محمد
إن الذي ورث النبوة والهدي	بعد ابن مريم من قريش مهتدي
سيقول من عبيد الضمار ومثله	ليت الضمار ومثله لم يُعَبَّد
فاصبر أبا حفص فإنك امرؤ	يأتيك عز غير عز بني عسدي

(١) كما . وقد سبقت رواية الأبيات بغير هذا الترتيب في باب المواقب بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

لا تَعْجَلْنَ فَأَنْتِ ناصِرُ دِينِهِ حَقًّا يَقِينًا بِاللِّسَانِ وبِالْيَسَدِ^(١)

قال عمر : فوالله لقد علمت أنه أرادني . فَلَقِيْتُ رجلاً من قريش .

قال ابن إسحاق : هو نُعَيْم بن عبد الله النخَّام وكان قد أسلم وكان يخفى ذلك فرقاً من قومه . فقال : أين تذهب يا بن الخطاب ؟ قلت : أريد هذا الصابي الذي فرق أمر قريش وسفّه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله . فقال له نعم : والله لقد عرّتك نفسك من نفسك يا عمر أترى بنى عبد منافٍ تاركيك تمشي على وجه الأرض وقد قتلت محمداً ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟! قال : وأيّ أهل بيتي ؟ قال : ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمر وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه فعليك بهما . وإنما فعل ذلك نُعَيْم ليصرف عمر عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أسلم بعض من لا شيء له ضمَّ الرجلَ والرجلين إلى الرجل يُنفق عليه ، وكان ضمَّ رجلين من أصحابه إلى زوج أخت عمر ففرع عمر عليهم الباب وعندهم خباب بن الأرت معه صحيفة فيها طه يقرئها إياها فلما سمعوا حسَّ عمر تغيب خباب في مخدع لهم أوفى بعض البيت وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذاها وقد سمع حين دنا من البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهيئمة التي سمعتُ ؟ قالوا له : ما سمعت شيئاً . قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه . وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت إليه أخته بنت الخطاب لتكفّه عن زوجها ، فضربها فشجّها فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك .

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتمكم تقرعون أنفاً أنظر ما هذا الذي جاء به محمد . وكان عمر كاتباً فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك عليها . قال : لا تخافي . وحلف لها بأهته ليردنها إذا

(١) تبدو أمارات الصنع على هذه الرواية ، وقد نسب مثل هذا إلى العباس بن مرداس .

قرأها إليها . فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت : يا أخى أنت نجس على شركك وإنه لا يمسه إلا الطاهر . فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ صدرها منها فقال ما أحسن هذا الكلام وأكرمته .

وفي رواية أنه وجد في الصحيفة : بسم الله الرحمن الرحيم . فذكر من أين اشتق . ثم رجع إلى نفسه فقرأ سُبْحَ اللَّهِ ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم حتى بلغ « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . انتهى .

فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له يا عمر والله إنى لأرجو أن يكون الله تعالى قد خصك بدعوة نبيه فإنى سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم ابن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر . فذكر الحديث .

* * *

وفي رواية مجاهد عن روى أن عمر قال : كنت للإسلام مُبَاعِداً وكنت صاحب خمر في الجاهلية أصبها وأشربها وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة عند دُور آل عمر بن عبد عمران المخزومي ، فخرجت ليلة أريد جلستى أولئك في مجلسهم ذلك فجثت فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت في نفسي : فلو أنى جثت فلانا الخمار وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلى أجد عنده خمر فأشرب منها فخرجت فلم أجد . فقلت في نفسي : فلو أنى جثت الكعبة فطفت بها سبعة أو سبعين فجثت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فكان مُصَلَّاهُ بين الركنين الركن الأسود والركن اليماني فقلت حين رأيته : والله لو سمعتُ لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول . فقلت لئن دنوت منه أستمع لأروعه فجثت من قِبَل الحجر فدخلت تحت ثيابه فجعلت أمشي رويداً رويداً ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى يقرأ القرآن حتى قمت في قبلته مستقبلة ما بينى وبينه إلا ثياب الكعبة ، فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلني الإسلام ، فلم أزل قائماً في مكانى

حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته وانصرف، فتبعته حتى دخل بين دار عباس ودار ابن أزر^(١)، أدركته، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسى عرفني فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنما تبعته لأؤذيه فنهمني^(٢) ثم قال : ما جاء بك يا بن الخطاب هذه الساعة ؟ قلت : جئت لأؤمن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله . قال : فحمد الله تعالى ثم قال : قد هداك الله يا بن الخطاب . ثم مسح صدرى ودعا لى بالثبات . ثم انصرف^٣ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .

وفى رواية أن خباباً لما قال لعمر : فالله الله يا عمر . قال له عمر عند ذلك : دُلّنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم . فقال خباب : هو فى بيته عند الصفا معه نفر من أصحابه . فأخذ عمر سيفه متوشحه ثم عمَد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرجع وهو قزَع^(٣) فقال : يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف ، فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له فإن كان يريد خيراً بذلناه له وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائذن له فإن يُرد الله به خيراً يهده فأذن له الرجل وفتحوا له ، وأخذ رجلان بعُضْدَيْهِ حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرسلوه . فأرسلوه ، فنهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فى الحجرة فأخذ بحُجْرَتِهِ أو بمجمع رداءه ثم جَبَذَهُ جَبْدَةً شَدِيدَةً وقال : ما جاء بك يا بن الخطاب ؟ فوالله ما أراك^(٤) أن تنتهى حتى يُنْزَلَ الله بك قارعة . فقال^(٥) : يا رسول الله جئت لأؤمن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله . فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرةً عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم ،

(١) ط : ودار أزر .

(٢) الأصل : فنهمني .

(٣) ت ، م : وهو جزع .

(٤) ط : ما أرى .

(٥) غير ط : فقلت .

فكبروا تكبيرة سُمعت بطرق مكة وتفرقوا من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم
عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنها سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما
من عدوهم .

وقال عمر حين أسلم :

الحمد لله ذى المن الذى وجبت

له علينا أياد كلها عسبر

وقد بدأنا فكذبنا فقال لنسا	صدق الحديث نبي عنده الخبر
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى	ربي وقالوا جميعا قد صبا- عسبر
وقد ندمت على ما كان من زللى	بظلمها حين تتلى. عندها السور
لما دعت ربها ذا العرش خالقها	وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
نبي صدق أتى بالحق من ثقة	وافى الأمانة ما في وعده خور ^(١)

* * *

وروى ابن اسحاق عن بعض آل عمر قال : قال عمر لما أسلمت تلك الليلة تذكرت
أى أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى آتته فأخبره أنى قد أسلمت .
قال : فقلت : أبو جهل . فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه فخرج أبو جهل فقال :
مرحباً وأهلاً يا بن أختى ما جاء بك ؟ قلت : جئت لأخبرك أنى قد آمنت بالله ورسوله
وصدقت بما جاء به . فضرب الباب فى وجهى وقال : قبحك الله وقبح ما جئت به .

وروى أيضا بسند صحيح عن ابن عمر قال : لما أسلم عمر قال : أى قريش أنقل
للحديث ؟ قيل له : جميل بن مغمّر الجُمَحى . قال : فغداً عليه . قال عبد الله : وغدوت
معه أتبع أثره وأنظر ماذا يفعل حتى جاءه فقال له : أعلمت يا جميل أنى أسلمت ودخلت
فى دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه وتبعه عمر ، واتبع أبى حتى
إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش - وهم فى أنديتهم حول

(١) لا يظهر على هذا الشر أصالة ولا رواء ، بل هو نظم متكلف حاول به صانعه أن يحكى قصة إسلام عمر رضى

الله عنه .

الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صَبَأَ . قال : يقول عمر مِنْ خَلْفِهِ : كَذَبَ وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . وثاروا إليه فما بَرَحَ يقاتلهم ويقاتلونهم حتى قامت الشمس على رءوسهم وطلعت فتمعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدأ لكم فأحلف بالله أن لو كنا ثلاثمائة لقد تركناها أو تتركوها لنا .

فبينما هو على ذلك إذ أقبل شيخٌ من قريش عليه حُلَّةٌ حَبْرَةٌ وقميصٌ مُوَشَّيٌّ حتى وقف عليهم فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبأ عمر . قال : فَمَهْ ، رجلٌ اختار لنفسه أمراً فما تريدون منه ؟ أترون بني عدى بن كعب يُسْلَمون لكم صاحبكم ؟ هكذا خلُّوا عن الرجل . قال : فوالله فكأنما كانوا ثوباً كُشِطَ عنه . فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبا من الرجل الذي زجر القومَ عنك بمكة يومَ أَسْلَمْتَ وهم يقاتلونك ؟ قال : ذاك أيُّ بُنَى العاصي بن وائل السَّهْمِيٍّ^(١) . ومات مُشْرِكاً .

وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : بينما عمر في الدار خائفاً إذ جاءه العاصي بن وائل السَّهْمِيٌّ وعليه حُلَّةٌ حَبْرَةٌ وقميصٌ مَكْنُوفٌ بحرير فقال : ما بك ؟ قال : زعم قومك أنهم سيقتلونني لأنني أَسْلَمْتُ . قال : لا سبيل إليك أَمِنْتُ . فخرج العاصي فلقى الناس قد سالَ بهم الوادي فقال : أين تريدون ؟ فقالوا : نريد ابنَ الخطاب الذي صَبَأَ . قال : لا سبيل إليه . فكَرَّ الناس وتصدَّعوا عنه^(٢) .

وروى البخاري عن ابن مسعود قال : ما زلنا أَعِزَّةً منذ أَسْلَمَ عمر^(٣) .
وروى عنه قال : والله ما استطعنا أن نصلي عند الكعبة ظاهرين حتى أَسْلَمَ عمر^(٤) .

وروى ابن ماجه عن ابن عباس قال : لما أَسْلَمَ عمرُ نزل جبريلُ فقال : يا محمد لقد استبشر أهلُ السماء بإسلامِ عمر^(٥) .

(١) سيرة ابن هشام ٣٤٨/١ .

(٢) صحيح البخاري كتاب المناقب .

(٣) صحيح البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) صحيح البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) سنن ابن ماجه ، المقدمة ، باب رقم ١١ .

وروى الإمام أحمد والترمذى وقال حسن صحيح وابنُ حبان عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اللهم أعِزَّ الإسلامَ بأحبِّ هذين الرجلين إليك : بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب . قال : وكان أحبَّهما إليه عمر^(١) .

تنبيه

في بيان غريب ما سبق

أَوْرَه : بهززة مفتوحة فواو ساكنة فراء مفتوحة : وهو الحمق^(٢) وقيل الخرق .
الكَهَام : بفتح الكاف وتخفيف الهاء : السيف الكليل . ولسانُ كَهَام أى عَيى ، وفرس كَهَام : بطيء . وكأَن ذا فى الأصل والله أعلم مأخوذ من هذا ، فيكون معناه : أكلكم أحمق وأخرق عَيى أو كليل لم يُغْن شيئاً أو بطيء عن الحق والخير
والصَّلَات - بكسر الصاد : جمع صِلَة وهى الإحسان إلى الأقارب .
وتقدم بيان ذَرِيح فى الباب الرابع .

المَخْدَع عندهم : البيت يكون فى جوف البيت شبه البهو الذى يصنعه الناس فى أوساط^(٣) المجالس .

الهَيْئمة : صوت وكلام لا يُفْهَم .

ارْعَوى : رجع ، يقال ارعويت عن الشيء إذا رجعت عنه وازدجرت .
جَبَدَه : بجيم فباء موحدة مفتوحتين جَبْدًا من باب ضرب مثل جَذَب أى مدَّه إلى نفسه .
الحَزْوَرَة - بحاء مفتوحة مهملة فزاي ساكنة : سوق كانت بمكة وأدخلت فى المسجد

لما زيد فيه

(١) صحيح الترمذى كتاب المناقب باب ١٧ ومسنَد أحمد ٩٥/٢

(٢) كذا ، وقد سبق التنبيه على أن الأورء هو الأحق .

(٣) ت ، م : فى البساط المجالس .

طَلَحَ : بفتح الطاء المهملة وكسر اللام : فعل ماضى أى أَعْيَا ،
نَهَمَ : زجره .

الجَبَرَة : ضرب من بُرود اليمن .

هكذا عن الرجل : قال أبو ذر : هكذا : هنا اسم سُمي به فعل ومعناه : تنحوا ولا
يحتاج معه إلى زيادة خَلُّوا . وقال فى الرُّوض : هكذا كلمة معناها الأمر بالتنحى فليس
يعمل فيها ما قبلها كما يعمل إذا قلت : جلست هكذا . أى على هذه الحال وإن كان
لابد من عامل إذا جعلتها للأمر لأنها كاف التشبيه دخلت على ذا وهاء التنبيه ، فيقدر
العامل إذن مضمرا كأنك قلت : ارجعوا هكذا وتأخروا هكذا واستغنى بقولك : « هكذا » .
عن الفعل [كما استغنى ^(١)] برويدا عن أرفق .

سال الوادى بالناس : أى امتلاَ كامتلائه من السَّيل فى كثرتهم وسرعة مشيهم .

(١) زيادة يقتضها السياق .

الباب الثامن عشر

في دخول بني هاشم وبني المطلب بنى^(١) عبد مناف الشَّعب

وكتابة قريش الصحيفة الظالمية

قال أبو الأسود والزُّهري وموسى بن عُقبة وابن اسحاق : إنَّ قريشا لما رأت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلداً . أصابوا فيه أَمْنًا وقراراً ، وأنَّ النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأنَّ عمر قد أسلم ، وكان رجلاً ذا شَكِيمَةٍ لا يُرام ما وراء ظهره امتنع به أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة حتى عازَّوا قريشا فكان هو وحمزة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجعل الإسلامُ يَفْشُو في القبائل . فأجمعوا رأيهم واتفق رأيهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : قد أَفْسَدَ علينا أبنائنا ونساءنا فقالوا لقومه : خذوا مِنَّا دِيَّةً مضاعفة وليقتله رجلٌ من غير قريش ويريحنا وتريحون أنفسكم . فأبى قومه بنو هاشم من ذلك وظاهرهم بنو المطلب بن عبد مناف .

فلما عرفت قريش أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد منعه قومه فأجمع المشركون من قريش على مُنَابَذَتِهِمْ وإخراجهم من مكة إلى الشَّعب وأجمعوا واثتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على ألا يُنْكحُوهم ولا يُنْكَحُوا إليهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، ولا يَقْبَلُوا منهم صلحاً ولا تأخذهم بهم رَأْفَةٌ حتى يُسْلَمُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل .

فلما اجتمعوا لذلك كتبوا صحيفةً ثم تعاهدوا وتعاهدوا على ذلك .

والذي كتب الصحيفة : قال ابن اسحاق : منصور بن عكرمة . قال ابن هشام : ويقال النضر بن الحارث . فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشَلَّتْ بعض أصابعه .

(٢) ط : ابن عبد مناف .

وقال غيره : بغيض بن عامر . فشلت يده . وقال غيره : هشام بن عمرو بن الحارث العامري وأسلم بعد ذلك .

ويُجمع بين هذه الأقوال باحتمال أن يكون كتب بها نسخ .

ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم وقطعوا عنهم الأسواق ولم يتركوا طعاماً ولا إداماً ولا بيتاً إلا بادروا إليه واشتروه دونهم .

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شيعه مؤمنهم وكافرهم ، فالمؤمن ديناً والكافر حميةً .

وخرج من بنى هاشم أبو لهب إلى قريش فظاھرهم ولقي هند بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشاً . فقال : يا بنت عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقتها وظاهر عليها ؟ قالت : نعم جزاك الله خيراً يا أبا عتبة .

وروى البلاذري عن ابن عباس قال : حُصِرْنَا في الشَّعب ثلاث سنين وقطعوا عنا الميرة حتى إن الرجل ليُخرج بالنفقة فما يُبَايع حتى يرجع ، حتى هلك من هلك^(١) .

وقال أبو طالب فيما صنعت قريش من ذلك واجتمعوا له :

ألا بلغا عني على ذات بيننسا	لؤياً وخصاً من لؤى بنى كعب
ألم يعلموا أننا وجدنا محمداً	نبياً كموسى خطاً في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة	ولا خير ممن خصه الله بالحُب
وأن الذي لصقتم في كتابكم	لكم كائن نحساً كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحضر الثرى	ويصبح من لم يحزن ذنباً كذى ذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا	أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما	أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا ورب البيت نُسلم أحمداً	لعزاء من عَض الزمان ولا كسرب

(١) أنساب الأشراف ٢٣٤/١ . وفيه : فابيع . وعلق عليها المحقق بقوله : « كذا في الأصل ، لعله : يباع منه .

أو يبتاع » . وما هنا صحيح لا يحتاج إلى التقدير .

ولمَّا تَبَيَّنْ مِنْكُمْ سِوَالُفُ
بِعَتْرِكَ ضَنْكُ^(١) تَرَى كِسْرَ الْقَنَا
كَأَنَّ مَجَالَ الْخَيْسِلِ فِي حَجْرَاتِهِ
أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزَهُ
وَلَسْنَا نَعْمَلُ الْحَرْبَ حَتَّى تَمْلُنَا
وَلَكِنَّا أَهْلُ الْحِفَايِظِ وَالنُّهْيِ
وَأَيْدٍ أَثَرَتْ بِالْقُسَاسِيَةِ الشُّهْبِ
بِهِ وَالنُّسُورَ الطُّخْمَ يَعْكُفْنَ كَالشَّرْبِ
وَمَعْمَعَةِ الْأَبْطَالِ مَعْرَكَةِ الْحَرْبِ
وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطَّعَانِ وَبِالضَّرْبِ
وَلَا نَشْتَكِي مَا إِنْ يَنْوُبُ مِنَ النُّكْبِ
إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكُفْمَةِ مِنَ الرُّعْبِ

* * *

قال ابن اسحاق وغيره : فأقاموا على ذلك ثلاث سنين حتى جاهدوا ، لا يصل إليهم شيء إلا سرا مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش .

وقد كان أبو جهل لقي حكيم بن حزام معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة وهي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب ، فتعلق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ ! لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة . فقال له أبو البختري ابن هشام بن الحارث - وهلك كافرا - : طعام كان لعمتك عنده أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خل سبيل الرجل . فأبى أبو جهل حتى نال كل واحد منهما من صاحبه فأخذ أبو البختري لحي بغير فضربه به فشجّه ووطئه ووطئا شديدا ، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيشتوا بهم^(٢) .

وكان أبو طالب في طول مدتهم في الشعب يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتي فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شرا أو غائلة فإذا نام أمر أحد بنيهِ أو إخوته أو بني عمّه فاضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بعض فرشهم فيرقده عليه .

فلم يزالوا إلى تمام ثلاث سنين .

(١) ت ، م : ضيق .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٥٢ - ٣٥٤ .

وبعث الله تعالى على صحيفتهم الأرضة فأكلت أو لحست ما في الصحيفة من عهد وميثاق - وفي رواية أنها لم تترك في الصحيفة اسماً لله إلا لحسته وأبقت ما كان من شرك أو ظلم أو قطيعة .

وأطلع الله سبحانه وتعالى رسوله على ذلك فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب ، فقال عمه أبو طالب : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم . قال : فوالله ما يدخل عليك أحد - وفي رواية قال : لا والثواقب ما كذبتني فانطلق بعصابة من بني هاشم وبني المطلب حتى أتوا المسجد وهم خائفون لقريش ، فلما رأتهم قريش في جماعة أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليُسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم برُمته إلى قريش ، فتكلم أبو طالب فقال : جرت أمورٌ بيننا وبينكم لم نذكرها لكم ، فأتوا بصحيفتكم التي فيها مَوَاقِيْعُكم فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح . وإنما قال ذلك أبو طالب خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها . فأتوا بصحيفتهم مُجمعين لا يشكُّون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدْفَع إليهم ، فوضعوها بينهم وقالوا لأبي طالب : قد آن لكم أن ترجعوا عما أخذتم علينا وعلى أنفسكم . فقال أبو طالب : إنما أتيتكم في أمرٍ هو نصف بيننا وبينكم : إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني أن هذه الصحيفة التي في أيديكم قد بعث الله تعالى عليها دابةً فأبقت اسم الله وأكلت غدركم وتظاهركم علينا بالظلم - وفي رواية : فلم تترك فيها اسماً لله تعالى إلا لحسته وتركت غدركم وتظاهركم علينا بالظلم فإن كان كما يقال فلا والله لا نُسلمه حتى نموت من عند آخرنا ، وإن كان الذي يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتم . فقالوا : قدرضينا بالذي تقول . ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قد أخبر بخبرها قبل أن تُفتح .

فلما رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : هذا سحرُ ابن أخيك . وزادهم ذلك بغياً وعدواناً . فقال أولئك النفر من بني هاشم وبني المطلب : إن أولانا بالكذب والسحر غيّرنا ، فإننا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجنت والسحر .

وقال أبو طالب : يا معشر قريش علام نُخَصَر ونُحْبَس وقد بان الأمر وتبين أنكم

أَوَّلَى بِالظُّلْمِ وَالْقَطِيعَةِ وَالْإِسَاءَةِ . ثُمَّ دَخَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بَيْنَ أُسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ
انصُرْنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا وَقَطَعَ أَرْحَامَنَا وَاسْتَحْلَ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ مِنَّا . ثُمَّ انصَرَفُوا إِلَى الشَّعْبِ .

وكان أبو طالب لما خاف دَهْمَاءَ الْعَرَبِ أَنْ يَرْكَبُوهُ مَعَ قَوْمِهِ قَالَ قَصِيدَتَهُ اللَّامِيَةَ الَّتِي
تَعَوَّذَ فِيهَا بِحَرَمِ مَكَّةَ وَمَكَانِهِ مِنْهَا وَتَوَدَّدَ إِلَى أَشْرَافِ قَوْمِهِ وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يُخْبِرُهُمْ وَغَيْرَهُمْ
فِي ذَلِكَ مِنْ شِعْرِهِ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْلِمٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَشَيْءٍ أَبَدًا حَتَّى يَهْلِكَ ذُوْنهُ .

وَقَدْ أَوْرَدَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ وَأَبُو هَفَّانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَهْزَمِيُّ^(١) فِي جَمْعِهِ لَشِعْرِ أَبِي
طَالِبٍ بِكَمَالِهِ وَزَادَ عَلَى ابْنِ إِسْحَاقَ أَبْيَانًا كَثِيرَةً فِي أَمَاكِنَ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَقَدْ أَوْرَدْتُ هُنَا
خِلَاصَةَ مَا ذَكَرَاهُ وَهِيَ :

خَلِيلِي مَا أَذْنَى لِأَوَّلِ عِاذِلِ	بِصَغْوَاءٍ فِي حَقِّ وَلَا عِنْدَ بَاطِلِ
خَلِيلِي إِنْ الرَّأْيَ لَيْسَ بِشَرَكَةِ	وَلَا نَهْنِهِ عِنْدَ الْأُمُورِ الْبَسَالِلِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَاؤُدُّ عَنْهُمْ	وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ
وَقَدْ صَارَحُونَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى	وَقَدْ طَاوَعُوا أَمَرَ الْعَدُوِّ الْمَزَايِلِ
وَقَدْ خَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظْنَنَّةً	يَعُضُّونَ غِيظًا خَلَفْنَا بِالْأَنَامِلِ
صَبِرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمَرَاءَ سَمْنَةِ	وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تَرَاثِ الْمَقَاوِلِ
وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي	وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
قِيَامًا مَعًا مُسْتَقْبِلِينَ رَتَا جَسَّهُ	لَدَى حَيْثُ يَقْضَى خَلْفُهُ كُلُّ نَافِلِ
أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ	عَلَيْنَا بِسَوْءٍ أَوْ مُلْحٍ بِبِطَاطِلِ
وَمَنْ كَاشَحَ يَسْعَى لَنَا بِمُعِيبَةٍ	وَمِنْ مُلْحَقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ نَحَاوِلِ
وَتَوَّارٍ وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ	وَرَاقٍ لِيَرْقَى حِرَاءَ وَنَسَاوِلِ
وَبِالْبَيْتِ حَقَّ الْبَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةِ	وَبِاللَّهِ إِنْ اللَّهُ لَيْسَ بِغَافِلِ
وَبِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ إِذْ يَمَسْحُونَهُ	إِذَا اكْتَنَفُوهُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ

(١) الْمَهْزَمِيُّ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَرْبٍ الْمَهْزَمِيُّ الْعَبْدِيُّ ، أَبُو هَفَّانَ ، رَاوِيَةٌ عَالِمٌ بِالشَّعْرِ وَالْأَدَبِ ، أَخَذَ عَنِ
الْأَصْمَعِيِّ وَغَيْرِهِ . الْبَابُ ١٩٤/٣ . وَلِسَانُ الْمِيزَانِ ٢٤٩/٣ .

وَمَوْطِيْ إِبْرَاهِيْمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةٌ
وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
فَهَلْ بَعْدَ هَذَا مِنْ مَّعَاذٍ لِعَائِدٍ
يَطْبَاعُ بِنَا الْعِدَى وَوَدُّوا لَوَأْتِنَا
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نَتْرُكُ مَسْكَةً
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نَبْزِي مُحَمَّدًا
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نَصْرَعُ حَوْلَهُ
وَيَنْهَضُ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ
وَحَتَّى نَرَى ذَا الضُّغْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ
وَإِنَّا لَعَمْرُ اللَّهِ إِنْ جَدَّ مَا أَرَى
بِكُفِّي فَتَى مِثْلَ الشَّهَابِ سَمِيدٍ
وَمَا تَرَكِ قَوْمٍ لَا أَبَالِكُ سَيْدًا
وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ
يَكُوْذُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلًا
بِمِيزَانِ قُطْ لَا يَخِيْسُ شُعَيْرَةٌ
وَنَحْنُ صَمِيْمٌ مِنْ ذَوَابِسَةِ هَاشِمٍ
فَكُلُّ صَدِيقٍ وَابْنِ أُخْتٍ نَعْدُهُ
سِوَى أَنْ رَهْطًا مِنْ كِلَابِ بْنِ مُرَّةٍ
وَنَعْمَ ابْنِ أُخْتِ الْقَوْمِ غَيْرِ مَكْدَبٍ
أَشْمٌ مِنَ الشَّمِّ الْبَهَالِيلِ يَنْتَسِمِي
لَعَمْرِي لَقَدْ كَلَّفْتُ وَجْدًا بِأَحْمَدٍ
فَلَا زَالٍ فِي الدُّنْيَا جَمَالًا لِأَهْلِهَا
فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيْ مُؤَمِّلٍ
حَلِيْمٌ رَشِيْدٌ عَادِلٌ غَسِيْرٌ طَائِشٌ

عَلَى قَدَمِيْهِ حَافِيًّا غَيْرِ نَاعِصِلٍ
وَمَنْ كُلُّ ذِي نَذْرٍ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
وَهَلْ مِنْ مُعِيْذٍ يَتَّقَى اللَّهَ عَسَاذِلِ
تُسَدُّ بِنَا أَبْوَابُ تَرْكٍ وَكَابِلِ
وَنُظْفَعْنَ إِلَّا أَمْرُكُمْ فِي بَلَايِلِ
وَلَمَّا نَطَاعِنْ حَوْلَهُ وَنُنَاصِلِ
وَنَذْهَلِ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ
نَهْوِضُ الرُّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاصِلِ
مِنْ الطَّغْنِ فَعَلِ الْأَنْكَبِ الْمُتَحَامِلِ
لَتَلْتَبِسَنَّ أَسِيْفُنَا بِالْأَمَائِلِ
أَخَى ثِقَةٍ حَامِي الْحَقِيْقَةِ بِأَسَلِ
يَخُوْطُ الذَّمَّارَ غَيْرَ دَرْبِ مَوَاكِلِ
ثِمَالِ الْيَتَامَى عَصِمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ
عَقُوبَةُ شَرٍّ عَاجِلًا غَيْرِ آجِلِ
لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرِ عَائِلِ
وَأَلْ قُصَى فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ
لَعَمْرِي وَجَدْنَا غِبَّهُ غَيْرِ طَائِلِ
بَرَاءٍ إِلَيْنَا مِنْ مَعْقَّةٍ خَسَاذِلِ
زُهَيْرٍ حَسَامًا مُفْرَدًا مِنْ حِمَائِلِ
إِلَى حَسْبٍ فِي حَوْمَةِ الْمَجْدِ فَاضِلِ
وَإِخْوَتِهِ دَأْبُ الْمَحْسَبِ الْمَوَاصِلِ
وَزَيْنًا عَلَى رَغْمِ الْعَدُوِّ الْمُخَاتِلِ
إِذَا قَاسَهُ الْحَكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضِلِ
يُوَالِي إِلَهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ

فَأَيُّسِدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنُصْرِهِ وَأَظْهَرَ دِينًا حَقُّهُ غَيْرَ نَاصِلٍ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ أَجَىءَ بِسُبُوسَةٍ تَجَرَّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْقَبَائِلِ
لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ مِنْ الدَّهْرِ جَدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازِلِ
لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لَا مَكْذَبَ لَدَيْنَا وَلَا يُعْنَى بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدٌ فِي أُرُومَةٍ يَقْصُرُ عَنْهَا سَوْرَةُ الْمُسْطَاوِلِ
حَدَبَتْ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَيْثُ وَدَافَعَتْ عَنْهُ بِالذُّرَى وَالْكَلاكِيلِ

والقصيدة طويلة جدا وهذا الذي ذكرته منها عَيْنُهَا . قال الحافظ عماد الدين ابن كثير :
وهي قصيدة عظيمة بليغة جدا لا يستطيع أن يقولها إلا من نُسِبَتْ إليه وهي أَفْحَلُ مِنْ
المعلقات السَّبع وأبلغ في تأدية المعنى^(١) ، ذكر فيها ما يتعلق بالصحيفة الظالمية التي كتبها
قريش ، والأشبه أن أبا طالب إنما قالها بعد دخولها الشعب فذكرها هنا أنسب . انتهى .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : تقدم الخلاف في كتابة الصحيفة ، وُجِّعَ بين الأقوال باحتمال أن يكون كل من
ذُكِرَ كتب بها نسخة

الثاني : في رواية : أن الأَرْضَةَ لحست اسمَ الله تعالى وأبقت ما عداه . وفي رواية : لحست
ما فيها من ظلم وجور وأبقت اسمَ الله تعالى . وُجِّعَ بين الروایتين : بأنهم كتبوا نُسخًا
فَأَكَلَتِ الأَرْضَةُ مِنْ بعض النسخ اسمَ الله تعالى إشارة إلى أنه تعالى كره فعلهم ذلك فلم
تترك اسمه مع ذكر ظلمهم ، وَأَكَلَتْ مِنْ بعض النسخ ما عدا اسمَ الله تعالى إشارة إلى أنه
تعالى لم يرض هذا الفعل . والله أعلم بحقيقة ذلك .

(١) سيرة ابن كثير ٤٨٦/١ - ٤٩١ . وقال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها .

الثالث : فى بيان غريب ما تقدم .

الشَّعْبُ : بكسر الشين المعجمة : وهو الطريق فى الجبل ومسيل الماء فى بطن أرض ، والمراد به هنا شُعب بنى هاشم بن عبد مناف ، فقسَّمه بين بنيه حين ضعف بصره وصار للنبي صلى الله عليه وسلم حظُّ أبيه ، وهو كان مَنْزِل بنى هاشم غير مساكنهم ، وهو الذى يعرف بشعب ابن يوسف . قاله فى المطالع .

قال فى النور : وقوله « صار إليه حظُّ أبيه » فيه نظر لأنَّ أباه توفى قبل جده عبد المطلب فلم ينتقل لعبد الله شيء حتى يقال إنه ورثه عليه الصلاة والسلام ، وحين توفى عبد المطلب حُجب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولاده ، هذا شرعنا وما أظنهم كانوا يخالفون ذلك . ويحتمل أنه وصل إليه حظُّ أبيه بطريق آخر .

ديّة مضاعفة : الدية مائة من الإبل معروفة . والمضاعفة : قال الخليل : التضعيف أن يزداد على أصل الشيء فيجعل مثلين أو أكثر .

ظاهرهم : عاونهم .

مَنَابذتهم : نقضهم العهد .

ذات بيننا : وصلنا .

ولا خير ممن خصه الله بالحب : خير مخفف من خير كَهَيْن ومَيّت . وممن متعلق بمحذوف كأنه قال لا خير أخير ممن خصه الله بالحب .

السَّقْبُ : بسين مهملة مفتوحة ففاف ساكنة فباء موحدة وهو من الرُّغَاء وهو أصوات الإبل . والسَّقْبُ : ولد الناقة ، وأراد به هنا ولد ناقة صالح صلى الله عليه وسلم التى عَقَرها قَدَار ، فرعًا ولدّها وصاح برغائِه كلُّ شيء له صوت ، فهلكت ثمودُ عند ذلك فضربت العرب ذلك مثلاً فى كل هَلَكَة .

الأواصر : بالصادة والراء المهملتين : أسباب القرابة والمودة .

حَرْبًا عَوَانَا : أَى قَوْتَل فِيهَا مَرَارًا .

لِعِزَاءَ : بَعِين مَهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ أَى لَشَدَّة .

عَضُّ الزَّمَان : شَدَّتْهُ .

السَّوَالِف : بِسِين مَهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ وَفَاء : صَفَحَاتِ الْأَعْنَاق .

أُتِرَّتْ : بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْمُنْثَنَةِ الْفَوْقِيَّةِ وَفَتْحِ الرَّاءِ الْمَشْدُودَةِ فَتَاءُ تَأْنِيثٍ : أَى قُطِعَتْ .

الْقُسَاسِيَّةُ : بِقَافٍ مَضْمُومَةٍ فَسِينٌ مَهْمَلَةٌ فَأَلْفٌ فَسِينٌ أُخْرَى مَكْسُورَةٌ : سَيُوفٌ مَنْسُوبَةٌ

إِلَى قُسَاسٍ وَهُوَ جَبَلٌ فِيهِ مَعْدَنُ الْحَدِيدِ .

الْمُعْتَرَكُ . مَوْضِعُ الْحَرْبِ .

ضَنْكٌ : بِضَادٍ مَعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ فَنُونٌ سَاكِنَةٌ فَكَافٌ : أَى ضَيْقٌ .

الطَّخْمُ : بِطَاءٍ مَهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ فَخَاءٌ مَعْجَمَةٌ سَاكِنَةٌ : الَّتِي فِي لَوْنِهَا سَوَادٌ .

يَعْكُفْنَ : يَقْبِضْنَ وَيَلَازِمْنَ .

الشَّرْبُ : بِشِينٍ مَشْدُودَةٍ مَفْتُوحَةٌ فَرَاءٌ سَاكِنَةٌ : الْجَمَاعَةُ مِنَ الْقَوْمِ يَشْرِبُونَ .

الْحُجَرَاتُ : بِحَاءٍ مَهْمَلَةٌ مَضْمُومَةٌ وَجِيمٌ فَرَاءٌ مَفْتُوحَتَيْنِ .

الْمَعْمَعَةُ : بِجِيمٍ مَفْتُوحَةٍ فَعِينٌ مَهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ فَمِيمٌ فَعِينٌ أُخْرَى مَفْتُوحَتَيْنِ ، وَهِيَ الْأَصْوَاتُ

فِي الْحَرْبِ وَغَيْرِهَا .

الْجُرْبُ : بِضَمِّ الْجِيمِ وَسُكُونِ الرَّاءِ : الْإِبِلُ الَّتِي بِهَا جَرَبٌ فَهِيَ تَحْكُ بَعْضُهَا بَعْضًا .

أَزْرَهُ : بِهَمْزَةٍ مَفْتُوحَةٍ : وَهِيَ الْقُوَّةُ وَالظَّهْرُ أَيْضًا أَى ظَهْرُهُ .

الْحَفَائِظُ : بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ : جَمْعُ حَفِيزَةٍ وَهِيَ الْغَضَبُ فِي الْحَرْبِ .

النُّهَى : بِضَمِّ النُّونِ : الْعُقُولُ .

الْكُمَاةُ : بِضَمِّ الْكَافِ : الشُّجْعَانُ .

الرُّغْبُ : الْفَرْعُ .

الْأَرْضَةُ : بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالرَّاءِ وَالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ السَّاقِطَةِ فَتَاءُ تَأْنِيثٍ : دَوَّيْبَةٌ تَأْكُلُ

الْخَشَبَ .

- التواقب : النجوم ، جمع ثاقب وهو النجم المضيء .
- ما كَذَّبْتَنِي : بتخفيف الذال المعجمة أى ما حدثتني بحديث كذب .
- العَصَابَة : بكسر العين : الجماعة .
- بِرْمَتُهُ : بضم الراء وتشديد الميم المفتوحة : قطعة من حَبْل بالية ، والجمع رِمَمَ ورِمَام ، وأصله أن رجلاً دُفِعَ إلى غدوه بحبل في عنقه فقبل ذلك لكل من دفع شيئاً بجملته .
- مُعْجَبِينَ : بفتح الجيم .
- نَصَفَ : بفتح النون والصاد المهملة : وهى فى الأصل المرأة بين الحَدَثَةِ والمِسْنَةِ أى فى أمر وسط بيننا وبينكم لا فيه خَيْفَ علينا ولا عليكم .
- تفسير غريب قصيدة أبى طالب اللامية .
- خَلِيلِي : تثنية خليل ، وهو منادى مضاف حذف منه حرفه .
- تَصْغُو : بصاد مهملة وغيث معجمة مائلة .
- نَهْنَه : يقال : نَهْنَهْتُ الرجل إذا كَفَفْتَهُ .
- والبلايل بموحدتين : الأمور المهمة .
- العُرَى : جمع عروة . وأراد بها ها هنا العهود .
- الوسائل : جمع وسيلة وهى القُرْبَة يقال : وَسَّلَ إلى ربه وسيلةً إذا تقَرَّبَ بعمله إليه ، والوسيلة : المنزلة عند الملك .
- صارحُونَا : واجهونا مكافحةً .
- المزاييل : المحاول المعالج .
- حَالَفُوا : عاهدوا .
- أَظَنَّة : جمع ظَنِين وهو المتهم .
- الأَنَامِل : أطراف الأصابع .
- بسمراء سمحة : يعنى قناة تسمح بالانعطاف عند هَزَّها .
- العَضْب : بالعين المهملة والضاد المعجمة : القاطع .

تراث : أصله وراث من ورثت ، ولكن لا تُبدل هذه الواو ياء إلا في مواضع مخصوصة
والتراث : مال قد يورث وتوارثه قومٌ عن قوم .

المَقَاوِل : بالقاف : الملوك بلغة حمير . ويقال : الذين يَخْلِفُونَ الملوك إذا غابوا^(١) .
رَهْطِي : قومي وقبيلتي .

الوصائل : ثياب حُمِرَ فيها خطوط كان البيت يُكسَى بها .
الرَّتَّاج : هنا بكسر الراء : والمراد به هنا الباب .

لَدَى : بمعنى عند .

نافل : بالنون والفاء : أى كل مُتَبَرِّئٍ يقال : انتفل من كذا أى تبرأ منه ، فاستعمل
اسم الفاعل من الثلاثي غير المزيد قال الأعشى : لا تَلْفَنَا من دماء القوم نَنْتَفِلُ^(٢) .
ثَوْر : بشاء مثلثة وراء .

أَرَسَى : أثبت .

وشبيرا : بشاء مثلثة مفتوحة فباء موحدة مكسورة فمشناة تحتية فراء .

وجِرَاء : بكسر الحاء : وتقدم الكلام عليه في باب بدء الوحى . والثلاثة جبالٌ بمكة .
رَأَق : صاعد .

لَبْرٌ : من البر . وفي بعض التصانيف ليرقى من الرقى وصححوا الأولى وقالوا : الثانية
تصحيف ضعيف المعنى ، فإنه معلوم أن الراق يرقى وإنما هو لبرٌ أى في طلب برٍّ وهو خلاف
الإثم . أَقْسَمَ بطالب البر بصعوده في حراء المتعبدة فيه وبالنزول منه .

نازل : من النزول .

مُلِحَّ : مُجْحَفٌ يقال : أَلَحَّ على الشيء إذا أقبل عليه مواظبا .

الكاشح : العدو .

بمعينة : بالعين المهملة : أى مَنَقَصَةٌ .

(١) ط : إذا قاموا .

(٢) ديوان الأعشى ص ١٤٩ (ط صادر) ونصه :

لئن منيت هنا عن غب معركة لم تلفنا من دماء القوم ننتفل

وبالحجر الأسود . فيه زحاف ويسمى الكف ، وهو حذف النون من مُتَاعِلن وهو بعد الراء من الأسود^(١) .

ما لم يحاول : يريد .

اكتنفوه : أحاطوا به . وفي رواية : كثفوه بشاء مثلثة بعد الكاف : ازدحموا عليه من الشيء الكثيف وهو الملتف .

الأصائل : والأصل بضمين جمع أصيل وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب .

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة : يعنى موضع قدميه حين غسلت امرأة ابنه رأسه وهو راكب فاعتمد بقدمه على الصخرة ، أبقي الله تعالى أثر قدمه آية . وقيل بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه .

وتترك : بضم التاء المثناة الفوقية وسكون الراء . وكأبل بضم الباء الموحدة : جيلان من العجم .

نظعن : بطاء معجمة مشالة : نرحل .

في بلابل : يروى بمثنائين فوقيتين أى في حركة واضطراب وبمحدثين أى في وساوس الهموم ، واحدها بَلْبَل .

نُبَزَى : بنون مضمومة فباء موحدة ساكنة فزاي مفتوحة : معناه نُسَلَب ونُغَلَّب عليه .

نناضل : نراى بالسهم .

نَذْهَل : نَغْفَل .

الحلائل : الزوجات ، واحدها حليلة .

الروايا : جمع راوية : الإبل التى تحمل الماء .

الصلاصل : بفتح الصاد المهملة الأولى وكسر الثانية : بقية الماء .

(١) كذا بالأصل .

الضَّغْنُ : بكسر الضاد وسكون الغين المعجمتين : العداوة .
 يركب رَدْعَهُ : براء مفتوحة فداًل ساكنة فعين مهملتين أى يسقط على وجهه فى
 دمه . الطَّغْن بفتح الطاء وسكون العين المهملتين .
 الأَنْكَبُ : المائل إلى جهة .
 المتحامل : المائل عن الحق .
 لَعَمْرُ الله : بفتح العين : بقاء الله .
 جَدَّ : بجيم فداًل مهملة : عَظُم .
 بالأَمْثِلُ : بالخيار من القوم .
 سَمِيدَع : بفتح السين المهملة لا بضمها : السَّيِّد .
 الحقيقة : بخاء مهملة وقافين بينهما مشناة تحتية ما يحقّ على الرجل أن يحميه .
 باسل : شجاع كريم .
 لا أبالك : ويقال لا أباً لك وهو مَدْح .
 الذُّمَّار : بذال معجمة مكسورة : ما يلزم الرجل حمايته والدفع عنه ويُلام على
 إضاعته .

الذَّرْبُ : بذال معجمة تفتح وتكسر : الفساد .
 مُوَآكل : أى يتوكل على غيره .
 ثَمال البتامى : أى قائم بمصالحهم وغيائهم .
 عصمة للأرامل : يمنعهن من الضياع والحاجة .
 يلوذ : يلجأ .
 الهُلَاكُ : بضم الهاء وتشديد اللام .
 غير عائل : مائل عن الحق .
 الصِّمِّم وزان كريم : الخالص . وصميم القلب وسطه .

من ذؤابة هاشم : الذؤابة بضم الذال المعجمة وبالهززة وقد تبدل واوا وهي في الأصل
الشعر المصفور من شعر الرأس . وذؤابة الجبل : أعلاه ثم استعير للشرف والمرتبة .

الخطوب : جمع خَطَب وهو الأمر الشديد .

غِيَّة : بغين معجمة مكسورة فموحدة أى عاقبته .

غير طائل : أى غير رفيع ولا نفيس . وأصل الطائل النفع والفائدة ، وهذا اللفظ
يقال للشيء الخسيس مشتق من الطُول .

الرَّهْط : بسكون الهاء وتفتح : دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة أو منها إلى
الأربعين .

براء : بموحدة مفتوحة فراء فمد فهمز أى برىء عن مساوئه .

المعقَّة : العقوق .

الخاذل : بالخاء والذال المعجمتين : تارك النصرة والإعانة .

أشَمَّ : بالشين المعجمة : عزيز .

البهليل : السادة واحدهم بُهْلُول بضم الموحدة وسكون الهاء .

الحَوْمَة : بفتح الهاء المهملة : من كل شيء معظمه .

الوجد : الحب .

الدَّأب : العادة .

على رَغَم العادوّ : بتشليث الراء : أى ألصقه الله بالرَّغَام بفتح الراء وهو التراب ،
هذا هو الأصل ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كُرْه .

المُخَاتِل : بالخاء وكسر المثناة الفوقية : المُخَادَع .

المؤمِّل : بفتح الميم المشددة المرجو خيره .

طائش : خفيف العقل .

يُؤَالى : يَغْبُد .

السُّبَّةُ : الشُّم .

غير ناصِل : هِنُونٌ وصَادٌ مهملةٌ أَى زَائِلٌ .

التَّهَازُلُ : الهَزْلُ وهو تَرْكُ الجِدِّ فى قولٍ أَوْ فعلٍ .

لَا مَكْذَبٌ : بفتح الذال المعجمة المشددة . .

وَلَا يُعْنَى : يشتغل .

الْأَرْوْمَةُ : بفتح الهمزة وضم الراء : الْأَصْلُ .

بِسَوْرَةٍ روى بضم السين المهملة أَى المنزلة ، وبفتحها أَى الشدة والبطش .

الْمُتَطَاوِلُ : بكسر الواو من الطول بفتح الطاء وجو الفضل والعلو .

حَدِيثٌ : بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين أَى عطفٌ ومنعت .

الذُّرَى : جمع ذروة بذال معجمة تضم وتفتح وهى أعلى ظهر البعير .

الْكَلَاكِلُ : جمع كلكل وهو معظم الصدر .

الباب التاسع عشر

في رجوع القادمين من الحبشة إليها والهجرة الثانية

قال ابن سعد : قالوا : لما قدم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مكة من الهجرة الأولى اشتدَّ عليهم قومهم وسطتْ بهم عشائهم ولقوا منهم أذىً شديداً ، فأذن لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية ، فكانت خُرُجَتهم الثانية أعظمَها مشقةً ، ولقوا من قريش تعنيفاً شديداً ونالوهم بالأذى واشتدَّ عليهم ما بلغهم عن النجاشي من حُسن جواره لهم ، فقال عثمان بن عفان : يا رسول الله فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة ولست معنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتم مهاجرون إلى الله تعالى وإلى . لكم هاتان الهجرةتان جميعاً » .

قال عثمان : فحسبنا يا رسول الله^(١) .

قال ابن إسحاق وابن سعد : وكان عدَّةٌ من خرج في هذه الهجرة من الرجال ثلاثةً وثمانين .

قال ابن سعد : ومن النساء إحدى عشرة امرأة قُرَشِيَّة وسَبْع غرائب . وزاد غيرُهما على ذلك كما سيأتى بيانه .

وقد روى قصتهم الإمامُ أحمد عن ابن مسعود ، وأبو نُعَيْمٍ والبيهقي عن أبي موسى الأشعري ، وابن إسحاق عن أم سلمة ، والطبراني وابن عساكر عن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم قالوا : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خيرَ جار النجاشي ، أمناً على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نوذَى ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً انتمروا بينهم أن يبعثوا فينا رجلين جَلْدِين وأن يُهدوا للنجاشي هدايا مما يُستظرف من متاع مكة ، وكان

(١) مطبقات ابن سعد ٢٠٧/١ (ط بيروت) .

أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدمًا كثيرًا ولم يتركوا من بطارقتة بطريقًا إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا عُمارة بن الوليد وعمرو بن العاص وأمروهما بأمرهم وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم ، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ثم أسألاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم .

فخرجوا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار ، فلم يبق من بطارقتة بطريقٌ إلا دفعا إليه هديته قبل أن يدفعا إلى النجاشي هديته ويكلماه وقالوا لكل بطريق منهم : إنه قد صوّى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع لانعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرف قومهم ليردّهم إليهم ، فإذا كلّمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى وأعلم بما عابوهم فيه . فقالوا : نعم .

ثم إنهما لما دخلا على النجاشي سجداً له وقدما له هداياهما فقبلها ثم قالوا له : أيها الملك إن نفرا من بني عمنا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم جاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشرف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرتهم^(١) لتردّهم عليهم فهم أعلى وأعلم بهم عينا بما عابوا عليهم وبما عيبوهم^(٢) فيه .

ولم يكن شيء أبغض إلى عمرو بن العاص وعُمارة بن الوليد من أن يسمع النجاشي كلام جعفر وأصحابه فقالت بطارقتة : صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم . فأسلمهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم .

قال : فأين هم ؟ قالوا : في أرضك . فغضب النجاشي ثم قال : لاها الله إذن لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادى واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألم عما يقول هذان من أمرهم . فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا غير ذلك منعتهم منهم وأحسنّت جوارهم ما جاوروني .

(١) ط : وعشائرتهم .

(٢) ط : عتبوهم . هذه لا معنى لها وقد كرر المؤلف الكلمة في لفظ عابوا عليهم بعد عيبوهم وإذا تكون عتبوهم محرفة .

ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا كان في ذلك ما هو كائن . فقال جعفر بن أبي طالب : أنا خطيبكم اليوم .

وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ، فدخل جعفر وتبعه المسلمون فسلم فقالوا : مالك لا تسجد للملك ؟ قال إنا لا نسجد إلا لله عز وجل . فقال النجاشي ما هذا الدين الذي فارقم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل .

فقال جعفر : أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسبي الجوارء ويأكل القوي الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبد الله ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . فعدد عليه أمور الإسلام . ثم قال : وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله تعالى ، فعبدنا الله تعالى وحده ولم نشرك به شيئا وحرّمنا ما حرم الله علينا وأحللنا ما أحلّ لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وقتلونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نُظلم عندك أيها الملك .

فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به من شيء فقال له جعفر : نعم . قال فاقرأه على . فقرأ عليه صدراً من « كهيعص » فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما يتلى عليهم .

ثم قال له النجاشي : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج عن مشكاة واحدة .

ثم قال النجاشي لعمره : أعبيدكم لكم ؟ قال : لا . قال : أفلكم عليهم دين ؟ قال : لا . قال : انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما أبداً ولا يُكادون .

فلما خرجا^(١) من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينه عنهم غداً بما أستأصل به خضرأهم . فقال له عُمارة لا تفعل فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا . قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبدٌ .

ثم غداً إلى النجاشي فقال : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً فاسألم عما يقولون فيه . فأرسل إليهم ليسألم عنه فاجتمع المسلمون ولم ينزل بهم مثلها . فقال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ فقالوا : نقول والله ما قال الله تعالى وما جاء به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن . فقال جعفر : لا يتكلم أحدٌ أنا خطيبكم .

فلما دخلوا عليه فإذا هو جالس في مجلسه وعمره بن العاص عن يمينه وعُمارة عن شماله والقسيسون جلوسٌ سِماطين . فقال لجعفر وأصحابه : ما تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاء به نبينا ، نقول هو عبدُ الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . فضرب النجاشي بيده الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود ، يا معشر القسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذي فيه . فتناخرت بطارقتة حوله حين قال ما قال فقال : وإن نخرتم والله .

ثم قال : مرحباً بكم وبمن جثتم من عنده أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نجد في الإنجيل ، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لآتينه حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه . وأمر لنا بطعام وكسوة ، ثم قال : اذهبوا فأنتم آمنون . من سبكم غرم ، من سبكم غرم ، من سبكم غرم . قالها ثلاثاً . فما أحب أن لي جبلاً من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم .

(١) ط : خرجوا . كانا درجلين فخرجوا تحريف ولا حاجة إلى التعليل .

(٢) ط : وما جانا .

وفي رواية أن النجاشي قال للمسلمين : أيؤذيكم أحد ؟ قالوا : نعم . فأمر منادياً ينادي : من آذى أحداً منهم فأغرموه أربعة دراهم . ثم قال : أيكفيكم ؟ قلنا : لا . قال : فأضعضوها .

وعند موسى بن عُقبة : من نظر إلى هؤلاء نظرة تؤذيهم فقد غريم . أي فقد عصاني .

ثم قال : ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه .

فخرجاً من عنده مقبوحين مردود عليهما ما جاء به .

ثم إن الحبشة اجتمعت فقالت للنجاشي : إنك فارقت ديننا - وخرجوا عليه فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفناً وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فإن هُزمت فامضوا حتى تلحقوا حيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكذب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم ثم جعله في قبانه عند المنكب الأيمن وخرج إلى الحبشة وصُفوا له فقال : يأمعشر الحبشة ألسن أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى . قال : فكيف رأيتم سيرتي فيكم ؟ قالوا : خير سيرة ؟ قال : فما لكم ؟ قالوا : فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد ، هو ابن الله . فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قبانه : هو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا . وإنما يعني ما كتب . فرضوا عنه وانصرفوا .

قالت أم سلمة : فأقمنا عنده بخير دار مع خير جار ، فوالله إننا على ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه ، فوالله ما جزئنا^(١) قط حزناً كان أشد من حزن حزناه عند ذلك تخوفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه . وسار إليه وبينهما عرض النيل ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رجل ينطلق حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر ؟ فقال الزبير بن العوام : أنا . قالوا : فانت . وكان من أخذت القوم سنًا . فنفضوا له

(١) ط : ما علمنا .

قُرْبَةً فجعلها في صدره ثم سبَّحَ عليهم حتى خرج إلى ناحية النُّيل التي بها يلتقي القوم ، ثم انطلق حتى حضروهم .

وقالت : ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده .

قالت : فوالله إنا على ذلك متوقعون لما هو كائن إذ طلع الزبير بن العوام يسعى فلَمَعَ بثوبه وهو يقول : أبشروا فقد ظهر النجاشي وأهلك الله عدوه . قالت : فوالله ما علمتُنا فرحنا فرحة قط مثلها . ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه ومكَّن له في بلاده واستوسق عليه أمر الحبشة ، وكنا عنده في خير مَنْزِل^(١) .

* * *

وروى الطبراني برجال الصحيح عن أبي موسى الأشعري ، والطبراني وأبو الفرج الأُموي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى واللفظ لأبي الفرج قال : وكان الله سبحانه وتعالى قد ألقى العداوة بين عمرو وعُمارة في مسيرهما قَبْلَ أَنْ يَقْدَمَا على النجاشي ، وذلك أَنَّ عمرًا كان رجلاً دَمِيًّا ومعه امرأته ، وكان عمارة رجلاً جميلاً ، فَهَوَى امرأة عمرو وهَوَيْتَهُ ، فغَزَمَا على دفع عمرو في البحر فدفع عمارة عمرا في البحر فسبَّح عمرو ونادى أصحاب السفينة فَأَخَذُوهُ فرفعوه إلى السفينة - فَأَضْمَرَهَا عمرو في نفسه ولم يُبْدِهَا لعمارة ، بل قال لامرأته : قَبْلِي ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه . فلما أتيا أرض الحبشة وردَّهما الله تعالى خائِبَيْنِ مكر عمرو بعمارة فقال له : أَنْتِ امرؤ جميل وهن النساء يُحِبُّبن الجمال ، فتعرَّضَ لامرأة النجاشي فلعلها أَنْ تَشْفَعَ لنا عند الملك في قضاء حاجتنا . ففعل عمارة وتكرَّرَ ترده إلى امرأة النجاشي وأخذ عطرًا من عطرها ، فلما رأى عمرو ذلك أَتَى الملكَ فذكر له أَمْرَ عمارة ، فَأَدْرَكَتْ الملكَ عِزَّةُ الملك وقال : لولا أَنَّهُ جَارِي لَقَتَلْتَهُ ، ولكن سَأَفْعَلُ له ما هو شر من القتل . فدعا بالسَّوَّاحِر فَأَمْرَهُنَّ أَنْ يَسْحَرْنَهُ فَنَفَخْنَ في إَحْلِيلِهِ نَفْخَةً طَارَ مِنْهَا هَائِمًا على وجهه حتى لحق بالوحوش بالجبال ، فكان إِذَا رَأَى آدَمِيًّا يَنْفِرُ مِنْهُ ، وكان ذلك آخر العهد به إلى زمن عمر بن الخطاب ، فجاء ابن عمه عبد الله بن أبي ربيعة إلى عمر

(١) سيرة ابن هشام ٣٣٢/١ - ٣٣٨ .

ابن الخطاب واستأذنه في المسير إليه لعله يجده ، فأذن له عمر ، فسار عبد الله إلى أرض الحبشة فأكثر النشدة عنه والفحص عن أمره حتى أخبر أنه في جبل كذا يرد مع الوحوش إذا وردت ويصعد معها إذا صدرت ، فسار إليه فكمّن له في طريقه إلى المساء فإذا هو قد غطاه شعره وطالت أظافيره وتمزقت عنه ثيابه حتى كأنه شيطان ، فقبض عليه عبد الله وجعل يذكره بالرحم ويستعطفه وهو ينتفض منه وهو يقول أرسلني يا بجير أرسلني يا بجير وأبى عبد الله أن يرسله حتى مات بين يديه .

قال الزهري : فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير فقال : أتدرى ما قوله : « ما أخذ الله الرشوة مني فأخذ الرشوة فيه ولا أطاع الناس في فأطيع الناس فيه ؟ » فقلت : لا . قال عروة : فإن عائشة حدثتني أن أباه كان ملك قوميه وكان له أخ له من صلبه اثنا عشر رجلا ولم يكن لأبي النجاشي ولد غير النجاشي ، فأدارت الحبشة رأيها بينها فقالوا : لو أننا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فإن له اثني عشر رجلا من صلبه فتوارثوا الملك لبقيت الحبشة عليهم دهرًا طويلا لا يكون بينهم اختلاف ، فعدوا عليه فقتلوه وملكوا أخاه . فمكثوا على ذلك حينًا ونشأ النجاشي مع عمه فلا يدبر أمر عمه غيره ، وكان النجاشي حازمًا لببًا من الرجال ، فلما رأت الحبشة مكانه من عمه قالوا : قد غلب هذا الغلام على أمر عمه فما نأمن من أن يملكه علينا ، وقد عرف أننا قتلنا أباه ، فلئن فعل لم يدع منا شريفًا إلا قتله ، فكلّموه فيه فليقتله أو ليخرجه من بلادنا . فمشوا إلى عمه فقالوا : قد رأينا مكان هذا الغلام منك ، وقد عرفت أننا قتلنا أباه وجعلناك مكانه ، وإننا لا نأمن من أن يملك علينا فيقتلنا ، فإما أن تقتله وإما أن تخرجه من بلادنا . قال : ويحكم قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم ؟ ! بل أخرجه من بلادكم . فخرجوا به فوقفوه في السوق وباعوه من تاجر من التجار بستائة درهم أو بسبعمائة درهم ، فرفعه في سفينة فانطلق به ، فلما كان العشاء هاجت سحابة من سحاب الخريف فخرج عمه يتمطر تحتها فأصابته صاعقة فقتلته ففزعوا إلى ولده فإذا هم محمقون ليس في أحد منهم خير ، فمرج أمر الحبشة . فقال بعضهم لبعض : تعلمون والله إن ملككم الذي يوصلح أمركم الذي بعمم بالغداة ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه قبل أن يذهب . فخرجوا في طلبه فأدركوه فردوه

فَعَقَدُوا عَلَيْهِ التَّاجَ وَأَجْلَسُوهُ عَلَى سَرِيرِهِ وَمَلَّكُوهُ ، فَقَالَ التَّاجِرُ : رَدُّوا عَلَيَّ مَالِي كَمَا أَخَذْتُمْ غِلَامِي فَقَالُوا : لَا نَعْطِيكَ . فَقَالَ التَّاجِرُ : وَاللَّهِ لَا أَكَلِمَنَّهُ فَمَشَى إِلَيْهِ فَكَلَّمَهُ فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي ابْتَعْتُ غَلَامًا فَتَقَبَّضْتُ ثَمَنَهُ الَّذِينَ بَاعُونِيهِ ثُمَّ عَدَوْتُ عَلَى غِلَامِي فَفَنَزَعُوهُ مِنْ يَدِي وَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيَّ مَالِي ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا خُبِرَ مِنْ صَلَابَةِ حُكْمِهِ أَنَّ قَالَ : لَشَرُّنَ عَلَيْهِ مَالَهُ أَوْ لِيَجْعَلَنَّ يَدَ غَلَامِهِ فِي يَدِهِ فَيَذْهَبَ بِهِ حَيْثُ شَاءَ . فَقَالُوا : بَلْ نَعْطِيهِ مَالَهُ فَأَعْطَوْهُ مَالَهُ .

فلذلك يقول : « ما أخذ الله مني الرشوة فأخذ الرشوة فيه حين ردَّ على مُلْكِي وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه ^(١) » .

فَأَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ بِأَرْضِ الْحَبِشَةِ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ فِي أَحْسَنِ جَوَارٍ وَتَعَجَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِمُهَاجِرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَجَعَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا وَمِنْ النِّسَاءِ ثَمَانِي نِسْوَةٍ ، فَمَاتَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ بِمَكَّةَ وَشَهِدَ بَدْرًا مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلًا . كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ هُنَاكَ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي

روى البيهقي عن ابن إسحاق قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشي الأضحَم . سلامٌ عليك فإنِّي أحمُدُ إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإنِّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاتة على طاعته ، وأن تتبغني وتؤمن بي وبالذي جاءني فإني رسول الله ، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفر بن أبي طالب ومعه نفر - من المسلمين فإذا جاءوك فأقرهم ودع التجبر فإنِّي أدعوك وجنودك إلى الله وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي . والسلام على من اتبع الهدى » .

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٣٩ - ٣٤٠ .

فكتب إليه النجاشي : إلى محمد رسول الله من النجاشي الأضحَم ابن الأَنْجَر .
سلامٌ عليك يا نبيَّ الله من الله ورحمته وبركاته ، لا إله إلا الذي هداني^(١) إلى الإسلام ،
فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض إن عيسى
لم يزد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد مر بنا ابن عمك وأصحابه فأشهد
أنك رسول الله صادقاً مصدقاً وقد تبعْتُك وبايعتُ ابن عمك وأسلمتُ على يديه لله رب
العالمين وقد أرسلت با بني أريحا بن مَاضَحَم بن أَنْجَر^(٢) ، فأني لا أملك إلا نفسي ، وإن
أمرتني أن أجي فعلت يا رسول الله فأني أشهد أن ما تقول حق .

تَنْبِيْهَات

الأول : ذكر ابن إسحاق أن رفيق عمرو في هذه السَّفرة عبدُ الله بن أبي ربيعة ،
قالوا : والصحيحُ أن رفيق عمرو في هذه السَّفرة عُمارة ، وعبد الله كان رفيق عمرو في
خروجهما بعد وقعة بدر .

الثاني : قولُ جعفر للنجاشي رضى الله عنهما : « وأمرنا بالصلاة » أى التى كانت قبل فرض
الصلوات الخمس . وقوله : « والزكاة » أراد مُطلق الصدقة لأن زكاة المال إنما فرضت
بالمدينة .

الثالث : فى بيان غريب ما سبق :

البَطْرِيق : بالكسر كالقائد من العرب .

ضوى : أوى ، يقال ضَوِيَتْ إليه إذا أُوْبِت وانضمت .

(١) ط : الذى هدانا .

(٢) كذا بالأصول وفى القاموس : أصحمة بن بحر .

لَا هَا اللَّهُ إِذَنْ : الهاء بدل من الواو ، أَى لا والله ، هكذا جاء في الحديث لاها الله إِذَنْ
قيل : والصواب لاها الله ذا : بحذف الهمزة ومعناه لا والله لا يكون ذا . أو والله الأمر ذا
فحذف الكلام واختصر تخفيفا لكثرة الاستعمال . ولك في أَلْفِها مذهبان : أحدهما تثبت
أَلْفِها لأن الذى بعدها مُدْغَمٌ مثل دَابَّة . والثانى : أن تحذفها لالتقاء الساكنين قاله في
النهاية .

وقال ابن مالك : فى اللفظ بها أربعة أوجه :

أحدها : ها لله إِذَنْ : بهاء تليها اللام .

الثانى : ها لله : بألف ثابتة قبل اللام .

الثالث : الجمع بين ثبوت الألف وقطع الهمزة .

الرابع : أن تحذفه وتقطع همزة الله .

والمعروف فى كلام العرب ها الله ذا ، وقد وقع فى هذا الحديث : إِذَنْ . وليس ببعيد
انتهى .

الأساقفة : جمع أَسْقَفَ بضم الهمزة وتشديد الفاء وتخفيف ؛ رأس من رؤسهم .

ولا يُكَاد : بتحتية مضمومة فكاف فألف فдал مهملة من الكَيْد وهو الاحتيال وإرادة
السوء ومنه سَمَى الحرب كَيْداً - .

خَضَلُوا لِحَاهِمَ : بَلَّوْها بالدموع يقال خضل وخضل إذا نَدَّى وأخضلته أنا .

المشكاة : الكُوَّة .

أَسْتَأْصِلُ : أَى لا أدع لهم أصلا .

خَضِرَاءَهُمْ : سَوَادُهُمْ ومعظمهم .

الْقَسِيسُونَ جمع قَسَّ بفتح القاف : العالم العابد من رعوس النصارى .

سِمَاطِينَ : جانبين .

العَذَاءُ : البِكر .

البَتُولُ : التي انقطعت عن الرجال .

ما عدا عيسى هذا العودَ : قال في الزَّهر : منصوب على الظرف تقديره : مقدار هذا العود أو قدر هذا العود .

تناخَرَتْ : قال في النهاية : أى تكلمت وكأنه كلام مع غضب ونفور .

الرَّشوةُ : بكسر الراء وضمها : ما يعطيه الشخصُ الحاكمَ وغيره ليحكم له أو يخمِله على ما يريد .

عَرَمٌ ^(١) : بعين وراء مثناة مهملتين والعامر الخبيث الشرير .
هاجت سحابةٌ : ثارت وطلعت .

الخريف : أحد فصول السنة ، سَمِيَ بذلك لأنه تُخْتَرَف فيه الثمار أى تقطع .

* * *

الرابع : فى معرفة أسماء الذين هاجروا الهجرة الثانية :

وفى ذلك فائدتان : إحداهما : معرفتهم . وثانيتهما : أنهم من أكابر الصالحين ، فقد روى ابن الجوزى فى مقدمة الصفوة عن سفيان بن عيينة رحمه الله أنه قال : عند ذكر المصالحين تنزل الرحمة ^(٢) .

وقد ذكرهم ابن إسحاق مرتباً لهم على القبائل والبطون ، فرأيت ذلك صعباً على من أراد الكشف عن اسم واحد منهم ، فرتبت أسماءهم على حروف المعجم .

(١) كذا ، بالعين ، والذي سبق فى الرواية : غرم . بالفين المعجمة .

(٢) صفوة الصفوة ١١/١ (ط حيدر آباد) .

الألف

أَبَان بن سعيد بن العاصي بن أمية القرشي الأموي . ذكره ابن إسحاق فيهم وخالفه في ذلك أهل العلم بالأخبار وقالوا : أسلم أيام خيبر وشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إبراهيم بن الحارث بن خالد بن صخر القرشي التيمي هاجر مع أبيه .
الأسود بن نوفل بن خُوَيْلِد بن أسد القرشي الأسدي بن أخي خديجة رضي الله عنهما .

الباء الموحدة

بِشْر بن الحارث بن قيس بن عدى القرشي السهمي .

التاء المثناة

تَمِيم بن الحارث بن قيس بن عدى أخو بشر السابق .

الجيم

جابر بن سفيان بن مَعْمَر بن حبيب الجمحي .

جعفر بن أبي طالب بن عید المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ أبو عبد الله رضي الله عنه . قاله الحافظ عماد الدين بن كثير^(١) .

قلت : وفي ذلك نظر لأن ابن إسحاق ذكر أسماء الذين هاجروا الهجرة الأولى ثم ذكر الذين هاجروا ثانيا .

جُنَادَة بن سفيان بن مَعْمَر بن حبيب القرشي الجمحي .

جَهْم بن قيس بن عبد شَرْحِبِيل العبْدَرِي .

(١) الذي في سيرة ابن كثير ٦/٢ : قال موسى بن عقبة : وكان جعفر بن أبي طالب فيمن خرج ثانيا . ثم قال : وما ذكره ابن إسحاق من خروجه في الرعي الأول أظهر .

الحاء المهملة

الحارث بن الحارث بن قيس بن عَدِيّ القرشي السهمي، قال البلاذري : ذكر بعضهم أنه هاجر مع أخويه إلى الحبشة وليست هجرته بثبت^(١) .

الحارث بن حاطب بن الحارث بن مَعْمَر القرشي الجمحي . ذكر الزهري أنه ولد بأرض الحبشة . وفي كلام مُضْعَب ما يدل على أن الحارث ولد قبل هجرة الحبشة .

الحارث بن خالد بن صخر بن عامر القرشي التيمي .

الحارث بن عبد قيس بن لَقِيْط بن عامر القرشي التيمي الفهري .

حاطب بن الحارث بن عديّ السهمي . قال أبو عمر : أسلم وهاجر إلى الحبشة وتعقبه ابن الأثير بأنه كان من المستهزئين . وقال الذهبي : لم يذكر أحد أنه أسلم إلا أبو عمر . قال الحافظ : نعم ذكره فيهم أيضا أبو عبيدة ومُضْعَب والطبري وغيرهم ، ولا مانع أن يكون تاب وهاجر ، فلا تنافي بين القولين . وبسط الكلام على ذلك .

قلت : وذكره ابنُ الجوزي في التَّلْقِيح في مُهاجرة الحبشة ، وقال : مات بها .

حاطب بن الحارث بن معمر القرشي الجمحي مات بها .

حاطب بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري ، يقال إنه أول من هاجر إلى الحبشة وبه جزم الزُّهري . ورجع من الحبشة قبل الهجرة من المدينة .

الحجاج بن الحارث بن قيس القرشي السهمي . ذكره ابن عُقْبَة وابن إسحاق فيمن هاجر إلى الحبشة وأنكر ذلك ابنُ الكلبي والزبير بن بَكَّار .

حَطَّاب - بالحاء والطاء المهملتين - ابن الحارث بن مَعْمَر القرشي الجمحي مات بها وهو أخو حاطب .

(١) أنساب الأشراف ٢١٦/١ .

الخاء المعجمة

خالد بن حزام - بالحاء المهملة وبالزاي - ابن خُوَيْلِد القرشي الأسدي . قال البلاذري وابن مُنْدَه عن عروة : إنه هاجر إلى الحبشة فنهشته حية فمات في الطريق ، فنزل فيه : « ومن يَخْرُج من بيته مُهاجراً إلى الله ورسوله » الآية ^(١) .

وروى ذلك مُصْعَب الزبيري عن غير واحد من آل حزام . وجزم بذلك الواقدي .

قال الحافظ : لكن المشهور الذي نزلت فيه هذه الآية جُنْدَب بن ضمرة .

خالد بن سعيد بن العاصي بن أمية القرشي الأموي ،

خالد بن سفيان بن مَعْمَر بن حبيب القرشي الجمحي .

خُزَيْمَة بن جَهْم بن عبد بن شُرْحَبِيل العبدي .

خُنَيْس - بضم الخاء المعجمة فنون مفتوحة فمثناة تحتية فسين مهملة - ابن حُذَافَة ابن قيس بن عدي القرشي السهمي .

الراء

ربيعة بن هلال بن مالك .

الزاي

الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي أبو عبد الله .

السين المهملة

السائب بن الحارث بن قيس القرشي السهمي .

السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي .

سعد بن خَوْلَة القرشي العامري .

سعيد بن الحارث بن قيس القرشي السهمي .

سعيد بن عبد قَيْس بن لقيط القرشي الفهري

(١) أنساب الأشراف ٢٠٢/١ .

سعيد بن عمر التميمي - ويقال اسمه معبد .
 سفيان بن مَعْمَر - بفتح الميمين وإسكان المهملة بينهما - ابن حبيب القرشي الجُمَحِي .
 السُّكْران بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري .
 سَلَمَة بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي .
 سليط بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري ، ويقال إنه أول من هاجر إلى الحبشة .
 سُهَيْل بن بيضاء وهي أمه واسمها دَعْد ، واسم أبيه وهب بن ربيعة القرشي الفِهْرِي
 سُويَيط بن حَرَمَلَة ويقال ابن سعد بن حرملَة ، ويقال حُرَيْمَلَة ، القرشي العبدري .

الشين المعجمة

شُرْحَبِيل بن عبد الله المطاع بن عبد الله الكِنْدِي^(١) ويقال التميمي ويعرف بأمه حَسَنَة .
 شَمَّاس بن عثمان بن الشريد القرشي المخزومي واسمه عثمان بن عثمان ، وإنما سمي
 شَمَّاساً ، لأن شماساً من الشامسة قديم مكة في الجاهلية وكان جميلاً فعجب الناس من
 جماله فقال عتبة بن ربيعة وكان خال عثمان : أنا آتيكم بشماس أحسن منه . فجاء بابن
 أخته عثمان فسمى شَمَّاساً . والشماس من رموس النصاري يَحْلُق وسط رأسه ويلزم البَيْعَة
 وليس بعربي صريح .

الطاء المهملة

طُلَيْب - بالتصغير - ابن أَزْهَر بن عبد عوف القرشي الزُهْرِي .
 طُلَيْب بن عمير - بالتصغير - أو عمرو بن وهب أبو عدى .

العين المهملة

عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك العَنَزِيّ - بفتح العين المهملة والنون - ويقال بفتح
 النون .

عامر بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص مالك بن أَهْيَب القرشي الزهري أبو عمرو أخو
 سعد .

(١) الأصل : التكري . محرفة . وما أثبتته من أنساب الأشراف ٢١٤/١ .

عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي القهري ، أبو عبيدة .
عبد الله بن جحش بن رباب - براء فمثلة تحتية فالف فباء موحدة - بن يعمر
القرشي الأسدي .

عبد الله بن الحارث بن قيس القرشي السهمي .
عبد الله بن حذافة بن قيس القرشي السهمي .
عبد الله بن سفيان بن عبد الأسد القرشي المخزومي
عبد الله بن سهيل^(١) بن عمرو العامري ، أبو سهيل .
عبد الله بن شهاب بن عبد الله القرشي الزهري .
عبد الله بن عبد أسد بن هلال القرشي المخزومي ، أبو سلمة ، هاجر المجرتين ، ويقال
إنه أول من هاجر إلى الحبشة هو وامرأته .

عبد الله بن عرفة - بضم العين وإسكان الراء ففاء مضمومة وطاء مهملة مفتوحة .
عبد الله بن قيس بن سليم أبو موسى الأشعري . ذكره فيهم ابن إسحاق . قال أبو
عمر : ليس كذلك ولكنه خرج في طائفة من قومه من أرضهم باليمن يريد المدينة فركبوا
البحر فرمى بهم الريح إلى الحبشة فأقام هناك حتى قدم مع جعفر .
قلت : وقد روى البيهقي وغيره بسند صحيح عن أبي موسى في حديث الهجرة إلى
الحبشة وفيه : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نطلق مع جعفر إلى أرض الحبشة .
فذكر الحديث^(٢) .

قال البيهقي : وظهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة وأنه خرج مع جعفر بن أبي
طالب إلى أرض الحبشة .

والصحيح ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي موسى قال : بلغنا مخرج النبي صلى
الله عليه وسلم ونحن باليمن فخرجنا فآلقنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبيشة فوافقنا جعفر

(١) غير ط : ابن سهل . وما أثبتته موافق لما في أنساب الأشراف ٢١٩/١ .

(٢) الحديث في دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢٠٥ ، وقوله عنه ابن كثير في سيرته ١/٢ .

ابن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدّمنا فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر ،
الحديث .

وقال الحافظ في الفتح : ويؤيد ما ذكره ابن إسحاق ما رواه الإمام أحمد بسند حسن
عن ابن مسعود قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين
رجلاً فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن عُرْفُطَة وعُثْمَان بن مَطْعُون
وأبو موسى الأشعري . فذكر الحديث (١) .

وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من
بلاده هو وجماعة قاصدين النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فألقتهم السفينة بأرض
الحبشة فحَضَرُوا مع جعفر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر .

ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم
مع من بعث إلى الحبشة فتوجه هو إلى بلاد قومه وهي مقابل الحبشة من الجانب الشرق ،
فلما تحققوا استقرار النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى
المدينة فألقتهم السفينة لأجل هيجان الرياح إلى الحبشة .

فهذا مُتَحْتَمِل ، وفيه جمع بين الأخبار . فليعتمد والله أعلم .

وعلى هذا قول أبي موسى : «بلغنا مخرجُ النبي صلى الله عليه وسلم» أي إلى المدينة
وليس المراد : بلغنا مبعثه . ويؤيده أنه يَبْعُدُ كُلَّ البَعْدِ أَنْ يَتَأَخَّرَ عِلْمُ مَبْعَثِهِ إلى مَضَى نحو
عشرين سنة مع الحمل على مخرجه إلى المدينة فلا بد من زيادة استقراره بها وانتصافه ممن
عاداه ونحو ذلك ، وإلا فيبعد أن يخفى عليهم خبر خروجه إلى المدينة ست سنين .

ويحتمل أن إقامة أبي موسى بأرض الحبشة طالت لأجل تأخر جعفر عن الحضور إلى
المدينة حتى يَأْتِيَهُ الإِذْنُ من النبي صلى الله عليه وسلم بالقدوم .

عبد الله بن مَخْرَمَة القرشي العامري .

عبد الله بن مسعود بن غافل - بمعجمة وفاء - الهذلي .

(١) فتح الباري ٢٥/٩ (ط الحلبي) .

عبد الله بن مظعون بن وهب القرشي الجمحي أخو عثمان .
عُبَيْدُ اللَّهِ بن جَحْش ، تنصّر هناك ثم توفي على النصرانية .
عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري .
عُتْبَةُ بن غَزْوَان - بغين معجمة مفتوحة فزاي ساكنة - ابن جابر المازني - بالزاي والنون .

عتبة^(١) بن مسعود الهذلي أخو عبد الله .
عثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب القرشي الجمحي .
عثمان بن عبد غنم بن زهير بن أبي شداد القرشي الفهري .
عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية القرشي الأموي .
عثمان بن مظعون - بالطاء المعجمة - المشالة بن حبيب بن وهب القرشي الجمحي .
عدى بن نضلة - أو نُضَيْلَة بالتصغير - القرشي العدوي ، مات بأرض الحبشة .
عروة بن أبي أُنَائَة - ويقال ابن أُنَائَة بإسقاط أُنَ - ابن عبد العزى القرشي العدوي .
عمار بن ياسر بن عامر العنسي - بالنون - أبو اليقظان . اختلف في هجرته إلى الحبشة قال السهيلي : والأصح عند أهل السير كابن عُتْبَة والواقدي وغيرهما أنه لم يكن فيهم .
عمرو بن رثاب بن حذيفة السهمي .
عمرو بن أمية بن الحارث الأسدي . مات بأرض الحبشة .
عمرو بن جهّم بن قيس العبدي .
عمرو بن الحارث بن زهير الفهري .
عمرو بن سعيد بن العاصي القرشي الأموي .
عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد التيمي عم طلحة .
عمرو بن أبي سَرَح - بسين فراء ساكنة فحاء مهملات - ابن ربيعة الفهري .

(١) غير ط : عثمان بن مسعود . وهو تحريف . وانظر أنساب الأشراف ٢٠٤/١ .

عَمِير بن رِثَاب - براء مكسورة فمثناة تحتية مهموزة - فموحدة - ابن حُذَيْفَة القرشي السهمي .

عِيَّاش - بالمثلثة التحتية والشين المعجمة - ابن أبي ربيعة واسمه عمرو بن المغيرة القرشي الخزوي .

عِيَّاض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة القرشي الفهري .

الفاء

فِرَاس - بالسین المهملة - ابن النضر بن الحارث العبدي .

القاف

قُدَّامة بن مَظْعُون بن حبيب القرشي الجمحي .

قيس بن حذافة بن قيس القرشي السهمي .

قيس بن عبد الله الأسدي .

الميم

مالك بن زَمْعَة بن قيس العامري أخو أم المؤمنين سَوْدَة .

محمد بن حاطب بن الحارث القرشي الجمحي .

مَخْمِيَّة - بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الميم الثانية بعدها مثناة تحتية مفتوحة -

ابن جَزء - بفتح الجيم وسكون الزاي ثم همزة - ابن عبد يغوث الزبيدي - بضم الزاي وبالذال المهملة .

مُضْعَب بن عمير بن هاشم العبدي ، ويقال إنه أول من هاجر إليها .

المَطْلَب بن أزهر بن عبد عوف القرشي الزهري .

مُعَبَّد بن الحارث بن قيس القرشي السهمي ، ويقال اسمه مَعْمَر .

مُعْتَب بن عوف ، يعرف بابن الحمراء الخزاعي .

مَعْمَر بن الحارث . تقدّم في معبد .

مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلَة ، ويقال ابن عبد الله ، بن نافع بن نَضْلَة العدوى .
مُعَيْتَقِب - بيم مضمومة فعين مهملة مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فقفاف مكسورة فمثناة
تحتية فموحدة - ابن فاطمة الدَّوسِي - بفتح الدال المهملة وسكون الواو .
المِقْدَاد بن الأسود الكِنْدِي ، تَبْنَاهُ الأسود بن عبد يَغُوث الزهري وهو حليف له
تنسب إليه وهو المِقْدَاد بن عمرو بن ثعلبة ابن مالك البَهْرَانِي - بفتح الموحدة وسكون الهاء
وقَبْل ياء النسب نون .

النون

نُبَيْه بن عثمان بن ربيعة القرشي الجمحي .
النعمان بن عدى بن نَضْلَة العدوى .

الهاء

هاشم بن أبي حذيفة بن المغيرة القرشي المخزومي ، ويقال اسمه هشام .
هَبَّار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال القرشي المخزومي .
هشام بن عُتْبَة . تقدم في هاشم .
هشام بن العاصي بن وائل بن هاشم أخو عمرو .

الياء

يزيد بن زَمْعَة بن الأسود القرشي الأسدي .
يسار أبو فُكَيْهَة أحد المعذبين في الله .

الكَتَنِي

أبو الروم - بالراء - بن عمير بن هاشم العبدي أخو مصعب .
أبو سَبْرَة بن أبي رُهم بن عبد العُزَّى القرشي العامري .
أبو سَلَمَة بن عبد الأسد هو عبد الله .

أَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ هُوَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو فُكَيْهَةَ - بضم الفاء وفتح الكاف - هُوَ يَسَارُ .

أَبُو قَيْسِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيِّ السَّهْمِيِّ

النساء

أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ - بعين مهملة مضمومة فميم مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فسين مهملة ابن مَعْدٍ - بيم مفتوحة فعين مهملة ساكنة وزن سَعْدٍ ، ابن الحارث الخثعمية .
أَمِينَةُ : تَأْتِي فِي هَمِينَةٍ .

بَرَكَةُ بِنْتُ يَسَارٍ مَوْلَاةُ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ .

حُرَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْأَسْوَدِ^(١) الْخَزَاعِيَّةُ . مَاتَتْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَيُقَالُ فِي اسْمِهَا حَرْمَلَةٌ بِغَيْرِ يَاءٍ .

حَسَنَةُ بِلَفْظِ ضِدِّ السَّيْثَةِ أُمُّ شُرْحُبِيلٍ .

خُزَيْمَةُ بِنْتُ جَهْمِ بْنِ قَيْسِ الْعَبْدَرِيِّ .

رُقِيَّةٌ - بضم الراء وفتح القاف وتشديد المثناة التحتية بنت سيد الخلائق . وذكر ابن قدامة أَنَّ نَفَرًا مِنَ الْحَبَشِ كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا فَتَأَذَّتْ مِنْ ذَلِكَ فَدَعَتْ عَلَيْهِمْ فَهَلَكُوا جَمِيعًا .

رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي عَوْفٍ الْقُرَشِيَّةُ السَّهْمِيَّةُ .

رَيْطَةُ - بفتح الراء وسكون المثناة التحتية بنت الحارث بن جبلة القرشية التميمية ويقال في اسمها رايطة .

سَهْلَةُ بِنْتُ سَهِيلِ بْنِ عَمْرِو الْقُرَشِيَّةِ الْعَامِرِيَّةِ .

سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسِ الْقُرَشِيَّةِ الْعَامِرِيَّةِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ .

عُمَيْرَةُ وَيُقَالُ عَمْرَةُ بِنْتُ أَسْعَدِ^(٢) بْنِ وَقْدَانَ - بفتح الواو وسكون القاف القرشية العامرية .

(١) ت ، م : بنت عبد الأسد .

(٢) كذا بالأصل وفي أنساب الأشراف ٢١٩/١ : عميرة بنت السعدى بن وقدان .

فاطمة بنت صفوان بن أمية .

فاطمة بنت علقمة بن عبد الله القرشية العامرية .

فاطمة بنت المُجَلَّل بضم الميم وفتح الجيم واللام المشددة ابن عبد الله القرشية العامرية .
فُكَيْهَة بنت يسار السابق .

ليلي بنت أبي خَيْثَمَة^(١) بن غانم العدوية .

هُمَيْنَة بنت خلف بن أسعد الخزاعية ويقال في اسمها أُمَيْنَة .

هند بنت أبي أمية واسمه حذيفة ، وقيل سهل بن المغيرة - القرشية المخزومية ، أم المؤمنين أم سلمة .

أم حَرَمَلَة بنت عبد الأسود بن خزيمه الخزاعية .

أم كلثوم بنت سُهَيْل بن عمرو القرشية العامرية .

من ولد بأرض الحبشة

عبد الله وعون ومحمد أولاد جعفر بن أبي طالب من أسماء بنت عُمَيْس .

سعيد وأمة - بفتح الهمزة والميم بغير إضافة - ابنا خالد بن سعيد من أمية بنت خلف .

عبد الله بن المطلب من رَمْلَة بنت أبي عوف .

محمد بن أبي حذيفة من سهلة بن سهيل .

محمد والحارث ابنا حاطب من فاطمة بنت المُجَلَّل .

روى الإمام أحمد والطبراني برجال الصحيح عن محمد بن حاطب قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « إني قد رأيت أرضاً ذات نخل فاخرجوا . قال : فخرج حاطب وجعفر

في البحر قِبَل النجاشي . قال : فولدتُ أنا في البحر في تلك السفينة^(٢) » .

موسى وعائشة وزينب أولاد الحارث بن خالد من رَيْطَة .

(١) أنساب الأشراف ٢١٧/١ : ليلي بنت أبي حنمة .

(٢) مستند أحمد ٢٥٨/٤ .

الباب العشرون

في إرادة أبي بكر رضى الله عنه الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة

قالت عائشة رضى الله عنها : لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهار بُكْرَةً وعشيّةً ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ بَرَك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيّد القارة ، فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجني قومي فأريد^(١) أن أسيع في الأرض فأعبد ربى عز وجل - فقال ابن الدغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يُخرج [ولا يُخرج]^(٢) إنك تَكْسِب المَعدومَ وتصل الرحم وتحمل الكلّ وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ، فأنا لك جارٌّ فارجع واعبد ربك ببلدك . وكان مع أبي بكر الحارث بن خالد ، فقال أبو بكر : فإن معى رجلاً من عشيرتى . فقال له ابن الدغنة : دعه فليخص لوجهه وارجع أنت إلى عيالك . فقال له أبو بكر : فأين حق المرافقة ؟ فقال الحارث : أنت في حلٍّ فامض فإنى ماض لوجهى مع أصحابى . فمضى حتى صار إلى الحبشة .

فرجع أبو بكر وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في أشراف كفار قريش فقال : إن أبا بكر لا يُخرج مثله أتخرجون رجلاً يَكْسِب المَعدومَ ويصل الرحم ويحمل الكلّ ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق ؟ ! فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة . وفي رواية : فَأَنْفَذَتْ قريش جوار ابن الدغنة وآمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة : مُرْ أبا بكر فليعبد ربّه في داره وليُصلّ فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإننا نخشى أن يفتن نساءنا وأبنائنا . فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر .

فلبث أبو بكر كذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره فكان يصلّ فيه فيتنقّص عليه نساء المشركين

(١) ط : فأنا أريد .

(٢) من صحيح البخارى .

وأبناءهم يَعُجِبُونَ منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بَكَّاءَ لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين وأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا : إنا كنا أَجْرْنَا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة ، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فأنته فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل ، وإن أبي إلا أن يعلن بذلك فسئل أن يرد عليك ذمتك فلما قد كرهنا أن نُخْفِرَكَ ولسنا مقررين لأبي بكر الاستعلان .

فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال : قد علمت الذي عاقدت لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلى ذمتي فإنني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له . فقال أبو بكر : فإنني أردُ إليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى .

والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين : إني أريت دارَ هجرتكم بسبْخَةٍ^(١) ذات نخل بين لابتين ، وهما الحَرَّتَانِ ، فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : على رسلك فإنني أرجو أن يؤذَنَ لي . فقال أبو بكر : هل ترجو ذلك ؟ قال : نعم .

وسياق بقية الحديث في باب الهجرة إلى المدينة .
رواه البخاري والبلاذري وغيرهما^(٢)

وروى ابن إسحاق عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال : : لقيه - يعني أبا بكر الصديق - حين خرج من جوار ابن الدغنة سفيه من سفهاء قريش وهو عامدٌ إلى الكعبة فحشا على رأسه تراباً فمرَّ بأبي بكر الوليد بن المغيرة أو العاصي بن وائل فقال له أبو بكر : ألا ترى ما يصنع هذا السفيه ؟ فقال : أنت صنعتَ هذا بنفسك . قال وهو يقول : أي ربُّ ما أحلَمَك ، أي رب ما أحلَمَك ، أي رب ما أحلَمَك ! ثلاثاً^(٣) .

(١) ت ، م : « سبْخَة »

(٢) صحيح البخاري كتاب الصلاة ، وكتاب المناقب ، وكتاب الكفالة ، وأنساب الأشراف ٢٠٥/١ .

(٣) سيرة ابن هشام ٣٧٣/١ ، ٣٧٤ .

تنبيه

في بيان غريب ما سبق

الدين : بالنصب على نزع الخافض أى يدينان بدين الإسلام ، أو هو مفعول به على التجوز .

ابتلى المسلمون : أى بأذى المشركين لما حَصَرُوا بنى هاشم والمطلب في شغب أبي طالب وأذن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة .

بَرَكَ - بباء موحدة مفتوحة وتكسر فراء ساكنة فكاف . الغماد بغين معجمة مكسورة وقد تضم فميم مخففة فألف فдал مهملة : موضع على خمس ليال من مكة .

ابن الدُّغْنَةُ - بدال مهملة فغين مضمومتين فنون مشددة عند أهل اللغة ، وعند أهل الرواية : بفتح أوله وكسر ثانيه وتخفيف النون . وثبت بالتخفيف والتشديد عند بعض رواة الصحيح وهي أمه وقيل أم أبيه ومعنى الدُّغْنَةُ : المسترخية ، وأصلها الغمامة الكثيرة المطر . واختلف في اسمه فقال الزهرى ، كما رواه البلاذرى : الحارث بن يزيد . وحكى السُّهيلي أن اسمه مالك .

القارّة - بالقاف وتخفيف الراء ، وهي قبيلة مشهورة من بنى الهون - بالضم والتخفيف - ابن خزيمة بن مُدْرَكَة ابن الياس بن مضر ، ويضرب بهم المثل في قوة الرمي . قال الشاعر
* قد أنصفَ القارّة من رامّاها ^(١) *

أسيح - بسين وحاء مهملتين بينهما مثناة تحتية : أسير .
لا يُخْرَج مثله . بفتح أوله أى من وطنه باختياره على نية الإقامة في غيره مع ما فيه من النفع المتعدى لأهل بلده ولا يُخْرَج بضم أوله أى ولا يخرجّه أحد بغير اختياره للمعنى المذكور .

(١) قال أبو ذر : هو بيت رجز وقبله : إنا إذا ما فئة نلقاها نرد أولاهنا على أعراسها . وكانت القارّة رماة لا يقوم لهم أحد ، فجاء قوم من رماة الفرس فعارضوهم في الرمي فقال الناس : قد أنصف القارّة من رامّاها . فجرى مثلاً . شرح السيرة ص ٧٩ .

فلم تكذب قريش : أى لم تردّ عليه قوله فى أمان أبى بكر ، وكل من كذّبك فقد ردّ عليك قولك ، فأطلق التكذيب وأراد لازمه .

بجوار - بكسر الجيم وضمها وآخره راء .

الفناء - بكسر الفاء وتخفيف النون : سعة أمام البيت وقيل ما امتدّ من جوانبه .

بدا - ظهر له رأى غير الأول .

يتقصّف : بمثناة تحتية فمثناة فوقية فقاف فصاد مهملة مشددة مفتوحتين : يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد ينكسر ، وأطلق يتقصّف مبالغة .

بكاء : بالتشديد : كثير البكاء .

ذمتك : أمانك .

نخفرك - بضم أوله وبالحاء المعجمة وبالفاء .

مقرّين لأبى بكر الاستعلان : أى لا نسكت عن الإنكار عليه للمعنى الذى ذكره .

بجوار الله : أى أمانه وحمايته .

قبّل المدينة - بكسر القاف وفتح الموحدة أى جهة المدينة .

على رسلك : بكسر الراء : أى على مهلك ، والرّسل السير الرفيق .

ودل قول أبى بكر رضى الله عنه : ما أحلّمك على جواز قول : ما أعظم الله . وقد

بسطت الكلام على ذلك فى كتاب «رياض الأبرار فى الدعوات والأذكار» والله أعلم .

الباب الحادى والعشرون

فى نقض الصحيفة الظالمة

قال ابن إسحاق : ثم إنه قام فى نقض الصحيفة التى تكاتبت فيها قريش على بنى هاشم وبنى المطلب جماعةً من قريش ، ولم يُبَلَّ فيها بلاءٌ أحسن من بلاء هاشم بن عمرو بن الحارث رضى الله عنه . وذلك أنه كان ابن أخى نُضْلَةَ ابن هاشم بن عبد مناف لأُمِّه ، فكان هاشم لبنى هاشم واصلاً ، وكان ذا شرف فى قومه فكان يأتى ليلاً بالبعير قد أَوْقَرَه طعاماً بالليل وبنى هاشم وبنى المطلب بالشَّعْبِ حتى إذا أَقْبَلَه قَمَ الشَّعْبِ قَلَعَ خِطَامَه من رأسه ثم ضرب على جَنْبِه فيدخل عليهم الشعب ، ويأتى بالبعير قد أَوْقَرَه بُرّاً فيفعل مثل ذلك .

قال ابن سعد : وكان أَوْصَلَ قريش لبنى هاشم حين حُصِرُوا فى الشعب ، أدخل عليهم فى ليلة ثلاثة أحمال طعاماً ، فعلمت بذلك قريش فمشوا إليه حين أصبح فكلَّمُوهُ فى ذلك فقال : إني غيرُ عائد لشيء خالفكم . فانصرفوا عنه . ثم عاد الثانيةً فأدخل عليهم ليلاً جِمَلاً أو جَمَلين فغالظته قريش وهمت به . فقال أبو سفيان بن حرب : دَعُوهُ ، رجلٌ وَصَلَ أَهْلَ رَحِمِهِ ، أما إني أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أحسن بنا .

ثم إن هشاماً مشى إلى زهير بن أبى أمية رضى الله عنه ، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال له : يا زهير أَرْضَيْتَ أَنْ تَأْكُلَ الطَّعَامَ وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت لا يُبَايَعُونَ ولا يُبْتَنَى مِنْهُمْ ، ولا يَنْكَحُونَ ولا يُنْكَحُ إِلَيْهِمْ ؟ أما إني أحلف بالله أَنْ لو كانوا أخوالَ أبى الحَكَمِ بن هشام ثم دعوتَه إلى مثل ما دعاكَ إليه منهم ما أَجَابَكَ إِلَيْهِ . فقال : ويحك يا هشام فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد والله لو كان معى رجل آخر لَقَمْتُ فى نَقْضِهَا . قال : قد وجدت رجلاً . قال : من هو ؟ قال : أنا : فقال له زهير : ابْغِنا رجلاً ثالثاً .

فذهب إلى المَطْعِمِ بن عدى فقال له : يا مطعم أَرْضَيْتَ أَنْ يَهْلِكَ بَطْنَانِ من بنى عبد مناف وَأَنْتَ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ موافق لقريش فيه ؟ أما والله لئن مكنتهموهم من هذه لتجدنهم

إليها منكم سِرَاعاً . فقال : ويحك فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد . قال : قد وجدت ثانياً .
قال : من هو ؟ قال : أنا . قال : ابغنا ثالثاً . قال : قد فعلتُ . قال : من هو ؟ قال زهير
ابن أبي أمية . قال : ابغنا رابعاً .

فذهب إلى أبي البَخْتَرِيِّ بن هشام فقال له نحواً مما قال للمطعم بن عدى فقال : وهل
أحدٌ يعين على هذا الأمر ؟ قال : نعم . قال : من هو ؟ قال : زهير ابن أمية والمطعم بن
عدى وأنا معك . قال : ابغنا خامساً .

فذهب إلى زَمْعَةَ بن الأسود فكلّمه وذكر له قرابتهم وحقهم فقال : وهل على هذا الأمر
الذي تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم . وسمي له القوم .
وعند الزبير ابن أبي بكر : أن سهيل بن بَيْضَاء الفهري هو الذي مشى إليهم في ذلك
ويؤيده قولُ أبي طالب في قصيدته الآتية :

* هُمُ رَجَعُوا سَهْلَ بن بِيضَاء رَاضِياً^(١) *

وزاد ابن سعد في الجماعة : عدى بن قيس . وأسلم منهم هشام وزهير وسهيل وعدى
ابن قيس .

فَاتَعَدُّوا خَطْمَ الْحَجُونِ لَيْلاً بَأَعْلَى مَكَّةَ ، فَاجْتَمَعُوا هُنَالِكَ ، فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَتَعَاهَدُوا
عَلَى الْقِيَامِ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ حَتَّى يَنْقُضُوهَا ، وَقَالَ زَهِيرُ : أَنَا أَبَدُوكُمْ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ
يَنْكَلِمُ .

فلما أصبحوا غدّوا إلى أُنْدِيتِهِمْ وَغَدَا زَهِيرُ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ فَطَافَ بِالْبَيْتِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى
النَّاسِ فَقَالَ : يَا أَهْلَ مَكَّةَ أَنَا كُلُّ الطَّعَامِ وَنَلْبِسُ الثِّيَابَ وَبَنُو هَاشِمٍ هَلَكُوا لَا يُبَاعُونَ
وَلَا يَبْتَاعُ مِنْهُمْ ؟ وَاللَّهِ لَا أَقْعَدُ حَتَّى تُشَقَّ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ الْقَاطِعَةُ الظَّالِمَةَ .

فقال أبو جهل ، وكان في ناحية المسجد : كذبت والله لا تُشَقَّ .

قال زَمْعَةُ بن الأسود : أَنْتَ وَاللَّهِ أَكْذَبُ مَا رَضِينَا كِتَابَتَهَا حِينَ كُتِبَتْ .

قال أبو البَخْتَرِيُّ : صَدَقَ زَمْعَةُ لَا نَرْضَى مَا كُتِبَ فِيهَا وَلَا نُقَرِّبُهُ .

(١) عجزه كما سيأتى : وسر أبو بكر بها ومحمد .

قال المطعم : صدقتمَا وكذَّب من قال غير ذلك نبراً إلى الله منها ومما كتب فيها .
وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك .

فقال أبو جهل : هذا أمرٌ قُضِيَ بلبيل تُشوور فيه في غير هذا المكان .
وأبو طالب جالس في ناحية المسجد .

وقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأَرَضَةَ قد أَكَلَتْهَا إِلَّا : « باسمك اللهم » كما تقدم .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : إنهم مكثوا مَحْصُورِينَ في الشَّعْب ثلاث سنين .
رواه أبو نعيم .

وقال محمد بن عمر الأسلمى : سألت محمد بن صالح وعبد الرحمن بن عبد العزيز :
متى خرج بنو هاشم من الشعب ؟ قالوا : في سنة عَشْرٍ بَعْنَى من المبعث قبل الهجرة بثلاث
سنين .

وقال صاعد في الفُصُوص : إنه صلى الله عليه وسلم خرج من الشعب وله تسع وأربعون
سنة قال ابن إسحاق : فلما مَزَّقَت الصحيفة وبطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر
أولئك النفر الذين قاموا في نقضها يمدحهم :

ألا هل أتى بَحْرِينَا صنعُ ربنا	على نَأْيِهِم والله بالناس أَرَوْدُ
فيخبرهم أن الصحيفة مُزَّقَت	وَأَنْ كل مالم يَرُضْهُ الله مُفْسَدُ
تراوحها إِفْكٌ وسِخْرٌ مجمَّع	ولم يُلَفَّ سحرٌ آخر الدهر يَصْعَدُ
فمن ينس من حُصَّار مكة عِزَّة	فَعِزَّتْنَا في بطن مسكة أَتَسْلَدُ
نشأنا بها والناس فيها قلائل	فلم ننفكك نزداد خيراً ونُحْمَدُ
ونُطْعِم حتى يترك الناس فضلهم	إذا جعلت أيدي المفيضين تُرْعَدُ
جزى الله رَهْطًا بالحجَّون تنابَعُوا	على ملائ يهدى لحِزْمٍ ويرشَدُ
فعودٌ لدى خُطَمِ الحجَّون كأنهم	مَقَاوِلَةٌ بل هم أعزُّ وأَمَجَدُ
أعان عليها كلُّ صقر كأنه	إذا ما مشى في رَفْرِفِ الدُّرْعِ أَخْرَدُ

جَرَى عَلَى جُلَى الْخُطُوبِ كَأَنَّهُ
 مِنَ الْأَكْرَمِينَ مِنْ لَوْى. بِنِ غَالِبٍ
 أَلْظَّ بِهَذَا الصَّلَحِ كُلِّ مُسْبِرًا
 قَضَوْا مَا قَضَوْا فِي لَيْلِهِمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا
 هُمْ رَجَعُوا سَهْلَ بِنِ بِيضَاءِ رَاضِيَا
 مَتَى شَرَكِ الْأَقْوَامُ فِي جُلٍّ أَمَرْنَا
 وَكُنَّا قَدِيمَا لَا نُقَرُّ ظِلَامَةً
 فَيَا الْقُصَى هَلْ لَكُمْ فِي نَفُوسِكُمْ
 فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ قَائِلٌ

شِهَابٌ بِكَفَى قَابِسٌ يَتَوَقَّسُ
 إِذَا سَيِّمَ خَسْفًا وَجْهَهُ يَتَرَبَّدُ
 عَظِيمِ اللَّوَاءِ أَمْرُهُ ثُمَّ يُحْمَدُ
 عَلَى مَهْلٍ وَسَائِرِ النَّاسِ رُقْدُ
 وَسُرُّ أَبُو بَكْرٍ بِهَا وَمُحَمَّدُ
 وَكُنَّا قَدِيمَا قَبْلَهَا نَتَّسِدُ
 وَنَدْرِكُ مَا شِئْنَا وَلَا نَتَشَدُّ
 وَهَلْ لَكُمْ فِيمَا يَجِيءُ بِهِ غَدُ
 لَدَيْكَ بَيَانٌ لَوْ تَكَلَّمْتَ أَسْوَدُ^(١)

[تفسير الغريب]

البحري : هنا يراد به من كان هاجر من المسلمين إلى الحبشة في البحر .

نأبهم : بعدهم . أَرَوْد : أرفق .

يُراوِحها^(١) بمشاة تحتية فراء فألف فواو فحاء مهملة أى تعتمد على الإفك مرة وعلى
 السَّخَرِ المجمع أخرى .

يُلَفَّ : بالفاء : يوجَد .

فمن ينس : أراد ينسى فحذف الألف .

أَتَلَد : أَقَدَم .

الخير : الكرم .

المُفِيضُونَ : ميم مضمومة ففاء مكسورة فمشاة تحتية فضاد معجمة : المراد بهم هاهنا :
 الضاربون بِقِدَاحِ المِيسَرِ ، وكان لا يفيض معهم في الميسر إلا سَخَى .

الْحَجُّونَ : بحاء مهملة مفتوحة فجيم مضمومة : موضع بأعلى مكة .

(١) الروض الأنف ١/٢٣٣ (ط الجمالية) .

(٢) كذا ، والذي سبق في الأبيات : تراوِحها . بالتاء .

خَطَمُ الحَجَّون : قال فى الصَّحاح الخُطْمَةُ بالضم^(١) : رَغْنُ الجبل أى أنفه المتقدِّم .
وقال فى موضع آخر : أنف كل شىء أوله وأنف الجبل بارز يشخص منه .
الرَّهْط : بسكون الهاء وتحريكها دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة أو منها
إلى الأربعين .

الملأ : جماعة الناس وأشرفهم .

المَقَاوِلَة : الملوك .

رَفَرَفَ الدرع : ما فضل من درعها .

أَحْرَدَ : بالحاء والذال المهملتين : بطيء المشى لثقل الدرع التى عليه .

جُلَّ الخطوب : معظمها ويروى جُلَّى وهى الأمر العظيم .

قابِس : مُوقِد .

سِيم : بكسر أوله كلَّف .

الخُسْف : بالحاء المعجمة والسين المهملة : الذل .

يَتَرَبَّدُ : بالراء والباء الموحدة : يتغير إلى السواد .

أَلْظَّ : لزِم وَلَحَّ .

أسود : قال الخشنى اسم رجل وأراد يا أسود ؛ وهو مثل يُضْرَب للقادر على الشىء
ولا يفعله . وقال السهيلي : هو هنا اسم جبل كان قُتِل عنده قتيل لم يُعرَف قاتله ، فقال
أولياء المقتول هذه المقالة ، يعنون بها أن هذا الجبل لو تكلم لأبان عن القاتل ويعرف
الجاني ، ولكنه لا يتكلم فذهبت مقالاتهم مثلاً^(٢) .

(١) الصحاح : الخطمة : بالضم .

(٢) الروض الأنف ١/٢٣٤ .

الباب الثاني والعشرون

في إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه

روى ابن سعد عن أبي عون الدوسي ، والبيهقي عن ابن إسحاق ، وابن جرير وأبو الفرج الأُموي عن العباس بن هشام ، عن أبيه أن الطفيل بن عمرو حدث أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً فقالوا له : يا طفيل إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أغضل بنا وفرق جماعتنا وشتت أمرنا ، وإنما قوله كالسحر يفرق بين المرء وأبيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته ، وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه .

قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه وحتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله .

فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة فقممت قريباً منه ، فأبى الله تعالى إلا أن يسمعني بعض قوله ، فسمعت كلاماً حسناً فقلت في نفسي : إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح ، فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلت وإن كان قبيحاً تركت ؟

فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبعته فقلت : إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا ، وإني شاعر فاسمع ما أقول .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات . فأنشدته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أقول فاسمع . ثم قرأ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد » إلى آخرها و « قل أعوذ برب الفلق » إلى آخرها و « قل أعوذ برب الناس » إلى آخرها وعرض على الإسلام فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعذل منه

فَأَسْلَمْتُ وَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أَمْرُهُ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي ، وَإِنِّي رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ فِدَاعِيهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ
فَادَعِ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً تَكُونُ لِي عَوْنًا عَلَيْهِمْ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ ^(١) اجْعَلْ لَهُ آيَةً .

فَخَرَجْتُ إِلَى قَوْمِي فِي لَيْلَةِ مَطِيرَةٍ ظَلَمَاءٍ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِثَنِيَّةٍ تُطَامِنُ عَلَى الْحَاضِرِ وَقَعَ
نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ مِثْلَ الْمَصْبَاحِ . فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ فِي غَيْرِ وَجْهِ إِنْ أَخَشَى أَنْ يَظُنُّوا أَنَّهَا مُثَلَّةٌ
وَقَعَتْ فِي وَجْهِ فَتَحَوَّلَ فَوْقَ رَأْسِ سَوَاطِي كَالْقَنْدِيلِ الْمَلْقُوقِ ، وَأَنَا أَهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْ
الْثَنِيَّةِ حَتَّى جَنَّتْهُمْ فَلَمَّا نَزَلْتُ أَتَانِي أَبِي فَقُلْتُ : إِلَيْكَ عَنِّي يَا أَبَتَ فَلَسْتَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْكَ .
فَقَالَ : لِمَ يَا بَنِي ؟ فَقُلْتُ : قَدْ أَسْلَمْتُ وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ . قَالَ : أَيُّ بَنِي فِدِينِي دِينُكَ .
فَقُلْتُ : فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثِيَابَكَ فَفَعَلَ ثُمَّ جَاءَ ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ . ثُمَّ أَتَنِي
صَاحِبَتِي فَقُلْتُ : إِلَيْكَ عَنِّي فَلَسْتَ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي . قَالَتْ : وَلِمَ يَا ابْنِي أَنْتَ وَأُمِّي ؟ قُلْتُ :
فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ الْإِسْلَامُ وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ ^(٢) قَالَتْ : فِدِينِي دِينُكَ . فَقُلْتُ : أَذْهَبِي
فَتُظَاهَرِي فَفَعَلْتُ فَعَرَضْتُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَتْ وَلَمْ تُسَلِّمْ أُمِّي . ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا فَأَبْطَأُوا
عَلَيَّ ثُمَّ جَنَّتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّهُ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى دَوْسِ الزُّنَا
فَادَعِ اللَّهَ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَانْتِ بِهِمْ . ارجع إلى قومك وارفق بهم .

فَرَجَعْتُ فَلَمْ أَزَلْ بِأَرْضِ قَوْمِي أَدْعُوهُمْ حَتَّى هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ ،
وَمَضَى بَذَرٌ وَأَحَدٌ وَالْخَنْدَقُ فَقَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْ أَسْلَمَ وَرَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ ، حَتَّى نَزَلْتُ الْمَدِينَةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتًا مِنْ دَوْسٍ ، ثُمَّ لَحَقْنَا
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ فَأَسْنَهُمْ لَنَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ .

وَقَالَ الطُّفَيْلُ لَمَّا أَسْلَمَ :

أَلَا بَلَغَ لَدَيْكَ بَنِي لَسْوَى	عَلَى الثَّنَانِ وَالْغَضَبِ الْمُرْدَى
بِأَنَّ اللَّهَ رَبَّ النَّاسِ فَسَرُدُ	تَعَالَى جَدُّهُ عَنْ كَسَلِ نَسْدُ
وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ رَسُولُ	دَلِيلُ هُدًى وَمُوضِحُ كُلِّ رُشْدُ
رَأَيْتَ لَهُ دَلَائِلَ أَنْبَاءَتِي	بِأَنَّ سَبِيلَهُ يَهْدِي لِقَصْدُ

(١) ط : إليهم .

(٢) ت : تابعت محمداً .

وَأَنَّ اللَّهَ جَلُّهُ بِهِاءٌ وَأَعْلَى جَدُّهُ فِي كُلِّ جَدٍّ
 وَقَالَتْ لِي قَرِيشٌ عَدُوٌّ عَنْهُ فَإِنْ^(١) مَقَالَهُ كَالْفَرِّ يُغِيدِي
 فَلَمَّا أَنْ أَمَلْتُ إِلَيْهِ سَمِعِي سَمِعْتُ مَقَالَهُ كَمَشُورٍ شَهْدِي
 وَأَلْهَمَنِي هَدَايَا اللَّهِ عَنْهُ وَيَدَّلُ طَالَعِي نَحْسِي بِسَعْدِي
 فَفُزْتُ بِمَا حَبَّاهُ اللَّهُ قَلْبِي وَفَازَ مُحَمَّدٌ بِصَفَاءِ وَدِّي^(٢)

[تفسير الغريب]

أَعْضَلَ بِنَا : أَى اَشْتَدَّ أَمْرُهُ ، يُقَالُ أَعْضَلَ الْأَمْرُ إِذَا اَشْتَدَّ وَلَمْ يَوْجَدْ لَهُ وَجْهٌ وَمِنْهُ
 الدَّاءُ الْمُفْضِلُ .

الْكُرْسَفُ : بَضْمُ الْكَافِ وَإِسْكَانُ الرَّاءِ وَضَمُّ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ فَفَاءٌ وَهُوَ الْقَطَنُ .

الْثَنِيَّةُ : الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ .

الْحَاضِرُ : الْقَوْمُ النَّازِلُونَ عَلَى الْمَاءِ .

أَبْطَأُوا : بِهَمْزَةٍ مَضْمُومَةٍ آخِرُهُ أَى تَأَخَّرُوا .

(١) ت ، م : كَانَ .

(٢) قِصَّةُ إِسْلَامِ الطِّفْلِ فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ٢٨٢/١ . وَسِيرَةُ ابْنِ كَثِيرٍ ٧٢/٢ وَالْخِصَالُ الْكُبْرَى ٣٣٦/١ .

الباب الثالث والعشرون

في قصتي الإراشي والزبيدي اللذين ابتاع أبو جهل إبلهما

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي وكان واعية ، قال : قدِم رجل من إراش بإبل له فابتاعها منه أبو جهل بن هشام ، فمطله بأثمانها ، فأقبل حتى وقف على نادى قريش ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد ، فقال : يا معشر قريش مَنْ رجلٌ يعينني على أبي الحكم بن هشام ؟ فإني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقِّي . فقال له أهلُ ذلك المجلس : أترى ذلك الرجلَ - لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم - يَهْزَأُون به لِمَا يَعْلَمُونَ بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة ، اذهب إليه فهو يُعينك عليه .

فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك ، فقام معه فلما قام معه قالوا للرجل ممن معهم : اتبعه فانظر ماذا يصنع . وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابَه فقال : من هذا ؟ قال محمد . فاخرج إلى . فخرج إليه وما في وجهه من رائحة لقد انتقع لَوْنُهُ ، فقال : أعط هذا حقَّه . قال : نعم لا تبرح حتى أعطيته الذي له . فدخل ثم خرج إليه بحقه فدفعه إليه .

فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيراً فقد والله أخذ لي بحقي .

وجاء الرجلُ الذي بعثوا معه فقالوا : ويحك ماذا رأيت ؟ قال : رأيت عجباً من العجب ! والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابَه فخرج إليه وما معه روحه فقال : أعط هذا حقَّه . قال : نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقَّه فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه .

ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا : ويلك مالك ؟ والله ما رأينا مثل ما صنعتَه قط . قال : ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب على بابي فسمعتُ صوته فملت رعباً ثم خرجت إليه

وإنَّ فوق رأسه لفحلاً من الإبل مارأيتُ مثل هامته ولاقصرته ولاأنياه لفحل قط،
والله لوأبئتُ لأكلني^(١) .

[تفسير الغريب]

الإراشي هذا : اسمه كهلة الأصغر بن عصام بن كهلة الأكبر ينسب إلى جد له اسمه
إراشة .

قال الرشاطي : رأيتُه بخط عبد الغني بن سعيد بفتح الهمزة ، وضبطه ابن الأثير
بكسرها في جامعه .

من رائحة أي بقية روح قال السهيلي : فكأن معناه روح باقية .

انتقع لونه مبني للمفعول أي تغير لونه .

هامته : بتخفيف الميم : الرأس . قصرته أصل عنقه .

* * *

وروى محمد بن عمر الأسلمي عن يزيد بن رومان ، وأبو نعيم عن أبي يزيد المدني ،
وأبي فرعة الباهلي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في المسجد معه رجال من
أصحابه إذ أقبل رجلٌ من زبيد يقول : يامعشر قريش كيف تدخل عليكم المادة
أو يُجلب إليكم جلبٌ أو يحلّ تاجر بساحتكم وأنتم تظلمون من دخل عليكم في حرّمكم ؟
يقف على الحلق حلقه حلقه ، حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه .
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن ظلمك ؟ فذكر أنه قد قديم بثلاثة أجمال
كانت خير إبله فسامه أبو جهل ثلث أثمانها ، ثم لم يسّمه بها لأجل أبي جهل أحدٌ شيئا
ثم قال : فأكسّد على سلعتي وظلمني .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأين جمالك ؟ قال هي هذه بالخزوة . فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام أصحابه فنظر إلى الجمال فرأى جمالا فرها فساوم
الزبيدي حتى ألحقه برضاه ، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جميلين منها بالثمن

(١) سيرة ابن هشام ٣٨٩/١ .

وأفضل بغيره باعه وأعطى أراملاً بنى عبد المطلب ثمنه ، وأبو جهل جالس فى ناحية السوق لا يتكلم ثم أقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا عمرو إياك أن تعود لمثل ما صنعت بهذا الأعرابي فترى منى ما تكره فجعل يقول : لا أعود يا محمد لا أعود يا محمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأقبل أمية بن خلف ومن حضر فقالوا : ذللت فى يدى محمد فإما أن تكون تريد أن تتبعه وإما رغب دخلك منه . فقال : لا أتبعه أبداً إن الذى رأيت منى لِمَا رأيت معه ، قد رأيت رجلاً عن يمينه وشماله معهم رماح يشرعونها إلى لو خالفته لكانت إياها . أى لأتوا على نفسى .

زُبَيْد : بزأى مضمومة فباء موحدة مفتوحة .

المادة : بتشديد الدال^(١) .

أو يحل : بضم الحاء أى ينزل .

خير إبله : بتشديد المثناة التحتية وتخفيفها أى أفضلها .

الحزورة : بحاء مهملة مفتوحة فزأى ساكنة فواو فراء مفتوحتين فتاء تأنيث وزن قسورة وتقدم الكلام على ذلك بأبسط مما هنا .

فرها يضم الفاء وإسكان الراء والفاره : الخاذق بالشئ . يشرعونها : أى يميلونها .

(١) المادة هنا : السلع والتجارات .

الباب الرابع والعشرون

في وفد النصارى الذين أسلموا

قال ابن إسحاق : ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه فتكلموه وساءلوه ، ورجال من قريش في أندية حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يُوصف لهم في كتابهم من أمره .

فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم : خبيكم الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم تترادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تظمن مجالسكم عنده حتى فارقت دينكم وصدقتموه بما قال ؟! ما نعلم ركباً أحق منكم . أو كما قالوا لهم .

فقالوا : سلام عليكم لانجأه لكم ، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفسنا خيراً .

ويقال إن النفر كانوا من أهل نجران . فالله أعلم أي ذلك كان .

فيقال : والله أعلم - إن فيهم نزلت هذه الآيات : «الذين آتيناهم الكتاب من قبله » أي القرآن . «هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم » القرآن «قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين » موحدين . «أولئك يؤتُونَ أَجْرَهُم مَرَّتَيْنِ » بإيمانهم بالكتابين «بما صبروا » بصبرهم على العمل بهما «ويَذَرُونَ » أي يدفعون «بالحسنِ السيئة » منهم «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ » يتصدقون «وإذا سمعوا اللغو » الشتم والأذى من الكفار «أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم » سلام متاركة أي سلمت منا من الشتم

وغيره « لا نَبْتَغِي الجاهِلين »^(١) لانصحبهم .

قال ابن إسحاق : وقد سألتُ ابن شهاب الزهري عن هؤلاء الآيات فيمن نزلن فقال لي : ما زلت أسمع من علمائنا أنهم نزلن في النجاشي وأصحابه . والآيات من سورة المائدة قول الله عز وجل : « وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ، ذَلِكَ » أى قرب مودتهم المؤمنين « بَأَنَّ » أى بسبب أن « منهم قسيسين » علماء « ورُهباناً » عبّاداً « وأنهم لا يَسْتَكْبِرُونَ » عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة « وإذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إلى الرّسولِ » من القرآن « تَرى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ »^(٢) الآيات .

[تفسير الغريب]

نَجْران : بفتح النون وإسكان الجيم : بلدة معروفة ، كانت منزلاً للنصارى ، وهى بين مكة واليمن على نحو سبع مراحل من مكة .
الأنديّة : جمع نادٍ وهو متحدث القوم .
يَرْتَادُونَ لهم : يطلبون لهم الأخبار .
الحقّ : بإسكان الميم وضمها : قلة العقل .
لم نَأُلْ أنفسنا خيراً : أى لم نقتصر بها عن بلوغ الخير ، يقال ما أَلَوْتُ ، أى ما فعلت كذا وكذا ، أى ما قصرت .

(١) سورة القصص ٥٢ - ٥٥

(٢) سورة المائدة : ٨٢ و ٨٣ .

الباب الخامس والعشرون

في سبب نزول أول سورة « عَبَسَ »

روى الترمذى وحسنه وابن المنذر وابن حبان عن عائشة وعبد الرزاق وعبد بن حميد ، وأبو يعلى عن أنس ، وابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس ، وسعيد بن منصور عن أبي مالك ، وابن سعد وابن المنذر عن الضحاک ، وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي رجلاً من أشراف قريش فدعاه إلى الإسلام وهو يرجو أن يُسلم . قال ابن إسحاق : وهو الوليد بن المغيرة . وقال أنس وأبو مالك : أمية بن خلف . وقالت عائشة ومجاهد : كان في مجلس فيه ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل بن هشام وعُتْبة بن ربيعة وأمّية بن خلف فيقول لهم : أليس حسناً ما جئتُ به ؟ فيقولون بلى والله . وفي رواية هل ترون بما أقول بأساً ؟ فيقولون : لا .

فجاء ابنُ أمّ مكتوم الأعمى وهو مشغول بهم فسأله ولم يدر أنه مشغول بذلك وجعل يستقرئه القرآن ويقول : يا رسول الله أرشدني علّمني مما علّمك الله . فشقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أضجّره . وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر أولئك النفر وما طمع فيه من إسلامهم ، فلما أكثر على رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن ابن أم مكتوم وتركه .

فعاتبه الله تعالى في ذلك فقال « عَبَسَ » النبيُّ صلى الله عليه وسلم كلّح وجهه : « وتولّى »
أعرض لأجل « أن جاءه الأعمى » عبد الله بن أم مكتوم .

قال السهيلي : وفي ذكره إياه بالأعمى من الحكمة والإشارة اللطيفة التنبيه على موضع العتب لأنه قال : « أن جاءه الأعمى » فذكر المجيء مع العمى ، وذلك كله يُنبئ عن تجشّم كلفة ومن تجشّم القصد إليك على ضعفه فحقك الإقبال عليه لا الإعراض عنه . وفائدة أخرى : وهي تعليق الحكم بهذه الصفة متى وجدت وجب ترك الإعراض ، فإذا كان النبي

صلى الله عليه وسلم معتوباً على تولّيه عن الأعمى فغيّره أحقُّ بالعُتب ^(١) .

« وما يُذريك » يُعلمك « لَعَلَّه » أى الأعمى أو الكافر « يَزْكِي » فيه إدغام التاء فى الأصل فى الزاى « أو يَذْكُر » أى يتعظ « فتتفعه الذكرى » العظة المسموعة منك . وفى قراءة بنصيب تنفعه جواب الترجى .

« أَمَّا من استغنى » بالمسال . فَأَنْتَ له تصدّى . وفى قراءة بتشديد الصاد وبإدغام الثانية فى الأصل فيها ، أى تُقْبَل وتتعرض « وما عليك ألا يَزْكِي » يؤمن « وأما من جاءك يسعى » حال من فاعل جاء « وهو يَخْشَى » الله حال من فاعل يسعى وهو الأعمى . « فَأَنْتَ عِثْه تَلَهَّى » فيه حذف التاء الأخرى فى الأصل أى تتشاغل « كَلَّا » لا تفعل مثل ذلك .

فلما نزلت هذه الآيات دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فأكرمه ، واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة كما ذكره أبو عمر . ويأتى بيانها فى ترجمته عند ذكر مؤذنيه صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول له إذا جاءه : مرحباً بمن عاتبني فيه ربى ! وَيَبْسُطُ له رداءه .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : ما ذكرته عائشة ومجاهد جامع بين الأقوال السابقة فى تفسير المُبْهَم .

الثانى : قال الحافظ : لم يختلف السَّلَفُ فى أن فاعل « عَبَس » النبي صلى الله عليه وسلم وأغْرَبَ الداودى فقال : هو الكافر .

الثالث : من الغرائب قولُ القاضى أبى بكر بن العربى : قولُ علمائنا : إن الرجل المبهم الوليد بن المغيرة وقال آخرون إنه أمية بن خلف والقياس على هذا كله باطل وجَهْل من المفسرين ، وذلك أن أمية والوليد كانا بمكة وابن أم مكتوم كان بالمدينة وما حضر معهما ولا حضرَا معه ، وكان موتُهما كافرين أحدهما قبل الهجرة والآخر فى بدر ولم يقصد قط أمية المدينة ولا حضر عنده مُفْرَداً ولا مع أحد كذا نقله عنه تلميذه السُّهَيْلى والقرطبى وأقرّاه .

وهو كلامٌ خرجَ من القاضى عن غير روية لأن ابن أم مكتوم من أهل مكة بلا خلاف ،

وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين ، أسلم قديما وكان من المهاجرين الأولين ، قديم المدينة قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل بل بعده وصحّحوا الأول ، وسورة عبس مكية بخلاف ، فأى شيء يمنع من اجتماع ابن أم مكتوم والوليد أو أمية ؟

ثم القائل لذلك إنما هو الصحابة والتابعون كما تقدم ، نقل ذلك عنهم وهم أعلم من غيرهم ، ولو كانت سورة عبس نزلت بالمدينة أو أن ابن أم مكتوم أسلم بها لصح ماقاله ، والحال أن الأمر بخلاف ذلك ولم أر من نبّه على ذلك . وعجبت من سكوت صاحب الزهر عن ذلك مع أنه يناقش في أسهل شيء .

الرابع : من الغرائب أيضا قول السهيلي : إن ابن أم مكتوم لم يكن آمن بعد أي حين أنزلت سورة عبس وبسط الكلام على ذلك .

قال في الزهر : ينبغي أن يتثبت في هذا الكلام ، فإن لم أر من قاله جزما ولا نقلا من مؤرخ ومفسر ، فيُنظر قول جميعهم فيه : قديم الإسلام يردّه .

قال : ثم إن السهيلي أكد ذلك بقوله : استدنيني يا محمد . ولم يقل يا رسول الله . قال مغلطاي ، ولفظة « استدنيني يا محمد » لم أراها ، فتُنظر .

قلت : أما لفظ السيرة التي شرحها السهيلي : فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يستقرئه القرآن . ولفظ رواية الترمذي وحسنها وصححها ابن حبان عن عائشة : فجعل يقول يا رسول الله أرشدني . الخ ولفظ رواية ابن عباس عند ابن مردويه : فجعل عبد الله يستقرئ النبي صلى الله عليه وسلم آية من القرآن . قال بارسول الله علّمني مما علّمتك الله .

الباب السادس والعشرون

في سبب نزول « قل يا أيها الكافرون »

روى ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن ابن عباس ، وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف عن سعيد بن مينا ، وعبد الرزاق عن وهب ، و^(١) عن ابن إسحاق قالوا :

اعترض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة الأسود بن المطلب والوليد ابن المغيرة وأمية بن خلف والعاصي بن وائل السهمي . وكانوا ذوي أسنان في قومهم قد دعوه إلى أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجه ما أراد من النساء فقالوا : هذا لك يا محمد وكُفَّ عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك خَصْلَةً واحدة فيها صلاح . قال ما هي ؟ قالوا : تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة . وفي لفظ : هلم يا محمد فلنعبد ما تعبد وتُعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر ، فإن كان الذي نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت منه بحظك ، وإن كان الذي تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا منه بحظنا .

فأنزل الله تعالى : « قل يا أيها الكافرون . لا أعبد » في الحال « ما تعبدون » من الأصنام « ولا أنتم عابدون » في الحال « ما أعبد » وهو الله تعالى وحده « ولا أنا عابد » في الاستقبال « ما عبادتكم ولا أنتم عابدون » في الاستقبال « ما أعبد » علم الله تعالى منهم أنهم لا يؤمنون وإطلاق « ما » على الله تعالى على جهة المقابلة « لكم دينكم » الشرك « ولي دين » الإسلام ، وهذا قبل أن يُؤمر بالحرب ، وحذف ياء الإضافة السبعة ، وقفاً ووصلاً وأثبتها يعقوب في الحالين^(٢).

(١) بياض بالأصول . والخبر في سيرة ابن هشام ٣٦٢/١ .

(٢) تفسير الطبري : ٢١٤/٣٠ (ط الأميرية) .

الباب السابع والعشرون

في سبب نزول أول سورة الروم

روى الإمام أحمد والترمذى وحسنه ، والنسائى والبيهقى والضياء المقدسى عن ابن عباس وابن جرير والبيهقى من وجه آخر عنه ، وابن جرير عن ابن مسعود وأبو يعلى وابن أبى حاتم عن البراء بن عازب ، والترمذى وصححه والطبرانى عن نيار - بنون مكسورة فمثناة تحتية مخففة - ابن مُكْرَم - بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء - وابن عبد الحكم في فتوح مصر ، وابن أبى حاتم عن ابن شهاب ، وابن جرير عن عكرمة : أن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض ، وأدنى الأرض يومئذ أدراعات بها التبقوا ، فهزمت الروم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو عمكة ، فشق ذلك عليهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم ، وفرح الكفار بمكة وشمتوا ، فلحقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنكم أهل كتاب وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب ، وإنكم إذا قاتلتمونا لنظهرن عليكم .

فأنزل الله تعالى : « ألم^(١) » الله أعلم بمراده به « غلبت الروم » وهم أهل كتاب غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان « في أدنى الأرض » أى أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة ، التقى فيها الجيشان والبادىء بالغزو الفرس :

« وهم » أى الروم « من بعد غلبهم » أضيف المصدر إلى المفعول ، أى غلبة أهل فارس إياهم « سيغلبون » فارس « في بضع سنين » هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر ، فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول وغلبت الروم فارس .

« لله الأمر من قبل ومن بعد » من قبل غلب الروم ومن بعده . المعنى أن غلبة فارس أولاً وغلبة الروم ثانياً بأمر الله أى بإرادته « ويومئذ » أى يوم يغلب الروم « يفرح

(١) سورة الروم ١ - ٦

المؤمنون بنصر الله « إياهم على فارس ، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر ونزول جبريل بذلك مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه « ينصر من يشاء » نصرتة « وهو العزيز » الغالب « الرحيم » بالمؤمنين « وعد الله » مصدر بدل من اللفظ بفعله والأصل وعدهم الله النصر « لا يخلف الله وعده » به « ولكن أكثر الناس » كفار مكة « لا يعلمون » وعده تعالى بذلك .

فلما نزلت هذه الآيات قال المشركون لأبي بكر : ألا ترى إلى ما يقول صاحبك ؟ يزعم أن الروم تغلب فارس . قال : صدق صاحبي . وفي رواية : فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ؟ فلا تفرحوا ولا يُقر الله عينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا فقام إليه أبي بن خلف فقال : كذبت . فقال أبو بكر : أنت أكذب يا عدو الله . قال : أناحبك عشر قلائص مني وعشر قلائص منك ، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت إلى ثلاث سنين . ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر^(١) وماده في الأجل . فخرج أبو بكر فلقى أبا فقال : لعلك ندمت ؟ قال : لا . قال تعال أزيدك في الخطر وأماذك في الأجل فأجعلها مائة قلوص بمائة قلوص إلى تسع سنين . قال فعلت . وذلك قبل تحريم الرهان ، فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال : إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم كفيلاً فكفله ابنه عبد الله . فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله ابن أبي بكر وقال له : لا والله لا أدعك تخرج حتى تعطيني كفيلاً فأعطاه كفيلاً . فخرج إلى أحد ثم رجع إلى مكة وبه جراحة جرحه النبي صلى الله عليه وسلم حين بارزه يوم أحد فمات منها بمكة ، وظهرت الروم على فارس فغلب أبو بكر أبا وأخذ الخطر

(١) الخطر : السبق يتراهن عليه .

من ورثته ، فجاء يحمله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
هذا سَحْتٌ تصدَّق به .

أُنَاجِيكَ : بالحاء المهملة والباء الموحدة : أى أُرَاهَنُكَ .

الْقَلَائِصُ : بقاف فلام مفتوحتين فهمة مكسورة فضاد مهملة : مفردة قَلُوص وهي
الناقة الشابة .

الباب الثامن والعشرون

في وفاة أبي طالب ومثني قريش

إليه ليكف عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الحافظ عماد الدين بن كثير المشهور أنه مات قبل موت خديجة وكان موتهما في عام واحد قبل مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بثلاث سنين^(١) .
وقال صاعد في كتاب « الفصوص » : بعد ثمانية وعشرين يوماً من خروجهم من الشعب .

وقال ابن حزم : توفي أبو طالب في شوال في النصف منه .

وروى ابن أبي شيبة والإمام أحمد والترمذي وصححه عن ابن عباس ، وابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي ، والبخاري والبيهقي عن سعيد بن المسيب عن أبيه ، ومسلم والبيهقي عن أبي هريرة : أن أبا طالب لما اشتكى وبلغ قريش ثقله قال بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا فإننا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا .

فمشوا إلى أبي طالب فكلّموه ، وهم أشراف قومه ، عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو جهل ابن هشام ، وأمّية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، في رجال من أشrafهم فقالوا : يا أبا طالب إنك منذ حيث قد علمت وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك ، فاذعه وخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه ، وليدعنا وديننا وندعه ودينه .

فبعث إليه أبو طالب ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل ، فخشى أبو جهل إن جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي

(١) سيرة ابن كثير ١٢٢/٢ .

طالب أن يكون أرقّ عليه ، فوثب أبو جهل فجلس في ذلك المجلس ، فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً قُربَ عمّه ، فجلس عند الباب . فقال : يا بن أخى هؤلاء أشرف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم كلمة واحدة يُعطونيها يَمْلِكُون بها العربَ وتدين لهم بها العجمُ . وفي رواية : تدين لهم بها العربُ وتؤدّي إليهم بها العجمُ الجزيةَ . ففزعوا لكلمته ولقوله . فقال القوم : كلمة واحدة ؟ قال : نعم . فقال أبو جهل : نعم وأبيك عشر كلمات . قال : تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه . فصَفَّقُوا بِأَيْدِيهِمْ ثم قالوا : يا محمد تريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن أمرَكَ لَعَجَب .

ثم قال بعضهم لبعض : ما هذا الرجل بمعطيكُم شيئاً مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دينكم حتى يحكم الله بينكم وبينه . ثم تفرقوا .
فأنزل الله فيهم أول سورة « ص » .

فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله يا بن أخى ما رأيتك سألتهم شَحْطاً . فلما قالها طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول : أى عم فأنت فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك قال : لولا مخافة السبِّ عليك وعلى بنى أبيك من بَعْدِي وأن تظن قريش أنى إنما قتلها جزعاً من الموت لقلتها لا أقولها إلا لأسرك بها .

وذكر ابن الكلبي أن أبا طالب لما حضرته الوفاة جمع إليه وجوة قريش فأوصاهم فقال : يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ولا شرفاً إلا أدركتموه فلکم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم إلب ، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية فإن فيها مرضاة للرب وقواماً للمعاش وثباتاً للوطاة ، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فإن في صلة الرحم مَنَسَةً في الأجل وزيادة في العدد ، واتركوا البغى والعقوق ففيها هلكة القرون قبلكم ، أجبوا الداعي وأعطوا السائل فإن فيها شرف الحياة والمات ، عليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام ، وإني أوصيكم بمحمد

خيرا فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيكم به ، وايم الله كأنني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذئاباً ودورها خراباً وضعافها أرباباً وأعظمهم عليه أخوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد محضته العرب ودادها وأصفت له فؤادها وأعطته قيادها ، دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة ، ولحربه حمة ، والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكفيت عنه الهزأز ولدافعت عنه الدواهي .

ثم إن أبا طالب مات بعد ذلك .

وروى الشيخان عن المسيب بن حزن رضى الله عنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد - وفي لفظ : أحاج - لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان لتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب . وأبي أن يقول : لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك . فأنزل الله بعد ذلك : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم »^(١) ونزل في أبي طالب : « إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين »^(٢) .

وروي أيضا عن العباس رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك ؟ قال : نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح منها^(٣) .

(١) سورة التوبة ١١٣ .

(٢) سورة القصص ٥٦ . والحديث في صحيح البخارى كتاب المناقب ، وكتاب التفسير (سورة التوبة) وصحيح

مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٣٩ . (٣) صحيح البخارى كتاب المناقب . وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٣٥٨ .

وفي لفظ : « ولولا أنا لكان في الدَّرْك الأسفل من النار » .

وروى البخارى عن أبى سعيد رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وذكر عنده عمه ، فقال : « لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيُجعل في ضَحْضَاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه .

وفي لفظ : أمّ دماغه » .

وروى الشيخان وابن إسحاق عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أهْوَنَ أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجلٌ يوضع في إخمص قدميه جَمْرَةٌ - وفي لفظ على إخمص قدميه جمرتان .

وفي لفظ عند مسلم : له نَعْلان وشِرَاكان من نار يغلى منهما دماغه . وفي لفظ : يغلى دماغه من حرارة نَعْلَه .

وفي لفظ عند ابن إسحاق : حتى يسيل على قدميه . وفي لفظ عند البخارى : لا يرى أن أحداً أشدَّ عذاباً منه وإنه لأَهْوَنُهُمْ^(١) .

وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهْوَنُ أهل النار عذاباً أبو طالب وهو مُنتعل بنعلين يغلى منهما دماغه » .

وهذه الأحاديث الصحيحة تبين بظُلان ما نقل عن العباس أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن أخى لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها .

قال البيهقي وأبو الفتح والذهبي : وقد أسلم العباس بعد وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حال أبى طالب ، أى كما تقدم قريباً .

ولو كانت هذه الشهادة عنده لأدّاها بعد إسلامه وعلم حال أبى طالب ولم يسأل عنه ، والمعتبر حالة الأداء دون التحمّل .

وقال الحافظ : لو كان أبو طالب قال كلمة التوحيد ما نهى الله تعالى نبيه عن الاستغفار له .

(١) صحيح البخارى كتاب الرقاق ، وصحيح مسلم حديث رقم ٣٦٢ - ٣٦٤ .

وروى عبد الرازق والفريابي والحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى : « وهم يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ »^(١). نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينأى عما جاء به .

وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة في صحيحه عن علي رضى الله عنه قال : لما مات أبو طالب أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله مات عمك الضال . وفي لفظ أن أبا طالب مات فقال النبي - صلى الله عليه وسلم : اذهب فواره . قال : فلما واريته جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال اغتسل^(٢) .
وبما ذكر أيضا تبين بطلان ما نقله المسعودي المؤرخ أنه أسلم ، لأن مثل ذلك لا يعارض الأحاديث الصحيحة .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : قال السهيلي : الحكمة في كون أبي طالب منتعلا بنعلين من نار أن أبا طالب كان مع النبي صلى الله عليه وسلم بجملته إلا أنه كان مثبّتا لقدميه على مِلة عبد المطلب حتى قال عند الموت : هو على ملة عبد المطلب فسَلَطَ العذابُ على قدميه خاصة لتثبितه إياهما على ملة آبائه .

الثاني : قال الحافظ : الآية التي فيها النهي عن الاستغفار نزلت بعد موت أبي طالب بمدة وهي عامة في حقه وحق غيره ، ويوضح ذلك ما عند البخاري في كتاب التفسير بلفظ : فأنزل الله بعد ذلك . إلى آخره .

الثالث : إنما عَرَضَ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن يقول لا إله إلا الله . ولم يقل فيها : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الكلمتين صارتا كالكلمة الواحدة . ويحتمل أن يكون أبوطالب كان يتحقق أنه رسول الله ، ولكن كان لا يقرّ بتوحيد الله تعالى ولهذا قال في أبياته النونية :

(٢) مسند أحمد ٩٧/١ ، ١٠٣ ، ١٣٠ ، ١٣١ .

(١) سورة الأنعام ٢٦ .

وسنن النسائي كتاب الجنائز .

ودَعَوْتَنِي وَعَامَتُ أَنْكَ صَادِقٌ وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثُمَّ أَمِينًا

فاقتصر على أمره له بقول : لا إله إلا الله ، فإذا أقر بالتوحيد لم يتوقف عن الشهادة بالرسالة له .

الرابع : من عجيب الاتفاق أن الذين أدركهم الإسلام من أعمام النبي صلى الله عليه وسلم أربعة وهم : أبو طالب واسمه عبد مناف ، وأبو هب واسمه عبد العزى بخلاف من أسلم وهما حمزة والعباس رضى الله عنهما .

الخامس : زعم بعض غلاة الرافضة أن أبا طالب أسلم ، واستدل بأخبار واهية ردّها الحافظ في الإصابة في القسم الرابع من الكنى .

السادس : قوله : « لعله تنفعه شفاعتى » . ظهر من حديث العباس وقوعُ هذا الترجي واستشكل قوله : « تنفعه شفاعتى » بقوله تعالى : « فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ^(١) » وأجيب بأنه خُصَّ ولذلك علّوه في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل : معنى المنفعة في الآية يخالف معنى المنفعة في الحديث ، والمراد بها في الآية الإخراج من النار ، وفي الحديث المنفعة بالتخفيف وبهذا الجواب جزم القرطبي .

وقال البيهقي في البعث : صحت الرواية في شأن أبي طالب فلا معنى للإنكار من حيث صحة الرواية .

ووجهه عندي أن الشفاعة في الكفار إنما امتنعت لوجود الخبر الصادق في أنه لا يَشْفَعُ فيهم أحد ، وهو عام في حق كل كافر ، فيجوز أن يُخَصَّ منه من ثبت الخبر بتخصيصه .

قال : وحمله بعض أهل النظر على أن جزاء الكافر من العذاب يقع على كفره وعلى معاصيه ، فيجوز أن يضع الله تعالى عن بعض الكفار بعض جزاء معاصيهم تطيباً لقلب الشافع لا ثواباً للكفر ، لأن إحسانه صار بموته على الكفر هباءً .

وقال القرطبي في المُفْهِم : اختلف في هذه الشفاعة هل هي بلسان قولى أو بلسان حالٍ ،

(١) سورة المدثر ٤٨ .

والأول يُشكّل بالآية « وجوابه جواز التخصيص . والثاني أن يكون معناه أن أبا طالب لما بالغ في إكرام النبي صلى الله عليه وسلم والدبُّ عنه جُوزى على ذلك بالتخفيف فأطلق على ذلك شفاعاً لكونها سببه .

ويجاب عنه أيضاً : أن المخفف عنه لم يجد أمر التخفيف ، فكأنه لم ينتفع بذلك . ويؤيد ذلك ما تقدم من أنه يعتقد أنه ليس في النار أشدَّ عذاباً منه ، وذلك أن القليل من عذاب جهنم لا تطيقه الجبال ، فالمعذب لاشتغاله بما هو فيه يصدق عليه أنه لم يحصل له انتفاع بالتخفيف .

السابع : في بيان غريب ما سبق :

يدين : أى يطيع وينخضع .

يبتزونا أمرنا : بفتح التحتية فباء موحدة ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة فزاي مشددة مضمومة ، يقال ابتزّه يبتزّه أى استلبه وبزّه يبزّه أى سلبه . ومنه : من عزّ بزّ أى من غلب أخذ السلب .

شحطاً : بشين معجمة فحاء ساكنة فطاء مهملتين : أى بعداً . يقال شحط شحطاً وشحوطاً ويقال شحط المزار وأشحطته أبعدته ، ومعنى الكلام : ما سألتهم شيئاً بعيداً عليهم التماسه وتناوله ، بل هو أمر قريب .

السبة بسين مهملة مضمومة فباء موحدة مشددة مفتوحة فتاء تانيث : العار الذى يسبُّ به . ورجل سبة أى تسبه الناس .

خرعاً : بخاء معجمة فراء فعين مهملتين : وهو الخور والضعف ، وتروى بالجيم والزاي وهو الخوف .

أما والله : قال النووي : في كثير من الأصول أو أكثرها بالالف وغيرها : أم والله بلا ألف ، وكلاهما صحيح قال ابن الشجرى في أماليه : « ما » الزيدة للتوكيد ركبوها مع همزة الاستفهام واستعملوا مجموعهما على وجهين : أحدهما : أن يراد به معنى حقا في قولهم : أما والله لأفعلن . والآخر : أن تكون افتتاحاً للكلام بمنزلة ألا كقولك أما إن زيدا منطلق وأكثر ما تحذف الألف إذا وقع بعدها القسم ليدلوا على شدة اتصال الثاني بالأول ، لأن

الكلمة إذا بقيت على حرف لم تثم بنفسها ، فعلم بحذف ألف - « ما » افتقارها إلى الاتصال بالهمز .

الضَّخْضَاح : بضادين معجمتين الأولى مفتوحة وحائين مهملتين الأولى ساكنة ، وهو في الأصل مارق من المساء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار :
المِرْجَل بكسر الميم وسكون الراء وفتح الجيم : قِدر من نحاس . وقيل يطلق على كل قِدر يطبخ فيها .

الباب التاسع والعشرون

في وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها

روى البخاري عن عروة قال : توفيت خديجة قبل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم وروى البلاذري عنه قال : توفيت قبل الهجرة بسنتين أو قريب من ذلك^(١).

وقال بعضهم : ماتت قبل الهجرة بخمس سنين . قال البلاذري : وهو غلط

وروى ابن الجوزي عن حكيم بن حزام وثعلبة بن صَعِير - بصاد فعين مهملتين مصغرا

- أنه كان بين وفاة أبي طالب ووفاة خديجة شهر وخمسة أيام^(٢).

وروى الحاكم أن موتها بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام .

وقال محمد بن عمر الأسلمي : توفيت لعشر خلون من رمضان وهي بنت خمس وستين

سنة .

ثم روى عن حكيم بن حزام أنها توفيت سنة عشر من البعثة بعد خروج بني هاشم من الشعب ودفنت بالحجون ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبرها ، ولم تكن الصلاة على الجنازة شُرعت .

وروى يعقوب بن سفيان عن عائشة رضي الله عنها قالت : ماتت خديجة قبل أن تُفرض الصلاة .

وكانت خديجة رضي الله عنها وزيرة صدق للنبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام وكان يسكن إليها ، وكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة ، وستأني ترجمتها وبعض مناقبها في أبواب أزواجه صلى الله عليه وسلم .

(١) أنساب الأشراف ٤٠٦/١ .

(٢) الوفا لابن الجوزي ٢١٠/١ . وطبقات ابن سعد ٢١١/١ (ط بيروت) .

الباب الثالثون

في بعض ما لاقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قريش بعد موت أبي طالب

قال ابن إسحاق : فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الأذى ما لم تطمع فيه في حياة أبي طالب .

وروى ابن إسحاق عن عبد الله بن جعفر قال : لما مات أبو طالب اعترض رسول
الله صلى الله عليه وسلم سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً فدخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه وهي تبكي .
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تبكي فإن الله مانع أباك . ويقول بين ذلك .
ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب^(١) .

وروى الطبراني وأبو نعيم عن أبي هريرة رضوان الله عنه قال : لما مات أبو طالب
تجهّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا عمّ ما أسرع ما وجدتُ ففدك .
وروى البيهقي عن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما زالت قريش كاعين
حتى مات أبو طالب^(٢) .

ورواه الطبراني والبيهقي من طريق آخر عن عائشة مرفوعاً .

وروى ابن سعد عن حكيم بن حزام وثعلبة بن ضَعِيرَ قالَا : لما توفي أبو طالب وخديجة
اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان ، فلزم بيته وأقلَّ الخروج ، ونالت
قريش منه ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه ، فبلغ ذلك أبا لهب فجاء فقال : يا محمد امض
لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حياً فاصنعه لا واللّات والعزى لا يوصل
إليك حتى أموت .

(١) سيرة ابن هشام ١/٤١٦ .

(٢) سيرة ابن كثير ١/١٤٦ عن البيهقي .

وسبَّ ابنُ الغَيْطَلَةِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَبُو لَهَبٍ فَتَالَ مِنْهُ فَوَلَّى وَهُوَ
يَصِيحُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ صَبَّأْ أَبُو عَتَبَةَ : فَأَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى وَقَفُوا عَلَى أَبِي لَهَبٍ فَقَالَ :
مَا فَارَقْتُ دِينَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَلَكِنْ أَمْنَعَ ابْنَ أَخِي أَنْ يُضَامَ حَتَّى يَمْضِيَ لِمَا يَرِيدُ . قَالُوا :
قَدْ أَحْسَنْتَ وَأَجْمَلْتَ وَوَصَلْتَ الرَّحِمَ .

فَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا يَذْهَبُ وَيَأْتِي لَا يَعْتَرِضُ لَهُ أَحَدٌ
مِنْ قُرَيْشٍ وَهَابُوا أَبَا لَهَبٍ ، إِلَى أَنْ جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَأَبُو جَهْلٌ بْنُ هِشَامٍ إِلَى أَبِي لَهَبٍ
فَقَالَا لَهُ : أَخْبِرْكَ ابْنُ أَخِيكَ أَيْنَ مُذْخَلُ أَبِيكَ ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو لَهَبٍ : يَا مُحَمَّدُ أَيْنَ مُذْخَلُ
عَبْدِ الْمَطْلَبِ ؟ قَالَ : مَعَ قَوْمِهِ فَنُخْرِجُ أَبَا لَهَبٍ إِلَيْهِمَا فَقَالَ : قَدْ سَأَلْتَهُ فَقَالَ : مَعَ قَوْمِهِ
فَقَالَا : يَزْعُمُ أَنَّهُ فِي النَّارِ . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَيْدُخِلْ عَبْدَ الْمَطْلَبِ النَّارَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ وَمَنْ مَاتَ عَلَى مِثْلِ مَا مَاتَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَطْلَبِ دَخَلَ النَّارَ . فَقَالَ
أَبُو لَهَبٍ : لَا بَرِحْتُ لَكَ عَدُوًّا وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ فِي النَّارِ .

فاشتد عليه هو وسائر قريش^(١) .

قال ابن إسحاق وكان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته :
أبو لهب والحكم بن أبي العاصي بن أمية ، وعقبة بن أبي معيط وعدى بن الحمراء ، وابن
الأصداء الهذلي ، وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحدٌ إلا الحكم بن أبي العاصي ، وكان أحدهم ،
فيما ذكر لي ، يطرح عليه رَجِمَ الشاة وهو يصلي ، وكان أحدهم يطرحها في بُرْمَتِهِ إِذَا
نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حِجْرًا يستتر به منهم إِذَا صَلَّى^(٢) .

وروى البخاري وابن المنذر وأبو يعلى والطبراني عن عروة قال : سألت عمرو بن العاصي
فقلت : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : بينما
النبي صلى الله عليه وسلم في حِجْرِ الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه
على عنقه ، فخنقه خنقًا شديدًا ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه

(١) طبقات ابن سعد ٢١١/١ .

(٢) سيرة ابن هشام ٤١٥/١ ، ٤١٦ .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ^(١) » الآية .

زاد الأخيران : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته مرَّ بهم وهم جلوس في ظل الكعبة فقال : يا معشر قريش أمّا والذي نفسي بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذَّبْحِ وأشار بيده إلى حلقه فقال أبو جهل : يا محمد ما كنت جَهُولًا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت منهم .

وروى البزار وأبو يعلى ^(٢) برجال الصحيح عن أنس رضى الله عنه : لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة حتى غُشي عليه فقام أبو بكر ينادي : ويلكم أَتَقْتُلُونَ رجلاً أَنْ يقول ربّي الله . فقالوا : من هذا ؟ فقالوا : أبو بكر المجنون .

وروى الشيخان والبزار والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال « مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش غير يوم واحد ، فإنه كان يصلى ورَهْطٌ من قريش جلوس وسلاً جزور نُحرت بالأمس قريباً فقالوا - وفي رواية فقال أبو جهل - من يأخذ سلاً هذا الجزور فيضعه على كتفى محمد إذا سجد فانبعث أشقام عقبة بن أبي معيط فجاء به فقلّده على ظهره صلى الله عليه وسلم ، فضحكوا وجعل بعضهم يميل إلى بعض والنبي صلى الله عليه وسلم ما يرفع رأسه ، وجاءت فاطمة رضى الله عنها فطرحته عن ظهره ودعت على من صنع ذلك . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته رفع رأسه فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم دعا عليهم وكان إذا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال : اللهم عليك بالملأ من قريش ، اللهم عليك ببني جهل وعُتْبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد بن عتبة وأمّية بن خلف وعُتْبة بن أبي معيط . وذكر السابغ فلم أحفظه . فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى ببدر ثم سُحبوا إلى القليب قليب بدر غير أمّية بن خلف فإنه كان رجلاً بادناً فتقطع قبل أن يبلغ به إليه » .

زاد البزار والطبراني في الأوسط : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد

(١) صحيح البخارى كتاب فضائل الصحابة ، وكتاب التفسير (سورة غافر) ومسنّد أحمد ٢/٢٠٤ .

(٢) ت : وأبو نعيم .

فلقيه أبو البختري ومع أبي البختري سوط يتخَصَّر به فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكروا وجهه فقال : مالك ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : خلّ عني قال : عَلِمَ الله لا أُخْلِي عنك أو تخبرني ما شأنك فلقد أصابك شيء . فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غير مُخَلٍّ عنه أخبره قال : إن أبا جهل أمر فطرح عليّ فَرَثَ . قال أبو البختري : هلم إلى المسجد . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو البختري فدخلوا المسجد ثم أقبل أبو البختري على أبي جهل فقال يا أبا الحكم أنت الذي أمرت بمحمد فطرح عليه الفَرث ؟ فقال : نعم . فرفع السَّوط . فضرب به رأسه فثار الرجال بعضها إلى بعض وصاح أبو جهل : ويحكم إنما أراد محمد أن يلتقي بيننا العداوة وينجو هو وأصحابه .

وروى ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال : لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشى عليه ، فقام أبو بكر رضي الله عنه فجعل ينادي : ويلكم أقتلوا رجلا أن يقول ربّي الله .

وروى البزار وأبو نعيم في الفضائل عن علي رضي الله عنه أنه قال : أيها الناس أخبروني بأشجع الناس . قالوا : لا نعلم ، فمن ؟ قال : أبو بكر ، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش ، هذا يجأه وهذا يُتَلْتَلِه وهم يقولون : أنت الذي جعلت الآلهة إلها واحدا . قال : والله مادنا منه منّا أحدٌ إلا أبو بكر يضرب هذا ويجالد^(١) هذا ويتلّ هذا ويقول : ويلكم أقتلوا رجلا أن يقول ربّي الله ! ثم رفع عليّ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر ؟ فسكت القوم ، فقال : ألا تجيبونني ؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من مثلي^(٢) مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكرم بإيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه .

وروى الدارقطني في الأفراد عن عمرو بن عثمان بن عفان عن أبيه قال : أكثر ما نالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبي طالب

يجأه : بالمشاة التحتية والجيم والهمزة : أي يضربه .

يتلته : بمشاة تحتيه ففوقية فلامين بينهما مشاة ثم هاء : أي يخيسه ويذلله ، ونخاسه : راضه

والله تعالى أعلم .

الباب الحادى والثلاثون

فى سفر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف

قال موسى بن عقبة وابن إسحاق وغيرهما : ولما هلك أبو طالب ونالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تكن تنال منه فى حياته خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وحده ماشيا .

وفى حديث جبير بن مطعم عن ابن سعد : أن زيد بن حارثة كان معه ^(١) ، فى ليل من شوال سنة عشر يلتبس النصر من ثقيف والمنعة بهم من قومه ، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى .

فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل ومسرود وحبيب : بنو عمرو بن عمير بن عوف ، وعند أحدهم امرأة من قريش من بنى جُمَح ، وهى صفية بنت مَعْمَر بن حبيب بن قدامة بن جمح ، وهى أم صفوان بن أمية .

فجلس إليهم رسوا الله صلى الله عليه وسلم وكلمهم بما جاء به من نصرته على الإسلام والقيام على من خالفه من قومه .

فقال له أحدهم : هو يَمْرُط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ! .

وقال الآخر : أما وجد الله أخدا يُرسله غيرك .

وقال الثالث : والله لا أكلمك أبدا ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أَرَدَّ عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لى أن أكلمك .
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف .

(١) طبقات ابن سعد ٢١١/١ (ط بيروت) .

وقد قال لهم : إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا على . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه .

فأقام بالطائف عشرة أيام وقيل شهرا لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاء إليه وكلمه ، فلم يجيبوه وخافوا على أحدائهم منه فقالوا : يا محمد اخرج من بلدنا . وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونونه ويصبحونه به حتى اجتمع عليه الناس .

قال ابن عقبة : وقفوا^(١) له صنفين على طريقه ، فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصنفين جعل لا يرفع رجله ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى آدموا رجله . زاد سليمان التيمي : أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أذلقته الحجارة يقعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه ويقيمونه فإذا مشى رجموه وهم يضحكون .

قال ابن سعد : وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجاً^(٢) .

قال ابن عقبة : فخلص منهم ورجلاه تسيلان لما فعمد إلى حائط من حوائطهم فاستظل في ظل حُبلة منه وهو مكروب مُوجع وإذا في الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فلما اطمأن في ظل الحُبلة قال ما سيأتي .

وروى الطبراني برجال ثقات عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم أتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال : « اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمرى إن لم يكن بك علي غضب فلا أألى ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزلني غضبك أو تحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » .

فلما رآه ابنا ربيعة وما تقي تحركت له رجمهما فدعوا غلاماً لهما يقال له عدّاس - فقالا

(١) ط : وقفوا .

(٢) طبقات ابن سعد ٢١٢/١ (ط بيروت)

له : خذ له هذا القُطْف من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه . ففعل عدّاس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له : كل . فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله . ثم أكل . فنظر عدّاس في وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أيّ البلاد أنت يا عدّاس وما دينك ؟ قال : نصراني وأنا من أهل نينوى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس ابن مَتَّى . قال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ والله لقد خرجت منها - يعني من أهل نينوى - وما فيها عشرة يعرفون ما يونس بن متى فمن أين عرفت أنت يونس ابن متى وأنت أمّتي وفي أمّة أمّية . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي . فأكبّ عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه فقال ابنا ربّيعه أحدهما لصاحبه : أمّا غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما عداس قالاه : ويلك ! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل ، لقد أعلمني بأمر لا يعلمه إلا نبي . قال : ويحك يا عداس لا يضرّ فنك عن دينك فإن دينك خير من دينه .

وقال عداس لسيديه لمسا أرادا الخروج إلى بدر وأمراه بالخروج معهما فقال لهما : قتال ذلك الرجل الذي رأيت في حائطكما تريدان ؟ فوالله ما تقوم له الجبال . فقالا : ويحك يا عداس قد سحرك بلسانه .

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وهو مخزون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة .

وقال خالد العدواني : إنه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصا حين أتاهم يبتغي عندهم النصر فسمعته يقول : « والسماء والطارق » حتى ختمها قال فوعيتها في الجاهلية وأنا مُشرك ثم قرأتها في الإسلام .

قال فدعيتني ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل فقرأتها عليهم . فقال من معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقوله حقا لاتبعناه .

رواه الإمام أحمد^(١) والبخارى فى تاريخه .

وقالت عائشة رضى الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ عليك من يوم أحد ؟ فقال : لقد لقيتُ من قومك وكان أشدَّ ما لقيت منهم يومَ العقبة ، إذ عرضتُ نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردتُ أحدٌ ، فانطلقت على وجهى وأنا مهموم فلم أستفقُ إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل ، فنادانى وقال : إن الله تعالى قد سمع قولَ قومك لك وما ردُّوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال فتأمره بما شئت فيهم . فنادانى ملك الجبال فسلم علىَّ ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال قد بعثنى الله عز وجل لتأمرنى بما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلاهم من يعبد الله عز وجل ولا يُشرك به شيئا .

رواه الإمام أحمد والشيخان^(٢) .

وقال عكرمة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جاءنى جبريل فقال يا محمد إن ربك يُقرئك السلام وهذا ملك الجبال قد أرسله وأمره ألا يفعل شيئا إلا بأمرك . فقال له ملك الجبال : إن شئت رمهت عليهم الجبال ، وإن شئت خسفتُ بهم الأرض فقال : يا ملك الجبال : فإنى آتئى بهم لعلمهم أن يخرج منهم ذريةٌ يقولون لا إله إلا الله . فقال ملك الجبال : أنت كما سمأك ربك رؤوف رحيم .

رواه ابن أبى حاتم مرسلًا .

وذكر الأُموى وابن هشام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه من تصديقه ونُصرتِه أقام بنخلة أيامًا وأراد الرجوعَ إلى مكة فقال له زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك ؟ فقال : يا زيد إن الله جاعلٌ لما ترى فرجًا ومخرجًا وإن الله مُظهرُ دينه وناصرُ نبيه . ثم انتهى إلى حراء وبعث

(١) مسند أحمد ٣٣٥/٤ .

(٢) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق .

وصحيح مسلم كتاب الجهاد حديث رقم ١١١ .

عبد الله بن أَرْيَظْط إلى الأَخْنَسِ بن شَرِيق - وأسلم بعد ذلك فيما يقال - ليجيره فقال : أنا حليفٌ والحليف لا يُجِير على الصَّريح . فبعث إلى سُهَيْل بن عمرو - وأسلم يعد ذلك - فقال : إن بنى عامر بن لؤى لا تجير على بنى كعب . فبعث إلى المطعم ابن عدى - ومات كافراً - فأجابه إلى ذلك وقال : نعم قل له فليأت . فرجع إليه فأخبره فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبات عنده تلك الليلة ، فلما أصبح خرج المطعم بن عدى وقد لبس سلاحه ورؤسوه ستة أو سبعة . فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : طُف . واحتبوا بحمائل سيوفهم بالمطاف فأقبل أبو سفيان إلى المطعم بن عدى فقال : أمجير أم تابع ؟ قال : بل مُجِير . قال : إذن لا تُخَفِّر قد أجزنا من أجزت . فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه ، فلما انصرف إلى بيته انصرفوا معه ، فذهب أبو سفيان إلى مجلسه .

فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً ثم أذن له الله عز وجل في الهجرة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي المطعم ابن عدى بعده ، ولأجل هذه السابقة التي سبقت للمطعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كان المطعم ابن عدى حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى - يعنى أسارى بدر لأطلقتهم له ^(١) .

نَبَيَّات

الأول : قال ابن الجوزى : ربما عرض للمحد قليل الإيمان فقال : ما وجه احتياج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يدخل في خفارة كافر وأن يقول في المواسم : من يؤوبني حتى أبلغ رسالة ربي .

فيقال له : قد ثبت أن الإله القادر لا يفعل شيئاً إلا لحكمة ، فإذا خفيت حكمة فعله علينا وجب علينا التسليم . وما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صدر عن الحكيم الذي أقام قوانين الكلبيات وأدار الأفلak وأجرى المياه والرياح ، كل ذلك بتدبير الحكيم القادر ، فإذا رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يشد الحجر من الجوع ويقهّر ويؤذى

(١) سيرة ابن كثير ١٥٣/١ - ١٥٤ عن الأموى في مغازيه .

وليس في سيرة ابن هشام إلا صدر هذا الخبر ، ثم قصة استماع الجن لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم بنخلة .

علمنا أن تحت ذلك حِكْمًا إن تَلَمَّحْنَا بعضُها لاحتْ من خلال سُجُفِ البلاء حكمتان .
إحدهما : اختيار المبتلى لِيَسْكُنَ قلبُه إلى الرضا بالبلاء فيؤدِّي القلبُ ما كُلِّفَ من
ذلك والثانية : أن تُبَيَّنَ الشبهةُ في خلال الحُجَجِ لِيُثَّابَ المجتهدُ في دَفْعِ الشبهة^(١) .

الثاني : في بيان غريب ما سبق .

المنعة : بفتح النون : النُصْرَةُ والحماية .

عمد : بعين مهملة فميم مفتوحة في الماضي وفي المستقبل بكسرها : وعن النيلي^(٢) كسرها
أيضاً في الماضي . يَمُرُّط : يَمُرُّق .

أما وحقّ : بفتح الهمزة وتخفيف الميم : حرف تنبيه واستفتاح .

خطرا : بخاء معجمة مفتوحة فطاء مهملة فراء : القَدْرُ والمنزلة .

أَغْرُوا : سَلَّطُوا . رَضَّخُوهُمَا : شَدَّخُوهُمَا .

أَذْلَقْتَهُ : بذال معجمة وقاف أى وجد أَلَمَهَا ومَسَّهَا .

شجّ في رأسه : الضمير عائذ على زيد .

الحائط : البستان إذا كان عليه حائِطٌ ، وهو الجدار ، وجمعه حوائِط .

حَبَلَةٌ بحاء مهملة فموحدة مفتوحتين وربما سكنت الباء وهى الأَصْلُ أو القضيْب من

شجر العنب .

يَتَجَهَّمْنِي : يَلْقَانِي بِالْغِلْظَةِ والوجه الكريه .

الْعُتْبَى : بضم العين : الرضا .

عَدَّاسٌ ونيْنَوَى تقلبم الكلام عليهما في شرح بدء الوحي .

مَتَّى بفتح الميم وتشديد المثناة الفوقية مقصور .

يا سيِّدِي بتشديد الياء تشنية سيّد .

ويحك : كلمة يتعجب بها العرب ولا يريدون بها الذمّ .

ابن عبد ياليل بمثناة تحتية فألف فلام مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فلام واسمه

كنانة ويقال مسعود .

(١) الوفا لابن الجوزى ٢١٦/١ .

(٢) كذا في ط ، ص . وفي ت : النيل .

ابن عبد كُلال : بضم الكاف وتخفيف اللام .

كذا في الحديث ابن عبد ياليل والذي ذكره أهل المغازي أن الذي كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد ياليل نفسه وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه قاله الحافظ .

قَرْن الثعالب : بفتح القاف وسكون الراء وهو قَرْن المنازل ميقات نجد تلقاء مكة على يوم وليلة منها ، وأصله الجبل الصغير المستطيل المنقطع عن الجبل الكبير .
الأخشَبَيْن^(١) : تشنية أخشب بفتح الهمزة فحاء فشين معجمتين فموحدة : الجبلان^(١) .

(١-) كذا على الحكاية في الأخشين وعلى تقدير مبتدأ أى : هما الجبلان .

الباب الثاني والستون

في إسلام الجن

قد تقدم في أبواب البعثة استماعهم لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الحافظ ابن كثير وابن حجر : وقول من قال إن وفودهم كان بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف ليس صريحا في أولية قدوم بعضهم ، والذي يظهر من سياق الحديث الذي فيه المبالغة في رمي الشهب لحراسة السماء عن استراق السمع دال على أن ذلك كان بعد المبعث ، وإنزال الوحي إلى الأرض ، فكشفوا عن ذلك إلى أن وقفوا على السبب فرجعوا إلى قومهم .

ولما انتشرت الدعوة وأسلم من أسلم قدموا فسمعوا فأسلموا وكان ذلك بين الهجرتين ، ثم تعدد مجيئهم حتى في المدينة^(١) انتهى .

وروى محمد بن عمر الأسلمي ، وأبو نعيم ، عن أبي جعفر رضى الله عنه وعن آبائه قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجن في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من النبوة .

قال ابن إسحاق وابن سعد وغيرهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف راجعا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف ، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من الجن الذين ذكرهم الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وهم فيما ذكر في سبعة نفر من جن أهل نصيبين ، فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولّوا إلى قومهم مُنذرين قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا . فقص الله تعالى خبرهم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

«و» اذكر «إذ صرّفنا» أمّلنا «إليك نفرا من الجن» جن نصيبين أو جن نينوى ،

(١) تفسير ابن كثير (سورة الأحقاف) .

وفتح الباري ١٧٢/٨ (ط الحلبي) .

وكانوا سبعة أو تسعة ، وكان صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة يصلى بأصحابه الفجر . رواه الشيخان .

«يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا» أَى قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : «أَنْصِتُوا» لاسْتِماعِهِ فَلَمَّا قُضِيَ «فَرَّغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ «وَلَّوْا» رَجَعُوا «إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ» مَخَوِّفِينَ قَوْمَهُمُ الْعَذَابِ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا وَكَانُوا يَهُودًا .

«قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا» هُوَ الْقُرْآنُ «أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» أَى تَقْدَمَهُ كَالْتَوْرَةِ . «يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ» الْإِسْلَامُ «وإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ» أَى طَرِيقَهُ «يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ» مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِلَى الْإِيمَانِ» وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ «اللَّهُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ» أَى بَعْضُهَا لِأَنَّ مِنْهَا الْمَظَالِمَ وَلَا تُغْفَرُ إِلَّا بِرِضَا أَرْبَابِهَا . الْآيَاتُ (١) .

وروى ابن أبي شَيْبَةَ وَأَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَأَبُو نَعِيمٍ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : هَبَطُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِبُطْنِ نَخْلَةٍ ، فَلَمَّا سَمِعُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا . قَالُوا صَبْرًا وَكَانُوا تِسْعَةً أَحَدُهُمْ زَوْبَعَةُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : «وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجَنِّ» الْآيَاتُ .

وروى ابْنُ جُرَيْرٍ وَالتَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالُوا كَانُوا تِسْعَةً نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ نَصِيبِينَ ، فَجَعَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ .

وروى الشَّيْخَانُ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ : قُلْتُ لِابْنِ مَسْعُودٍ : مِنْ آذَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنِّ لَيْلَةَ اسْتَمْعُوا الْقُرْآنَ ؟ قَالَ : آذَنَتْهُ بِهِمْ شَجَرَةٌ وَفِي لَفْظٍ : سَمَرَةٌ (٢) .

وروى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْأَسْلَمِيِّ وَأَبُو نَعِيمٍ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ قَالَ : لَمَّا انْصَرَفَ النَّفَرُ التَّسْعَةُ (٣) مِنْ أَهْلِ نَصِيبِينَ مِنْ بَطْنِ نَخْلَةٍ وَهُمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ (٤) وَالْأَحْقَبُ جَاءُوا قَوْمَهُمْ مُنْذِرِينَ فَخَرَجُوا بَعْدُ وَافْدِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ فَانْتَهَوْا إِلَى

(١) سورة الأحقاف ٢٩ - ٣١ .

والخبر في طبقات ابن سعد ٢/١٢٢ (ط بيروت) وسيرة ابن هشام ٤٢١/١ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب باب عبد الله بن مسعود وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٥٣ .

(٣) ت : السبعة .

(٤) بعدها بياض في الأصول .

الْحَجُّونَ فَجَاءَ الْأَحْقَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنْ قَوْمُنَا قَدْ حَضَرُوا
الْحَجُّونَ يَلْقَوْنَكَ . فَوَعَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ بِالْحَجُّونَ .

وروى الإمام أحمد ومسلم والترمذي عن علقمة قال : قلت لابن مسعود : هل صحب
النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحدٌ . قال : ما صحبه منا أحدٌ ولكننا فقدناه ذات
ليلة فقلنا استطير أو اغتيل فبتنا بشر ليلة باتها قومٌ ، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل
جرأ فقلنا يا رسول الله إنا فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم . فقال :
إنه أتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن . فانطلق فأرانا آثارهم وآثار
نيرانهم^(١) .

وقال ابن مسعود أيضاً : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بت الليلة أقرأ
على الجن رفقا - وفي لفظ : واقفاً - بالحجون .
رواه ابن جرير^(٢) .

قلت : تبين من الأحاديث السابقة أن الجن سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
بنخلة فأسلموا ، فأرسلهم إلى قومهم مُنذرين ، ثم أتوه وهم ثلاثمائة^(٣) ، فقرأ عليهم
القرآن وهذه المرة لم يحضرها ابن مسعود ، بل حضر في مرة بعدها .

وروى ابن جرير والطبراني وأبو نعيم والبيهقي وغيرهم من طرق ، عن ابن مسعود رضى
الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة : من أحب منكم أن يحضر الليلة
أمر الجن فليفعل . فلم يحضر منهم أحد غيري ، فانطلقنا فقال : إن بنى إخوة وبنى عم
يأتوني الليلة فأقرأ عليهم القرآن . فسيرنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطأ
ثم أمرني أن أجلس فيه وقال : لا تبرح منه حتى آتيك . ثم انطلق حتى إذا قام فافتتح
القرآن فغشيته أسودة كثيرة . وفي رواية فذكر هيئة كأنهم الزط ليس عليهم ثياب ،
ولا أرى سواهم طولا قليلا ، فجتهم فرأيت الرجال ينحدرون عليه من الجبال ، فازدحموا

(١) صحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٥٠ وصحيح الترمذي كتاب التفسير (سورة الأحقاف) .

(٢) تفسير الطبري ٢٦/٢١ (ط الأميرية) ونصه :

« بت الليلة أقرأ على الجن ربعا بالحجون » .

(٣) ت : ثلاثمائة نفر .

عليه فقال سيد لهم يقال له وردان : أنا أرحلهم عنك . فقال : إني لن يُجيرني من الله أحدٌ .
 فحَالُوا بيني وبينه حتى ما أسمع صوته فانطلقوا فطفقوا يتقطعون مثل السحاب ذاهبين
 حتى بقى رهطٌ ، ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر ، فنزل ثم أتاني فقال :
 أرسلتُ إلى الجن . فقلت : فما هذه الأصوات التي سمعتها قال : هذه أصواتهم حين
 ودَّعوني وسلَّموا عليّ . ما فعل الرهطُ ؟ فقلت : هم أولئك يا رسول الله . فسأله الزادُ
 فأخذ عظاماً ورؤثاً فأعطاهم إياهما . فقال : لكم كلُّ عظم عَراق ولكم كلُّ روثه خضرة .
 قالوا : يا رسول الله يقدِّرهما النَّاسُ علينا . قلت : يا رسول الله وما يُغني ذلك عنهم ؟
 فقال : إنهم لا يجدون عظاماً إلا وجدوا عليه لجمه يومَ أكل ، ولا روثاً إلا وجدوا فيها
 حبَّها يومَ أكلت ، فلا يَتَنَقَّيْنِ أحدُكم إذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرَّة ولا روثاً . فلما
 أصبحتُ رأيتُ مَبْرَكَ ستين بغيراً^(١) .

قصة أخرى

روى ابن أبي حاتم عن عكرمة في الآية قال : هم اثنا عشر ألفاً جاءوا من جزيرة
 الموصل^٢ .

وذكر أبو حمزة الثمالي قال : إن هذا الحيَّ من الجن كان بنال لهم بنو الشَّيْصَبَان ،
 وكانوا أكثر الجن عدداً وأشرفهم وكانوا عامة جُنْدِ إبليس .

تَنْبِيْهَاتٌ

الأول : روى سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال : كانوا تسعة أحدهم زوبعة
 أتوه في أصل نخلة . وتقدم عنه أنهم كانوا خمسة عشر . وفي رواية أنهم كانوا على ستين
 راحلة وتقدم أن اسم سيدهم وردان . وتقدم عن عكرمة أنهم كانوا اثني عشر ألفاً . ففي
 هذا الاختلاف دليل على تَكَرُّرِ وفادتهم على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة والمدينة كما
 سيأتي بيان ذلك هناك .

(١) تفسير الطبري ٢٦/٢١

والخصائص الكبرى ١/٣٤٢ .

الثاني : في من وقفت على اسمه من الجن الذين اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم أن اسم النفر السبعة أو التسعة على الاختلاف . فقال مجاهد كانوا سبعة ثلاثة من أهل حرَّان وأربعة من نصيبين وكانت أسماؤهم حسي ومنسي وشاصر وباصر والأرد وإينان والأخْبَب .
رواه ابن أبي حاتم .

وقال إسماعيل ابن أبي زياد : هم تسعة : سليط وشاصر وخاضر وحسا ومسا^(١) والأرقم والأدرس وحاصر^(٢) .

وروى البيهقي عن أبي مَعْمَر الأنصاري قال : بينا عمر بن عبد العزيز يمشي إلى مكة بفلاة من الأرض إذ رأى حية ميتة فقال على بِمَحْفَار . فحفر له ولفه في خِرْقَةٍ ودفنه ، وإذا بهاتف يهتف لا يرونه : رحمةُ الله عليك ياسرق فأشهد لسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : تَمُوتُ ياسرق في فلاة من الأرض فيدفنك خيرُ أُمَّتِي . فقال عمر : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا رجل من الجن ، وهذا سرق ولم يبق ممن بايعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أحدٌ من الجن غيري وغيره ، وأشهدُ لسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : تَمُوتُ ياسرق بفلاة من الأرض ويدفنك خيرُ أُمَّتِي^(٣) .

وذكر ابن سلام من طريق أبي إسحاق السَّبَّيْعِيَّ - بسين مهملة مفتوحة فموحدة فمثناة تحتية - عن أشياخه عن ابن مسعود أنه كان في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يمشون فرُفِعَ لهم إعصار ثم جاء إعصار أعظم منه ثم انقشع فإذا حية قتيلة ، فعمد رجلٌ منا إلى رداءه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها ، فلما جَنَّ الليلُ إذا امرأتان تسألان : أيكما دفنَ عمرو بن جابر فقلنا ما ندرى ما عمرو بن جابر قالتا : إن كنتم ابتغيتم الأجر فقد وجدتموه ، إن فسقة الجن اقتتلوا مع المؤمنين فقتل عمرو بن جابر وهو الحية التي رأيتم ، وهو من النفر الذين استمعوا القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم^(٤) .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن عباد بن موسى ، العُكَلِيُّ ، حدثنا المطلب ابن

(١) بياض بالأصول .

(٢) الخصائص ٣٥٣/١ .

(٣) الخصائص ٣٥٠/١ بنحوه .

زياد الثقفي ، حدثنا أبو إسحاق أن ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا في مسير لهم وإن حيتين اقتتلتا فقتلت إحداهما الأخرى فعجبوا من طيب ريحها وحسنها ، فقام بعضهم فلقنها في خرقة ثم دفنها ، فإذا قوم يقولون السلام عليكم - لا يرونهم - إنكم دفنتم عمراً إن مُسلمتنا وكفارنا اقتتلوا فقتل الكافر المسلم الذي دفنتم ، وهو من الرهط الذين أسلموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند والطبراني والحاكم عن صفوان بن المعطل نحوه ، وفيه : أنه كان آخر السبعة^(١) الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا الحسن بن جهور ، حدثنا ابن أبي إياس ، وعن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عمه ، عن معاذ بن عبد الله ابن معمر قال : كنت جالساً عند عثمان بن عفان رضى الله عنه فجاء رجل فقال : ألا أخبرك يا أمير المؤمنين عجباً ؟ بينا أنا بفلاة كذا وكذا إذ إغصاران قد أقبلأ أحدهما من هاهنا والآخر من هاهنا فالتقيا فتعاركا ثم تفرقا وإذا أحدهما أكبر من الآخر فجئت معتركهما : فإذا من الحيات شيء ما رأيت عيناي مثله قط ، وإذا ريح المسك من بعضها ، وإذا حية صفراء ميتة فقمتم فقلبت الحيات كما أنظر من أيها هو فإذا ذلك من حية صفراء دقيقة ، فظننت أن ذلك خير فيها فلففتها بعمامي ودفنتها . فبينما أنا أمشي ناداني مناد ولا أراه : يا عبد الله ما هذا الذي صنعت فأخبرته بالذي رأيت ووجدت ، فقال : إنك قد هديت ، ذاك حيّان من الجن بنو شيبان^(٢) وبنو أقيش ، التقوا فاقتتلوا وكان بينهم ما قد رأيت واستشهد الذي رأيت ، وكان أحد الذين استمعوا الوحي من النبي صلى الله عليه وسلم^(٣) .

وروى ابن أبي الدنيا وأبو نعيم من طريق بشر ابن الوليد الكندي حدثنا كثير بن عبد الله أبو هاشم الناجي ، قال دخلنا على أبي رجاء العطاردي فسألناه : هل عندك علم من الجن ممن بايع النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فتبسّم فقال : أخبركم بالذي رأيت وبالذي سمعت ، كنا في سفر حتى إذا نزلنا على الماء فضربنا أخبيتنا وذهبت أليل ، فإذا أنا

(١) ط : التسعة .

(٢) ط : بنو شيبان .

بحية دخلت الخباء وهي تضطرب فعمدت إلى إداوتي فنضحتُ عليها من الماء فسكنتُ ، فلما صلينا العصر ماتت ، فعمدت إلى عَيْبَتِي فَأَخْرَجْتُ مِنْهَا خِرْقَةً بِيضَاءَ فَلَفَفْتُهَا فِيهَا وَحَفَرْتُ لَهَا وَدَفَنْتُهَا ، وَسَرَرْنَا بِقِيَةِ يَوْمِنَا وَلِيَاتِنَا ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحْنَا وَنَزَلْنَا عَلَى الْمَاءِ وَضَرَبْنَا أَخْبَيْنَنَا وَذَهَبَتْ أَقِيلَ فَإِذَا أَنَا بِأَصْوَاتٍ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ . مرتين لا واحد ولا عشرة ولا مائة ولا ألف أكثر من ذلك ، فقلت : من أنتم ؟ قالوا : الجن بارك الله عليك قد صنعتَ مالا نستطيع أن نجازيك . قلت : ما صنعتُ إليكم ؟ قالوا : إن الحية التي ماتت عندك كان آخر من بقي ممن بايع النبي صلى الله عليه وسلم من الجن^(١) .

ورواه الباوردي - بالموحدة - في معرفة الصحابة من طريق آخر وفيه أنه آخر من بقي من النضر الذين كانوا يستمعون القرآن . قال الحافظ في الإصابة : هذه القصة مغايرة لما قبلها وقد أثبت لكل منها الآخريَّة ، فيمكن أن الأول مقيد بالتسعة ، والثاني بمن استمع بناء على أن الاستماع كان من طائفتين مثلاً .

قال : وقد وقع في قصة سرق أنه آخر من بايع ، فتكون آخريَّته مقيدة بالمبايعه^(٢) . وروى أبو نعيم في الدلائل عن إبراهيم النخعي قال : خرج نفر من أصحاب عبد الله يريدون الحج حتى إذا كانوا ببعض الطريق إذا هم بحية تنثنى على الطريق ، أبيض ينفخ منه ريح المسك ، فقلت لأصحابي امضوا فليست ببارح حتى أنظر إلى ما يصير أمر هذه الحية . فما لبثت أن ماتت ، فعمدتُ إلى خِرْقَةٍ بِيضَاءَ فَلَفَفْتُهَا فِيهَا ، ثُمَّ نَحَيْتُهَا عَنِ الطَّرِيقِ فَدَفَنْتُهَا ، ثُمَّ أَدْرَكْتُ أَصْحَابِي . فوالله إنا لَنَقْعُودُ إِذْ أَقْبَلَ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ فَقَالَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ : أَيْكُمْ دَفَنَ عَمْرًا ؟ قلنا : ومن عمرو ؟ قالت : أَيْكُمْ دَفَنَ الْحِيَةَ ؟ قلت : أنا . قالت : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَنْتَ صَوَّامًا قَوَّامًا يَأْمُرُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَقَدْ آمَنَ بِنَبِيِّكُمْ وَسَمِعَ صَفْتَهُ فِي السَّمَاءِ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ بِأَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ . فحمدنا الله تعالى ثم قضينا حجنا ، ثم مررت بعمر ابن الخطاب بالمدينة فَأَنْبَأَتْهُ بِأَمْرِ الْحِيَةِ فَقَالَ : صدقت ، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لقد آمن بي قبل أن أبعث بأربعمائة سنة^(٣) .

(١) الخصائص ١/٣٤٧ .

(٢) الإصابة ٢/٢٠ بمناه .

(٣) الخصائص ١/٣٤٩ .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن عباد حدثني محمد بن زياد ، حدثني أبو مصلح الأسدي ، حدثني يحيى بن صالح ، عن أبي بكر بن عبد الله ابن أبي الجهم ، عن حذيفة العدوي قال : خرج حاطب بن أبي بلتعة من حائط له يريد النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالمسحاء التفت إليه عجاجتان ثم أجلتا عن حية كيف الحوار ، يعني الجلد ، فنزل ففحص له بسية قوسه ثم واره ، فلما كان الليل إذا هاتف يهتف به :

يا أيها الراكب المزجي مطيته
أريت عمراً وقد ألقى كلاكله
أربع عليك سلام الواحد الصمد
دون العشيرة كالضرغامة الأسد

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : ذاك عمرو بن الجوماية وافد نصيبين لقيه محضن بن جوشن النصراني فقتله ، أما إني قد رأيته - يعني نصيبين - فرفعها إلى جبريل ، فسألت الله تعالى أن يغضب نهرها ويطيب ثمرها ويكثر مطرها .

والآثار في هذا المعنى كثيرة ذكر طرفاً منها الشيخ رحمه الله تعالى في كتابه «لقط المرجان في أخبار الجان»^(١)

* * *

الثالث : أنكر ابن عباس رضي الله عنهما اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم بالجن . ففى الصحيحين عنه قال : ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم ، انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : مالكم ؟ قالوا : قد حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب . قالوا : ما ذاك إلا من شيء قد حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها . فمر نفر الذين أخذوا نحو تهمامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا : «يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهتدى إلى الرشد» فأنزل الله تعالى على نبيه : «قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن» وإنما أوحى إليه قول الجن^(٢) .

(١) وأكثرها واه لا سند له.

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير سورة الجن ، وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٤٩ .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى : وهذا الذي حكاه ابن عباس إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وعلمت بحاله ولم يرمهم ، ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى فذهب معهم وقرأ عليهم القرآن كما رواه مسلم عن ابن مسعود .

ويؤيد قول البيهقي أثر كعب السابق أول الباب .

قال البيهقي : وابن مسعود قد حفظ القصتين فرواهما .

وقال غيره : أثر ابن مسعود أثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الجن ورآهم ، فكان ذلك مقدماً على نفى ابن عباس .

وقد جاء عن ابن عباس ما يوافق ابن مسعود . فروى ابن جرير بسند جيد قوى عن ابن عباس في قوله تعالى : « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن » الآية . قال : كانوا تسعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رُسلًا إلى قومهم .. فهذا يدل على أن ابن عباس روى القصتين كابن مسعود .

* * *

الرابع : قال الحافظ : لا يعكر على قولنا حديث ابن عباس كان في أول البعثة ، كما تقرر قوله إنهم رأوه يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فيحتمل أن يكون ذلك بعد^(١) فرض الصلوات ليلة الإسراء لأنه صلى الله عليه وسلم كان قبل الإسراء يصلي قطعاً وكذلك أصحابه ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس شيء من الصلاة أم لا فيصح هذا على قول من قال إن الفرض كان أولاً صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها والحق فيه قوله تعالى « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » ونحوها من الآيات . فيكون إطلاق صلاة الفجر في هذا الحديث باعتبار الزمان لا لكونها إحدى الخمس المفترضة ليلة الإسراء فتكون قصة الجن متقدمة من أول البعثة^(٢) .

وقد أخرج الترمذي والطبري هذا الحديث بسياق سالم عن الإشكال الذي ذكرته من

(١) ط : قبل فرض .

(لا يعكر على قولنا حديث ابن عباس) « ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجن »

(٢) فتح الباري ١٧١/٨ .

طريق أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانت الجن تصعد إلى السماء يستمعون الوحي . الحديث . وتقدم هو وأحاديث أخر تدل على أن هذه القصة وقعت أول البعثة وهو الذي تظافرت به الأخبار وهو المعتمد .

الخامس في بيان غريب ما سبق .

الإعصار : قال في الصحاح ربح تثير الغبار ويرتفع إلى السماء كأنه عمود..

العُكْلَى : بضم العين المهملة وسكون الكاف . الإداوة بالكسر : المِطْهَرَة .

أَقِيل : أنام وقت القيلولة وهي نصف النهار .

العَيْبَة بفتح العين المهملة زنبيل من جلد وما يجعل فيه الثياب .

تَتَثَنَّى : تتقلب .

المطية : المطا ، وزان العصا : الظهر ومنه قيل للبعير مطية فعيلة بمعنى مفعولة لأنه

يركب مطاه ذكرا كان أو أنثى ويجمع على مطى ومطايا

المُزْجَى مطيته : السائقها .

ارْبَعَ : فعل أمر ، أى ارفق .

نصيبين : بلد معروف بأرض الجزيرة .

الباب الثالث والستون

في عرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه الكريمة
على القبائل ليؤووه وينصروه ودعائه الناس إلى التوحيد
قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه
بالموقف ، فيقول : ألا رجل يحملني إلى قومة فإن قريشا منعوني أن أبلي كلام ربي .
رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح^(١) .

قال محمد بن عمر الأسلمي : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين من أول
نبوته مُستخفياً ثم أعلن في الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين ، يوافي الموسم كل
عام يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ ومجنة وذى المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوهم حتى يبلغ
رسالات ربه ولهم الجنة ، فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه حتى إنه سأل عن القبائل
ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا العرب وتذل
لكم العجم وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة . وأبو لهب وراءه يقول : لا تطيعوه فإنه صابئ
كاذب ، فيردون عليه أقبح الرد ويؤذونه ويقولون : قومك بك أعلم .

وقال ابن اسحاق : ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أي من الطائفت وقومه
أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به ، وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم إذا كانت ، على قبائل العرب يدعوهم إلى
الله عز وجل ويخبرهم أنه نبي مُرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله عز
وجل ما بعثه به^(٢) .

وروى ابن اسحاق والبيهقي والإمام أحمد وابنه عبد الله والطبراني برجال ثقات ، عن
ربيع بن عباد - بكسر العين المهملة وتخفيف الباء الموحدة - قال : إني لغلّام شاب مع
أبي بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على القبائل من العرب فيقول : يا بني فلان
إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من

(١) سنن أبي داود كتاب السنة باب رقم ٢٠ .

ومصحح الترمذي كتاب ثواب القرآن باب ٢٤ - وسنن ابن ماجه المقدمة باب رقم ١٣ . (٢) سيرة ابن هشام ٤٢٢/١ .

دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله عز وجل ما بعثني به . والناس مُتَقَصِّفُونَ عليه ما رأيت أحدا يقول شيئا وهو لا يسكت . قال : وخلفه رجل أخول وضئ له غديرتان عليه حُلَّةٌ عدنية فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل : يا بني فلان إن هذا الرجل إنما يدعوكم إلى أن تسلكوا اللات والعزى من أعناقكم وحلقاءهم من الجن وبني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه . فقلت لأبي : يا أبت من هذا الرجل الذى يردُّ عليه ما يقول يتبعه حيث ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرُّ منه ؟ قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب ^(١) .

وروى الطبراني عن طارق بن عبد الله قال : إني بسوق ذى المجاز إذ مرَّ رجلٌ بي ^(٢) عليه حُلَّةٌ من بُردٍ أحمر وهو يقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا . ورجل خلفه قه أذى عرقوبيه وساقيه يقول : يا أيها الناس إنه كذاب فلا تطيعوه . فقلت : من هذا ؟ قالوا : غلام بني هاشم الذى يزعم أنه رسول الله وهذا عمه عبد العزى .

وروى الطبراني برجال ثقات عن مُدْرِكِ بْنِ [مُنِيب ^(٣)] رضى الله عنه قال : حَجَجْتُ مع أبي فلما نزلنا منى إذا نحن بجماعة فقلت لأبي : ما هذه الجماعة ؟ قال : هذا الصابئ . وإذا رسول الله ^(٤) صلى الله عليه وسلم يقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا .

وروى البخارى فى تاريخه والطبراني فى الكبير واللفظ له عن مُدْرِكِ بْنِ مُنِيب - بضم أوله وكسر النون وآخره موحد - العامرى عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية وهو يقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا . فمنهم من تفلَّ فى وجهه ومنهم من حثَّ ^(٥) عليه التراب ، ومنهم من سبَّه ، حتى انتصف النهار فأقبلت جارية بعُسٍّ من ماء فغسل وجهه ويديه وقال : يا بنية لا تخشى على أبيك غلبة ولا ذلة . فقلت : من هذه ؟ قالوا : زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهى جارية وَضِيئة ^(٦) .

(١) سيرة ابن هشام ٤٢٣/١ . ومسنَد أحمد ٤٩٢/٣ . (٢) ط : إذ مرَّ رجل شاب .

(٣) بياض بالأصل ، وما أثبتته مما ذكره المؤلف فى الرواية التالية . (٤) ط : وإذا برَسُولِ الله .

(٥) ط : من حَفَنَ . (٦) الذى فى التاريخ الكبير للبخارى

الجزء الرابع من القسم الثانى جـ ٢ : مدرك بن منيب الأزدي عن أبيه روى عنه ابنه منيب .

وروى الطبراني برجال ثقات نحوه عن الحارث بن الحارث .
وروى الإمام أحمد والبيهقي عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز وهو يقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا . وإذا رجل خلفه يسقى عليه التراب ، وإذا هو أبو جهل ، وإذا هو يقول : يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى يتبعه حيث ذهبَ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يفرّ منه ، وما يلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه .

قال الحافظ عماد الدين بن كثير : المحفوظ : أبو هب . وقد يكون أبو جهل وهما ، ويحتمل أن يكون ذا تارةً وذا تارة ، وأنها يتناوبان على أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

قلت : وهذا هو الظاهر .

* * *

وذكر ابن اسحاق عرّضه صلى الله عليه وسلم نفسه الكريمة على كِنْدَةَ وكلب وبني عامر بن صعصعة وبني حنيفة . قال : ولم يكن أحدٌ من العرب أقبح ردًا عليه منهم .
زاد الواقدي : وعلى بن عيسى وعُصَّان وبني مُحَارِب وبني فَزَّارة وبني مُرَّة وبني سُلَيْم وبني نَضْر بن هوازن وبني ثعلبة بن عُكَّابة - بضم العين المهملة وفتح الباء الموحدة - وبني الحارث بن كعب وبني عُذْرَة وقيس بن الخطيم . وساق أخبارهم .

وروى محمد بن عمر الأسلمي عن عامر بن سلمة الجنبي وكان قد أسلم في آخر عُمر النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : نسأل الله أن لا يَحْرِمَنَا الجنة ، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا ثلاثة أعوام بَعَكَاظ ومَجَنَّة وبذَى المجاز ، يدعوننا إلى الله - عز وجل - وأن نمنع له ظهره حتى يبلغَ رسالات ربه ، ويشترط لنا الجنة ، فما استجبنا له ولا ردّدنا عليه ردًّا جميلًا فخشنا عليه وحلّم عنا . قال عامر : فرجعت إلى هَجَرَ في أول عام فقال لي هُوْدَة بن علي : هل كان في موسمكم هذا خبر ؟ قلت : رجل من قريش بطوف

(١) سيرة ابن كثير ١٥٦/٢ - ١٥٧ .

على القبائل يدعوهم إلى الله تعالى وحده وأن يمنعوا ظَهْرَهُ حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة . فقال هَوْدَة : من أى قريش هو ؟ قلت : هو من أَوْسَطِهِمْ نسباً من بنى عبد المطلب . قال هَوْدَة : أهو محمد بن عبد المطلب ؟ قلت : هو هو . قال : أما إن أمره سيظهر على ما هاهنا . فقلت : هنا قط من بين البلدان ؟ قال : وغير ما هاهنا . ثم وافيت السنة الثانية هَجَرَ فقال : ما فعل الرجل ؟ فقلت : والله رأيته على حاله فى العام الماضى . قال : ثم وافيت فى السنة الثالثة وهى آخر ما رأيته وإذا بأمره قد أَمِرَ وإذا ذِكْرُهُ كَثُرَ فى الناس : الحديث .

وروى الحاكم والبيهقى وأبو نعيم وقاسم بن ثابت عن علي رضى الله عنه قال : لما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يَعرِضَ نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه . فذكر الحديث إلى أن قال : ثم دَفَعْنَا إلى مجلس آخر عليهم السَّكِينَةُ والوقار ، فتقدم أبو بكر فسَلَّمَ فقال : من القوم ؟ قالوا : مِن شَيْبَانَ بن ثعلبة . فالتفت أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يَا بَنِي وَأُمَى هَؤُلَاءِ عَزَّرَ النَّاسَ وفيهم مَعْرُوقُ بن عمرو وهَانِي ابن قَبِيصَةَ والمثنى بن حارثة والنعمان بن شَرِيك ، وكان مفروق قد غلبهم لساناً وجمالاً وكانت له غَلِيْبَرَتَانِ تسقطان على تَرْبِيَّتِهِ ، وكان أَدْنَى القوم مجلساً من أبى بكر فقال أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال مفروق : إنا لا نزيد على الألف ولن تغلب ألف من قِلَّةٍ . فقال أبو بكر : وكيف المنعة فيكم ؟ فقال مفروق : إنا لأشد ما نكون غضباً حين نَلْتَقَى ، وأشد ما نكون لقاءً حين نَغْضَبُ ، وإنا لنؤثر الجِيَادَ على الأولاد ، والسلاح على اللِّقَاح ، والنصر من عند الله يُدِيلُنَا مرةً ويديل علينا أخرى ، لعلك أخا قريش ؟ فقال أبو بكر : إن كان بلغكم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها هو ذا . فقال مفروق لإلَامَ تدعونا يا أخا قريش ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنى عبد الله ورسوله ، وإلى أن تُؤوِنُونِي وتَنْصُرُونِي فإن قريشاً قد تظاهرت على الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد .

فقال مفروق وإلَامَ تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فوالله ما سمعتُ كلاماً أحسن من هذا .

فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل تعالوا أنزل ما حرم ربكم عليكم : أن لا تشركوا

به شيئاً وبالوالذين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا
الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم
به لعلكم تَعْقِلُونَ» (١)

فقال مفروق : دعوت - والله - إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك (٢)
قومٌ كذّبوك وظاهروا عليك .

ثم رد الأمر إلى هاني بن قبيصة فقال : وهذا هاني شيخنا وصاحب ديننا .

فقال هاني : قد سمعتُ مقاتلك يا أخا قريش وإني أرى تركنا ديننا وإتباعنا دينك
لمجلسٍ جلستَ إلينا لا أول له ولا آخر لذلّ في الرأي وقلة نظر في العاقبة ، إن الزلّة
مع العجلة وإنا نكره أن نعقد على من وراءنا عقداً ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر .

ثم كأنه أحب أن يشركه المثني بن حارثة فقال : وهذا المثني شيخنا وصاحب
حربنا .

فقال المثني - وأسلم بعد ذلك - قد سمعتُ مقاتلك يا أخا قريش والجواب فيه جوابُ
هاني بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك وإنا إنما نزلنا بين صريين : أحدهما
اليمامة والآخر السمامة .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذان الصريان . ؟ قال : أنهار كسرى
ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنبُ صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول ،
وأما ما كان مما يلي مياه العرب فذنبُ صاحبه مغفور وعذره مقبول ، وإنا إنما نزلنا على
عهد أخذناه علينا كسرى أن لا نُحدِثَ حَدَثاً ولا نُؤوِىَ مُحَدِّثاً وإني أرى هذا الأمر الذي
تدعوننا إليه يا أخا قريش مما تكرهه الملوك ، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي
مياه العرب فعلنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أسأتم في الرد إذ أفصّختم بالصدق . وإن
دين الله عز وجل لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه ، أرايتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً

(١) سورة الأنعام ١٥١ .

(٢) كذا ضبطها المؤلف في تنبيهاته الآتية بعد .

حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم وأموالهم ويُفْرِشْكم نساءهم أَلَسْتُمْ حُبُّونَ الله تعالى
وتقدِّسونه ؟

فقال النعمان : اللهم فلك ذاك .

فتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً
وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً »^(١) .

ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) .

وروى سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى فى مغازيه عن أبيه ، وأبو نعيم عن عبد الرحمن العامرى
عن أشياخ من قومه قالوا : أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ونحن بسوق عكاظ فقال :
مَنِ الْقَوْمُ ؟ قلنا : من بنى عامر بن صعصعة بنو كعب بن ربيعة ؟ فقال : إني رسول الله
إليكم وأتيتكم لتمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي ولا أكره أحداً منكم على شيء .

قالوا : لا نؤمن بك وسنمنعك حتى تبلغ رسالة ربك .

فأتاهم بيثرة بن فراس^(٣) القشيري فقال : من هذا الرجل الذى أراه عندهم
أنكره ؟ قالوا : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . قال : فما لكم وله ؟ قالوا : زعم
أنه رسول الله فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه . قال : ما ردّدتم عليه ؟ قالوا :
بالرَّحْب والسَّعة نُخرجك إلى بلادنا ونمنعك مما نمنع منه أنفسنا . فقال بيثرة : ما أعلم
أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشرف من شيء ترجعون به ! أتعمدون إلى رهيق قوم
طردوه وكذبوه فتؤوؤوه وتنصروه تُنابدوا العربَ عن قوس واحدة ، قومه أعلم به فبيس
الرأى رأيكم . ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قم فالحق بقومك فوالله
لولا أنك عند قومي لضربتُ عنقك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ناقته ليركبها فغمز الخبيث بيثرة شاكِلتها
فقمصت برسول الله صلى الله عليه وسلم فألقته . وعند بنى عامر يومئذ ضباعة بنت عامر

(١) سورة الأحزاب ٤٥ .

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم ٢٣٧ .

(٣) ط : ابن فارس .

ابن حَوْط كانت من النسوة اللاتي أسلمن بمكة جاءت زائرة إلى بنى عمها فقالت : يا عامر ولا عامر لي ، أَيُصْنَعُ هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ولا يمنعه أحدٌ منكم ؟
فقام ثلاثة نفر من بنى عمها إلى بَيْحَرَة واثنتين أعاناه فأخذ كل رجل منهم رجلاً فجلد به الأرض ، ثم جلس على صدره ثم علّوا وجوههم لطمًا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء . فأسلم الثلاثة الذين نصّروه وقتلوا شهداء ، وهم غطيف وغطفان ابنا سهل وعروة أو عزرة بن عبد الله ، وهلك الآخرون ^(١) .

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم موسمهم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك في الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم فقالوا : جاءنا فتى من قريش ثم أحد بنى عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ، ثم قال : يا بنى عامر هل لها من تلاف هل لذنابها من مَطْلَب ! والذي نفسى بيده ما تقولها إسماعيل قط كاذبا وإنه ^(٢) لَحَقَّ ، فأين رأيكم كان عنكم ^(٣) .

وروى أبو نعيم عن خالد بن سعيد عن أبيه عن جده أن بكر بن وائل قديم مكة في الحج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : إيتهم واعرض عليهم . فأتاهم فعرض عليهم . فقالوا : حتى يجيء شيخنا حارثة . فلما جاء قال : إن بيننا وبين الفُرس حرباً فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم عُذْنَا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا بذى قارهم والفرس قال لهم شيخهم : ما اسم الرجل الذى دعاكم إلى ما دعاكم إليه ؟ قالوا : محمد . قال : فهو شعاركم . فنصّروا على الفُرس . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بي نصّروا .

وروى محمد بن عمر الأسلمى عن جهم بن أبي جهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على بنى عامر يدعوهم إلى الله تعالى ، فقام رجل منهم فقال له : عجبا لك يا الله قد

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢٤٣ . وسيرة ابن كثير ١/١٦٠ . ثم قال ابن كثير : وهذا أثر غريب كتبناه

لنصرايته .

(٢) ط : وإنما .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٤٢٥ .

أَغْيَاكَ قَوْمُكَ ثُمَّ أَغْيَاكَ أَحْيَاءُ الْعَرَبِ كُلِّهَا حَتَّى تَأْتَيْنَا وَتَتَرَدَّدَ عَلَيْنَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ؟ وَاللَّهِ
لَأَجْعَلَنَّكَ حَدِيثًا لِأَهْلِ الْمَوْسَمِ . وَنَهَضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ جَالِسًا فَكَسَرَ
اللَّهُ سَاقَ الْخَبِيثِ ، فَجَعَلَ يَصْبِيحُ مِنْ رِجْلِهِ وَانصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَرَوَى أَبُو نَعِيمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَابِصَةَ الْعَبْسِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : جَاءَنَا رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي فِدْعَانَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ، وَكَانَ مَعَنَا مَيْسِرَةٌ بَنُ مَسْرُوقِ الْعَبْسِيِّ
فَقَالَ لَنَا : أَلْحَفُ بِاللَّهِ لَوْ صَدَّقْنَا هَذَا الرَّجُلَ وَحَمَلْنَاهُ حَتَّى نَحُلَّ بِهِ وَسَطَ رِحَالِنَا لَكَانَ الرَّأْيُ ،
فَأَلْحَفُ بِاللَّهِ لِيُظْهِرَنَّ أَمْرَهُ حَتَّى يَبْلُغَ كُلَّ مَبْلَغٍ فَأَبَى الْقَوْمُ وَانصَرَفُوا . فَقَالَ لَهُمْ مَيْسِرَةٌ :
مِيلُوا بِنَا إِلَى فَدَكٍ فَإِنْ بِهَا يَهُودٌ نَسَأَلُهُمْ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ . فَمَالُوا إِلَى يَهُودٍ فَأَخْرَجُوا سِفْرَهُمْ
فَوَضَعُوهُ ثُمَّ دَرَسُوا ذِكْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الْعَرَبِيِّ يَرْكَبُ الْحِمَارَ
وَيَجْتَزِي بِالْكِسْرَةِ ، وَلَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالْجَعْدِ وَلَا بِالسَّبُطِ فِي عَيْنِيهِ حُمْرَةٌ
مُشْرَبُ اللَّوْنِ . قَالُوا : فَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ وَادْخُلُوا فِي دِينِهِ فَإِنَّا نَحْسَدُهُ
وَلَا نَتَّبِعُهُ وَلَنَا مِنْهُ فِي مَوَاطِنَ بَلَاءٍ عَظِيمٍ ، وَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا اتَّبَعَهُ أَوْ قَتَلَهُ .
فَقَالَ مَيْسِرَةٌ : يَا قَوْمُ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مَيْسِرَةٍ^(١) .

وَرَوَى أَبُو نَعِيمٍ عَنْ ابْنِ رُوْمَانَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَغَيْرُهُمَا قَالُوا : جَاءَ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِنْدَةً فِي مَنَازِلِهِمْ فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ فَأَبَوْا . فَقَالَ أَصْغَرَ الْقَوْمِ : يَا قَوْمُ اسْبِقُوا
إِلَى هَذَا الرَّجُلِ قَبْلَ تَسْبِقُوا إِلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ إِنْ أَهْلَ الْكِتَابِ لِيُحَدِّثُونَا أَنَّ نَبِيًّا يَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ
قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُهُ فَأَبَوْا .

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالُوا : قَدِيمُ سُؤَيْدٍ
ابْنُ الصَّامِتِ أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ مَكَّةَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا ، وَكَانَ سُؤَيْدٌ إِذَا يَسْمِيهِ قَوْمُهُ
الْكَامِلَ لَجَلْدِهِ وَشِعْرِهِ وَشَرَفِهِ وَنَسَبِهِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

أَلَا رُبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى مَقَالَتَهُ بِالْغَيْبِ سَاءَكَ مَا يَفْـسُرِي
مَقَالَتُهُ كَالشَّهَدِ مَا كَانَ شَاهِدًا وَبِالْغَيْبِ مَأْثُورٌ عَلَى ثَغْرِ النُّحْرِ

(١) سيرة ابن كثير ١٧٠/١ عن الواقدي .

يسرك باديه ونحت أديمسه
 تبين لك العينان ما هو كاتيم
 تيممة غش تبترى عقب الظهير
 من الغل والبغضاء بالنظر الشزر
 فرشنى بخير طال ما قد برئتسى
 وخير الموالى من يرش ولا يبرى^(١)

فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله تعالى وإلى الاسلام . فقال له سويد : لعل الذى معك مثل الذى معى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال مجلة لقمان . يعنى حكمته

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها على . فعرضها عليه . فقال : هذا كلام حسن والذى معى أفضل من هذا : قرآن أنزله الله تعالى هو هدى ونور . فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه القرآن ودعاه إلى الإيمان فلم يبتعد منه وقال : إن هذا القول حسن . ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتلته الخزرج ، فإن كان رجال قومه ليقولون إنا لنراه قد قتل وهو مسلم . وكان قتله قبل بعث^(٢) .

تنبيه

[فى بيان غريب ما سبق]

عُكَاظ - بضم العين المهملة : سوق بقرب مكة وراء قرن المنازل ، يُصْرَفُ وَيُمنَعُ .
 ذى المجاز - بالجيم والزى : سوق كانت تقام فى الجاهلية على فرسخ من عرفة .
 مَجَنَّة - بفتح الميم والجيم والنون المشددة : سوق أخرى .
 مفروق - بفتح الميم ففاء ساكنة فراء مضمومة فواو ساكنة .
 هانى - بالهمزة فى آخره .
 قَبِيصَة - بفتح القاف وكسر الباء الموحدة ومثناة تحتية آخره صاد مهملة .

(١) الروض الأنف ٢٦٥/١ .

(٢) سيرة ابن هشام ٤٢٥/١ ، وسيرة ابن كثير ١٧٣/١ .

منى بن حارثة - بالحاء المهملة والثاء المشددة : أسلم المثنى بعد ذلك ، وكان سببا في فتح العراق وأبلى فيه بلاء حسنا . رضى الله عنه .

هَوْدَة - بفتح الهاء وسكون الواو وفتح الدال المهملة .
قط : أى حَسَب .

التَّريبة - بفتح المثناة الفوقية وكسر الراء : واحدة الترائب وهى عظام الصدر .
رَهيق قوم : أى سفيهم .

ذوقار - بالقاف والراء : موضع به ماء معروف .
من تَلَّاف ^(١) .

لِذُنَابَاهَا من مَطْلَب : الذنابي : وزان الخُزَامَى فى الأصل لغة فى الذَّنْب ويقال هو فى الطائر أفصح من الذَّنْب ، ثم استعارها هنا للقصة .
تَقَوَّلَهَا : أدعاها .

الشُّعَار - بكسر الشين المعجمة : العلامة فى الحرب وهو ما ينادون به ليعرف بعضهم بعضا .
أَذْنَى : أَقْرَب .

الْمَنَعَة - بفتح الميم والنون : قال فى التقريب : أى فى قوم يَمْنَعُونَهُ ويحمونه جمع مانع ،
ككاتب وكتبة ويسكن على معنى مَنَعَة واحدة والسكون عاى . وقال الزمخشري : يسكن فى الشعر لا فى غيره .

الْجَهْد - بفتح الجيم وضمها : الطاقة .
الْجَدَّ - بفتح الجيم : الحظ والسعادة . والمعنى أَن علينا أَن نجهد وليس علينا أَن يكون
لنا الظفر والنصر إنما هو من عند الله .
لحين : الأكثر جرَّ حين هنا ، وهو ظرف زمان .

نَلَقَى - بفتح النون وإسكان اللام وفتح القاف : مبنى للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول
فيكون مضموم النون .

(١) بياض بالأصول . والمراد : من تدارك .

الجِيَاد : جمع جواد ، يقال جاد الفرس جوادا بالفتح وجودة بالضم صار جواد بالجري .

الَّلِّقَاح - بكسر اللام المشددة وبالْقاف والحاء المهملة : جمع لقحة وهي هنا ذوات الدَّرِّ من الإبل بعد الولادة بشهر أو شهرين ثم هي ذات لَبُون .

يُدِيلُنَا - بضم المثناة التحتية وكسر الدال المهملة : أى ينصِرُنَا .

أخو قريش : أى الذى هو منهم .

أَوْقَدَ بَلْغَكُمْ - بفتح الواو على الاستفهام .

ظاهرت : عاونت .

أَفَكَ - بفتح الهمزة والفاء : صَرَفَ عَنِ الْحَقِّ وَمَنَعَ مِنْهُ .

أَن يَشْرَكَه - بفتح أوله وثالثه ويقال رباعى أيضاً : أى يجعله شريكه .

الصَّرِيَيْنِ : بصاد مهملة فراء مفتوحتين فمثنائين تحتيتين الأولى مفتوحة مشددة^(١)

والثانية ساكنة ثنية صرى - وفى بعض نسخ العيون صيرين ثنية صير - بكسر الصاد .

قال فى المصباح والتقريب : صَرَى الْمَاءُ صَرًى مِنْ بَابِ تَعَبَ : طَالَ مُكُنْهُ وَتَغَيَّرَ وَيُقَالُ طَالَ

استنقاعه فهو صَرًى وصف بالمصدر. وقال فى النهاية : الصير الماء الذى يحضره الناس

وقد صار القوم يصيرون إذا حضروا الماء .

اليَامة - بفتح المثناة التحتية : مدينة من اليمن على مرحلتين من الطائف وأربع من مكة .

السُّمَامَة - بكسر السين المهملة وميمين مفتوحتين : ولم أَر لها ذكراً فى معجم البَكْرِى

ولا فى معجم البلدان لياقوت ، ولا فى كتاب الزمخشري فى الأماكن ولا فى كتاب نصر ،

ولا فى القاموس الذى وقفت عليه .

يَقْرَى : يقطع فى عرضك .

المأثور : السيف الموشى .

(١) كذا بالأصول ، وهو سهو ، والصواب تخفيف الياء الأولى وسكون الياء الثانية .

وانظر اللسان ١٩٢/١٩ .

الثَّغْرَةُ : الحفرة التي في الصدر.

تَبْتَرَى - بتاء مثناة فوقية فموحدة ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة .

العقب : عصب الظهر .

الشرر : هو نظرة العدو .

فِرْشَى : قوْنى .

بَرَيْتَنى : أضعفتنى .

المجلة - بفتح الميم والجيم واللام : الصحيفة هذا هو أصلها .

بُعَاث - بالعين المهملة ويقال بإعجامها : اسم موضع .

حَاطَهُ : كَلَّاهُ ورعاه .

يُفْرِشْكُمْ - بضم المثناة التحتيّة وكسر الراء .

الباب الرابع والثلاثون

في خبر بعض المستهزين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف كان هلاكهم

قال الله سبحانه وتعالى : « ولقد استهزى برسلك » كما استهزى بك . وهذه تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم « فَأَمَلَيْتُ » أمهلت « للذين كفروا ثم أَخَذْتُهُمْ » بالعقوبة « فكيف كان عقاب^(١) » أى فكيف رأيت ما صنعت بهم فكذلك أصنع بمن استهزأ بك .

وقال تبارك وتعالى : « إنا كفيناك المستهزين » بأن أهلكناهم بآفة « الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر »^(٢) صفة وقيل مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره وهو فسوف يعلمون عاقبة أمرهم « ولقد » للتحقيق « نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون » من الاستهزاء والكذب « فسبح » متلبسا « بِحَمْدِ رَبِّكَ » أى قل سبحان الله وبحمده « وكن من الساجدين » المصلين « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين »^(٣) الموت .

قال الجمهور ومنهم ابن عباس في أكثر الروايات عنه : كانوا خمسة . وقال في رواية : كانوا ثمانية وصححه في العرر وجزم به أبو عمرو العراقي في الدرر .

الأول : الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن زهرة ، وهو ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال البلاذري : كان إذا رأى المسلمين قال لأصحابه : قد جاءكم ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى وقبصر . ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم : أما كلمت اليوم من السماء يا محمد . وما أشبه هذا القول . فخرج من عند أهله فأصابته السموم فاسود وجهه حتى صار حبشيًا ، فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب ، فرجع متلددًا حتى مات عطشًا .

ويقال إن جبريل صلى الله عليه وسلم أومأ إلى رأسه فضربتة الأكلة فامتخص رأسه قبحًا ويقال أومأ إلى بطنه فسقى بطنه ومات حبنا . ويقال إنه عطش فشرب الماء حتى انشق بطنه^(٤) .

(٢) سورة الحجر ٩٥ .

(٤) أنساب الأشراف ١/١٣١ ، ١٣٢ .

(١) سورة الرعد ٣٢ .

(٣) سورة الحجر ٩٧ - ٩٩ .

قلت : والقول الأول رواه أبو نعيم بسند ضعيف عن ابن عباس ، ورواه أيضا عن الربيع بن أنس . وزاد : وكان رجلا أبيض حسن الجسم . والقول الثاني رواه الطبراني والبيهقي والضياء بسند صحيح . والقول الثالث رواه أبو نعيم^(١) من طريقين ضعيفين . والقول الرابع رواه^(٢) .

وروى ابن أبي حاتم والبلاذري بسند صحيح عن عكرمة أن جبريل حنى ظهر الأسود حتى أحقَّقَ صدره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالي خالي . فقال : دَعَه عَنْكَ يا محمد فقد كُفِّيتَه^(٣) .

ولا تَخَالَفَ بين هذه الروايات لاحتمال أن جميعها حصل له .

امتَحَضَ : بالخاء والضاد المعجمتين أى تحرك .

أحقَّقَ : انحنى .

الحَبْنُ - بحاء مهملة فموحدة مفتوحتين : عِظَمُ البطن .

* * *

الثاني : الحارث بن قيس السهمي وهو ابن العَنْطَلَةِ يُنسب إلى أمه ، وكان يأخذ حجرا يعبده فإذا رأى أحسنَ منه تركه وأخذَ الأحسن .

وفيه نزلت : «أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» أى مَهْوِيَّه قَدَّمَ المفعول الثاني لأنه أهم وجملته «من» مفعول أول لأَرَأَيْتَ . «أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا»^(٤) حافظًا تحفظه من اتباع هواه لا .

وكان يقول : لقد غرَّ محمد نفسه وأصحابه أن وعدهم أن يحيوا بعد الموت ، والله ما يُهلكنا إلا الدهرُ ومرور الأيام والأحداث . فأكل حوتًا مملوًا فلم يزل يشرب عليه الماء حتى انقَدَّ بطنه . ويقال إنه أصابته الذبحة . وقال بعضهم : امتَحَضَ رأسه قبيحا .

قلت : القول الأول رواه عبد الرزاق وابن جرير وغيرهما عن قتادة ومِقْسَم مولى ابن عباس .

* * *

(٢) بياض بالأصول .

(٤) سورة الفرقان ٤٣ .

(١) ط : رواه الطبراني ؛

(٣) أسباب الأشراف ١/ ١٣٢ .

الثالث : الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى .

قال البلاذرى رحمه الله : كان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويقولون : قد جاءكم ملوك الأرض ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر ثم يمكثون ويصفرون . وكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام شقّ عليه فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعمى الله بصره ويثكله ولده فخرج يستقبل ابنه وقد قدّم من الشام ، فلما كان ببعض الطريق جلس فى ظل شجرة فجعل جبريل صلى الله عليه وسلم يضرب وجهه وعينه بورقة من ورقها خضراء وبشوك من شوكها حتى عمى فجعل يستغيث بغلامه . فقال له غلامه : ما أرى أحدا يصنع بك شيئا غير نفسك . ويقال إن جبريل صلى الله عليه وسلم أوّماً إلى عينيه فعمى فشغل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما كان يوم بدر قتل ابنه زمعة بن الأسود ، قتله أبو دُجّانة ويقال قتله ثابت [بن] ^(١) الجذع ، قُتل ابنه عقيل أيضا ، قتله حمزة بن عبد المطلب وعلى رضى الله عنهما اشتركا فيه . وقيل قتله على وجده رضى الله عنه ^(٢) .

* * *

الرابع : مالك بن الطلالطة - بطائين مهملتين الأولى مضمومة والثانية مكسورة - بن عمرو بن عُبْشان - بضم الغين المعجمة وسكون الباء الموحدة بعدها شين معجمة - ذكره فيهم ابن الكلبي والبلاذرى ، وكان سفيها فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعاذ بالله من شره فعصر جبريل بطنه حتى خرج خلاؤه من بطنه ^(٣) فمات .

وقال البلاذرى وقال غير ابن الكلبي ؛ أشار جبريلُ إليه فامتخَصَ رأسه قبحا ^(٣) وقال آخر : هو عمر بن الطلاطل . وذلك باطل .

* * *

الخامس : العاصى بن وائل السهمى . قال البلاذرى : ركب حمارا ^(٤) له ويقال بغلة

(١) من أنساب الأشراف .

(٢) أنساب الأشراف ١٤٨/١ - ١٤٩ .

(٣) أنساب الأشراف ١٥٤/١ : من فـه .

(٤) غير ط : جملا . وما هنا موافق للبلاذرى فى أنساب الأشراف ١٣٩/١ .

بيضاء فلما نزل شِعْبًا من تلك الشعاب وهو يريد الطائف رُبِضَ به الحمارُ أو البغلة على شِبْرَقَةٍ فَأَصَابَتْ رِجْلَهُ شَوْكَةٌ مِنْهَا فَانْتَفَخَتْ حَتَّى صَارَتْ كَعَنْقِ الْبَعِيرِ وَمَاتَ . وَيُقَالُ إِنَّهُ لَمَّا رِبِضَ بِهِ حِمَارُهُ أَوْ الْبَغْلَةُ لُدِغَ فَمَاتَ مَكَانَهُ قُلْتُ : الْقَوْلُ الْأَوَّلُ رَوَاهُ [الْبَلَاذُرِيُّ] (١)

والقول الثاني رواه أبو نعيم بسند ضعيف عن ابن عباس .

الشِبْرَقَةُ - بكسر الشين المعجمة والراء : رَطْبُ الضَّرِيعِ .
وروى الشيخان وابن إسحاق عن خُبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ قَالَ : كُنْتُ قَيْنًا : أَيْ حَدَادًا - فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَعَمَلْتُ لِلْعَاصِي بْنِ وَائِلٍ سَيُوفًا - وَفِي رِوَايَةٍ سَيْفًا - فَجِئْتُهُ أَتَقَاضَاهُ فَقَالَ : لَا أُعْطِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ : لَا أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ ثُمَّ تُبْعَثَ . قَالَ : وَإِنِّي لَمِيتٌ ثُمَّ مَبْعُوثٌ ؟ ! قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : دَعْنِي أَمُوتُ وَأُبْعَثَ فَتُؤْتَى مَا لَا وُولَدَا فَأُعْطِيكَ هُنَالِكَ حَقَّكَ وَوَاللَّهِ لَا تَكُونُ أَنْتَ وَصَاحِبُكَ يَا خُبَّابُ آثَرَ عِنْدَ اللَّهِ مِنِّي وَلَا أَعْظَمَ حَقًّا (٢) .
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ « أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا » الْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ وَقَالَ لَخُبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ الْقَائِلُ لَهُ : تُبْعَثُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْمَطَالِبُ لَهُ بِمَالٍ : « لِأَوْتَيْنِ » عَلَى تَقْدِيرِ الْبَعْثِ « مَا لَا وُولَدَا » فَأَقْضِيكَ . قَالَ تَعَالَى : « أَطَّلَعَ الْغَيْبَ » أَيْ أَعْلَمَهُ وَأَنْ يُوْتَى مَا قَالَهُ ، وَاسْتَغْنَى بِهَمْزَةِ الْاسْتِفْهَامِ عَنْ هَمْزَةِ الْوَصْلِ فَحَذَفَتْ « أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا » بِأَنْ يُوْتَى مَا قَالَهُ « كَلَّا » أَيْ لَا يُوْتَى ذَلِكَ « سَتَكْتُبُ » نَأْمُرُ بِكُتُبِ « مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا » نَزِيدُهُ بِذَلِكَ عَذَابًا فَوْقَ عَذَابِ كُفْرِهِ « وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ » مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ « وَيَأْتِينَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قُرْدًا » (٣) لَا مَالَ لَهُ وَلَا وَلَدَ .

* * *

السادس : الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِي بْنِ أُمِيَّةَ .

قال البلاذري : كَانَ مِنْ يُوْذَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْتَمُهُ وَيُسْمِعُهُ مَا يَكْرَهُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ خَلْفُهُ يَخْلُجُ بِأَنْفِهِ وَفَمِهِ فَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَكَانَ مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي دِينِهِ ، - فَاطَّلَعَ يَوْمًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِعَنْزَةٍ وَقَالَ : مِنْ

(١) بياض بالأصل . وقد رواه البلاذري في أنساب الأشراف ١/ ١٣٩ .

(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير (سورة مريم) ، وكتاب الإجارة .

(٣) سورة مريم ٧٧ - ٨٠ .

عَدِيرِي مِنْ هَذَا^(١) الْوَزْعَةَ ؟ لَوْ أَدْرَكْتَهُ لَفَقَّاتُ عَيْنَهُ أَوْ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَلَعَنَهُ وَمَا وَلَدَ وَغَرَّبَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ فَلَمْ يَزَلْ خَارِجًا مِنْهَا إِلَى أَنْ مَاتَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) .

قُلْتُ : وَرَوَى أَبُو الشَّيْخِ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ رَجُلٌ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحَاكِيهِ وَيَلْمِضُ فَرَأَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كَذَلِكَ كُنْ . فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَلَبِطَ بِهِ مَغْشِيًا عَلَيْهِ شَهْرًا ثُمَّ أَفَاقَ حِينَ أَفَاقَ وَهُوَ كَمَا يَحَاكِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَهَذَا الْمُبْتَهَمُ الظَّاهِرُ أَنَّهُ الْحَكَمُ .

* * *

السابع : الوليد بن المغيرة :

قَالَ الْبَلَاذُرِيُّ فَمَرَّ الْوَلِيدُ بِرَجُلٍ يُقَالُ لَهُ حَرَّاثٌ - بَفَتْحِ الْحَاءِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ الْمَهْمَلَتَيْنِ ابْنِ عَامِرِ بْنِ خَزَاعَةَ ، وَهُوَ الثَّبُتُ - وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ حَرَّابٌ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَهُوَ يَرِيشُ نَبَلًا لَهُ وَيُصْلِحُهَا فَوَطِئَ عَلَى سَهْمٍ مِنْهَا فَمَخَذَشْتَهُ خَدَشًا يَسِيرًا ، وَيُقَالُ عَلِقَ بِإِزَارِهِ فَمَخَذَشَ سَاقَهُ خَدَشًا خَفِيفًا فَأَهْوَى إِلَيْهِ جَبْرِيلُ فَانْتَفَضَ الْخَدَشُ وَضَرَبَتْهُ الْأَكَلَةُ فِي رِجْلِهِ أَوْ سَاقِهِ فَمَاتَ^(٣) .

* * *

الثامن : أَبُو لَهَبٍ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ^(٤) عَدَاوَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ الْبَلَاذُرِيُّ : وَكَانَ يَطْرَحُ الْقَذْرَ وَالنِّتْنَ عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَأَاهُ حَمِيْدُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَقَدْ طَرَحَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَخَذَهُ وَطَرَحَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَجَعَلَ أَبُو لَهَبٍ يَنْفُضُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ : صَبَائِي أَحْمَقُ . فَأَقْصَرَ عَمَّا كَانَ يَفْعَلُ ، لَكِنَّهُ كَانَ يَدَسُّ مِنْ يَفْعَلِهِ^(٥) .

قَالَ : وَرَوَى ابْنُ أَبِي الزُّنَادِ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْتُ بَيْنَ شَرِّ جَارَيْنِ ، بَيْنَ أَبِي لَهَبٍ وَعُقَيْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، إِنْ كَانَا لِيُنَاتِيَانِ بِالْقُرُوثِ فَيَطْرَحَانِي عَلَى بَابِي .

(٢) أنساب الأشراف ١/١٥١ .

(٤) ط : من أشد المنكرين

(١) البلاذري : من هذه الوزعة .

(٣) أنساب الأشراف ١/١٣٤ .

(٥) أنساب الأشراف ١/١٣١ .

قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا بني عبد مناف أيّ جِوَار هذا ؟
ثم يُمِيطُهُ عَنْ بَابِهِ .

قالوا : وبعث أبو لهب ابنه عتبة بشيء يؤذّي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعهم
يقرأ « والنجم إذا هوى » فقال : أنا كافر برب النجم . فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : سلط الله عليك كلبا من كلابه ، فخرج في تجارة فجاء الأسد وهو بين أصحابه
نائم بحوران من أرض الشام فجعل يهمس ويشم حتى انتهى إليه فمضغه مضغة أتت عليه ،
فجعل يقول وهو بآخر رمق : ألم أقل لكم إن محمدا أضدق الناس ؟ ! ثم مات .
قلت : صوابه عُتَيَّة بالتصغير كما سيأتى بسط ذلك في أبواب إجابة دعواته .

ومات أبو لهب بداء يعرف - بالعدسة ، كانت العرب تتشام به وتفتر من ظهر به (١) ،
فلما أصاب أبا لهب تركه أهله حتى مات ومكث مدة لا يُدْفَن حتى خافوا العار فحضروا له
حفرة فرموه فيها . كما سيأتى بيان ذلك .

وكانت امرأته أم جميل ابنة حرب تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا وهي
حَمَّالَة الحطب ، وإنما سماها الله تعالى بذلك لأنها كانت تحمل الشوك فتطرحه بالليل على
طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يمرّ هو وأصحابه لتغفرهم بذلك ، فبينما هي ذات
يوم تحمل حزمة أعيت فقعدت على حجر تستريح أتاها ملك فجذبها من خلفها بالجبل
الذي في عنقها فخنقها به .

وروى الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت
« وأنذر عشيرتک الأقربين » صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى :
يا بني فِهْر ، يا بني عدى لبطون من قريش ، حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع
أن يخرج أرسل رسولا ينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مُّصَدِّقِي ؟
قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال : فإني لكم نذير بين يدي عذاب شديد . فقال
أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعنا (٢) !

(١) العدسة : بثرة تخرج بالبدن فتقتل . وقد هلك أبو لهب بعد غزوة بدر .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة المسد) وصحيح مسلم كتاب الفتن حديث رقم ٩١ .

فأنزل الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم « تَبَّتْ » خَسِرَتْ . والتباب : الخسران المفضى إلى الهلاك « بدا أبى لهب » جُمِلَتْهُ ، وعبر عنها باليدين مجازاً لأن أكثر الأفعال تُداول بهما ، وكفى بآبى لهب لحسنه وجماله وإنما كناه لأنه كان مشتهراً بكنيته دون اسمه وقيل لأن اسمه عبد العزى فلا يناسب في القرآن عَبْدِيَّة شخص إلى غير الله تعالى وهذه الجملة دعاء « وَتَبَّ » : خسر هو ، وهذه خبر كقولهم أَهْلَكَه الله وقد أَهْلَكَه .

ولمَّا خَوْفَهُ النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال : إن كان ما يقول ابن أخى حقاً فإنى أفتدى منه بمالى وولدى ، نزل « ما أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وما كَسَبَ » وكسبه : أى ولده وأغْنَى بمعنى يُغْنَى « سَيَصْلَى ناراً ذاتَ لهب » أى تلهب وتوقد فهى مآل تكنيته « وامرأته » : عطف على ضمير يصلى سَوَّغَهُ الفصل بالمفعول وصفته وهى أم جميل « حَمَّالَةٌ » بالرفع « الحطب » الشوك والسعدان تلقيه فى طريق النبي صلى الله عليه وسلم « فى جِيدِها » : عنقها « حَبْلٌ من مَسَد » أى ليف وهذه الجملة حال من حمالة الحطب الذى هو نعت لامرأته أو خبر مبتدأ مقدر ..

ولهذا مزيد بيان - فى المعجزات .

• • •

وذكر البلاذرى من كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو^(١) الأضداء^(٢) وكان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يعلمك أهل الكتاب أساطيرهم ويقول الناس هو معلّم مجنون فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لعلّ جبل إذ اجتمعت عليه الاروى^(٣) فنطحتّه حتى قتله^(٤) .

• • •

وذكر ابن اسحاق فيهم : أمية بن خلف الجمحي .

(١) كذا بالرفع ، وإن كانت مفعول « ذكر » فتعنيها النصب بالألف . وفى أنساب الأشراف : ابن الأضداء وفى المسامش أثبت المحقق : خ : أبو .

(٢) الأصل : الأصدى . وما أثبتته من أنساب الأشراف .

(٣) الاروى : أنى الوعل .

(٤) أنساب الأشراف ١/١٥٠ .

قال ابن إسحاق : وكان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه فأنزل الله سبحانه وتعالى : « ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده » .

قال ابن هشام : الهمزة : الذي يشتم الرجل علانية ويكسر عينه عليه ويغمز به وجمعه همزات . واللمزة : الذي يعيب الناس سرا ويؤذيهم ^(١) .

والنضر بن الحارث .

قال ابن إسحاق : بن كلدة بن علقمة .

قال الخشني : والصواب علقمة بن كلدة .

كان إذا جلس رسول الله مجلسا فدعا فيه إلى الله وتلا عليهم القرآن وحذر قريشا ما أصاب الأمم الماضية ^(٢) خلفه في مجلسه إذا قام فحدثهم عن ملوك الفرس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثا مني ، وما أحاديثه إلا أساطير الأولين اكتبها كما اكتبتها فأنزل الله : « وقالوا أساطير الأولين » أكاذيبهم ، جمع أسطورة بالضم « اكتبها » انتسخها من القوم بغيره « فهي تملى » تقرأ « عليه » ليحفظها « بكرة وأصيلا » غداة وعشيا .

قال تعالى ردا عليهم : « قل أنزله الذي يعلم السر » الغيب « في السموات والأرض إنه كان غفورا » للمؤمنين « رحيا » بهم .

قال ابن إسحاق : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فيما بلغني مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر فكلّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم : « إنكم » يا أهل مكة « وما تعبدون من دون الله » أي غيره من الأوثان « حصب جهنم » وقودها « أنتم لها وارثون » داخلون فيها « لو كان هؤلاء » الأوثان « آلهة » كما زعمتم « ما وردوها » دخلوها « وكل » من العابدين والمعبودين « فيها خالدون » لا خلاص لهم عنها « لهم » للعبادين « فيها زفير » صياح « وهم فيها لا يسمعون » ^(٣)

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٥٦ .

(٢) ط : الحالية .

(٣) سورة الأنبياء ٩٨ - ١٠٠ .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزُّبَيْرِى - بزى فباء موحدة مكسورتين^(١) فعين مهملة ساكنة فراء فألف مقصورة - وأسلم بعد ذلك ، حتى جلس إليهم فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزُّبَيْرِى والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد وقد زعم محمد أنا وما نَعْبُد من - آلهنا هذه حَصَبُ جهنم . فقال عبد الله : أما والله لو وجدته لَخَصَمْتُهُ فسلُّوا محمداً أكل ما يُعْبَد من دون الله في جهنم مع مَنْ عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عُزَيْراً والنصارى تعبد عيسى بن مريم . فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله ورأوا أنه قد احتجَّ وخاصم .

فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلُّ من أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ من دون الله فهو مع مَنْ عبده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته . فأنزل الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا » المنزلة « الْحُسْنَى » وهى السعادة أو التوفيق للطاعة أو البشرى بالجنة ومنهم من ذكر « أولئك عنها مُبْعَدُونَ » لأنهم يُرْفَعُونَ إلى أعلى عليين « لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا » صوتها : « وهم فيها اشتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ » من النعيم « خالدون » دائمون « لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ » وهو أَنْ يُؤْمَرَ بالعبد إلى النار « وتَتَلَقَّاهُمْ » تستقبلهم « الملائكة » عند خروجهم من القبور يقولون لهم « هذا يومكم الذى كنتم توعدون^(٢) » فى الدنيا^(٣) .

تنبيه

قال السُّهَيْلِ : لو تأمل ابن الزُّبَيْرِى وغيره من كفار قريش الآية لرأى أن اعتراضه غير لازم من وجهين :

أحدهما : أنه خطاب متوجه على الخصوص لقريش عبدة الأصنام ، وقوله « إنا نعبد الملائكة » حيدة ، وإنما وقع الكلام والمحاجة فى اللات والعزى وهبل وغير ذلك من أصنامهم . والثانى : أن لفظ التلاوة : « إنكم وما تعبدون » ولم يقل « ومن تعبدون » فكيف يلزم اعتراضه بالمسيح وعزير والملائكة ، وهم يَعْبُدُونَ والأصنام لا تعقل ؟ ومن ثم جاءت الآية بلفظ ما الواقعة على ما لا يعقل^(٤) . انتهى .

(٢) سورة الأنبياء ١٠١-١٠٣ .

(٤) الروض الأفت ١/٢٢٥ .

(١) الذى فى القاموس : بكسر الزاى وفتح الباء .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٣٥٨-٣٦٠ .

وقال بعض العلماء : ان ابن الزبعرى من فصحاء العرب لا يخفى عليه موضع « مَنْ » من « ما » وإنما إيرادها من جهة القياس والعموم المعنوى الذى يعمُّ الحُكْمُ فيه لعموم علته أى إن كان كونه معبودا يوجب أن يكون حصَّب جهنم فهذا المعنى موجود فى الملائكة والمسيح وعُزَيْر .

وأجيب بالفارق من وجوه :

الأول : الآية المتقدمة^(١) ، لأنَّ عزيراً والمسيح ممن سبقت لهم الحسنى فالتسوية بين الملائكة والأنبياء وبين الأصنام والشياطين من جنس التسوية بين البَيْع والرِّبا وهو شأن أهل الباطل يُسَوُّون بين ما فرَّق الشرع والعقل والفِطْرَةُ بَيْنَهُ ، ويفرِّقون بين ما سَوَّى الله عز وجل ورسوله بَيْنَهُ .

الثانى : الأوثان حجارة غير مكلفة ولا ناطقة ، فإذا حُصِبَ بها جهنم إهانة لها ولعابديها - لم يكن فى ذلك تعذيب من لا يستحق العذاب .

الثالث : أن من عبد هؤلاء بزعمه فإنهم لم يَدْعُوا إلى أنفسهم ، وإنما عبد المشركون الشياطين وتوهموا أن العبادة لهؤلاء ، وقد برأ الله تعالى الملائكة والمسيح وعُزَيْراً من ذلك ، فما غَيَّرَ الله إلا الشياطين .

وهذه كلها منتزعة من قوله تعالى : « إن الذين سبقت لهم مِنَّا الحُسْنَى » وإذا تأمل قوله تعالى : « وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ^(٢) » خرج من خِلَالِهِ أن معبودهم مُعَذِّبُهُم المشتعل عليهم ، فهو أَبْلَغُ فى النَّكَالِ وَقَطْعُ الآمالِ .

الحَبْدَةُ^(٣) : بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وهى العُدُولُ .

* * *

ومنهم الأَخْنَسُ بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح النون فسين مهملة ، ابن شَرِيْق - بفتح الشين المعجمة وبالقاف - الثَّقْنَى واسمه أُنْبَى وذكر غير واحد أنه أسلم بعد ذلك .

(١) وهى قوله سبحانه : « إن الذين سبقت لهم مِنَّا الحُسْنَى » .

(٢) سورة التحريم ٦ .

(٣) الواردة فى كلام السبيل آنفا .

قال ابن إسحاق : وكان من أشراف القوم ومن يستمع منه وكان بصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرد عليه ، فأنزل الله تعالى : « ولا تُطعْ كُلَّ حَلَّافٍ » كثير الحلف بالباطل « مَهِين » حقير « هَمَّاز » عَيَّاب أى مغتاب « مَشَاءٌ بَنَمِيم » أى ساعٍ بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم .

« مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ » يمنع الناس من الخير من الإيمان والإنفاق والعمل الصالح « مُعْتَدٍ » ظالم « أَثِيمٌ » كثير الإثم « عُتُلٌّ » غليظ جاف « بعد ذلك » بعد ما عُدَّ من مثاليه « زَنِيمٌ » دَعِيَ في قريش قاله ابن عباس وأنشد على ذلك قول الشاعر :

زَنِيمٌ تَدَاغَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً كما زِيدَ في عَرَضِ الْأَدِيمِ أَكَارِعُهُ^(١)

وواه عبد بن حميد وابن عساكر وبه قال عكرمة وأنشد قول الشاعر :

زَنِيمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مَنْ أَبْسَوْهُ بغىَّ الْأُمِّ ذُو حَصَبٍ لُثْمِيمٍ
وقيل إنه كان له زَنَمَتَانِ^(٢) حقيقة .

وروى البخارى والنسائى وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : هو رجل من قريش نَعِتَ فلم يُعْرَفَ حتى قيل زَنِيمٌ وكانت له زَنَمَةٌ زائدة في عُنْقِهِ يُعْرَفُ بها^(٣) .

تنبيه

ما جزم به ابن إسحاق من أن هذه الآيات أنزلت في حق الأخنس رواه ابن أبي حاتم عن السُّدِّيَّ وابن سعد وعبد بن حميد عن الشعبي وعبد الرزاق وابن المنذر عن الكلبي وقيل أنزلت في حق الأسود بن عبد يغوث . رواه ابن مردويه عن ابن عباس وابن أبي حاتم عن مجاهد وقيل أنزلت في الوليد بن المغيرة . ذكره يحيى بن سلام في تفسيره وجزم به غير واحد .

* * *

ومنهم^(٤) أَبِي بِنِ خَلْفٍ وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ .

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦٠ - ٤٦١ . والبيت كما قال السبيل : الأعرف أنه لحسان الروض ١/ ٢٢٦ .

(٢) الزنمتان : هتان تليان الشحمة وتقابلان الوترة في الإذنين .

(٣) صحيح البخارى كتاب التفسير « سورة ن » .

(٤) من المشتهرين بالرسول صلوات الله عليه .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَا مُتَصَافِيَيْنِ حَسَنًا مَا بَيْنَهُمَا .

رَوَى ابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي الْمَصْنُفِ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ مِقْسَمِ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ كِلَاهُمَا عَنْهُ ، أَنَّ أَبَا مُعِيْطٍ وَفِي رِوَايَةٍ عَقِبَةُ بْنُ أَبِي مُعِيْطٍ كَانَ يَجْلِسُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ وَلَا يُؤْذِيهِ وَكَانَ رَجُلًا حَلِيمًا ، وَكَانَ بَقِيَّةَ قَرِيْشٍ إِذَا جَلَسُوا مَعَهُ آذَوْهُ وَكَانَ لِأَبِي مُعِيْطٍ خَلِيلٌ غَائِبٌ عَنْهُ بِالشَّامِ . وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ أُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ فَقَالَتْ قَرِيْشٌ : صَبِيًّا أَبُو مُعِيْطٍ . وَفِي رِوَايَةٍ وَكَانَ لَا يَقْبَلُهُمْ مِنْ سِوَى إِلَّا صَنَعَ طَعَامًا فَدَعَا أَهْلَ مَكَّةَ كُلَّهُمْ فَصَنَعَ طَعَامًا ثُمَّ دَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى طَعَامِهِ فَقَالَ : مَا أَنَا بِالَّذِي آكُلُ مِنْ طَعَامِكَ حَتَّى تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ : اطْعَمْ يَا ابْنَ أَخِي . فَقَالَ : مَا أَنَا بِالَّذِي أَفْعَلُ حَتَّى تَقُولَ . فَشَهِدَ بِذَلِكَ وَطَعِمَ مِنْ طَعَامِهِ . وَقَدِمَ خَلِيلُهُ مِنَ الشَّامِ لَيْلًا فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ مَا فَعَلَ مُحَمَّدٌ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَتْ : أَشَدَّ مَا كَانَ أَمْرًا . فَقَالَ : مَا فَعَلَ خَلِيلِي أَبُو مُعِيْطٍ ؟ فَقَالَتْ : صَبِيًّا . فَبَاتَ بَلِيلَةَ سُوءٍ فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَاهُ أَبُو مُعِيْطٍ فَحِيَّاهُ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ التَّحِيَّةَ فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تَرُدُّ عَلَيَّ تَحِيَّتِي . فَقَالَ : كَيْفَ أَرُدُّ عَلَيْكَ تَحِيَّتَكَ وَقَدْ صَبَأْتُ . قَالَ : أَوْقَدْ فَعَلْتَهَا قَرِيْشٌ ؟ لَا وَاللَّهِ مَا صَبَأْتُ وَلَكِنْ دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْ طَعَامِي إِلَّا أَنْ أَشْهَدَ لَهُ . فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِي قَبْلَ أَنْ يَطْعَمَ ، فَشَهِدْتُ لَهُ قَالَ : مَا أَنَا بِالَّذِي أَرْضَى عَنْكَ حَتَّى تَأْتِيَهُ فَتَبْزُقَ فِي وَجْهِهِ . وَفِي رِوَايَةٍ : فَقَالَ : مَا يَبْرَأُ صُدُورُهُمْ إِنْ أَنَا فَعَلْتُ ؟ قَالَ : تَأْتِيَهُ فِي مَجْلَسِهِ فَتَبْزُقُ فِي وَجْهِهِ وَتَشْتَمُهُ بِأَخْبَثِ مَا تَعْلَمُ مِنَ الشَّتْمِ . فَفَعَلَ فَلَمْ يَزِدِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ مَسَحَ وَجْهَهُ مِنَ الْبِزَاقِ .

وَنَقَلَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَبُو ذَرِّ الْخُسَنِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ النَّقَّاشِ أَنَّ عَقِبَةَ لَمَسَا تَغْلًا فِي وَجْهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجَعَ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَى وَجْهِهِ فَصَارَ بَرَصًا . انْتَهَى .

ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنْ وَجَدْتُكَ خَارِجًا مِنْ جِبَالِ مَكَّةَ ضَرَبْتُ عَنْقَكَ صَبْرًا .

وَقَالَ أَبِي بْنُ خَلْفٍ : وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُنِ مُحَمَّدًا . فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : بَلْ أَنَا أَقْتُلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَلَمَّا بَلَغَ أُبَيًّا ذَلِكَ أَفْزَعَهُ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلًا إِلَّا كَانَ حَقًّا .

فلما كان يوم بدر ، وخرج أصحاب عَقَبَة ، أَيْ أَن يَخْرُجَ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : اخْرُجْ
مَعَنَا . فَقَالَ : قَدْ وَعَدَنِي هَذَا الرَّجُلُ إِنِ وَجَدَنِي تَخَارِجًا مِنْ جَبَالِ مَكَّةَ أَن يَضْرِبَ عُنُقِي
صَبْرًا . فَقَالُوا : لَكَ جَمَلٌ أَحْمَرٌ لَا يَذْرُكُ فَلَوْ كَانَتْ الْهَزِيمَةُ طِيرَتْ عَلَيْهِ . فَخَرَجَ مَعَهُمْ ،
فَلَمَّا هَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ وَحُلَّ بِهِ جَمَلُهُ فِي أُخْدُودٍ مِنَ الْأَرْضِ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَسِيرًا فِي سَبْعِينَ مِنْ قَرِيْشٍ وَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَبُو مُعَيْطٍ فَقَالَ : أَتَقْتُلُنِي بَيْنَ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ :
نَعَمْ . فَنَظَّمَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَضْرَبَ عُنُقَهُ . وَلَمْ يَقْتُلْ مِنَ الْأَسَارَى يَوْمَئِذٍ غَيْرَهُ .

فلما كان يوم أحد خرج أُبَيٌّ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فَجَعَلَ يَلْتَمِسُ غَفْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَتَحْمِلَ عَلَيْهِ فَيَحُولُ رَجُلٌ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : خَلُّوا عَنْهُ . فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ وَرَمَاهَا بِهَا فَوَقَعَتْ
فِي تَرَقُّوْتِهِ فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ دَمٌ كَثِيرٌ وَاحْتَقَنَ الدَّمُ فِي جَوْفِهِ ، فَجَعَلَ يَخُورُ كَمَا يَخُورُ الثَّوْرُ
فَاحْتَمَلَهُ أَصْحَابُهُ وَهُوَ يَخُورُ فَقَالُوا : مَا هَذَا الَّذِي بَكَ ! فَوَاللَّهِ مَا بَكَ إِلَّا خَدَشٌ . فَقَالَ :
وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِْبْنِي إِلَّا بِرِيقِهِ لَقَتَلْتَنِي ! أَلَيْسَ قَدْ قَالَ : أَنَا أَقْتُلُهُ . وَاللَّهِ لَوْ كَانَ الَّذِي بِي بِأَهْلٍ
ذِي الْمَجَازِ لَقَتَلْتَهُمْ . فَمَا لَبِثَ إِلَّا يَوْمًا حَتَّى مَاتَ .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي مُعَيْطٍ : « وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ » نَدَمًا وَتَحَسُّرًا فِي الْقِيَامَةِ .
قَالَ سَفِيَّانُ الثَّوْرِيُّ : يَأْكُلُ يَدَيْهِ ثُمَّ تَنَبَّتْ . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍانَ الْجَوْنِيُّ :
بَلَغَنِي أَنَّهُ يَعْضُهُمَا حَتَّى يَنْكَسِرَ الْعَظْمُ ثُمَّ يَعُودُ .

يَقُولُ : « يَا » لِلتَّنْبِيهِ « لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ » مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « سَبِيلًا »
طَرِيقًا إِلَى الْهُدَى « يَا وَيْلَتَنَا » الْأَلْفَ عَوْضَ عَنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ أَيْ وَيْلَتِي وَمَعْنَاهُ هَلَكْتِي « لَيْتَنِي
لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ » الْقُرْآنَ « بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي » بِأَن رَدَنِي عَنِ
الْإِيمَانِ بِهِ . قَالَ تَعَالَى : « وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ الْكَافِرَ » خَذُولًا « بِأَن يَتْرَكَهُ وَيَتَبَرَّأَ مِنْهُ

عِنْدَ الْبَلَاءِ

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال ابن سعد : قلت للواقدي قال الله تعالى : « إنا كفيناك المستهزئين » وهذه السورة مكية ؟ فقال : سألت مالكا وابن أبي ذئب عن هذا فقال : كفاه إياهم فبعضهم عَمِيَ وبعضهم مات فشغل عنه وبعضهم كفاه إياه إذ هياً الله له من أسباب مفارقتة بالهجرة ما هياً له (١) .

وقال غيرهما : كفاه أمرهم فلم يضروه بشيء .

الثاني : قال البلاذري ذكر غير الواقدي أن المستهزئين جميعا هلكوا في وقت واحد وقول الواقدي أثبت (٢) .

الثالث : أكثر الروايات على أن عُقْبَةَ بن أَبِي مُعَيْط هو الذي أسلم وأن أُبَيًّا هو الذي رده . وفي بعضها ضد ذلك . فالله أعلم .

* * *

ومنهم أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

قال البلاذري : وغيره : كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وكان يُكنى قبل ذلك أبا الحكم .

قال : وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لأبي جهل أبا الحكم فقد أخطأ خطيئة يستغفر الله منها .

وروى عنه أنه قال : لكل نبيّ فرعون وفرعون هذه الأمة أبو جهل (٣) .

قال ابن إسحاق : ولقي أبو جهل بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - فقال له : والله يا محمد لتتركن سب آلهمتنا أو لنُسَبِّنَّ إلهك الذي تعبد . فأنزل الله تعالى :

(١) : أنساب الأشراف ١/١٥٥ .

(٢) : أنساب الأشراف ١/١٥٤ .

(٣) : أنساب الأشراف ١/١٢٥ .

« وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ^(١) » فذُكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كَفَّ عَنْ سَبِّ آلِهِتِهِمْ وجعل يدعوهم إلى الله عز وجل .

ولما أنزل الله عز وجل : « إِنْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ^(٢) » تخويفا لهم بها قال أبو جهل : يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا : لا . قال : عجوة يشرب بالزبد ! والله لئن استمكنّا منها لَنَسْتَرَقَمَنَّ منها . فأنزل الله تعالى : « إِنْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ » هي من أخبث الشجر المرّ بتهامة نَبَتْهَا فِي الْجَحِيمِ « طَعَامُ الْإِثْمِ » أي أبي جهل وأصحابه ذوى الإثم الكثير « كَالْمُهْلِ » أي كدُرْدِيّ الزيت الأسود خبر ثان « يَغْلِي فِي الْبُطُونِ » بالفوقانية خبر ثان وبالتحتانية حال من المهل « كَغَلَى الْحَمِيمِ » المساء الحار الشديد الحرارة .
الآيات ^(٣)

انتهى هذا الجزء

(١) سورة الأنعام ١٠٨ .

(٢) كذا بالأصول . وفي ابن هشام : ولما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفا بها لهم .

(٣) سورة الدخان الآيات ٤٣ - ٤٧ والخبر في سيرة ابن هشام ٣٦٢/١ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الباب الثاني عشر		جماع أبواب صفة جسده الشريف صلى الله عليه وسلم ٥	
في صفة ظهره صلى الله عليه وسلم وما جاء		الباب الأول	
في صفة خاتم النبوة ٦٣		في حسنه صلى الله عليه وسلم ٩	
الباب الثالث عشر		الباب الثاني	
في صفة صدره وبطنه صلى الله عليه وسلم ... ٧٦		في صفة لونه صلى الله عليه وسلم ١٥	
الباب الرابع عشر		الباب الثالث	
فيما جاء في شق صدره وقلبه الشريفين صلى الله عليه وسلم ٨٠		في صفة رأسه وشعره صلى الله عليه وسلم ... ٢٢	
الباب الخامس عشر		الباب الرابع	
في صفة يديه وإبطيه صلى الله عليه وسلم ... ١٠٠		في صفة جبينه وحاجبيه صلى الله عليه وسلم ... ٣٠	
الباب السادس عشر		الباب الخامس	
في صفة ساقيه وفخذييه وقدميه صلى الله عليه وسلم ١٠٦		في صفة عينيه صلى الله عليه وسلم وبعض ما فيها من الآيات ٣٣	
الباب السابع عشر		الباب السادس	
في ضخامة كراديسه صلى الله عليه وسلم ... ١١٠		في سمه الشريف صلى الله عليه وسلم ٣٩	
الباب الثامن عشر		الباب السابع	
في طولهِ واعتدال خلقه ورقة بشرته صلى الله عليه وسلم ١١١		في صفة أنفه الشريف وخديه صلى الله عليه وسلم ٤١	
الباب التاسع عشر		الباب الثامن	
في عرقه صلى الله عليه وسلم وطيبه ١١٦		في صفة فمه صلى الله عليه وسلم وأسنانه وطيب ريقه وبعض الآيات فيه ٤٣	
الباب العشرون		الباب التاسع	
في مشيه صلى الله عليه وسلم وأنه لم يكن يرى له ظل ١٢٣		في صفة لحية الشريفة وشيبه صلى الله عليه وسلم ٤٨	
الباب الحادي والعشرون		الباب العاشر	
في الآية في صوته صلى الله عليه وسلم وبلوغه حيث لا يبلغه صوت غيره ١٢٥		في صفة وجهه صلى الله عليه وسلم ٥٥	
الباب الثاني والعشرون		الباب الحادي عشر	
في فصاحته صلى الله عليه وسلم ١٢٨		في صفة عنقه صلى الله عليه وسلم وبعد ما بين منكبيه وغلظ كتفه ٦١	
الباب الثالث والعشرون			
في معرفة الذين كانت صفات أجسادهم تقرب من صفات جسده صلى الله عليه وسلم ... ١٥٥			

جماع أبواب بعض الأمور الكائنة

بعد مولده وقبل بعثته ١٦١

الباب الأول

في وفاة أمه آمنة بنت وهب وحضانة أم أيمن له ١٦٣

الباب الثاني

في كفالة عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفته بشأنه ١٧٥

الباب الثالث

في استسقاء أهل مكة مجده وهو معهم وسقيام ببركته ١٧٨

الباب الرابع

فيما حصل له في سنة سبع من مولده ١٨٢

الباب الخامس

في وفاة عبد المطلب ووصيته لأبي طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم وما ظهر في ذلك من الآيات ١٨٣

الباب السادس

في استسقاء أبي طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم وعائش أبي طالب وشكواه ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ١٨٥

الباب السابع

في سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه الزبير ابن عبد المطلب إلى اليمن ١٨٧

الباب الثامن

في سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب إلى الشام ١٨٨

الباب التاسع

في حفظ الله تعالى إياه في شبابه عما كان عليه أهل الجاهلية واشتهاره بالأخلاق الفاضلة والحاصل الحميدة قبل بعثته وتظيم قومه له صلى الله عليه وسلم ١٩٨

الباب العاشر

في شهوده صلى الله عليه وسلم حرب الفجار ٢٠٥

الباب الحادي عشر

في شهوده صلى الله عليه وسلم حلف الفضول ٢٠٨

الباب الثاني عشر

في رعيته صلى الله عليه وسلم الغنم ٢١١

الباب الثالث عشر

في سفره صلى الله عليه وسلم مرة ثانية إلى الشام ٢١٤

الباب الرابع عشر

في نكاحه صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وأرضاها ٢٢٢

الباب الخامس عشر

في بنيان قريش الكعبة ٢٢٨

جماع أبواب مبعثه

صلى الله عليه وسلم ٢٣٧

الباب الأول

في بدء عبادة الأصنام والإشراك بالله تعالى ٢٣٩

الباب الثاني

في إخبار الأحبار والرهبان والكهان بمبعث حبيب الرحمن صلى الله عليه وسلم ٢٤٦

الباب الثالث

في حدوث الرجوم وحجب الشياطين من استراق السمع عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ٢٦٤

الباب الرابع

في بعض ما سمع من المواتف وتنكس الأصنام ٢٨٠

الباب الخامس

في قدر عمر النبي صلى الله عليه وسلم وقت بعثته وقارئتها ٣٠٣

الباب السادس

في ابتدائه صلى الله عليه وسلم بالرؤيا الصادقة وسلام الحجر والشجر عليه ، زاده الله فضلا وشرفاً لديه ٣٠٦

الباب السابع

فيما ذكر أن إسرائيل قرن به قبل جبريل صلى الله عليه وسلم ٣٠٩

الباب الثامن

في كيفية بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣١١

الباب التاسع

في كيفية إزال الوحي ... ٣٣٨

الباب العاشر

في شدة الوحي وثقله ... ٣٤٤

الباب الحادي عشر

في أنواع الوحي ... ٣٥٢

الباب الثاني عشر

في فترة الوحي وتشریف الله تعالى نبيه صلى

الله عليه وسلم بالرسالة بعد النبوة ... ٣٦١

الباب الثالث عشر

في معنى الوحي والنبي والرسول والنبوة والرسالة ... ٣٧٠

الباب الرابع عشر

في مثله ومثل ما بعثه الله تعالى به من الهدى ... ٣٧٣

الباب الخامس عشر

في مثله ومثل الأنبياء من قبله ... ٣٨٩

الباب السادس عشر

في الوقت الذي كتب فيه نبينا صلى الله عليه

وسلم ... ٣٩١

الباب السابع عشر

في إعلام الوحش برسالة صلى الله عليه وسلم ... ٣٩٢

الباب الثامن عشر

في شهادة الرضيع والأبكم برسالة صلى الله

عليه وسلم ... ٣٩٣

جماع أبواب بعض الأمور الكائنة

بعد بعثته صلى الله عليه وسلم ٣٩٥

الباب الأول

في تعليم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء

والصلاة ... ٣٩٧

الباب الثاني

في إسلام خديجة بنت خويلد ، وعمل بن أبي

طالب ، وزيد بن حارثة ، وأبي بكر

الصديق ، رضي الله تعالى عنهم واختلاف

الناس فيمن أسلم أولا ... ٤٠٢

الباب الثالث

في ذكر متقدمي الإسلام من الصحابة

— رضي الله تعالى عنهم — تقدم على وزيد

ابن حارثة ... ٤٠٩

الباب الرابع

في قصة إسلام أبي ذر وأخيه أنيس رضي الله

تعالى عنهما ... ٤٢١

الباب الخامس

في سبب دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار

الأرقم بن أبي الأرقم واستخفاء المسلمين حال

عبادتهم ربهم تبارك وتعالى ... ٤٢٨

الباب السادس

في أمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً صلى

الله عليه وسلم بإظهار الإسلام ... ٤٣١

الباب السابع

في مثنى قريش إلى أبي طالب ليكشف عنهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ٤٣٦

الباب الثامن

في إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ... ٤٤٣

الباب التاسع

في إرسال قريش عتبة بن أبي ربيعة لرسول

الله صلى الله عليه وسلم يعرض عليه أشياء ليكشف

عنهم ... ٤٤٧

الباب العاشر

في أسئلة المشركين رسول الله — صلى الله عليه

وسلم — أنواعاً من الآيات وخرق العادات على

وجه العناد لا على وجه الهدى والرشاد ... ٤٥١

الباب الحادي عشر

في امتحانهم إياه بأشياء لا يعرفها إلا نبي ... ٤٦٠

الباب الثاني عشر

في سبب نزول قوله تعالى : « ولا تجهر

بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً » ... ٤٦٨

الباب الثالث عشر

في اعتراف أبي جهل وغيره بصدق رسول الله

صلى الله عليه وسلم ... ٤٧٠

الباب الرابع عشر

في تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن

والآيات التي أنزلت فيه ... ٤٧٢

الباب الخامس عشر

في عدوان المشركين على المستضعفين من أسلم

بالأذى والفتنة ... ٤٧٦

الباب السادس عشر

في الهجرة الأولى إلى الحبشة وسبب رجوع
من هاجر إليها من المسلمين ... ٤٨٥

الباب السابع عشر

في إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ... ٤٩٣

الباب الثامن عشر

في دخول بنى هاشم وبنى المطلب بنى عبد مناف
الشعب وكتابة قريش الصحيفة الظالمة ... ٥٠٢

الباب التاسع عشر

في رجوع القادمين من الحبشة إليها والهجرة
الثانية ... ٥١٧

الباب العشرون

في إرادة أبي بكر رضى الله عنه الهجرة إلى
الحبشة وإلى المدينة ... ٥٣٩

الباب الحادى والعشرون

في نقض الصحيفة الظالمة ... ٥٤٣

الباب الثانى والعشرون

في إسلام الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه ... ٥٤٨

الباب الثالث والعشرون

في قصتي الإراشى والزبيدي اللذين ابتاع
أبو جهل إبلهما ... ٥٥١

الباب الرابع والعشرون

في وفد النصارى الذين أسلموا ... ٥٥٤

الباب الخامس والعشرون

في سبب نزول أول سورة « عبس » ... ٥٥٦

الباب السادس والعشرون

في سبب نزول « قل يأيا الكافرون » ... ٥٥٩

الباب السابع والعشرون

في سبب نزول « أول سورة الروم » ... ٥٦٠

الباب الثامن والعشرون

في وفاة أبي طالب ومشي قريش إليه ليكف عنهم
رسول الله - صلى الله عليه وسلم ... ٥٦٣

الباب التاسع والعشرون

في وفاة السيدة خديجة رضى الله عنها ... ٥٧١

الباب الثلاثون

في بعض ما لاقاه رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - من قريش بعد موت أبي طالب ... ٥٧٢

الباب الحادى والثلاثون

في سفر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ... ٥٧٦

الباب الثانى والثلاثون

في إسلام الجن ... ٥٨٣

الباب الثالث والثلاثون

في عرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه الكريمة
على القبائل ليؤووه وينصروه ودعائه الناس
إلى التوحيد ... ٥٩٣

الباب الرابع والثلاثون

في خبر بعض المستهزئين برسول الله - صلى الله
عليه وسلم - وكيف كان هلاكهم ... ٦٠٥

مطابع الأهرام بكورنثس النيل